علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية

الدكتور خليل ابراهيم السامرائي

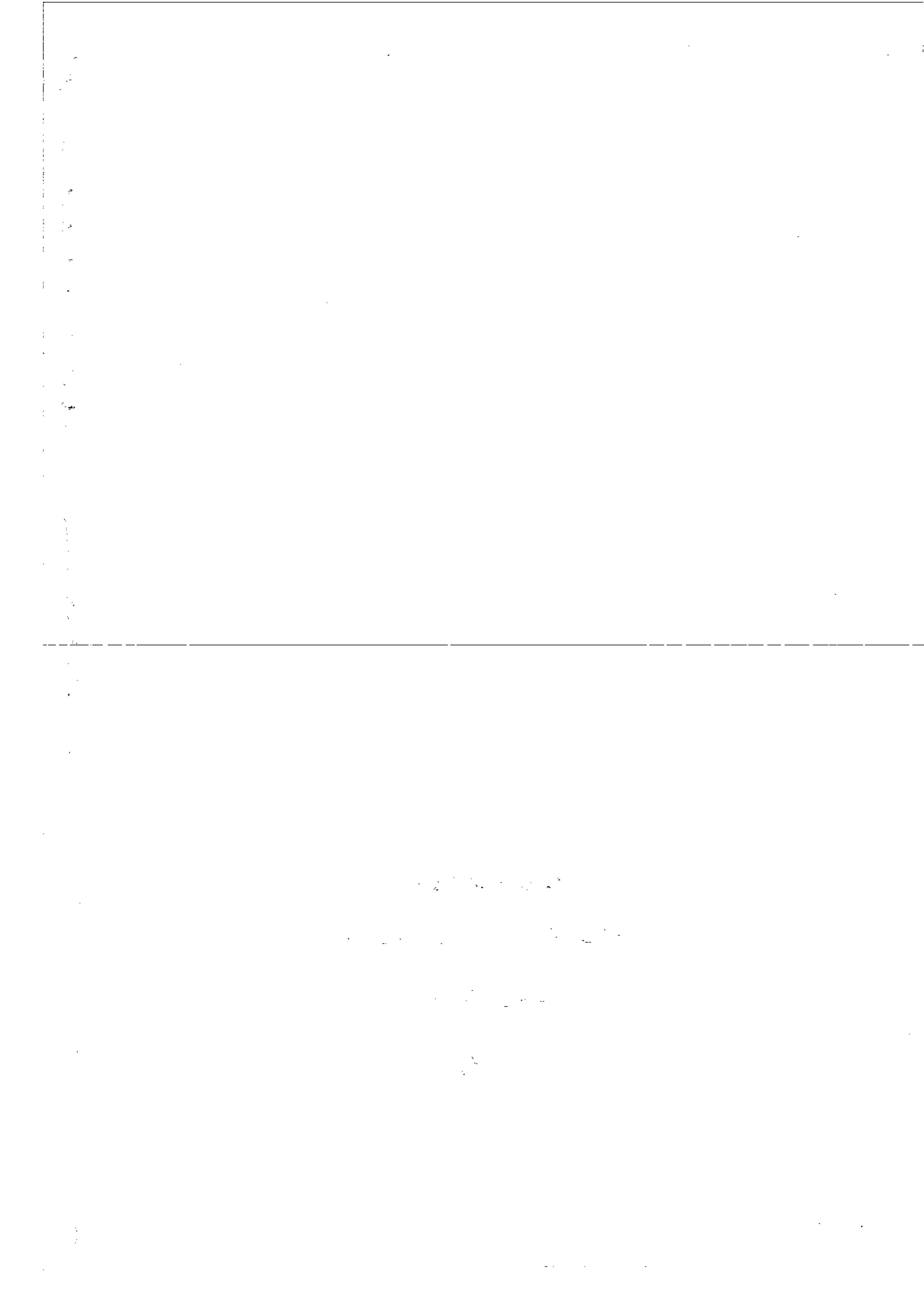


الجمهورية العراقية

منشورات وزارة الثقافة والاعلام

سلسلة دراسات

(٣٧٧)



علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية

الدكتور خليل ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد/ قسم التاريخ
كلية التربية/ جامعة الموصل

الاهداء

الى اخواني اعضاء المجلس
الوطني - الدورة الثانية

الرموز المستعملة في الرسالة

١ ـ مخ : مخطوط
٢ ـ تح : تحقيق
٣ ـ لا.تا : لا تاريخ للطبع
٤ ـ ن : نشر
٥ ـ ج : جزء
٦ ـ ص : صفحة
٧ ـ تر : ترجمة
٨ ـ مج : مجلد
٩ ـ ت : توفى
١٠ـ ت.د : توفى بعد
١١ـ ح : حاشيه
١٢ـ ق : قسم
١٣ـ هـ : التاريخ الهجري
١٤ـ م : التاريخ الميلادي
١٥ـ op.cit : Opercitato المرجع نفسه للمراجع الاجنبية

المقدمة

حكم المسلمون الاندلس من عام ٩٢هـ/٧١١م الى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، واعتادت البحوث التاريخية ان تقسم هذه الفترة الزمنية الطويلة الى عصور، تسهيلا لمهمة البحث أولا ، ولان كل عصر له تاريخ محدد ومعالم معينة ثانيا .

وكان عصر المرابطين في الاندلس واسطة العقد لهذه الفترة الزمنية ويمكن اعتبار عام ٤٧٩هـ/١٠٩٠م بداية اتصال الدولة المرابطية بتاريخ الاندلس، حيث شاركت قواتها مع القوات الاندلسية واحرزت النصر في معركة الزلاقة، وبعد ذلك أصبحت الاندلس ولاية مرابطية اعتباراً من عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، عندما بدأت جيوش المرابطين القضاء على ممالك الطوائف في الاندلس، واخضاعها للسيادة المرابطية . هذا وقد استمر عصر المرابطين في الاندلس الى عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

خلال اهتماماتي بتاريخ الاندلس منذ مرحلة الماجستير[١] ، لفت نظري دور المرابطين في تاريخ المغرب الاقصى والاوسط في تاريخ الاندلس .

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات الحديثة عن دور المرابطين ، الا أن معظمها يدور حول مرحلة معينة ، مثل كتاب (قيام دولة المرابطين) للدكتور حسن أحمد محمود ، وكتاب (علاقات دول الطوائف في الاندلس بالمرابطين)

---

١ ــ رسالة الماجستير، الثغر الاعلى الاندلسي ٩٥ ــ ٣١٦هـ (بغداد: ١٩٧٦).

للدكتور عبدالجليل الراشد ، وغيرها ، اضافة الى بحوث ومقالات عن مناطق او حوادث معينة في الاندلس خلال هذا العصر[٢] ولذلك فقد ارتأيت دراسة هذه الدولة بعد أن أصبحت كيانا سياسيا واضحا أي بعد توحيدها لمنطقة المغرب الاقصى اعتبارا من عام ٤٧٦هـ ، وبالذات دراسة علاقاتها السياسية والحضارية مع الاندلس والممالك الاسبانية ، ومع الدول الاسلامية في شمالي افريقية والخلافة العباسية ، منطلقا من الدور العظيم الذي قامت به هذه الدولة في مجاهدة الممالك الاسبانية من اجل انقاذ الاندلس من الحالة المتردية التي وصل اليها خلال عصر ملوك الطوائف . فقد شاركت دولة المرابطين الاندلسيين أولا في محاربة الاسبان ، ثم انفردت وحدها في هذه المهمة عندما أصبحت الاندلس ولاية مرابطية ، وبذلك اصبحت هذه الفترة بحق فترة الانتعاش الاول للاندلس الذي استرد فيها بعض قوته ، بعد عصر من التردي والانقسام الذي شهده الاندلس في عصر الطوائف .

وعندما كان الجهاد محور هذه الدولة منذ نشوئها ، قامت بدورها الاسلامي في ارجاع هيبة الاندلس ، ولم تتهاون مع ممالك الاسبان في الشمال، على الرغم من ان هذه الدولة خسرت خيرة رجالها والكثير من جنودها في هذه المعارك ، ومع كل هذا لم تطلب عقد هدنة ، أو ارسال سفارات الى بلاطات ملوك الاسبان طالبة الصلح أو ايقاف القتال ، لانها تؤمن بان الخنوع والخضوع للممالك الاسبانية قد انتهى دوره منطلقة من مبادئها الاسلامية الاصيلة ، حتى انها سقطت وهي في عنفوان شبابها[٣] .

---

٢ ــ نماذج من هذه المقالات : الدكتور حسين مؤنس « الثغر الاعلى الاندلس في عصر المرابطين » ، وبحوث ميرندة عن « وقعة اقليس ... » و« علي بن يوسف واعماله في الاندلس » وبعض البحوث الاخرى .

٣ ــ شعيرة ، المرابطون ، تاريخهم السياسي ، ص١٥٧ .

كما أخذت بنظر الاعتبار الدور الذي قامت به هذه الدولة من اجل اعادة وحدة العالم الاسلامي سياسيا ومذهبيا بعد فترة طويلة من التفكك والخلافات السياسية والمذهبية • فقد اعلنت الدولة المرابطية ولاءها للخلافة العباسية ، واتخذ هذا الولاء عدة مظاهر[٤] ، من اعتراف بسيادة الخليفة العباسي وضرب اسمه على النقود ، الى ارسال سفارات الى بغداد حاضرة بني العباس حول هذا الامر • ومن جانب آخر وقفت موقفا معارضا صلبا من الدولة الفاطمية وحاربت مبادءها وأفكارها ، وتجنب رعايا الدولة المرابطية المرور في اراضي مصر الفاطمية وهم في طريقهم الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج[٥] • اما موقفها من دولة بني مناد بفرعيها آل زيري في تونس ، وآل حماد في الجزائر ، فكان في البداية وبخاصة مع آل حماد ، قد عكرته بعض المواقف بسبب المراحل الاولى لتكوين هذه الدولة عندما اصطدمت المصالح على بعض نقاط الحدود ، ولكن بعد أن استقرت هذه الدولة تجاوزت الكثير من الخلافات مع آل حماد ، ساد بعد ذلك الود والتفاهم بين الدولتين ، علما بان التفاهم ساد اصلا مع دولة آل زيري في تونس منذ البداية •

ويمكن القول : ان الدولة المرابطية حاولت جادة من اجل اعادة وحدة العالم الاسلامي سياسيا ومذهبيا ، وذلك لايجاد كيان اسلامي قوي موحد ، كما كان الامر سابقا ، وبخاصة وان الاخطار الصليبية بدأت تهدد العالم الاسلامي سواء في المشرق الاسلامي ، بلاد الشام ومصر ، أو في الاندلس • وكانت هذه الدولة تنظر بعين القلق الى هذه الاخطار التي تهدد المشرق الاسلامي ، الا ان واجبها الجهادي في بلد الاندلس وفي افريقية حال دون وصول امداداتها الى المشرق •

---

٤ ــ العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخ ، جـ٢٠ ، ق٣ ، ص٥٩٩ •

٥ ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤١٤ •

غير ان جهود هذه الدولة لم تستمر طويلا ، وذلك لتوفر اسبـــاب عملت على خلق المشاكل لهذه الدولة التي بدأت تضعف وهي في ريعان شبابها ، مـــن امثال خسارتها الكبيرة في الاندلس نتيجة مجاهدة الاسبان وظهـــور دعـــوة الموحدين التي أحرجت المرابطين في عقر دارهم وأجبرتهم على بذل جهود مضنية لدرء المخاطر من الجانبين (الجانب الاسبـــاني والجانب الموحـــدي) • اضافة الى ذلك ضعف الامراء المرابطين الذين تولوا السلطة بعد أمير المرابطين علي بن يوسف ، فكان أمر زوال هذه الدولة نتيجة هذه الظروف امر لابد منه حسب منطق التاريخ •

وهذ الكتاب في الاصل رسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف الى قسم التاريخ كلية الاداب/جامعة القاهرة ، ونال بها شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى ، وذلك في عام ١٩٧٩م نسأله تعالى ان يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، وان يوفقنا الى خدمة تاريخ العرب والمسلمين •

الباب الاول

علاقات ملوك الطوائف بالممالك الاسبانية وبالمرابطين حتى دخول المرابطين الاندلس عام ٤٧٩ / ١٠٨٦م

الفصل الأول ـ نظرة عامة على الاندلس في عصر ملوك الطوائف

الفصل الثاني ـ احوال الممالك الاسبانية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين .

الفصل الثالث ـ علاقات ملوك الطوائف بالممالك الاسبانية حتى عام ٤٧٨هـ

الفصل الرابع ـ علاقات ملوك الطوائف في الاندلس بالمرابطين :

أ ـ علاقة ملك قشتالة بملوك الطوائف خلال ٤٧٨ ـ ٤٧٩هـ

ب ـ استدعاء المرابطين للاندلس

الفصـــل الأول

نظرة عامة على الأندلس في عصر ملوك الطوائف

لم يرض بنو عامر بما في أيديهم من السلطات ، والحجر على الخليفـــة الاموي هشام المؤيد بن الحكم ، واضطهاد الامويين وتشريدهم ، على أيدي الحاجب المنصور ، بل تمادوا الى أكثر مـــن ذلك حيث عمـــد الابـــن الثاني للمنصور بن ابي عامر ، عبدالرحمن شنجول ، أي الاحمق [1] ، الى انتزاع ولاية العهد من هشام المؤيد لنفسه ، هادفا الى نقل الحكم من المضريين (بني امية) الى القحطانيين (بني عامر) [2] ، وقد أدى هذا الامر الى قيام الفتنة وزوال الدولة العامرية • [3]

وكان للصراع الدائر بين العامريين انفسهم ، دور كبير في القضاء عليهم، فيروي ان عبدالملك المنصور توفي مسموما عام ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧م بمؤامـــرة

---

١ ــ لقب عبدالرحمن بن المنصور بالقاب اخرى مثل : المهدي والمأمون ، وسمته العامة (شنجول) نسبة الى جده لامـــه (سانشو ملك النافار) ، راجع : ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٦٦ ــ ٦٧ ابن الابار ، الحلة السيراء، جـ١ ، ص٢٧ •

٢ ــ عبد الحليم ، رجب محمد ، دولة بني حمود في مالقة بالاندلس ، ص٢٦ •

٣ ــ عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص ٤٣ ــ ٤٦ ــ عبدالبديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص٨ •

من أخيه عبدالرحمن شنجول الذي تولى الحكم بعده (٤) ، كما تذكر بعض الروايات ان عبدالرحمن شنجول قد قتل بمؤامرة من قبل (الزلفاء) ام عبد الملك انتقاما لابنها (٥) .

تطورت الاحداث في قرطبة ، حينما كان عبدالرحمن شنجول خارج قرطبة في احدى غزواته ، حيث تآمر الصقالبة واهل قرطبة عليه ، فوثبوا على صاحب الشرطة عام ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م وخلعوا هشام المؤيد وبايعوا (محمد ابن هشام عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر)(٦) ولقبوه (المهدى بالله) ، ولما عاد عبدالرحمن شنجول الى قرطبة لاستدراك الامر ، تخلى عنه جنده من البربر ، الذين ركضوا وراء أطماعهم من اجل منافسة اهل قرطبة والصقالبة الذين اعتمد عليهم الخليفة الجديد (المهدي) ، ولكي يفوزوا برضاه أيضا ، (٧) وبالفعل قتل شنجول بعد رجوعه ، وبذلك تم القضاء على الدولة العامرية(٨) . الا ان الخليفة الجديد (المهدي) تنكر للبربر الذين وصل على اكتافهم للمنصب . وبذلك فتح باب الفتنة على مصراعيه (٩) . وركض البربر وراء اطماعهم ، فوالوا (هشام بن سليمان بن الناصر) ووضعوا

٤ – ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٣٧ – ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٧٣ .

٥ – ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٢٦ .

٦ – قتل عبدالرحمن المظفر المنصور ، (هشام بن عبدالجبار) لاتهامه بالتآمر عليه بمساعدة الوزير (عيسى بن سعيد القطاع) ، وكان هذا الوزير اراد أن يستحوذ على سلطان بني عامر ويولي هشام بن عبدالجبار الخلافة بعد خلع هشام المؤيد . ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص٢١٣ – ابن الآبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥ .

٧ – ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٣ ص ٦٧ – ابن سعيد ، المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٢١٣ .

٨ – كليليا سرنلى ، مجاهد بن عبدالله العامري ، ص٣١ – الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص١٠٦ – ١٠٧ .

٩ – ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٨٠ – ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٢٧ .

الخطط لخلع المهدي ، الا ان العامة مالوا الى المهدي ، وانتهى الامر بالقبض على هشام ، وانتهت حياته بالقتل على أيد المهدي في شوال ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩م كما اصدر المهدي أوامره بمتابعة البربر — الذين هربوا الى الثغور والفتك بهم ، وهناك أعلنوا الثورة ضد المهدي والتفوا حول (سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر) ابن اخي هشام بن سليمان قتيل المهدي ، وصمموا على مناصبة جميع اهل الاندلس العداء ، ولقبوه (المستعين) [١٠].

ونظرا لقلة البربر جند سليمان المستعين ، فقد استعان بالجند المرتزقة من نصارى الشمال الاسباني ، واستطاع سليمان المستعين ان يهزم المهدي وجنده في موقعه (قنتيش Quintos) [١١] ، وان يدخل قرطبة في ربيع الاول ٤٠٠هـ / نوفمبر ١٠٠٩م [١٢] وقد أكدت هذه الموقعة انقسام جند الاندلس نهائيا الى فريقين متصارعين : الاندلسيين في جانب ، والبربر في جانب آخر ، وبذلك شعر حكام وولاة الاقاليم بانه ليس هناك من أمل في قيام حكومة مركزية مرة اخرى ، فاعلنوا استقلالهم في مواضعهم ، ولذا اعتبر بعض المؤرخين تاريخ هذه المعركة هو البداية لفترة ملوك الطوائف [١٣] .

واستعان المهدي ايضا بالاسبان ، واستطاع هزيمة المستعين في موقعه (عقبة البقر) [١٤] في شوال ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م [١٥] ، وفر سليمان المستعين والبربر الى شاطبة ، وتعقبهم المهدي الى جهة مضيق جبل طارق

١٠ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٧٨ ، ٨١ ، ٩٦ ـــ عبدالحليم ، دولة بني حمود ، ص٢٧ .

١١ــ قنتيش : موضع في شمال شرقي القليعة ، بالقرب من ملتقى وادي ارملاط بالوادي الكبير : ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، جـ١ ، ص٣٠ ـــ ٣١ ـــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٦ (ح) .

١٢ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٦ (ح) ـــ
Murphy, history of the Mohammedan Empire, p: 115

١٣ــ عبدالحليم : دولة بني حمود ، ص٢٨ .

١٤ــ عقبة البقر : منطقة تقع شمالي قرطبة .

١٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٧ .

حيث دارت رحى معركة في ذي القعدة سنة ٤٠٠هـ هزم فيها حزب المهدي ، الذي عاد الى قرطبة ، ليلقى الموت على يد حاجبه (واضح الصقلبي) [١٦] في ٨ ذي القعدة عام ٤٠٠هـ ، وبعد ذلك أعلن واضح الصقلبي خلافة هشام المؤيد للمرة الثانية وحجب له في ٩ ذي القعدة عام ٤٠٠هـ /١٠٠٩م [١٧] .

حاول هشام المؤيد استمالة البربر ، وراسل سليمان المستعين من أجل ترك الفتنة ، لكن البربر رفضوا هذا العرض لما لحقهم من ضرر ، فجمعوا امرهم وزحفوا الى قرطبة حتى وصلوا بالقرب منها في صفر عام ٤٠١هـ [١٨] وعندما أحس اهل قرطبة بالخطر مالوا الى مصالحة البربر ، وقام القاضي (ابن ذكوان) بدوره المهم في حل الازمة وقدم نصيحته الى هشام المؤيد وحذره من خطر حاجبه (واضح الصقلبي) الذي يريد ان يؤزم الامور حتى يبقى في مركزه [١٩] . الا ان الحاجب ، بعد ان عرف من امر القاضي ماعرف ، واعتمادا على ثقة الخليفة هشام به ، استطاع الحاجب ان ينتقم من القاضي (ابن ذكوان) ، واتهمه بالميل الى البربر ، فكان جزاؤه النفي الى مدينة وهران [٢٠] .

الا ان القتل كان جزاء الحاجب (واضح) بسبب خيانته لسيده هشام المؤيد ، حيث اتصل سرا بسليمان المستعين ، ليمهد له الطريق الى قرطبة ، الا ان الخبر نما الى هشام المؤيد ، فنال الحاجب جزاء خيانته[٢١] .

١٦ـ كان واضح الصقلبي يحقد على المهدي لسوء سلوكه وقيامه بقتل عبدالرحمن شنجول .

١٧ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٧ ـ النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص٨٦ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١١١ .

١٨ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٣٦ .

١٩ـ النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص٨٦ .

٢٠ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص٢١٦ ـ النباهي ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

٢١ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٨٠ .

شدد سليمان المستعين وجنده من البربر الحصار على قرطبة حتى سقطت في أيديهم ، وتسلم سليمان عرش الخلافة الاموية في قرطبة للمرة الثانية في شوال عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م[٢٢] ، وانتهى هشام المؤيد الى مصير مجهول اختلف فيه المؤرخون [٢٣] .

أصبح للبربر نفوذ كبير ، نتيجة هذه الحوادث الا ان الاندلسيين بصورة عامة والصقالبة العامريين بصورة خاصة ، لم يقفوا مكتوفي الايدي حيال هذا النفوذ ، فقام زعيمهم (خيران) بالاتصال ببني حمود من أجل القضاء على سليمان المستعين من ناحية ، وظنا منه ان بني حمود الذين سيسهل لهم فتح قرطبة ، سوف لايكونون اكثر من واجهة يحكم من ورائها الاندلس ، الا ان الامر انتهى بهرب خيران وانصاره الى شرقي الاندلس[٢٤] ، وسيطر بنو حمود على قرطبة في المحرم عام ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، وتم قتل المستعين ،وقطعت الدعوة للامويين منذ ذلك الوقت ، عدا فترات قليلة حكموا فيها قرطبة من (٤١٤هـ الى ٤٢٢هـ) وتولى الخلافة منهم : (المرتضى والمستظهر والمستكفي بالله ، وهشام المعتدبالله)[٢٥] ، وبخلع آخرهم تختتم الدولة الاموية رياستها في الاندلس ويقضي عليها نهائيا عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م[٢٦] ، وبذلك : انقطع اسم الخلافة في الجزيرة ، ودارت الدوائر المبيرة ، وفسد حال الرائس والمرؤوس ، وارتفع كل خامل وخسيس ، وثار الثوار ، واشتعلت بكل مكان النار[٢٧] .

٢٢ـ ايضا ، جـ٩ ، ص٨٠ .

٢٣ـ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، جـ١١ ، ورقة ٢٩ (مخ) ـ ابن حزم، نقط العروس ، ص٨٧ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١١٣ .

٢٤ـ عبدالحليم ، دولة حمود ، ص٣٠ .

٢٥ـ عنان : دولة الطوائف ، ص١٣ .

٢٦ـ راجع ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٢٠ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب، جـ٣ ، ص١٤٥ ـ المراكشي ، المعجب ، ص٤٤ .

٢٧ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٦٨ .

وكان لهذه الاحداث نتائج سيئة ، حيث أدت الى ضياع وحـــــدة الاندلس السياسية ، واستبداد الامراء والحكام بما في أيديهم من مـــدن الاقاليم وكورها ، وقد تمسك هؤلاء الحكام الجدد بنفوذهم وسلطانهـم ، واتخذوا القاب الخلفاء استكمالا لمظاهر السلطان والعظمة[٢٨] ، وقد اشـار الى ذلك الشاعر (ابو علي الحسن بن رشيق) بقوله :

مما يزهدنـي في أرض أندلس ... اسمـاء مقتـدر فيهـا ومعتضـد

القاب مملكـة في غـير موضعهـا ... كالهريحكي انتفاخا صورةالاسد[٢٩]

وقد أعطى لنا ابن الكردبوس أصدق صورة وأوجزها لحالة الاندلس في بداية عصر الطوائف حيث قال : فلما اتصل الخبر بامراء البلاد ، ثار كـل واحد منهم في بلد بمن عنـده مـن الاجناد ، فثار ابن زيري بن مناد بمـن تبعه في ناحية غرناطة وثار محمد بن عباد القاضي باشبيلية ، وثار اسماعيل بن ذي النون بطليطلة وكان اميرا عليها لابن ابي عامر ، وثار يوسف بن هـود بسرقسطة وكان اميرا عليها لبني امية واقره ابن ابي عامر ، وثار كل قاضي في موضعه ، وكل عامل وكل من فيه منة (القوة) كابن الافطس في بطليوس ، وابن صمادح في المرية ، وابن مجاهد الصقلبي في دانية ، وابن طاهـر في مرسية وغيرهم من جنسهم كثير لكن هؤلاء هم المشاهير [٣٠] وكان مـن نتيجة هذا الاصرار الشديد على التمسك بالحكم ، ان انقسمت الاندلس الى دويلات عديدة ، بلغت في مجموعها ستا وعشرين مملكة ، وتمركز البـربر في الجنوب ، والصقالبة في الشرق [٣١] والاندلسيون (وهم العائلات التـي

٢٨- ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٥٥ - عنان ، دول الطوائف ، ص١٤ - ١٥ .

٢٩- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص٢٤٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٩، ص٢٨٤ - الحموي ، معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٧ - ٣٨ ، وقد ورد هذا الشعر بالفاظ اخرى .

٣٠- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٦٧ .

٣١- لين بول ، قصة العرب في اسبانيا ، ص١٥٢ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٦٨ .

قدمت الى الاندلس منذ الفتح الاسلامي واستوطنوها) في بقية الاندلس ، ومنهم الاسر العربية التي استطاعت ان تفلت من قبضة المنصور وابنائه [٣٢] .

وتضم قائمة الاندلسيين هؤلاء الملوك :

١ ـ بنو عباد في اشبيلية (٤١٤ ـ ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٩١م) سنة ٤٨٤هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٢ ـ بنو جهور في قرطبه (٤٢١ ـ ٤٦٢هـ / ١٠٣٠ ـ ١٠٦٩م) ، سنة ٤٦٢هـ انضمت الى اشبيلية .

٣ ـ بنو البكري في ولبة وشلطيش (٤٠٢ ـ ٤٤٣هـ/ ١٠١٢ ـ ١٠٥٢م) سنة ٤٤٣هـ انضمت الى اشبيلية .

٤ ـ بنو يحيى في ولبة (٤١٤ ـ ٤٤٤ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٥٣م) سنة ٤٤٤هـ انضمت الى اشبيلية .

٥ ـ بنو مزيد في شلب (٤٣٨ ـ ٤٥٤هـ / ١٠٤٦ ـ ١٠٦٢م) سنة ٤٥٤هـ انضمت الى اشبيلية .

٦ ـ بنو تجيب في سرقسطة (٤٠٧ ـ ٤٢٩هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٣٧م) سنة ٤٢٩هـ سيطر عليها بنو هود .

٧ ـ بنو هود في سرقسطة (٤٢٩ ـ ٥٠٣ هـ / ١٠٣٧ ـ ١١١١م) سنة ٥٠٣هـ اصبحت ولاية مرابطية .

٨ ـ بنو رزين في السهلة (٤٠١ ـ ٤٩٦هـ / ١٠١١ ـ ١١٠٢م) سنة ٤٩٦هـ اصبحت ولاية مرابطية .

٣٢ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص١٥١ ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص٤١٤ وبعدها .

٩ ــ بنو القاسم في البونت (٠٠٠ ــ ٤٩٥هـ / ٠٠٠ ١١٠٢م سنــــة ٤٩٥هـ أصبحت ولاية مرابطية . [٣٣] .

١٠ــ بنو صمــادح في المرية (٤٣٣ ــ ٤٨٤هـ/١٠٤١ ــ ١٠٩١م) سنــة ٤٨٤هـ أصبحت ولاية مرابطية .

١١ ــ العامريون ويمثلهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن شنجول :

أ ــ في بلنسية (٤١٢ ــ ٤٥٢هـ / ١٠٢١ ــ ١٠٦١م) وخلفه ابنــه عبدالملك الذي طرده المأمون ملك طليطلة واستولى عليها سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥ م .

ب ــ في المرية (٤٢٩ ــ ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ ــ ١٠٤١م استقل بها حاكمها معن بن صمادح .

جـ ــ في مرسية (٤٢٩ ــ ٤٥٢هـ / ١٠٣٨ ــ ١٠٦١م سنة ٤٥٢ هـ خلفه ابنه عبدالملك ، وفيما بعد استقل بها حاكمها (أبو بكر احمد بن اسحق بن طاهر) .

وتضم قائمة الصقالبة هؤلاء الملوك :

١ ــ سابور الفارسي وابناه عبدالملك وعبد العزيز في بطليوس (٠٠٠ ــ٤١٣هـ / ٠٠٠ ــ ١٠٢٢م) [٣٤] سنة ٤١٣ هـ سيطــر عليها بنو الافطس .

٢ ــ مجاهد العامري وابنه علي في دانية (٤٠٠ ــ ٤٦٨ هـ) ١٠٠٩ ــ ١٠٧٥ م) سنة ٤٦٨ هـ انضمت الى سرقسطة .

٣٣ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٦٠ ، يذكر ان عبدالله بن قاسم الفهري حكم امارة البونت منذ بداية الفتنة .

٣٤ــ عنان ، دول الطوائف ، ص٨١ ، كان سابور يحكم بطليوس عند اضطرام الفتنة .

٣ ــ خيران في المرية ومرسية (٤٠٢ ــ ٤١٩ هـ / ١٠١٢ ــ ١٠٢٨ م) وخلفه زهير سنة ٤١٩ هـ •

٤ ــ زهير في المرية ومرسية (٤١٩ ــ ٤٢٩ هـ / ١٠٢٨ ــ ١٠٣٨م) سنة ٤٢٩هـ خلفه عبدالعزيز ملك بلنسية •

٥ ــ مبارك ومظفر في بلنسية (٤٠٧ ــ ٤١٢هـ/١٠١٦ ــ ١٠٢١م) سنة ٤١٢هـ احتلها نبيل فطرده في نفس السنة عبد العزيز بن عبدالرحمن شنجول •

٦ ــ نبيل في طرطوشة (••• ــ ٤٢٧هـ / ••• ١٠٣٥م) سنة ٤٢٧ هـ طـــرده مقاتل الصقلبي •

وتضم قائمة البربر هؤلاء الملوك :

١ ــ بنو حمود :

أ ــ في مالقة ٤٢٧ ــ ٤٤٩هـ/١٠٣٥ ــ ١٠٥٧م سنة ٤٤٩هـ انضمت الى غرناطـــة •

ب ــ في الجزيرة الخضراء (٤٢٧ ــ ٤٥٠هـ / ١٠٣٥ ــ ١٠٥٨م) سنة ٤٥٠هـ انضمت الى اشبيلية •

٢ ــ بنو زيري في غرناطة (٤٠٣ ــ ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ ــ ١٠٩٠م) سنة ٤٨٣ هـ اصبحت ولاية مرابطية •

٣ ــ بنو برزال في قرمونة (٤٠٤ ــ ٤٥٩هـ / ١٠١٣ ــ ١٠٦٧م) سنة ٤٥٩ هـ انضمت الى اشبيلية •

٤ ــ بنو يفرن في رندة (٤٣١ ــ ٤٥٧هـ/١٠٣٩ ــ ١٠٦٥م) سنة ٤٥٧هـ انضمت الى اشبيلية •

٥ ــ بنو دمر في مورون (Moron) (••• ــ ٤٥٨هـ / ١٠٦٦) سنة ٤٥٨هـ انضمت الى اشبيلية •

٦ ــ بنو خزرون في اركش وشريش (٤٠٢ ــ ٤٦١هـ/١٠١١ ــ ١٠٦٨م) سنة ٤٦١ هـ انضمت الى اشبيلية .

٧ ــ محمد بن سعيد بن هرون في شنتمرية الغرب (٤١٧ ــ ٤٤٤هـ / ١٠٢٦ ــ ١٠٥٢م) سنة ٤٤٤هـ انضمت الى اشبيلية .

٨ ــ ابن طيفور في مارتلة (... ــ ٤٣٦ هـ / ...١٠٤٤م) سنة ٤٣٦ هـ انضمت الى اشبيلية .

٩ ــ بنو الافطس في بطليوس (٤١٣ ــ ٤٨٧هـ /١٠٢٢ ــ ١٠٩٤م) سنة ٤٨٧هـ أصبحت ولاية مرابطية .

١٠ ــ بنو ذنون في طليطلة (٤٢٨ ــ ٤٧٨هـ/ ١٠٣٦ ــ ١٠٨٥م) سنة ٤٧٨ هـ احتلها الفونسو السادس ملك قشتالة [٣٥].

استمر عصر الطوائف ، والذي يسمى ايضا بـ(أيام الفرق أي الخوف)[٣٦] و « دولة القيام بالاندلس » [٣٧] ، مايقارب ثمانين عاما ، وقد انتهى بانضواء الاندلس تحت جناح دولة المرابطين ابتداء من سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م ، وكان عصر تفكك وانحلال سياسي واجتماعي ، ويتصف هذا العصر بالميزات التالية : ــ

(١) النزاع بين ملوك الطوائف : واتسم هذا العصر بكثرة الحروب بين هؤلاء الملوك ، فكل منهم يود ان يتسع ملكه ويمتد سلطانه على حساب جيرانه من الملوك كلما اتيحت له الفرصة ، سواء بالقوة أو بالحيل السياسية . ونظرة فاحصة الى ما مر من صفحات يتبين لنا كيف ان مملكة اشبيلية ابتلعت الامارات البربرية في جنوبي الاندلس ، وامارات غربي الاندلس ، وكيف ان مملكة سرقسطة ابتلعت مملكة دانية ، والامثلة على ذلك كثيرة .

٣٥ــ كليليا ، مجاهد بن عبدالله العامري ، ص٥٢ ــ ٥٥ عبدالحليم ، دولة بني حمود ، ص١٠٤ .
٣٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٨ .
٣٧ــ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١١٠ .

وهكذا نرى بدلا من ان تتحدد قواهم ليواجهوا عدوا مشتركا ، تشتتوا وتقاتلوا حتى ضعفت قواهم ، فلم يستطيعوا ان يصمدوا امام هجمات الاسبان الذين استطاعوا ان يهزموهم حتى اجبروهم الى دفع الجزية[٣٨] •

(٢) استعانة ملوك الطوائف بنصارى الشمال الاسباني :

نسي ملوك الطوائف او تناسوا مسؤولياتهم في الحفاظ على بلدهم المسلم في شبة الجزيرة الذي رويت تربته بدماء المسلمين وعمرته جهودهم وجهادهم الطويل ، وكان معظمهم قد استعان بملوك الاسبان من اجل زعامات باهتة ، وكراسي مهزوزة ونسوا او تناسوا ان هذا الامر قد مكن اسبانيا الشمالية وحفزها على العمل المستمر من اجل انتزاع اراضي الاندلس بالتدريج بعد اضعاف ملوكها[٣٩] •

وصور لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي هذا الامر بقوله : « فاما ملوك الاندلس فلم يكن منهم احد الا ويؤدي اليه (الفونش ملك قشتالة) الاتاوة وهم كانوا أحقر في عينه واقل من ان يحتفل لهم »[٤٠] • ويكمل ابن الكردبوس هذه الصورة بقوله : « وكان اسر شيء عند الفنش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين ، فيعين هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم ، طمعا منه ان يعجزوا ، فيظفر هو بملك الجزيرة كلها »[٤١] وسنوضح هذا الامر في الفصل الثاني من هذا الباب بالتفصيل •

(٣) وهم الخلافة وتأييد بعض ملوك الطوائف لها :

حاول بنو أمية استرجاع الخلافة خلال الفتنة ، الا أن محاولاتهم جميعا باءت بالفشل[٤٢] الى أن أعلن أهل قرطبة وزعيمهم أبو الحزم جهور بن

٣٨ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٢٤٨ ــ ٢٤٩ •
٣٩ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٦٠ •
٤٠ـ المراكشي ، المعجب ، ص١٩٣ ــ بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس، ص١٢٤ •
٤١ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٢ •
٤٢ـ بدر ، تاريخ الاندلس ــ عصر الخلافة ، ص٢٢٠ ــ ٢٢١ •

محمد بن جهور الغاء الخلافة واسندوا أمرهم اليه في منتصف ذي الحجة عام ٤٢٢ هـ/١٠٣١م .

لاينكر ان هؤلاء الملوك كانوا في قرارة انفسهم يتطلعون الى الخلافة ، فقد كان كل واحد منهم يود ان يصل اليها ، وان تتجمع لديه الصفات المعنوية التي كان يتمتع بها الخلفاء الامويون ـ الا انه لم يجرؤ احدهم على ذلك ، ولو انهم تلقبوا بألقاب الخلفاء ، فنرى مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية ينصب (ابو عبدالله بن عبدالله بن الوليد ويعرف بالمعيطي وكان من اشراف قرطبة وينتمي الى بني امية) [٤٣] شبه خليفة [٤٤] وسماه بأمير المؤمنين المستنصر بالله وذلك في سنة ٤٠٥هـ [٤٥].

كما قام الحاجب اسماعيل بن عباد بارسال الرسل الى جميع انحاء الاندلس يطلب الدخول في طاعة الخليفة المزعوم (هشام المؤيد) ، الذي اختلفت الروايات التاريخية في مصيره ، وقد استجاب لذلك الكثير من ملوك الطوائف امثال : مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية ، وصاحب طرطوشة ، وعبدالعزيز بن ابي عامر صاحب بلنسية وأعمالها ، وأبو الحزم جهور الذي جدد له البيعة فعلا بقرطبة في محرم من عام ٤٢٧هـ/١٠٣٦م [٤٦]، وذلك كله من اجل مقاومة اطماع دولة بني حمود . وقد اعترف ايضا في مرحلة لاحقة ، بنو ذى النون ملوك طليطلة بهذا الخليفة المزعوم لاسباب مصلحية لاجل مقاومة بني هود في سرقسطة [٤٧] .

٤٣ـ ابن بشكوال ، الصلة ، ق١ ، ص٢٦٩ .

٤٤ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٨٠ .

٤٥ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٢٠ .

٤٦ـ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢ ، مج١ ، ص٨ ـ ١٠ ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١٩٠ ، ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

٤٧ـ ابن عذاري ، جـ٣ ، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٩٩ .

ولعل هذه الظاهرة التي سمتها المصادر الاوربية بـ (وهـم الخلافة) يقصد بها وجود خليفة يتمتع ظاهريا بنوع من القوة والنفوذ وذلك ارضـاء لعامة اهل الاندلس الذين لازالوا يذكرون الاوقات الطيبة عن الخلافة الاموية هذا الى جانب المظاهر الروحية والدينية التي تحيط بالخلافة ، فقد كان للخليفة وحده ، حق الامامة والزعامة الدينية ، لذلك لم يكن من السهل على اكثـر ملوك الطوائف ان يحتلوا مكان الخليفة لانهم كانوا مجرد حكام صغـار لا ينحدرون من سلالات معروفة تتناسب مع وقار الخلافة وعظمتها [٤٨] .

(٤) التمزق النفسي للشعب الاندلسي :

عقب الانقسام السياسي للاندلس ، انهيار النفس الاندلسية وعـدم ثقتها بملوك الطوائف ، الذين سمتهم بعض الروايات بـ(امراء الفرقة الهمل) [٤٩] ، كما حقد العامة علـى البـربر ، الذين لعبوا دورا كبـيرا في بداية الفتنـة ، حتى أصبح من كان بينه وبين أحد عداء ، اتهمه بانه بربري فيقتل على الفور [٥٠] . كما ان النقد اللاذع لملوك الطوائف الذي جاء على ألسنـة الشعـراء يعبـر عن مدى انهيار النفس الاندلسية ، حيث تمثل ذلك في قول ابن رشيق السابق ، وازداد هذا الانهيار بعد نكبة بربشتر عام ٤٥٦ هـ على يد النورمان ، وسقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ .

حيث قال الشاعر (ابن العسال) :

حثـوا رواحكـم يا أهـل أندلس	فمـا المقـام بهـا الا مـن الغلـط
الثوب ينسـل مـن اطرافـه وأرى	ثوب الجزيرة منسولا مـن الوسط
من جاور الشـر لا يأمـن عواقبـه	كيف الحياة مع الحيات في سفط [٥١]

٤٨ـ كليليا : مجاهد بن عبدالله العامري ، ص٤٠ .

٤٩ـ المقرى : نفـح الطيب ، جـ٤ ، ص٤٥٣ ـ ارسـلان ، شكيـب : الحلل السندسية جـ٢ ، ص١٩٢ .

٥٠ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٩٧ ـ الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص١١٤ .

٥١ـ ابن سعيد : رايات المبرزين ، ص٥٠ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٥ ، ص٢٨ ـ المقري ، ازهار الرياض ، جـ١ ، ص٤٦ .

ومما يذكر عن المتناقضات في سلوك الناس في هذا العصر ، تمسكهم بالاسبان الذين جاءوا لمساعدة المهدي ضد البرر ، ولما رجع الاسبان الى بلادهم حزنت العامة حزنا شديدا حتى انهم تبادلوا فيما بينهم عبارات العزاء ، جزعا وخوفا من عودة البربر بعدهم[٥٢] .

ان هذا الحزن على رحيل الجند الاسبان ، يتناقض مع روح الجهاد التي شنها اهل الاندلس ضد الاسبان ، وما زاد في هذا التناقض استعانة الخلفاء بالاسبان وتنازلهم عن مدن وحصون كانت منيعة ، فتأكد الناس من اختفاء عاطفة الغيرة على الدين عند هؤلاء الخلفاء ، الذين لم يهتموا الا بعروش مهزوزة ، وبسبب هذا استخفت الناس بالدين ولم يعودوا يهتمون به[٥٣] ، ولعل مجالس اللهو والطرب التي حفل بها عصر ملوك الطوائف اكبر دليل على ذلك ، حيث وصف هذا العصر ، بانه عصر : « ... كان للمجون فيه سلطان عظيم على النفوس ... »[٥٤] .

ومن الجانب الاخر ، انغمس الفقهاء والعلماء في الفتنة أيضا ، وركض البعض منهم وراء مغريات الدنيا ، وترك واجبه الرئيسي ، وهو الدعوة الى لم الشمل والدفاع عن حق الشعب ضد طغيان الحكام، فافتن الناس، ودخلوا فيما دخل فيه غيرهم من الفتن ، ورضوا بانقسام الدولة الى دويلات صغيرة متطاحنة[٥٥] وانعكس هذا الامر على العلماء والفقهاء، فذهب الكثير منهم ضحية هذا الامر ، كما نفي وشرد البعض الاخر [٥٦] .

٥٢ـ الطاهر احمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ص١١٤ .

٥٣ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٩٧ ـ ٩٨ .

٥٤ـ ضيف : بلاغة العرب في الاندلس ، ص٤٣ .

٥٥ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٦٢ .

٥٦ـ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٣١٩ ـ الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٣، ص٢٦٢ . ـ ابن عبدالبر ، القصد والامم ، ص٥ ـ ابن بشكوال، الصلة، ق١ ، ص٢٥٣ ، ق٢ ، ص٤٩١ .

ولكن لايعني هذا ، نفى اية مقاومة للشعب الاندلسي وتصديه للحاكم بسبب تعاونه مع الاسبان ، فنرى سخط اهل بلنسية على لبيب العامري لوقوعه تحت نفوذ صاحب برشلونه الاسباني[٧٥] ، ثم دور اهل طليطلة في عقد الصلح بين سليمان بن هود ملك سرقسطة والمأمون بن ذى النون ملك طليطلة ، لاستعانة كل منهما بالاسبان مما أدى الى انهيار خطوط الدفاع للمملكتين ، وسوء احوال المسلمين فيهما[٥٨] .

٥٧ـ عنان ، دول الطوائف ، ص١٩٦ .

٥٨ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٧٧ وبعدها ـ ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص١٧٨ .

الفصل الثاني

أحوال الممالك الاسبانية

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

كانت منطقة الصخرة (صخرة بلاى) وبعض مناطق جليقية مركزا لتجمع جيوب المقاومة القوطية ضد المسلمين بعد اكمال فتح الشمال الاسباني سنة ٩٥هـ / ٧١٤م . وفي عصر الولاة (٩٥ ـ ١٣٨هـ) امتد خط المقاومة الاسبانية من بلاد البشكنس (النافار) في الشرق الى منطقة الصخرة في الغرب على طول سلاسل جبال كنتبرية ، اما الممرات الشرقية لجبال البرت فقد ظهرت فيها المقاومة في اواخر عصر الولاة واستمرت خلال عصر الامارة[1] .

التجمع الاسباني الاول كان للنافار (البشكنس) ، بزعامة (جوان أتارس Atares) احد رفاق لذريق آخر ملوك القوط[2] ، كان الى الغرب من مدينة جافة ، وتحول بالتدرج الى امارة اسبانية باسم (امارة النافار) وعاصمتها بنبلونة .

---

١ ـ رينو : غزوات العرب، ص١٤٤ ـ توماس ارنولد : تراث الاسلام ، جـ٢، ص٣٠٦ .

٢ ـ ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٢ ، ص١١٣ .

اما التجمع الاسباني الثاني فيتمثل في امارة جليقة بزعامة (بلاي palayo)[٣] ، وكان هذا التجمع نواة لقيام مملكة اشتورية الاسبانية[٤]، والتي سميت فيما بعد بـ(مملكة ليون) وخاصة في عهد الفونسو الاول [٥] .

والتجمع الاسباني الثالث استقر في الطرف الشرقي من جبال كنتبرية تحت زعامة (بيدرو Pedro)[٦] ويسمى بـ(امارة كنتبرية) . وقد ازداد نفوذ هذه الامارة بعد زواج الفونسو الاول من (ارمنسندا Ermensinda ابنة بلاي فأتحدت بذلك الامارتان في حكومة واحدة[٧] .

استطاع الامير الاسباني (بلاي) اخراج المسلمين من نواحي اشتريس وذلك في عام (١٣٣هـ) ، كما تنصر بعضهم و : « قتل من قتل وصار فلهم الى خلف الجبل الى استورقة .. »[٨] .

وفي عهد الفونسو الاول كانت سلطة المسلمين شمالى نهر (دويرة Duero) اسمية اكثر منها فعلية [٩] ، وكانت هناك منطقة واسعة من الاراضي المقفرة تفصل بين جليقية والاراضي الاسلامية [١٠] ، حيث ترك المسلمون هذه الاراضي وهاجروا بسبب تمرد البربر في شمالي اسبانية

---

٣ ــ مؤنس : بلاى وميلاد استوريس ، ص٦١ .

٤ ــ طرخان : المسلمون في اوربة ، ص٢٩١ .

٥ ــ عنان ، دولة الاسلام ، جـ١، ص٢١٠، تسمية المصادر الاسلامية (اذفونش بن بطره) ويلقب بالقاطوليقية لمعرفته باصول شريعة الروم المسمى علمها عندهم قاطوليقي ، ، ومن هنا جاء لقبه بالكاثوليكي، ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص٣٢٣ .

٦ ــ طرخان : المسلمون في اوربا ، ص٢٩١ . ويسمى ايضا بطره او بطرس .

٧ ــ مؤنس : فجر الاندلس ، ص٣٤٤ .

٨ ــ مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص٦٢ .

٩ ــ حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط ، جـ١ ، ص٤٢٤ .

١٠ــ Liver more, Ahistory of Spain, p.65.

نتيجة لتمرد اخوانهم في شمالي افريقية (١١) ، فانتهز الفونسو الاول هـــذا الوضع المضطرب وهاجم المناطق المجاورة واخرج المسلمين منها عام (١٣٦هـ) (١٢)، وبذلك اصبحت الحدود التي تفصـــل بين ملك المسلمين عـــن ملك الاسبـــان قبيل قيام دولة بني امية في الاندلس ، تبدأ من بنبلونة في الشمال الشرقي ثم تنحدر الى القسم الشرقي من البة والقلاع ثم الى الجنوب من سلمنقة ثــم يتجه غربا عند مدينة قلمرية (١٣) • وبذلك فقد المسلمون ربع شبه الجزيرة على وجه التقريب في بداية عصر الامارة (١٤) •

بجانب امارة النافار ، ومملكة ليون ، ظهرت في عصر الامارة (١٣٨ ــ ٣١٦هـ) مملكة اسبانية ثالثة باسم (الثغر القوطي) ، او (المارك الاسباني) او (امارة برشلونة) أو (الاطراف الاسبانية لمملكة الفرنجة) (١٥) ، سنــة ١٦٩هـ / ٧٨٥م عندما سيطر شارلمان على مدينة جيرونة وضم اليها مدينــة برشلونة سنة ١٨٥هـ (١٦) •

اما في عصر الطوائف فقد ظهر بجانب هذه الامارات الثلاث والتي كانت نفسها في عصر الخلافة ، امارات جديدة تتمثل في (امارة أرغـــون) و(امارة البرتغال) و (الامارات الفرنجية عند سفوح جبال البرت الشرقية) •

اما الموقف المتبادل بين حكومات الاندلس والممالك الاسبانية يتميز بمــا يلـــــــي : ــ

١١ــ مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص٣٨ •

١٢ــ ابن عذاري ، البيان المغــرب ، جـ٢ ، ص٣٨ ــ مؤلف مجهول : اخبــار مجموعة ، ص٦٢ •

١٣ــ ليون بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص١١٣ ــ سالم : تاريخ المسلمين، ص١٧٠ •

١٤ــ مؤنس : فجر الاندلس ، ص٣٤٩ ــ ٣٥٠ •

١٥ــ دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٣ ، ص٥٤٢ •

١٦ــ مؤلف مجهول : جغرافيــة الاندلس وتاريخه ، الورقــة : ١٣٥ (مخ) ــ النويري : نهاية الارب ، جـ٢٢ ، ص٣٠ •

٢ ــ على الرغم من كثرة الحملات العسكرية الاسلامية التي ارسلتها حكومة قرطبة الى الشمال الاسباني ، وعنفها في اكثر الاحيان ، الا انها لم تفلح في القضاء على اية مملكة اسبانية وازالتها من الوجود ، بل ان هذه الحملات ادت الى اصرار الممالك الاسبانية وصمودها امام الجيوش الاندلسية على مختلف العصور •

٣ ــ جعلت حكومة قرطبة في كل عهودها ، الجهاد في سبيل الله ، وتحصين الثغور الاندلسية واجبها الاول في هذه البلاد [١٧] ، وانه لايفقدهم : «المجد والعز الا فتور هممهم وخبو عزيمتهم»[١٨] • واتجاه هذه العزيمة الاسلامية ، عززت الممالك الاسبانية حروبها مع مسلمي الاندلس بروح صليبية عاتية ، حيث اخترع الفونسو الثاني (١٧٥ ــ ٢٢٧هـ / ٧٩١ ــ ٨٤٢م) خرافة العثور على قبر القديس يعقوب الذي أصبح مزارا للنصارى لا يقل اهمية عن بيت المقدس وروما ، وصار هذا القبر شفيع اسبانيا وحاميها ، [١٩] وقامت حول المزار مدينة نمت بسرعة وهي مدينة (شنت ياقب المقدسة) ، وبذلك اصبحت حروب النصارى للمسلمين في اسبانيا حربا صليبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وقد اقسم اكثر من ملك اوقائد اسباني بانه رأى (سنتياجو) رأى العين قبل المعركة او خلالها ممتطيا جوادا أبيض وملوحا بسيف براق [٢٠] ، يعاونهم على قتال المسلمين حتى يكتب لهم النصر ، وبذلك اطلقوا عليه اسم (قاتل المسلمين Matamoros)[٢١] • وكرد فعل لهذا الامر ، فقد

١٧ــ الزهري ، الجغرافية ، ص٢٢٦ ــ الشعراوي : الامويون امراء الاندلس الاول ، ص١٦٢ •

١٨ــ المرابط ، جواد = عبر وعبرات عن دمشق الاندلس ، ص١٧

١٩ــ ديورانت ، قصة الحضارة ، جـ٣ ، ص٢٢٣ ــ
Chapman, Ahistory of Spain, p.56.

٢٠ــ لودر : اسبانيا شعبها وارضها ، ص٦١ •

٢١ــ العبادي ، احمد مختار : « صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والاندلس » مجلة البينة ، جـ٩ ، ص٩٢ •

سارت القوات الاندلسية ودخلت مدينة شنت ياقب سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، على عهـد الحاجب المنصـور ، فهدمت اسوارها وحصونهـا[٢٢] ، الا انها لم تلحق اي اذى بقبر القديس يعقوب [٢٣] .

في الوقت الذي قامت فيه الفتنة الاندلسية في مستهل القرن الخامس للهجرة ، استطاع ملك ليون الفونسو الخامس (٣٨٩ ـ ٤١٨هـ /٩٩٩/ ١٠٢٧م) من توحيد الجهود الاسبانية ، وهو الذي قاد الجيوش لمحاصرة مدينة بازو الاسلامية شمالي البرتغال ، وتوفى متأثرا بجروحه اثنـاء الحصار [٢٤] .

١ ـ مملكة النافار :

مع بداية الفتنة الاندلسية كان ملكها (شانجة غرسية الثالث الكبير)[٢٥] ٣٩١ ـ ٤٢٦هـ/١٠٠٠ ـ ١٠٣٥م ، الـذي استطـاع السيطـرة علـى قشتالة وليون وأرغون . وقبيل وفاته قسم هذا الملك الواسع بـين اولاده الاربعة (غرسية وفرناندو الاول وراميرو وغنصـالو) وبذلك بذر الشقـاق بينهم ، وقامت الحروب بينهم على السلطة .

طمع راميرو (ملك أرغون) السيطرة على املاك أخيه (غرسيه ملـك النافار) ، ولاجل تحقيق هذا المشروع استعان بولاة تطيلة ووشقة وسرقسطة المسلمين ، فهاجمت القوات المشتركة اراضي النافار ، الا ان قلعة (تافـالا) تصدت لهم ، واستطاع غرسية من هزيمة الجيوش المشتركة وذلك في سنـة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م على الارجح [٢٦] .

٢٢ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٤٨ .

٢٣ـ ابن عذاري ، البيان المغـرب ، جـ٢ ، ص٢٩٤ وبعـدها ـ ابن خلـدون ، العبر ، جـ٤ ، ص١٨١ ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ١، ص١٩٣ ـ ١٩٥ .

٢٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٧٧ .

٢٥ـ تسمية الرواية الاسلامية : (شانجة بن ابركـة) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٥ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٥٠ .

٢٦ـ اشباخ : تاريخ الاندلس في عهـد المرابطين والموحدين ، ص١١ ـ ١٢ .

وانتقل النزاع الى جانب آخر بين غرسية ملك النافار واخيه فرناندو ملك قشتالة وليون ، وكنتيجة لشدة الصراع بين الاخوين [٢٧] استعان غرسيه باخيه (وعدوه القديم) راميرو وبجيش من صاحب سرقسطة المتقدر بن هـود (٤٣٨ ــ ٤٧٤هـ) ٠ وحاول فرناندو ازالة الخلاف ، الا ان غرسيه اصر على العداء ، فكانت معركة عنيفة قتل فيها غرسيه فانهزمت الجيوش المشتركة، فكف فرناندو عن ملاحقة جيش اخيه واكتفى بمطاردة جيش ابن هود [٢٨] ٠

بعد ذلك وجه فرناندو الاول اهتمامه صوب الاراضي الاندلسية [٢٩] ، فاستولى على بعض المناطق في قاصية الاندلس من الشمال الغربي سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م وحاصر مدينة بازو Viseo جنوبي نهر دويرة ، الا ان المدينة لم تصمد ازاء الهجوم العنيف ، فاقتحم الاسبان اسوارها وامعنوا في اهلها قتلا واسرا ، وكان بين الاسرى ذلك الرامي الذي أصاب الفونسو الخامس اثناء حصاره للمدينة ، فأمر فرناندو بسمل عينه وقطع يديه ورجليه وعذبه حتى مات ٠ ثم سار فرناندو الى مدينة (مليقة) الواقعة شمالي بازو واستولى عليها وقتل معظم اهلها واسرهم ، فاسترق فرناندو سكان المدينتين الاسلاميتين ، واسكن بهما الاسبان[٣٠] ٠

وفي سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م سقطت بيده مدينة قلمرية [٣١] (Coimdra) وعهد بادارتها الى المستعرب (سنندو داليدس) الذي تعرفه الرواية الاسلامية

٢٧ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٠ ٠

٢٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٥ (ج٣) ٠

٢٩ــ خالص ، صلاح : اشبيلية في القرن الخامس للهجرة ، ص١٣١ ٠

٣٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٨٥ ــ ٨٦ ، ص٣٨٣ ــ الحجي ، عبدالرحمن : التاريخ الاندلسي ، ص٣٢٨ ٠

٣١ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣، ص٢٣٨ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٨٤ ٠

باسم ششند الـذي تربى في بلاط بني عبـاد والتحـق بخدمـة البلاط القشتالي [٣٢] .

توفى فرناندو سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[٣٣] . بعد ان وحد الممالك الاسبانية في الشمال ، ودوخ ملوك الطوائف بغاراته ، وقد اسبغت عليه الرواية لقـب الكبير Elma&no [٣٤] وكان يسمى نفسه بالامبراطور للتدليل على سيادته على جميع اسبانيا [٣٥] .

وقبيل وفاته ، وبالذات في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م عقد مجلسا من الاساقفة والاشراف وقسم المملكة بين اولاده وبناته على الشكل التالي : ـ

١ ـ شانجة (سانشو) ولده الاكبر : مملكة قشتالة وحقوق الجزية علـى مملكـة سرقسطـة .

٢ ـ الفنش (الفونسو السادس) ولده الاوسط : مملكة ليون واشتوريش، وحقوق الجزية على مملكة طليطلـة .

٣ ـ غرسيه ولده الصغير : مملكة جليقية والبرتغال ، وحقوق الجزية علـى مملكتي اشبيليـة وبطليـوس .

٤ ـ ابنته دونيا اوراكا (البومة) : مدينة سمورة وحق الاشراف على الاديرة في سائر مملكتـه .

٥ ـ ابنته دونيا البيرة : حصن تـورو Toro وحق الاشراف علـى الاديرة في سائر مملكته [٣٦].

٣٢ـ ابن بسام : الذخـيرة ، ق١ ، جـ٤ ، ص١٢٩ ـ عنـان : دول الطوائف ، ص ٣٨٥ .

٣٣ـ Camprid&e Medievl history, 5,p: 393 —395.

٣٤ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٤٢ (ح١) ـ مؤنس ، السيـد القمبيطور ، ص٤١ .

٣٥ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس، ص١٩ ـ ادهم، علي : المعتمد بن عباد، ص١٩٢ .

٣٦ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ (ح : ٢و٣) .

استمر الوئام المكبوت بين الاخوة في ظل الملكة (سانشا) عامين أخرين، فلما توفيت سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م بدت نذر الصراع الجديد بين الاخـوة[٣٧]، وقد اعطانا ابن الكردبوس وصفا مجملا لهـذا النـزاع بقولـه : « ... ثم توفي (فردلند) أخزاه الله وترك بنين ثلاثة : شانجة وغرسية والفنش ، فتنازعوا الملك فقتل شانجة وثقف غرسيه ، وخلص الملك للفنش بن فردلند ، واستبد به واستفحل امره ، واستحكم في المسلمين طمعه »[٣٨] من هذا نلاحظ ، ان مملكة النافار اختفت الى حين ، فبعد ان اعطى شانجة غرسيه الثالث ، امارة النافار الى ابنه غرسيه (٤٢٦ ــ ٤٤٦هـ / ١٠٣٥ ــ ١٠٥٤م) تأجج الخلاف بـين غرسيه واخيه فرناندو ، كما بينا ، فقتل غرسيه ، واعطيت امارة النافار الى ولده القاصر (شانجة) وذلك في سنة ٤٤٦هـ /١٠٥٤م [٣٩] الذي حكـم الامارة اثنتين وعشرين سنة (٤٤٦ ــ ٤٦٨هـ) ، وفي عهده توطد مركز الامارة بين جيرانها ، واقر المقتدر بن هود صاحب سرقسطة لها بدفع الجزية في سنـة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م ، وعقد مع شانجة حلفا لمعاونته في حربه ضد خصومـه سواء من المسلمين أو النصارى . وجدد هذا التحالف عام ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ولم يمض وقت قليل على ذلك حتى قتل شانجة عام ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، في كمـين دبره أخوه (ريموند) واخته (ارمزندة) ، فعمت الاضطرابات في بـلاد النافار التي تقاسمها (الفونسو السادس ملك قشتالة) و (شانجة راميرز ملك أركون)[٤٠] .

٢ ــ مملكة ارغون :

اعطي شانجه غرسية الثالث ، امارة ارغون الى ولده ردمير (رامبرو الاول) ، وهي رقعة ضيقة من الارض تمتد الى الجنوب من ممر رنسفالة في

٣٧ــ اشباخ : تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٠ .

٣٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ ــ ٧٧ .

٣٩ــ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص٧٥ (ج٣) ــ عنان ، دول الطوائف، ص٣٨٠ ــ ٣٨١ .

٤٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٤٠٥ ــ ٤٠٦ .

القسم الغربي من جبال البرت[41] ، وعمل هذا الامير على توسيع رقعتها ، حيث سيطر على مملكة (سوبرابي وربا جرسا) سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م على أثر مقتل اخيه غنصالو (كونزالو) ملك هذه الامارة ، وبذلك اتحدت الامارتان في مملكة واحدة باسم (مملكة ارغون)[42] وقد وجه هذا الملك عدوانه نحو مملكة سرقسطة ، وحاول غزوها ، فاستنصر اميرها المقتدر ابن هود بـ(فرناندو الاول) ملك قشتالة وليون ، فامده ببعض قواته ، ونشبت بين الفريقين معركة في (جرادوس) هزم فيها راميرو الاول وقتل عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م [43] . وخلفه ابنه (شانجة راميرز ٤٥٥هـ - ٤٨٧هـ /١٠٦٣م — ١٠٩٤م) ، الذي اتجهت اطماعه الى مملكة سرقسطة ، فقام بمحاصرة مونتشون في سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م ثم سار لحصار مدينة وشقة ، ولكنه توفى بعد قليل تحت اسوارها ، فتابع ولده (بيدرو الاول توفى عام ٤٩٨هـ / ١١٠٥م) الحصار ، واستغاث المستعين بن هود بملك قشتالة فأمده ببعض قواته ، فدارت رحى (معركة الكرازة) وكانت نتيجتها هزيمة المستعين وحلفائه ، وسقوط وشقة بعد ذلك بايام قلائل عام ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م [44] . كما ساعد بيدرو الاول حليفه القمبيطور ضد المرابطين عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م ووقعت الهزيمة على المرابطين في (مندير) قرب بلنسية [45] . وهو الذي مهد بافتتاحه لمدينة وشقة وبربشتر الى القضاء على مملكة سرقسطة ، وسقوطها فيما بعد في يد أخيه وخلفه الفونسو . وقد عرف بيدرو هذا بالتعصب الشديد ضد المسلمين فلا يكاد يفتح مدينة اسلامية حتى يحول مساجدها الى كنائس ويغدق

٤١ـ ابن القطان، نظم الجمان ، ص١٠٩ ـ الحميري : الروض المعطار، ص٩٧ .

٤٢ـ ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٢، ص١٨٣ ـ ادهم ، علي : المعتمد بن عباد ، ص١٩٠ .

٤٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص٤٠٥ .

٤٤ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٧٣ ـ ابن الخطيب (المنسوب) الحلل الموشية ، ص٥٣ ـ ٥٥ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٣ .

٤٥ـ عنان : دول الطوائف ، ص٤٠٦ .

الصلات الوفيرة على الكنائس والاديرة . ولما كان ولده الوحيد قد تـــوفى قبل وفاته ،فقد خلفه على عرش أرغون أخوه الفونسو الاول الارجونـــي المعـــروف بالمحارب . [٤٦] .

مملكة ليون وقشتالة :

اعطى شانجة غرسيه الثالث ، مملكة قشتالة وليون الى ولده (فرناندو الاول ٤٢٦ ــ ٤٥٨هـ / ١٠٣٥ ــ ١٠٦٥م) ، وقد أوضحنا كيف قسم هـــذا المملكة بين ابنائه وبناته، فادى بعمله هذا الى زرع الخلاف والحروب بينهم[٤٧]. فكان من نتائجهـا فرار الفونســو الســادس ولجـوئه لــدى (المأمـون ابن ذى النون) ملك طليطلة، الذي احسن استقباله في منتهى الترحاب والاكرام وبقى في منفاه تسعة اشهر من عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م [٤٨] . كما لجأ (غرسيه الابن الصغير) الى المعتمد بن عباد ملك اشبيلية وذلك في اواخر سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م [٤٩] .

دخلت (دونيا أوراكا) معترك هذه الحروب الأسرية ، واستطاعت من تمهيد الطريق لوصول الفونسو السادس الى عرش قشتالة وليون . بعد ان قتلت اخاها (شانجة الابن الاكبر وصاحب الاطماع الواسعـة) بمؤامـرة ماهرة[٥٠]، ثم ترك الفونسو السادس طليطلة وعاد الى بلاده وجعل نفسه ملكا على قشتالة وليون وجليقية بعد مقتل أخيه عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، وهكذا عادت

٤٦ــ عنان : دول الطوائف ، ص٤٠٦ .

٤٧ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٢١ ــ عنان : مواقف حاسمة ، ص١٥٧ .

٤٨ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٢ ــ ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٤ ، ص٥١ ــ بروفنسال ، الاسـلام في المغـرب والاندلس ، ص١٢٧ وبعدها .

٤٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ (ح٣) ــ عنان : دول الطوائف، ص٣٩٢ .

٥٠ــ ابـن عـذارى : البيـان المغرب ، جـ٤ ، ص٥١ ــ ادهم المعتمد بن عباد، ص١٩٥ .

الممالك الاسبانية الى سابق وحدتها • كما تخلص الفونسو السادس من اخيه غرسيه ، بعد رجوعه من اشبيلية على اثر مقتل أخيه شانجة ، فزجه سجينا في (حصن لونا) عام ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، الى ان مات فيه عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[٥١]•

قسم العالم الاسباني بيدال (Pidal) عهد الفونسو السادس (٤٥٨ ـ ٥٠٢هـ / ١٠٦٥ ـ ١١٠٩م) الى ثلاث فترات وهي :

١ ـ فترة الصراع والحروب الداخلية : ٤٥٨ ـ ٤٦٥هـ / ١٠٦٥ ـ ١٠٧٢م •

٢ ـ فترة الانتصارات وخاصة استيلاء على مدينة طليطلة ٤٦٥ ـ ٤٧٩هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٨٦م •

٣ ـ فترة الهزائم المتتالية على ايدي المرابطين ومقتل ابنه الوحيد شانجة[٥٢]، ٤٧٩ ـ ٥٠٢هـ/١٠٨٦ ـ ١١٠٩م •

كانت وراثة العرش بعد مقتل وحيده المشكلة الاولى التي اقلقت بال الفونسو السادس قبل موته ، فاسند وراثة العرش الى ابنته (اوراكا) من زوجته الفرنسية ، والتي زوجها من (الكونت ريموند البرجوني) والذي توفى واعقب لها ولداً باسم (الفونسو ريمونديس) • ثم زوج ابنته الارملة (اوراكا) من الفونسو الاول المحارب ملك أراغون والنافار من اجل وحدة المملكة الاسبانية ، ووضع نظاماً لوراثة العرش بعد ذلك كالاتي :ـ

١ ـ ابنته أوراكا : ترث عرش قشتالة وليون واشتوريش •

٢ ـ الفونسو ريمونديس : يرث عرش جليقية •

٥١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ ـ ٧٧ (ح٣) ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٤ ، ص٥٢ •

٥٢ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٧ ، (ح٣) •

٣ ـ الكونت هنري (صهر الفونسو) يرث امـارة البرتغال كتابـع لعرش قشتالـة •

وأكد الفونسو السادس انه في حالة عدم انجاب (اوركا) من زوجهـا الفونسو الاول المحارب ، فان المملكة تؤول الى (الفونسو ريموندس) الذي عرف فيما بعد باسم : الفونسو (السليطين) أي الملك الصغير[٥٣] •

مملكة البرتغال :

بعد سيطرة الملك (فرناندو الاول) على مدن بازو ومليقة وقلمريـة في الشمال الغربي من الاندلس ، ظهرت اول امارة البرتغال التي عهد بادارة هذه المناطق الى المستعرب (ششنند)[٥٤] • وقبل وفاة الملك فرناندو الاول عهـد بادارة منطقة البرتغال الى ولده الصغير (غرسية) اضافة الى منطقة جليقية وحق الجزية على مملكتي اشبيلية وبطليوس •

ظهرت بوادر الاستقلال في هذه المنطقة ، الا ان الفونسو السادس قضى على هذه البوادر ، واعطاها نوعا من الحكم المحلي حتى عام ٤٧٨هـ[٥٥] •

فعندما جاء ريمونـد البرجوني وهنري البرجوني (الرنك)[٥٦] على رأس الفرسان الذين شاركوا مـع قوات الفونسو لـرد خطر المرابطين عـن الاندلس[٥٧] ، زوج الفونسو السادس ابنته (أوراكـا من ريموند البرجوني) وابنته (تيريزا من هنرى البرجوني) • وقد أهدى الفونسو السادس ابنتـه

٥٣ــ ابـن الابار : الحلـة السـيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ــ ٢٥٠ (ح١) ــ ابـن الكردبوس ، تاريـخ الاندلس ، ص١١٥ (ح٤) ــ ابن الخطيب : اعمـال الاعلام ، ص٣٢٢ وبعدها .

٥٤ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٢٣٧ : يسميه (زيزناندوس) .

٥٥ــ اشباخ : المرجع السابق ، ص٢٣٨ .

٥٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١١ (ح٦) .

٥٧ــ اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٢٣٩ .

(تيريزا و زوجها) امارة البرتغال ، وانجبت منه ولدا باسم (الفونسو هنريكيز Alfonso Ehriquez)[٥٨] .

توفى هنري البرجوني عام ١١١٢ م وترك ابنه القاصر تحت وصاية امه :

١ ــ تيريزا الوصية على العرش ١١١٢ ــ ١١٢٨م .

٢ ــ الفونسو هنريكيز : أمير البرتغال ٥٢٢ ــ ٥٥٣هـ / ١١٢٨ ــ ١١٥٨ م وتسميه الرواية الاسلامية (ابن الرنك ــ ابن الريق)[٥٩] ، أو (صاحب قلنبرية)[٦٠] .

امارة برشلونة

انقسم الثغر القوطي بعد وفاة شارلمان الى عدة امارات أهمها امارة أرقلة وامارة برشلونة .

حكمت اسرة (أل برنجير) امارة برشلونة ، واشتهر منهم :ــ

١ ــ رامون بريل الثالث (ريموندو[٦١]) .

١٠٣٥م) .

٢ ــ برنجير رامون الاول (المقوس أو المنحني ٤٠٩ ــ ٤٢٧ ــهـ / ١٠١٨ ــ

٣ ــ رامون برنجير الاول (المسن أو العجوز ٤٢٧ ــ ٤٦٩هـ / ١٠٣٥ ــ ١٠٧٦م)[٦٢] ، وقد وسع امارة برشلونة حيث ضم اليها ولاية قرقشونة الفرنجية وولاية أرقلة (Urget) وسرطانية (Cerdana)[٦٣] .

٥٨ــ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص١١١ .

٥٩ــ اشباخ ، المرجع السابق ، ص٢٤٥ (ح) .

٦٠ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٠٠ .

٦١ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص١٧٧ .

٦٢ــ البكري : جغرافية الاندلس واوربا ، ص٩٧ .

٦٣ــ ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٢، ص٢١٩ .

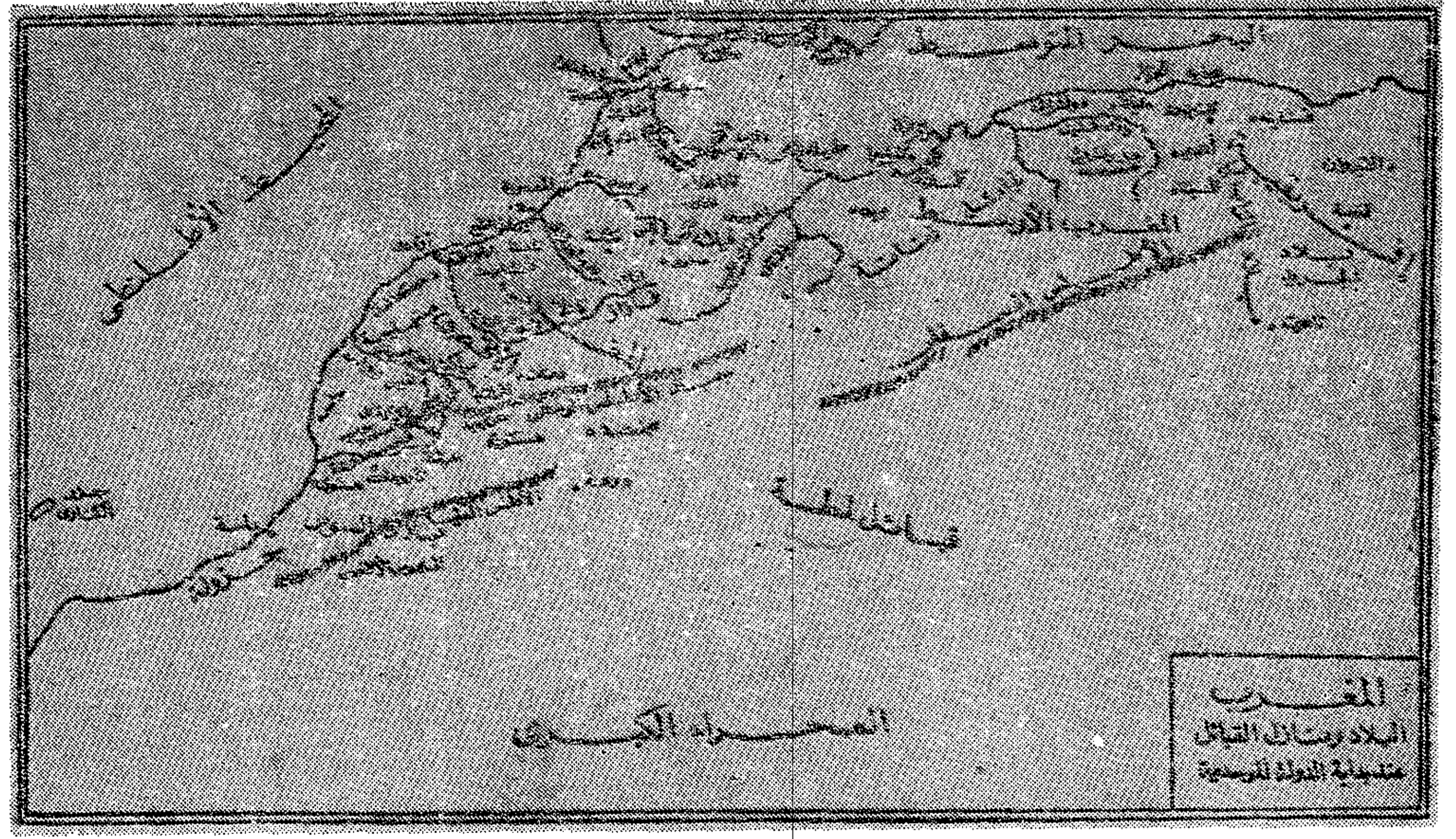
٤ ـ رامون برنجير الثاني (٤٦٨ ـ ٤٨٩هـ / ١٠٧٦ ـ ١٠٩٦م) ، وقد شارك هذا الملك ، الفونسو السادس في موقعه الزلاقة ضد المرابطين .

٥ ـ رامون برنجير الثالث ، تسلم سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م بعد سفر عمه (برنجير الثاني) الى المشرق . ورامون برنجير الثالث قاوم أيضا غزوات المرابطين فيما بعد بنجاح ، وهو الذي تزوج من ابنة القمبيطور وكان يلقب بـ (البرشلوني) ، وحكم الى سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م[٦٤] .

وعلى العموم يمكن القول : انه في الوقت الذي كانت الممالك الاسلامية في الاندلس غارقة في بحار خلافاتها وحروبها ، كانت الممالك الاسبانية في الشمال الاسباني ، تتجاوز كل خلافاتها ، باستثناء بعض الحروب الاسرية ، وتوحد كل قواها ، من أجل طرد المسلمين من شبه الجزيرة ، وكانوا يناضلون بقوى مضاعفة من أجل تحقيق هذا الهدف[٦٥] .

٦٤ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٩ (ح) ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٠ (ح٣) .

٦٥ـ اشباخ : تاريخ الاندلس، ص٨ ـ محمود، قيام دولة المرابطين، ص٢٤٥ .



المغرب البلاد ومنازل القبائل عند بداية الدولة الموحدية



مواقع غزوات المرابطين التي قام بها علي وتاشفين في اراضي قشتالة والبرتغال

الفصل الثالث

علاقات ملوك الطوائف
بالممالك الاسبانية في أسبانيا حتى عام ٤٧٨هـ

جعلنا سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م نهاية زمنية لهذا الفصل ، على اعتبار قدوم المرابطين الى الاندلس يمثل بداية عصر جديد فيها . كما ان المرابطين حددوا موقفهم من امراء الطوائف في ضوء علاقة هؤلاء الامراء مع نصارى الشمال الاسباني ، فبدأت فكرة القضاء على ملوك الطوائف عندما شعر المرابطون بان علاقات ملوك الطوائف بنصارى الشمال تشكل خطرا كبيرا عليهم .

ان الصراع المرير بين ملوك الطوائف ، واستعانتهم بملوك الاسبان على حساب ابناء ملتهم من اجل الحفاظ على رقعة أرض او استرداد عرش مسلوب ، كل هذا حفز ملوك الاسبان على وضع الخطط المشتركة والمنسقة لطرد المسلمين من بلاد الاندلس على طريقة مايسمى في العصر الحديث بـ « حرب الاستنزاف » أي استنزاف الطاقة البشرية والمادية لامراء الطوائف ثم اسقاطهم بسهولة [1] .

كانت موقعتا (قنتيش) و (عقبة البقر) بداية تطور أحداث الفتنة الاندلسية الكبرى ، والتي قضت على كل أمل في اعادة الخلافة الاموية ،

---

١ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٧٤ .

ومؤكدة انقسام المعسكر الاندلسي الى قسمين متحاربين : البربر من ناحية ، والاندلسيين من ناحية أخرى . وقد انهزم في معركـة قنتيش الاندلسيون والمهدي ، وانتصر البربر تؤيدهم فرقة من الاسبـان يقودهـا (الكـونت سانشو غرسيه) ودخلوا قرطبة ، ولذلك كان تاريخ المعركة (١١ ربيـع الاول ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) البداية الحقيقية لعصر الطوائف [٢] .

واستعان المهدي ايضا بالاسبـان ، واستطاع مـن هزيمـة المستعـين وأعوانه في موقعة (عقبة البقر شوال ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) . فكانت هـذه الاستعانة فاتحة لطلب استعانات جديدة ، اعتمد عليها ملوك الطوائف ، كما سنوضح ذلك حسب التسلسل الزمني لهذه الحوادث : ـ

١) علاقات مملكة دانية والجزائر الشرقية بالممالك الاسبانية : ـ

استطاع مجاهد العامري ملك دانية والجزائر الشرقية افتتاح جـزيرة سردينية ،[٣] وكان اول فتح اسلامي لها [٤] . وفي خلال ذلك اهتـزت البابوية والمدن الايطالية القريبة لهذا الحدث الخطير ، ومما زاد من سخطها قيام مجاهد العامري بمهاجمة الشاطىء الاوروبي الممتد بـين جنوة وبيزة . وفي الحال اعلن البابا (بندكتوس الثامن) الحرب الصليبية ضد المسلمين ، وعقد تحالفا مع جنوة وبيزة على محاربة المسلمين وطردهم من الجزيرة [٥].

لاتعطينا المصادر الاسلامية معلومات عن دور نصارى الشمال الاسباني في مقاومة مشروع مجاهد العامري ، ولكن اذا اخذنا بنظر الاعتبار موقع امارة برشلونة الاسبانية المواجهة لجزيرة سردينية ، والقريب من سواحل الجزائـر

---

٢ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٦ ـ ٧ .

٣ ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص١٥٥ : يسميها سرذانية .

٤ ـ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٣٣١ ـ ابن الخطيب : اعمـال الاعـلام، ص٢١٩ .

٥ ـ عنان : دول الطوائف ، ص١٩٢ ـ سالم ، تاريخ البحرية الاسلاميـة ، ص٢٠٣ .

الشرقية من ناحية ، ومهاجمة مجاهد العامري فيما بعد برشلونة من ناحية اخرى. يمكننا القول ان اساطيل هذه الامارة شاركت السفن البابويـة والايطالية في اخراج قوات مجاهد العامري من جزيرة سردينية . هذا اذا علمنا ان سفنـا نصرانية ـ دون تحديد هويتها ـ شاركت في هذا المشروع[٦] .

انهار مشروع مجاهد امام ضربات الاساطيل النصرانية وقتـل معظـم رجاله [٧] ، وأسرت امه النصرانية وولده علي الذي افتداه فيما بعد بأموال طائلة [٨] .

وفي سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م هاجم مجاهد العامري منطقة قطلونيـة وعاصمتها برشلونة ، عندما اصطدم ببعض المغامرين النورمانديين ، الا انـه لم يفلح في هذا الهجوم ، فاضطر الى طلب الهدنة ودفع الجزية [٩] .

تميز عصر اقبال الدولة علي بن مجاهـد العامري (٤٣٦ ـ ٤٦٨هـ) بالعلاقة الحسنة مع ملوك النصارى والتسامح المطلق مع نصارى مملكتـه ، وربما كان ذلك راجعا ، من بعض الوجوه ، الى ظروف حياته ونشأته بـين نصارى سردينية خلال اسره الطويل ، واعتناق دينهم قبل ان يعـود الى الاسلام ودياره [١٠] .

كانت العلاقات حسنة بينه وبين ملك قشتالة (فرنانـدو الاول ٤٣٦ ـ ٤٥٨هـ) وابنه شانجه من بعده ، وكانت هذه العلاقة على مبدأ الاستقـلال

---

٦ ـ اماري، المكتبة الصقلية، جـ١، ص٢١٨ ـ عنان، دولة الطوائف، ص١٩٢ .

٧ ـ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٢٣١ ـ طرخان : المسلمـون في أوربا ، ص١١٠ ـ ١١٢ ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

٨ ـ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٤ ، مج١ ، ص٢٠٦ ـ ابن الاثير ، الكامل، جـ٩، ص١٠٠ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١٥٧ .

٩ ـ كليليا : مجاهد بن عبدالله العامـري ، ص١٦٩ ـ لويس ، ارشبيـالد، القوى البحرية ، ص٣١٤ .

١٠ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٣ .

لا الخضوع ، اذ كانت مملكة دانية بموقعها النائي الحصين بعيدة عن متناول عدوان مملكة قشتالة . كما كانت له نفس العلائق مع كونت برشلونة (رامون برنجير الاول ٤٢٧ — ٤٦٩ هـ) (١١) . اما التسامح الديني الذي أولاه علي ابن مجاهد لنصارى مملكته ، فقد دلت عليه وثيقة موجودة في الفاتيكان ويفهم منها ان عليا ارسل في عام ٤٤٩هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٠٥٨م خطابا الى (جيز لابرتو) اسقف برشلونة يقر له بالسيطرة الروحية التي كان قد اعطاها ابوه للاسقف على مسيحي البليار ، واضاف الى هؤلاء مسيحيي دانية واعمالها ، بشرط الاعتراف بسلطانه الزمني والخطبة باسمه في الكنائس على الطريقة الاسلامية (١٢) . هذه الوثيقة مكتوبة بلغتين اللاتينية وتحتها زيادات باللغة العربية ، فاما الجزء اللاتيني فيحتوي مايأتي : ان كتدرائية القديسة (ايولايا Santa Eulalia) قد نالت السيطرة الروحية على جزر البليار من مجاهد بواسطة الاسقف (جيزلابرتو — غلبرت) كما نالت فيما بعد نفس السيطرة على دانية واعمالها من علي اقبال الدولة وان عليا قد قبل هذه السيطرة كما قد وافق عليها ابناؤه وكبار رجال دولته وامضوا ذلك . وفي نهاية النص اللاتيني توجد امضاءات رجال الدين الذين جاءوا من اماكن متعددة بمناسبة تقديس كتدرائية برشلونة وامضوا لاعطائها قوة التنفيذ . واما الجزء العربي فيؤكد ما سبق ان ذكر في الجزء اللاتيني، ويطلب اعتباره صاحب السلطة الزمنية والدعاء له في الكنائس على الطريقة الاسلامية. وكتابة هذا الشرط فقط بالعربية يدل على اكتفاء علي بهذا(١٣) .

ان عدم ورود هذا الامر في المصادر الاسلامية ، مما يجعلنا نشك — بتحفظ — حول امر هذه الوثيقة المهمة ، التي تعني بمحتوياتها النفوذ النصراني في مملكة اسلامية .

١١— عنان : المرجع السابق ص٢٠٢ .

١٢— كليليا : مجاهد بن عبدالله العامري ، ص٢٦٦ .

١٣— كليليا ، مجاهد بن عبدالله العامري ، ص٢٦٧ — عنان ، دول الطوائف، ص٢٠٣ .

ولكن هذا لايعني انه لم تقم أية حرب بين علي ومملكة برشلونة [١٤] ، فقد قامت الحرب بين الطرفين في اواخر حكم علي بن مجاهد [١٥] .

وكان من نتائج هذه الحرية الدينية ، ان كتب (ابو عامر احمد بن غرسيه البشكني الاصل والذي نشأ في بلاط مجاهد وابنه علي) [١٦] رسالته الشهيرة في تفضيل العجم (اجناس الفرنج) على العرب ، وقد وجه ابن غرسيه هذه الرسالة الى صديقه الشاعر (ابو عبدالله بن الحداد) شاعر المعتصم بن صمادح امير المرية ، ولعل ذلك بين سنة ٤٥٠ ــ ٤٦٠هـ [١٧] ويبدو ان شاعر المعتصم رد عليه ففسدت الصداقة بينهما ، كما رد غيره على هذه الرسالة التي تصور الشعوبية أبلغ تصوير [١٨] .

كان علي بن مجاهد يهتم بشؤون الجزائر الشرقية ويعتبرها اهم اقسام مملكته ، وكان حاكم الجزائر على عهد علي ، (الاغلب مولى أبيه مجاهد ٤٢٨ ــ ٤٣٦هـ) وكان جنديا وبحارا قديرا ، دائم الاغارة بسفنه على شواطىء قطلونية (قاعدتها برشلونة) وبروفانس (جنوبي فرنسة) ، حيث يقول ابن خلدون : « واما الاغلب مولى مجاهد صاحب ميورقة فكان صاحب غزو وجهاد في البحر ... »[١٩] وحكم الجزائر من بعده صهره (سليمان بن مشكيان ٤٣٦ ــ ٤٤٢هـ) الذي غزا جزيرة سردينية سنة ٤٤١هـ /١٠٥٠م وفتحها ، الا ان الحلف الأوربي بزعامة البابا (ليو التاسع) أخرج

١٤ــ هذا امر يزيد الشك حول الوثيقة .
١٥ــ كليليا ، المرجع السابق ، ص٢٦٨ .
١٦ــ ابن الابار ، المعجم ، ص٣١١ ــ ابن سعيد ، المغرب ، جـ٢ ص٤٠٦ .
١٧ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٤ .
١٨ــ راجع ، ابن الزبير ، كتاب صلة الصلة ، ص١٧ ــ ١٩ ــ احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر الطوائف والمرابطين ــ ص١٧٠ وبعدها .
١٩ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٥ .

المسلمين نهائيا منها [٢٠] ، ثم حكم الجزائر من بعده (عبدالله المرتضى ٤٤٢ ـ ٤٨٦هـ) [٢١] .

لما سيطر احمد بن سليمان بن هود (المقتدر) صاحب سرقسطة على مملكة دانية عام ٤٦٨ هـ ، استقل عبدالله المرتضى بحكم الجزائر الشرقية . وقد كان عبدالله هذا تربطه بملك برشلونة الاسباني (رامون برنجير الاول ٤٢٧ ـ ٤٦٩هـ) وولديه برنجير ورامون علاقة ود وصداقة ، والدليل على ذلك ، ان عبدالله المرتضى ارسل مبعوثا الى ملك برشلونة في بعض الشؤون ـ دون معرفة القصد والسنة ـ فتعرف سفير المرتضى على (مبشر بن سليمان الذي حكم الجزائر الشرقية بعد المرتضى) ، فاعجب السفير بمواهب مبشر ، وافتداه من الاسر . وكان مبشر هذا من أهل قلعة الحمير من اعمال لاردة ، أسره الاسبان في صباه ، وعاش في برشلونة : « وكان اصله من شرق الاندلس . أسر صغيرا » [٢٢] .

بعد سيطرة المقتدر بن هود ملك سرقسطة على مملكة دانية عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م انتهى عهد الدولة المجاهدية . [٢٣] وقد حاول (سراج الدولة بن علي) حاكم حصن شقورة استرداد عرش أبيه المغتصب ، فسار الى برشلونة واستغاث بصاحبها (رامون برنجير الاول) ، فاستجاب له بشروط وأمده ببعض قواته . واستطاع بالفعل من استرداد بعض الحصون ، ولكن المقتدر بن هود كان له بالمرصاد ، ويروي انه دس له من اغتاله بالسم في عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م [٢٤] .

٢٠ـ طرخان : المسلمون في أوربا ، ص٢٢٥ .

٢١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٢ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٥ .

٢٢ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٦٥ ـ راجع ، ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ١٢٣ .

٢٣ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، جـ١ ، ص٢٠٧ ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٤٩ .

٢٤ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٥ .

٢ ـ علاقات مملكة سرقسطة بالممالك الاسبانية : ـ

شارك امـير الثغر الاعلى (المنذر بن يحيى التجيبي ٤٠٨ ـ ٤١٤ هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٢٣م)[٢٥] بالفتنة التي أدت الى سقوط الخلافـة الاموية ، مـع فرقة من الاسبان بقيادة حليفه الكونت (رامون بريل ، ت : ٤٠٩هـ) امـير برشلونة[٢٦] وكان المنذر والقوات الحليفة تحارب البربر بقيادة زاوى بن زيري الصنهاجي ، واسفرت المعركـة بانتصار البربر ومقتل الخليفـة المرتضى عام ٤٠٩هـ / ١٠١٨م[٢٧] .

وقد توثقت عرى الصداقة بين المنذر وملوك الاسبـان المجـاورين لـه ولاسيما مع (رامون برل الثالث) ملك برشلونة ، و (سانشو الكبير) ملـك النافار وولده (فرناندو الاول) ملك قشتالـة ، (الفونسو الخامس) ملـك ليون ، وقد بالغ المنذر في التودد لامـراء الاسبان حتـى انه نظم في قصـره بسرقسطة حفلا لعقد المصاهرة بين ملكين من ملوك الاسبان همـا (سانتشـو ملك النافار ورامون بيرل ملك برشلونة) حضره الفقهاء والقساوسة واعيـان الملتين[٢٨] فجلب عليه التودد هذا سخط عامة الناس ورموه بألسنة حداد ، وعبر عن هذا السخط الوزير الكاتب (ابو عبدالله محمد بن عامر البزلياني[٢٩] في رسالة بعث بها الى المنذر بن يحيى ، الذي تحالف مـع الاسبان ضـد البربر عندما بايعوا الخليفة المرتضى ، كما تحالف مع الاسبان ليسـاعد (محمـد بن

٢٥ـ نسبة الى قبيلة بني تجيب العربية ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص٤٣٠ ـ العذري : نصوص عن الاندلس ، ص٤١ وبعدها .

٢٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٦٦ .

٢٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص١٢٦ ـ ١٢٧ ـ المراكشي ، المعجب، ص٩٨ .

٢٨ـ ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ، ص١٧٧ .

٢٩ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق١، مج٢ ، ص١٣٩ ـ ابن سعيد ، المغرب ، جـ١، ص٤٤٤ .

عبدالجبار المهدي ضد الخليفة هشام المؤيد[٣٠] جاء فيها « ٠٠٠٠ واتصل بي ما وقع بينك وبين المؤتمن (عبدالعزيز عبدالرحمن شنجول) ٠٠٠ والموفق (مجاهد العامري) ٠٠٠ وانكم اضطررتم الى اخراج كل فريق منكم النصاري الى بلاد المسلمين ، فنظرت في الامر بعين التحصيل (المعرفة) وتأولته بحقيقة التأويل فعظم قلقي ، وكثر على المسلمين شفقي في ان يطأ اعداؤهم بلادهم ٠٠٠ فاذا تأيدنا بالمشركين ، واعتضدنا بالكافرين ، وابحناهم حرمتنا ومنحناهم قوتنا ، وقتلنا انفسنا بايدنا ، وأدتنا الى الندم مساعينا ، كانت الدائرة (المصيبة) امضى ٠٠٠ والفتنة أشد ، والمحنة أحد ، والاعمال أحبط ٠٠٠٠ »[٣١] ٠

الا ان المنذر حقق بهذه السياسة ، ابعاد اطماع الاسبان عن بلاده وحفظ ثغوره من هجماتهم ، ولم يدرك الناس نتائج هذه السياسة الا بعد وفاته[٣٢] ٠

ويبدو ان يحيى بن المنذر (المظفر ٤١٤ – ٤٢٠ هـ) لم يواصل سياسة الصداقة التي كان يتبعها والده مع جيرانه ملوك برشلونة بصورة خاصة ، حيث اغار ملكها (برنجير رامون الاول ٤٠٩ – ٤٢٧هـ) على حدود الثغر الاعلى ، وتنازل له المظفر عن بعض الحصون والقلاع[٣٣] ٠

تميزت الفترة المحصورة بين (٤٣٥ – ٤٣٨هـ / ١٠٤٣ – ١٠٤٦م) بالصراع المرير والحروب الاهلية المدمرة بين (سليمان بن محمد بن هود ٤٣١ – ٤٣٨هـ) ملك سرقسطة و (يحيى بن اسماعيل بن ذنون – المأمون – ٤٣٥ – ٤٦٨ هـ/ ١٠٤٣ – ١٠٧٦م) ملك طليطلة ، واستعانة كل منهما بملوك

٣٠– ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، مج١ ، ص٣٩٧ – المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص٣٠ ٠

٣١– ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، مج٢ ، ص١٤٢ – كليليا ، مجاهد بن عبدالله العامري ، ص١٢٠ – ١٢٢ ٠

٣٢– ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٧٦ – ١٧٧ – ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص١٦٣ ٠

٣٣– عنان ، دول الطوائف ، ص٢٦٨ ٠

الاسبان ضد الاخر بسبب بعض القلاع والحصون على الحدود ، وخاصة مدينة وادي الحجارة مثار النزاع بينهما • حيث سيطر عليها سليمان بن هود بمعاونة بعض أهلها الراغبين بحكمه عام ٤٣٦هـ / ١٠٤٤ [٣٤] ، وما كاد المأمون يقف على هذا الاعتداء حتى هرع بقواته صوب وادي الحجارة ، ونشبت المعارك بين احمد بن سليمان بن هود (قائد جيوش سرقسطة وولى العهد) وبين المأمون ، فدارت الدائرة على المأمون وتحصن في مدينة طلبيرة ، فشدد عليه ابن هود الحصار ثم رفعه بأمر أبيه • ونجا المأمون من مأزق شديد الحرج [٣٥] •

لم يقف المأمون ملك طليطلة عند هذا الحد ، بل صمم على مواصلة الحرب مع ابن هود ، ففاوض فرناندو الاول ملك قشتالة ، وطلب العون منه ، وتعهد ان يؤدي له الجزية [٣٦] فاستجاب فرناندو الاول لدعوته فبعث قواته التي عاثت فسادا في اراضي ابن هود المجاورة لقشتالة ، وانتهبت الزروع وسبت من المسلمين العدد الكبير ، فلم يحرك ابن هود ساكنا حيث تحصن في بعض قلاعه ، فانتهز المأمون هذه الفرصة فاغار بدوره على اراضي ابن هود المتاخمة له ودمر بعضها ، ولعل ذلك في سنة ٤٣٧هـ [٣٧] •

وسار ابن هود على نفس الطريق الذي سار عليه المأمون ، وسعى بدوره الى محالفة الاسبان ضد المأمون • فبعث الى فرناندو الاول ملك قشتالة اموالا وتحفا كثيرة ، على ان يغير على اراضي طليطلة [٣٨] •

٣٤ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩، ص٢٨٩ : يجعل السنة ٤٣٤هـ .

٣٥ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٧٨ .

٣٦ ــابن عذاري : المصدر السابق ، جـ٣، ص٢٧٨ ــ عنان ، دول الطوائف، ص٩٩ .

٣٧ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٦٨ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب، جـ٣، ص٢٢٠ ، ص٢٧٨ .

٣٨ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

استجاب فرناندو الاول الى دعوته ، وهاجم اراضي طليطلة الشمالية ووصل الى وادي الحجارة وقلعة هنارس (قلعة النهر) وعمل فيها الخراب ، فاستشاط المأمون غيظا ، والتمس محالفة غرسية ملك النافار وهو اخو فرناندو الاول ، وبعث اليه بالاموال والتحف ، فأغار غرسيه بقواته على اراضي ابن هود المجاورة له ، فيما بين تطلية ووشقة ، وافتتح منها قلعة قلهرة وذلك عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م ، وقام فرناندو الاول ملك قشتالة مرة أخرى بالاغارة على احواز طليطلة وخربها .

وهكذا استباح الاسبان اراضي المملكتين الاسلاميتين ، بسوء سياسة ابن هود والمأمون ، فانهارت فيها خطوط الدفاع ، وساءت احوال المسلمين وتركوا الثغور فارين بأنفسهم الى القواعد الكبيرة [٣٩] .

سارت سفارات للصلح بين الملكين المتنازعين واظهر ابن هود الرغبة في الصلح، وعلى هذا الاساس صرف المأمون حلفاءه الاسبان الى بلادهم [٤٠] . الا ان ابن هود غدر مرة اخرى ، فخرج بقواته مع سرية من حلفائه الاسبان وهاجم مدينة سالم وقتل معظم المدافعين عنها وسيطر على حصون اخرى ، وكان معه (عبدالرحمن بن اسماعيل ــ اخ المأمون) يدله على الطريق ــ لخلاف وقع بين الاخوة ــ ازاء هذا الامر هرع المأمون بقواته الى مدينة سالم للدفاع عنها ، فانتهز الاسبان حلفاء ابن هود هذه الفرصة فعاثوا في اراضي طليطلة مرة اخرى ، فبعث اهل طليطلة الى فرناندو الاول يسألونه الصلح ، فطلب منهم اموالا كثيرة واشترط شروطا فادحة ، عجزوا عن قبولها ، وبعثوا يقولون له : لو كانت لدينا هذه الاموال ، لانفقناها على البربر واستدعيناهم للدفاع عنا ، فرد عليهم فرناندو ردا يمثل سياسة

٣٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٦٨ ــ ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٣، ص٢٨٠ ــ ٢٨١ .

٤٠ــ ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٣، ص٢٨٠ .

٤١ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس، ص٦٨ ــ عنان ، دول الطوائف، ص١٠٠ .

اسبانيا النصرانية نحو الاندلس أحسن تمثيل[41] ، : « ... امـا استدعاؤكم البرابرة ، فأمر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ، ولاتقدرون عليه ، مـع عدوانهـم لكم ، ونحن قد صمدنا اليكم مانبالي من اتانا منكم ، فانما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها في أول امركم ... وقد نصرنا الان عليكـم برداءتكم ، فارحلوا الى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم ، او يحكم الله بيننا وبينكم »[42] .

وفي الوقت نفسه كانت قوات غرسيه ملك النافار ، وحليف المأمـون تهاجم اراضي الثغر الاعلى وتخرب حصونه وفعل : « فعل اخيـه فردلنـد في نظر ابن ذي النون »[43] .

وهكذا استمرت الفتنة المدمرة بين هذين الملكين ثلاثة اعـوام (٤٣٥ ــ ٤٣٨هـ) ، ولم تنقطع الا بموت سليمان بن هـود (ت ٤٣٨ هـ) فقد كانت فتنة تمثل نموذجاً صارخا لتلك الحـروب والمنافسـات الانتحارية بين ملوك الطوائف[44] .

بعد موت سليمان بن هود قسم مملكة سرقسطة بين أولاده الخمسـة (احمد المقتدر ــ يوسف المظفر ــ محمد ــ لب ــ المنـذر)[45] ، فأدى ذلك الى نزاع بين الاخوة ، بحيث استطاع (احمد المقتدر) ان يضم أملاك اخوته ماعدا (حسام الدولة يوسف المظفر) صاحب لاردة الذي وقف ضـد اطمـاع اخيـه[46] .

٤٢ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٨٢ ــ ارسلان : الحلل السندسية، جـ١، ص٤٤١ .

٤٣ــ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ٣، ص٢٨٢ .

٤٤ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٧٨ ــ ارسلان ، الحلل السندسية، جـ١، ص٤٤١ .

٤٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٤٧ .

٤٦ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ١، ص٢٢٢ .

الا ان احمد المقتدر انتقم من اخيه يوسف المظفر عندما دهمت المجاعة مدينة تطلية فاستغاثت بيوسف وطلبت المؤن ، فرأى يوسف انه لايستطيع ارسال النجدة الى تطلية عن طريق سرقسطة خوفا من غدر اخيه ، ففاوض غرسية ملك النافار وبعث اليه أموالا لكي يسمح بمرور قوافل الميرة عبر اراضيه الى تطليلة ، فوافق الملك الاسباني • فلما علم احمد المقتدر ملك سرقسطة بالامر بعث سرا الى غرسيه نفسه ، يبذل له ضعف اموال اخيه ، الملك الاسباني ، وفتك احمد المقتدر بالقافلة وأبيد معظم رجالها ، واستولى الاسباني على القافلة ، وتركت تطليلة تعاني ازمتها بسبب النزاع بين الاخوين ، وطبيعة أخلاق ملك النافار [٤٧] •

تميز عصر المقتدر بن هود (٤٣٨ ــ ٤٧٤هـ) بسلسلة من الوقائع التي اضطرمت بينه وبين الممالك الاسبانية المجاورة • وكان وقوع مملكة سرقسطة بين الممالك الاسبانية الثلاثة (أرغون ــ النافار ــ قشتالة) يعرضها دائما لهجمات هذه الممالك • وكنتيجة لهذا الامر ، عمل بنو هود على الاستعانة من وقت لاخر بهذه الممالك ويذعنون لها وفقا لمختلف الظروف والاحوال [٤٨] •

ففي عام ٤٥٢/هـ/١٠٦٠م زحف الملك فرناندو الاول ملك قشتالة بقواته على حدود مملكة سرقسطة الجنوبية الغربية ، وسيطر على حصن (غرماج) ، وبعض الحصون الاخرى ، فاضطر المقتدر ان يذعن لهم ويدفع الجزية من اجل الحفاظ على اراضيه [٤٩] •

وفي الوقت نفسه ، كان المقتدر يستمد العون من جيرانه الاسبان لتحقيق مشاريعه العسكرية ، وقد يستمد عون احدهما على الاخر •

٤٧ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٢٣ ــ ٢٢٤ •
٤٨ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٠ •
٤٩ــ ابن عذاري : البيان المغرب جـ٣ ، ص٢٢٨ ــ ٢٢٩ •

ففي عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م هاجم رابيرو الاول ملك اراجون اراضي مملكة سرقسطة ، فاستعان المقتدر بملك قشتالة فرناندو الاول ، فبعث اليه ولده شانجة في بعض قواته ، برفقة القائد (ردريجوديات ــ القمبيطور) [٥٠] فدارت رحى الحرب عند اسوار (جرادوس) انهزم فيها راميرو الاول وقتل، وقد أثار مقتله الشعور النصراني ضد مسلمي الثغر الاعلى وكان من نتائج ذلك مأساة بربشتر سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م[٥١] .

على ان اعظم محنة نزلت بمسلمي الاندلس في عهد المقتدر هي : غزو النورمانيين لمدينة (بربشتر Berbastro) ، التي تقع على بعد ستين كيلومتر شمال شرقي سرقسطة ، وذلك في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[٥٢] ، اعطتنا المصادر الاسلامية تفاصيل مهمة عن هذه الحادثة ، : « ان الفرنج خرجوا من الارض الكبيرة الى الاندلس في جموع كبيرة ليس لها حد ، ولا يحصى لها عدد الا الله ، وانتشروا على ثغور سرقسطة[٥٣] ، وقد غزاها ، على غرة وقلة عدد من اهلها وعدة أهل غاليش (فرنسة) والروذمانون [٥٤] ، وكان

٥٠ــ راجع ، Scott, History of Moorsh Eoorsh Emire, A,p,: 160

٥١ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ،ص٧٥، (ح٤) .

٥٢ــ ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٣، ص٩٦ (مخ) .

٥٣ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٤٠

٥٤ــ الروذمانون : هم الاردمانيون ــ المجوس ــ سكان الدول الاسكندنافية ، ويسمون ايضا (الفيكنج Al-Vikings) اي سكان الخلجان . وفي بداية القرن الرابع الهجري سكن بعضهم ــ بعد ان أعتنقوا النصرانية ــ مقاطعة نورماندى في شمال غربي فرنسة ، والتي حصلوها من شارل الثالث (البسيط ــ ٢٨٠ ــ ٣١١هـ/٨٩٣ ــ٩٢٤م) بعد حروب ومفاوضات طويلة سنة ٢٩٩هـ/٩١١م . وقد غزا بعضهم ايطاليا واتصلوا بالبابوية ، وهناك نصحهم الناس بالاتجاه لحرب المسلمين في الاندلس، فخرجت الحملة التي سيطرت على المدينة المنكوبة .
راجع ، ابن حيان ، المقتبس جـ٢، ص٣٠٧ ، جـ٥، ص٢٤٩ ــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٤٧ (ح) ــ عاشور، اوربا العصور الوسطى ، جـ١، ص٣٣٠ ــ ٣٣١ ــ مؤنس ، غارات النورمانيين على الاندلس ، ص٢٤ ــ اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية ، ص١١١ .

عليهم رئيس يسمى البيطبين»[٥٥]، : «وخرج من اقصى بلاد الروم جيش عظيم ــ ووصل الى صاحب قشتالة ــ وهي دار ملكهم وبها كان البيطين ملكهم»[٥٦] •

ولقد اختلفت المراجع الحديثة حول شخصية قائد الحملة التي ورد اسمه في المصادر الاسلامية باسم (البيطبين ــ البيطين)[٥٧] ، وقد رجحت بعض المصادر الاوربية ان قائد الحملة هو الكونت (بلدوين دي فلاندس) الذي كان وصيا على فيليب الاول ملك فرنسة ، وان قواد الفرق التي عملت تحت قيادته في هذه الحملة هم :

١ ــ جيوم دي مونتروي : حامل شعار البابوية الذي ارسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الايطاليين •

٢ ــ سانشو راميرت : ملك أرغون الذي خلف اباه المقتول راميرو الاول •

٣ ــ الكونت أورخيل : ابن اخي ملك أرغون ، وقائد جيوش قطلونية •

٤ ــ البارون روبرت كرسبين : قائد جيوش جنوبي فرنسا مثل نورمانديا واكيتانيا •

٥ ــ جي جيوفروا : قائد جيوش بواتييه وبوردو [٥٨] •

٥٥ــ البكري ، جغرافية الاندلس واوربا ، ص٩٢ ــ ٩٣ ــ الحميري، الروض المعطار ، ص٤٠ •

٥٦ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٦٩ •

٥٧ــ راجع : ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٦٩ ــ ٧٠ (ح) ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٧ (ح) ــ عنان : دول الطوائف، ص٧٤ •

٥٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٠ ــ ٧١ (ح) •

اشتهر (بلدوين دي فلاندس) في الحروب الصليبية بالمشرق العربي باسم (بغدوين) [٥٩] ، فمن المحتمل ان نفس هذا الاسم قد عرفه الاندلسيون في المغرب العربي وحرفوه الى بيطين [٦٠] .

اغلب الرويات لحديثة تشير الى ان الحملة على بربشتر ، وان كانت فرنسية نورماندية ، الا انها كانت صليبية بشر بها البابا (السكندر الثاني) في ايطالية وافرنسة واسبانيا [٦١] وكان الهدف منها هو انقاذ مملكتي النافار واراجون في شمالي اسبانية من الخطر الاسلامي بمنطقة الثغر الاعلى ، ولاسيما بعد كارثة (جرادوس) التي قتل فيها ملك أرغون راميرو الاول سنة ١٠٦٣م على يد المقتدر بن هود ملك سرقسطة .

سار الجيش الاوربي المؤلف من نحو (عشرة الاف) فارس [٦٢] من فرنسة الى منطقة قطلونية ، تحميه من الخلف مملكة برشلونة الاسبانية [٦٣] ، وقصد اولا مدينة وشقة فحاصرها اياما ، فلم يفلح الجيش المشترك من دخولها ، فسار شرقا الى مدينة بريشتر وضرب حولها الحصار ، في أوائل عام ٤٥٦هـ [٦٤] .

لم يبادر المقتدر بن هود الى انجاد المدينة لانها من اعمال اخيه يوسف المظفر ، ولم يستطع يوسف انجادها ايضا ، فتركت المدينة لمصيرها ، واستمر حولها الحصار اربعين يوما ، واهلها صامدون داخل مدينتهم الحصينة ، وكانت حاميتها تجاهد الاعداء ، والحرب سجالا بين الطرفين ، الى ان اعيت

٥٩ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان : جـ٢ ، ص٣٢١ .
٦٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧١ (ح) .
٦١ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٤٩ .
٦٢ـ البكري : جغرافية الاندلس واوربا ، ص٩٤ يجعل العدد (٤٠ الف فارس) .
٦٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٧٥ .
٦٤ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٥٩ (مخ) ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٢٤ .

المدينة الحيل ، فكانت مأساتها عندما اهتدى الاعداء الى مجرى الماء الذي يروي المدينة(٦٥) فسدوه بصخرة كبيرة وهدموه وانقطع الماء عن المدينة . وازاء شدة الظمأ وشدة الحصار ، طلب اهل المدينة الامان ، الا ان الاعداء رفضوا ذلك وواصلوا هجومهم فدخلوا المدينة عنوة ، وامعنوا في اهلها قتلا وسبيا ، فكان الخطب : اعظم من ان يوصف أو يتقصى (٦٦) .

وتصف لنا المصادر الاسلامية الجرائم التي ارتكبها الأعداء عند دخولهم المدينة المنكوبة(٦٧) ، حيث اعملوا السيف في رقاب أهلها ، وانتهكوا الحرمات امام الناس علنا ، وتخير قواد الاعداء اجمل النساء والبنات واخذوهن سبايا الى بلادهم وهدايا لملوكهم (٦٨) .

بعد سيطرة الاعداء على بربشتر ، وعاثوا فيها فسادا(٦٩) غادروها بعد ان تركوا فيها حامية تتألف من (ألف فارس واربعة الاف راجل) (٧٠) واستقدموا اليها الكثير من النصارى واسكنوهم فيها(٧١) ، وكان لهذه النكبة صدى مؤثر في سائر انحاء الاندلس ، واوقع عامة الناس والعلماء اعباء هذه المأساة على ملوك الطوائف المتنازعين حلفاء الاسبان(٧٢) .

٦٥- راجع عن عيون الماء ومجاريها في اقاليم سرقسطة : العذارى ، نصوص عن الاندلس ، ص٢٤ .

٦٦- ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٩٨ (مخ)

٦٧- ابن غالب : فرحة الانفس ، ص١٧ .

٦٨- راجع التفاصيل : البكري ، جغرافية الاندلس واوربا ، ص٩٤ - ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٤٧ - ابن عذاري ، البيان المغرب، جـ٣ ، ص٢٢٥ - ٢٢٨ - الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٠

٦٩- ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص٦١ .

٧٠- ابن بسام : الذخيرة جـ٣، ص٩٨ - ٩٩ (مخ) - المقري ، نفح الطيب، جـ٤ ، ص٤٥٠ - ٤٥١ .

٧١- عنان : دول الطوائف ، ص٢٧٨ .
ص٨٣ - ٨٤ .

٧٢- ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص١٠١ (مخ) - ابن حزم ، نقط العروس، ص٨٣ - ٨٤

واول من كفر عن ذنبه المقتدر بن هود ، الذي استنفر الناس للجهاد في سبيل الله ، واجتمع من مختلف انحاء الاندلس عدد غفير من المجاهدين ساروا الى الثغر الاعلى لرفع راية الاسلام وتنمية النفوس بالاستشهاد في سبيل الله ، وطلب المقتدر العون من المعتضد بن عباد ملك اشبيلية فبعث له قوة مكونة من خمسمائة فارس بقيادة (معاذ بن ابي قرة) [٧٣] .

أصبحت بربشتر تحت حكم ملك أرغون (سانشو راميرت) بعد رحيل الغزاة ، والذي بدوره ترك فيها حامية بقيادة ابن اخيه (الكونت اورخل) [٧٤] .

سار المقتدر بن هود بجموع المجاهدين صوب بربشتر وضرب حولها الحصار في جمادي الاولى عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، واستبسل المسلمون في استرجاع المدينة المنكوبة ، وقد افلحوا في ذلك بعد ثقب اسوارها ، فغادرها الاسبان مهزومين ، ونشبت بين الطرفين معركة شديدة مزق فيها الاسبان وهلك معظمهم ، واسر من كان بالمدينة من اهلهم ، وحملوا سبايا الى سرقسطة نحو خمسة الاف ، كما غنم المسلمون الف فرس وسلاحا واموالا كثيرة . وكان استرداد بربشتر في ٨ جمادي الاولى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م ، بعد مقتل جميع حاميتها وعلى رأسهم الكونت اورخل ، وبعد استرداد المدينة تلقب ابن هود بالمقتدر [٧٥] ، وبذلك استرجع المسلمون بربشتر : « ... وغسلوها من رجس الشرك ، وجلوها من صدأ الافك »[٧٦] .

٧٣ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٣ .

٧٤ـ ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص٧٣ (ح) .

٧٥ـ الحميري : الروض المعطار ، ص٤١ ــ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٦١ ــ ٦٢ .

٧٦ـ ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٣، ص١٠١ ــ ١٠٢ (مخ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٢٧ .

وفي عام ٤٥٧هـ نفسه ، وبعد استرجاع بربشتر ، خرج فرناندو الاول ملك قشتالة بقواته لمعاقبة المقتدر بن هود الذي تأخر عن دفع الجزيه، ولأنه من جهة اخرى قد وقع الاعتداء على الاسبان في سرقسطة وغيرها من بلاد مملكته ، ويبدو ذلك بسبب مأساة بربشتر ، وقتل منهم الكثير .

عاث فرناندو الاول فسادا في اراضي مملكة سرقسطة الجنوبية ، واحرق المزارع والقرى ، واشرف في غزوته المدمرة على ظاهر بلنسية [٧٧] .

ولما توفي فرناندو الاول عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥ خلفه ابنه (شانجة) في ملك قشتالة ، وفي حقوق الجزية على مملكة سرقسطة . فحاول الملك الجديد ان يتدخل في امور مملكة سرقسطة ، وبعث اليها قواته في عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م وحاصرها للحصول على الجزية المطلوبة ، وكان يقود الجيش القشتالي (القمبيطور) ، فاضطر المقتدر بن هود ان يبعث اليه مقادير كبيرة من الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، والاقمشة الفاخرة ، التي وزعها القائد القشتالي بدوره على اتباعه ، وبذلك رفع الحصار عن سرقسطة . لقد كان لخضوع المقتدر هذا لملك قشتالة ودفع الجزية له ، اثر سيء على نفسية شعب مملكته ، فقد حاول بعض الصالحين ان يعظ المقتدر ويذكره بأمور الشرع الاسلامي ، من حيث عدم دفع الجزية للاسبان، فاستشاط المقتدر غضبا وامر بقتله [٧٨] .

ولما خلص عرش قشتالة للفونسو السادس ، عاد يطالب مملكة سرقسطة بالجزية التي كانت لاخيه (شانجة) ، وكان يطالب بها ايضا (سانشو راميرث) ملك اراجون والنافار . وكان المقتدر بن هود يؤدي الجزية من قبل الى سانشو راميرث ملك النافار ، ويستعين في محاربة اخيه يوسف المظفر صاحب لاردة بجنود من النافار والقطلان ، واستمرت بينهما

٧٧- ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٥٢ - ٢٥٣ .

٧٨- ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ٣، ص٢٢٩ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٧١ - ١٧٢ .

المعارك حتى انتهت بهزيمة يوسف واسره ، ويبدو ذلك في عام ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م ، وسجن المقتدر اخاه يوسف في حصن منتشون حتى توفى عام ٤٧٥هـ[٧٩] ولما لم يستطع المقتدر بن هود ارضاء ملوك الاسبان المطالبين بالجزية ، استعان بخدمات (القمبيطور) ، وكان انذاك قد ساءت العلاقة بين الفونسو السادس وقائده فأقصاه عن بلاطه في عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١م [٨٠] ، الذي عرض خدماته على ملك سرقسطة فرحب به المقتدر وبرجاله البالغين ستين فارسا ، وضمهم الى جيشه[٨١] .

ان خضوع المقتدر بن هود لملوك الاسبان ودفع الجزية لهم ، واستعانته بخدمات القمبيطور من ناحية ، ووقوع مملكة سرقسطة بين الممالك الاسبانية من ناحية اخرى ، جعلت ملوك بني هود يتبعون سياسة التسامح الديني مع النصارى في منطقة الثغر الاعلى ، وقد شجع هذا التسامح راهبا فرنسيا ان يكتب رسالة الى المقتدر بن هود يدعوه فيها الى اعتناق النصرانية وبعثها مع راهبين من زملائه ليوضحا للمقتدر تعاليم الدين المسيحي ومزاياه. وقد استقبل المقتدر الرسولين برفق وكياسة ، وعهد الى الفقيه (ابو الوليد الباجي) الرد عن لسانه على الراهب يفند فيه ما جاء في الرسالة ، ففند الباجي بعض مزاعم الدين المسيحي ، وألوهية المسيح ، وشرح تعاليم الاسلام بوضوح ، ودعا الراهب الى اعتناق الاسلام ، وبين له معجزة القرآن وروعته ، ودلل بجدارة على سماحة التعاليم الاسلامية[٨٢] .

٧٩- عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٠ - ٢٨١ .

٨٠- لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٧٧ وبعدها -
Cambridge Medieval History, 5, p: 390-400.

٨١- لين بول ، العرب في اسبانيا ، ص١٧٨ وبعدها .

٨٢- ورد نص الرسالة في : ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٣ ، ص٢٨٩ (مخ) - هارون ، نوادر المخطوطات ، جـ٣ ، ص٢٣١ - ٢٣٤ . وجاء الرد في مجلة الاندلس العدد ١٧ عام ١٩٥٢ .

توفى المقتدر عام ٤٧٤هـ او ٤٧٥هـ [٨٣] بعد ان قسم الامارة بين ولديه ، فخص ولده الاكبر (يوسف المؤتمن) سرقسطة واعمالها وخص ولده الاصغر (المنذر) شرقي الامارة (لاردة طرطوشة ودانية) . وكان من جراء هذه السياسة قيام الحرب الاهلية بين الاخوين واستعانة كل منهما بالاسبان ، فاستعان يوسف المؤتمن بصديق ابيه القمبيطور وبجيشه من المرتزقة القشتاليين واما المنذر ، فكان في البداية من ألد أعداء القمبيطور ، فاستعان بسانشو راميرث ملك أرغون وبـ(رامون برنجير الثاني) ملك برشلونة .

وقعت اول معركة بين الاخوين عند قلعة المنار قرب لاردة ، وكان المؤتمن قد حصن هذه القلعة وشحنها بالرجال ، فلما شعر المنذر بخطر هذه القلعة على املاكه ، سار بقواته وقوات ملك برشلونة وقوات بعض صغار امراء الفرنج في شمالي قطلونية وحاصروا القلعة ، فتصدى المؤتمن تعاونه قوات القمبيطور، لقوات اخيه وحلفائه ، ووقعت بين الطرفين معركة انهزم فيها المنذر ، واسر ملك برشلونة وذلك في عام ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م / [٨٥] ، وقد عملت هذه الحادثة على علو مكانة القمبيطور في بلاط سرقسطة الذي اصبح مستشاره المؤتمن في كل الامور .

حاول يوسف المظفر سجين منتشون التحرر من سجنه والعودة الى الحكم بالتعاون مع حاكم قلعة روطة [٨٦] ، وبمساندة الفونسو السادس ملك قشتالة ، الذي سار بدوره الى حصن روطة وحاصرها ، وصادف ان توفى

٨٣- ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٧٤ - ١٤٨ - ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٢٩ .

Pidal, The cid and his Span, p: 183.

٨٤- راجع ،

٨٥- ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٢٩ - ارسلان ، الحلل السندسية ، جـ٣، ص٥٣ .

٨٦- قلعة روطة ، تقع شمالي منتشون على نهر الزيتون ، وهي غير مدينة روطة المشهورة بروطة اليهود : السامرائي : الثغر الاعلى الاندلسي، ص٣٥٦ .

يوسف المظفر فجأة ، فعدل حاكم القلعة عن مشروعه ، فلما بعث الفونسو السادس وفدا الى حاكم القلعة برئاسة (الانفانت راميرو ـ امير النافار) لتسلم القلعة ، وما كادوا يدخلون القلعة حتى انهال عليهم وابل من الصخور فقتلوا جميعا ، فاستشاط الفونسو السادس غضبا وعاد مخذولا وهو مصمم على الانتقام[٨٧] .

وكان القمبيطور وقتذاك في منطقة تطيلة غربي سرقسطة ، فلما علم بهذا الحادث هرع بقواته الى الفونسو السادس يقدم عزاءه ، ويلتمس العفو ، والسماح له بالعودة الى خدمته ، فعفا عنه الفونسو وسار معه الى قشتالة ، ولكن لم يطل به المقام ، حيث رجعت الهواجس القديمة للفونسو السادس تجاه قائده ، فغادر القمبيطور قشتالة وعاد الى سرقسطة مستشارا في بلاط المؤتمن الذي احسن استقباله[٨٨] .

تعاون القمبيطور والمؤتمن معا في محاربة مملكة أراجون ، فخرجا بقواتهما وعاثا في اراضيها فسادا ، ثم رجعا الى حصن منتشون[٨٩] . وكان القمبيطور سريع الحركة في هذه الغارة ، حتى انه قطع مسافات بعيدة في خمسة ايام ورجع بغنائمه قبل ان يشعر به نصارى أراجون . ورد ملك أراجون (سانشو راميرت) على هذه الغارة باستيلائه على (حصن جرادوس) وغيره من حصون الحدود وذلك في عام ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م . ومن الجانب الاخر ، تحالف المنذر ـ اخو المؤتمن وخصمه ـ مع ملك أرغون ، وسار في قواتهما لمحاربة القمبيطور ، والتقى الخصمان في أحواز (موريلا على

٨٧ـ مؤنس : الثغر الاعلى الاندلس في عصر المرابطين ، ص١٠٣ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٥ .

٨٨ـ Cambridge medieval history, 5, p: 401.

٨٩ـ Pidal, Opt.cit., p: 181.

مقربة من طرطوشة) ، انهزم المنذر وحليفه ملك أرغون ، واستولى القمبيطور على مافي معسكرهما من متاع ورجال[٩٠] .

وبذلك علا شأن القمبيطور في بلاط ملك سرقسطة ، وغدا جيشه الصغير قوة يحسب حسابها ، بل غدا كأنه يفرض بمساعداته هذه على سرقسطة نوعا من الحماية ، وكان ملك سرقسطة لايبرم امرا من اعمال الحرب والسياسة دون مشورته [٩١] .

ونظرا لهذه المكانة التي وصل اليها القمبيطور في بلاط سرقسطة ، فقد هاجم ابن بسام بني هود وحملهم مسؤولية بغيه وبطشه في بلاد الاندلس[٩٢] ولما توفي المؤتمن عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م خلفه ولده المستعين في حكم سرقسطة[٩٣] . فالتحق القمبيطور في خدمته ، واستمر على نفوذه ومكانته العالية في بلاط سرقسطة [٩٤] .

٣ ـ علاقات مملكة اشبيلية بالممالك الاسبانية :

يمتاز عهد القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد (ت عام ٤٣٣هـ / ١٠٤٢م) بالقوة والحزم ومجاهدة الاسبان في غربي الاندلس (منطقة البرتغال) ، وقد كان على قوات اشبيلية ان تجتاز اراضي مملكة بطليوس عندما تذهب لمحاربة الاسبان . الا ان الخلاف كان مستمرا بين هاتين المملكتين الاسلاميتين بسبب سيطرة بني الافطس ملوك بطليوس على مدينة (باجة)، وكان من جراء ذلك حروب مستمرة بدأت عام ٤٢١هـ ، وتجددت عام ٤٢٥هـ

٩٠ـ لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨١ ـ ١٨٢ ـ عنان : دول الطوائف، ص٢٨٦ .

٩١ـ عنان : المرجع السابق ، ص٢٨٦ ـ احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، ص٢٣ ـ

٩٢ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٤٦ ـ ٤٧ ـ ارسلان : الحلل السندسية، جـ٣، ص٧٥ .

٩٣ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٧ .

٩٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٣٥ .

/ ١٠٣٤م عندما خرج(اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عباد) الى أرض الاسبان في غربي الاندلس بتحالف مع (عبدالله بن الافطس) ، فلمـا رجعت قوات اشبيلية عن طريق مملكة بطليوس خرجت عليها قوات ابن الأفطس في قوة كبيرة ففر اسماعيل مع فلوله الى مدينة (اشبونه ــ لشبونه) وتحصن بها مدة ، وقد أسر معظم عسكره ، وفتك بهم ابن الافطس ، كما فتك الاسبان بكثير منهم ، وقد كانت هذه الحادثة سببا للعداوة بين المملكتين لفتـــرة طويلـــة (٩٥) .

اثناء الغارات التي قام بها القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد على غربي الاندلس ، وبالذات على منطقة قلمرية ، وقع بيده من جملة الاسـرى فتـى نصراني اسمه (سنندو دافيدس ــ ششنند) ، فرباه ابن عباد في قصره مع بقية الفتيان ، وظهرت مواهبه في عهد المعتضد (٩٦) ، وستكون له ادوار مهمة فيما بعـــد .

بعد ان استتب الامر لفرناندو الاول ملك قشتالة وليون ، واصـــل هجماته على ممالك الاندلس الاسلامية من اجل اخضاعها والسيطرة عليهـا ، أو على الاقل يرهقها بمطالبيه في دفع الجزية . ففي عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م غزا فرناندو الاول اراضي مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية ، فاضطر المعتضد بن عباد الى طلب الصلح وتعهد بدفع الجزية ، فسار بنفسه الى معسكر الملـك الاسباني وقدم تعهداته . فطلب ملك قشتالة من المعتضــد ان يسلمــه رفات القديسة (خوستا شهيدة اشبيلية) (٩٧) فوعده المعتضد بتحقيق رغبته (٩٨)

٩٥ــ ابن بسام : الذخيرة ، ق٢، مج١، ص١٣ ــ ابن عذارى ، البيان المغرب، جـ٣، ص٢٣٠ .

٩٦ــ عنان : دول الطوائف ، ص٥٨ .

٩٧ــ القديسة خوستا ، ماتت ايام الامبراطور دقلديانوس ودفنت في اشبيلية . عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٤ .

٩٨ــ صلاح خالص ، اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص١٣١ .

ولانجاز هذه المهمة ارسل الملك الاسباني بعثة من أكابر رجال الدين لنقل الرفات ، ولكن البعثة لم تهتد الى القبر ، وعندها زعم احد اعضاء البعثة وهو الاسقف (الفيتوس Alvitus)[99] بان القديس (اسيدورو من اساقفة اشبيلية ايام القوط) اخبره ان رفات القديسة يجب انه يبقى في مكانه لحماية اشبيلية ، وطلب منه ان يحمل رفاته هو ، وارشده على مكانه ووجد بالفعل رفات هذا القديس [100] ، فحمل الى ليون ودفن هناك باحتفال ضخم في الكنيسة التي سميت باسمه (كنيسة القديس اسيد ورو) ، وقد تم ذلك عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م [101] .

وقد اخبرتنا بعض الروايات ان سبب موت المعتضد بن عباد عام ٤٦١هـ ١٠٦٩م بسبب ثياب ارسلها اليه ملك الروم (دون تحديد من هذا الملك)[102] . قبيل وفاة فرناندو الاول قسم المملكة النصرانية بين أبنائه الخمسة ، وقد ادى هذا الامر الى النزاع بين الاخوة ، وانفراد شانجة بالحكم ، وهروب الفونسو السادس الى طليطلة ، وهروب غرسيه ملك جليقية الى اشبيلية والتجائه عند مليكها المعتمد بن عباد في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م .

ولما قتل شانجة الولد الاكبر في عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م بمؤامرة دبرتها اخته اوراكا وأخوها الفونسو السادس [103] ، رجع الفونسو من طليطلة الى بلاده ، كما رجع غرسيه من اشبيليه الى بلاده ، وهناك تخلص منه الفونسو

٩٩- الفيتوس : اسقف مدينة ليون ويسمى ايضا البيطس ، وقد مات أثناء سفارته هذه عام ١٠٦٣م . - ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٠ (ح)

١٠٠- تبدو مسحة الاسطورة على هذه الرواية .

١٠١- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٠ (ح) - عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٤ .

١٠٢- المراكشي ، المعجب ، ص١٥٧ .

١٠٣- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥١

السادس سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م • وبذلك اصبح ملكا لجليقة وليـون ، وعادت المملكة الاسبانية الى وحدتها كما كانت في عهد أبيه[١٠٤] •

كشف الفونسو السادس عن حقيقة امره للملوك الطوائف ، وعـزم على طردهم من جزيرة الاندلس ، مستغلا الخلافات المدمرة فيما بينهم ، كما انه قرر مواصلة الهجوم على اراضي الممالك الاسلامية حتى يسترجعها ويطرد ملوكهـــا [١٠٥] •

وتحدثنا بعض الروايات بان الفونسو السادس اراد ان يعرب عـن عرفانه للمأمون بن ذي النون ملك طليطلة ، وذلك بان اعانه في حربه ضـد المعتمد بن عباد وامده ببعض قواته ، وسار معه الى قرطبة وعاث في أحوازها ، واستطاع المأمون بذلك ان يستولى على قرطبة [١٠٦] •

وفي عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م سار الفونسو السادس الى اشبيلية وغرناطـة ومعه وزيره النصراني المستعرب ، (ششنند) مطالبا بالجزية ، فرفض ملك غرناطة دفعها [١٠٧] فانتهز المعتمد بن عباد الفرصة فبعث وزيره المشهور محمد ابن عمار المهري[١٠٨] الى الفونسو السادس وعقد معه حلفا ــ ويبـدو مـن الان اشتهار ابن عمار بسفاراته الى ملوك الاسبـان وذاع صيتـه في سائـر بلاد الاندلس ، حتى ان الفونسو السادس يقول عندما يذكر ابن عمار : هو رجل الجزيرة[١٠٩] ــ دفع مقابل عقـده خمسين الف دينار ، ويقضي هـذا

١٠٤ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٤٢ (ح) ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٩٤ •

١٠٥ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ ــ ٧٨ ــ عبدالبديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص٩ •

١٠٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٨ (ح٢) ــ عنان : دول الطوائف ، ص٩٣٤ •

١٠٧ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٦٩ •

١٠٨ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٣١ •

١٠٩ــ المراكشي : المعجب ، ص١٧٨ •

الحلف بان يتعاون المعتمد والفونسو السادس على افتتاح غرناطـــــــة وان تكون المدينة ذاتها للمعتمد ، وأن تكون ذخائر القلعة الحمراء للملـك الاسباني ، وقد ظهر اثر هذه المعاهدة على الفور ، اذ عمـد الاسبـان الـى تخريب بسائط غرناطـــة ولا سيما اراضي مرجها الشهير Lavega [110] .

اشتهر ابن عمار كوزير وصديق حميم للمعتمد بن عباد ملك اشبيلية ، وكلفه باهم المهمات ، ولاسيما السفارات الى الاسبان ، اضافة الـى احتـلال الحصون والمدن المجاورة من ملوك الاندلس الاخرين . ومن اهم المشاريـع التي قام بها ابن عمار استيلاؤه على مدينة مرسيه (تدمير) باسم ابن عباد ، وكانت حدود مملكة اشبيلية قد امتدت ـ بعد سيطرة المعتمد بن عباد ، على قرطبة وجيان ـ حتى نهر شقورة ومدينة لورقة القريبة من مرسيـة [111] . وكانت مرسيه تحت حكم آل طاهر القيسيين (ابو عبدالرحمن بن طاهـر ٤٥٥ ـ ٤٧١ / ١٠٦٣ ـ ١٠٧٨م) [112] ، فاشار ابن عمار على المعتمـد السيطرة عليها ، [113] رغبة منه في الحصول على امارتها ، اضافة الى دعوة الكثير من اهل مرسية للمعتمد بن عباد يشجعونه على فتح المدينة ، ويؤكدون له ضعف وسائلها الدفاعية [114] .

قرر المعتمد السيطرة على مرسية ، وعهد بالمهمة الى وزيره ابن عمار ، الذي سار بدوره الى مرسية ونزل عند اميرها ابن طاهـر ، فدرس احوال المدينة واتصل سرا ببعض الزعماء الناقمين على ابن طاهر ، ثم واصل الوزير سيره الى امير برشلونة (راموند برنجير الثاني) وعقد معه اتفاقا على ان يؤدي

١١٠ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١٤٣ ـ اشبـاخ : تاريـخ الاندلس ، ص٥٦ .
١١١ـ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٩ .
١١٢ـ المراكشي : المعجب ، ص١٨٠ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٠١
١١٣ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٠ .
١١٤ـ ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص١٢٣ ـ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٦٠ .

له المعتمد عشرة الاف مثقال من الذهب لقاء معاونته على فتح مرسية ، وان يقدم كل من الطرفين الى الاخر رهينة لتوثيق العهد ، فقدم المعتمد ولده الرشيد ، وقدم ملك برشلونة ابن اخيه (١١٥) .

بعث المعتمد بن عباد قسما من قواته الى مرسية بقيادة ابن عمار تساندها قوة اسبانية تابعة لملك برشلونة ، وحاصروا المدينة ، وفي اثناء ذلك تأخر المعتمد عن اداء المال المتفق عليه الى ملك برشلونة الاسباني ، فارتاب في الامر واعتقد انه قد غرر به ، فسحب قواته من مرسية وقبض على ابن عمار والرشيد ، فلما علم المعتمد بهذا الامر احتجز ابن اخي ملك برشلونة وقيده بالاصفاد ، ثم جرت المفاوضات بين الطرفين ، فدفع المعتمد المال المتفق عليه لملك برشلونة ، فأفرج بدوره عن الرشيد وابن عمار ، وافرج المعتمد عن الامير الاسباني وانصرف الى بلاده(١١٦) .

سحب المعتمد قواته من مرسية ، الا ان الوزير ابن عمار واصل حثه للمعتمد ورغبه في السيطرة على مرسية ، فجهز المعتمد حملة جديدة بقيادة وزيره وعينه حاكما لمرسية وسائر البلاد التي يسيطر عليها . وقد عاونت الوزير في حملته هذه قوات من قرطبة امده بها حاكمها الفتح بن المعتمد ، كما عاونه عبدالرحمن بن رشيق حاكم حصن يلييج (Velez Rubio) الذي عهد اليه الوزير مهمة فتح مرسية ، وقد أفلح في عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م وقبض على ابن طاهر وسجنه ، وعندها سار ابن عمار الى مرسية وتولى ادارتها (١١٧) .

سار المعتمد بن عباد على نهج ابيه في دفع الجزية للملوك الاسبان والاستعانة بهم في حربه ضد اخوانه من ملوك الطوائف ، وبعد سيطرة

١١٥- اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٥١ .
١١٦- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٢٠ - ١٢٢ .
١١٧- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٢٣ - ١٢٤ - المراكشي، المعجب، ص١٨٠ - ١٨١ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام، ص١٦٠ - ١٦١ .

الفونسو السادس على عرش قشتالة اخذ يرسل في كل عام رسله الى اشبيلية لاخذ الجزية من ملكها ، ففي عام ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م كان رسول ملك قشتالة الى بلاط المعتمد هو الفارس القشتالي (القمبيطور) [١١٨] ، وصادف اثناء وصوله الى بلاط المعتمد ، ان قوات الامير عبدالله ملك غرناطة كانت تهاجم أراضي اشبيلية مع فرقة من الفرسان الاسبان بموجب معاهدة الصداقة التي عقدها صاحب غرناطة مع الفونسو السادس عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م ، فطلب رسول ملك قشتالة من الاسبان الكف عن مهاجمة اراضي ابن عباد تحقيقا لمقتضيات الصداقة [١١٩] التي يكنها الفونسو السادس لصديقه ملك اشبيلية ، فلم يلق طلب رسول ملك قشتالة أذانا صاغية من مواطنيه الاسبان، فحاربهم ببعض قواته وأوقع بهم الهزيمة ، فسر المعتمد لهذا العمل غاية السرور وادى اليه عدا الجزية المطلوبة طائفة كبيرة من التحف والهدايا تعبيرا عن ولائه لملك قشتالة [١٢٠] .

. تولى الوزير ابن عمار امر مرسية عام ٤٧١هـ فحاول الاستقلال بها عن مملكة اشبيلية ، الا ان صاحبه عبدالرحمن بن رشيق اجهض مشروعه هذا ، ففر ابن عمار الى بلاط الفونسو السادس وشكا للملك الاسباني غدر ابن رشيق به وطلب منه العون في استرجاع امارته [١٢١] . الا ان مقامه لم يطل في بلاط الفونسو السادس ، لان عبدالرحمن بن رشيق استمال ملك قشتالة بالهدايا والتحف ، فتغير قلب الملك الاسباني على ابن عمار [١٢٢] ،

١١٨ـ مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص٤٨ .
١١٩ـ ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٣، ص٥٣ ـ طرخان، المسلمون في اوربا ، ص٢٤٢ .
١٢٠ـ عنان : دول الطوائف ، ص٧٢ ، ٢٣٣ ـ مؤنس ، السيد القمبيطور، ص٤٩
١٢١ـ ابن بسام : الذخيرة، جـ٢، ص٢٦٠ ـ الامير عبدالله ، كتاب التبيان، ص٨٠ ـ ٨١ .
١٢٢ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٦ .

الذي غادر قشتالة ولجأ الى سرقسطة عند ملكها (المقتدر بن هود) الـذي استخدمه في بلاطه • وبعد وفاة المقتدر (٤٧٤ أو ٤٧٥هـ) انحاز ابن عمـار الى خدمة المؤتمن [١٢٣] (صاحب سرقسطة وغربي الامارة) ، وتسلم زمام الوزارة وهناك بدأت اطماعه في السيطرة والامارة • اثناء تواجده في سرقسطة في خدمة ملكها المؤتمن ، ثار احد الولاة في احد الحصون المنيعة ـ وكانـت هناك معرفة بينه وبين ابن عمار ـ فتعهد ابن عمار للمؤتمن باستنزال المنتزى وارجاعه الى الطاعة • فسار ابن عمار الى عامل الحصن الذي لم ير بأسا من صعوده مع رجلين من خاصته للمعرفة السابقة بينهما ، وهنا أوعز ابن عمـار للرجلين بوجوب قتل الثائر حتى لو أدى الامر الى قتله هو (اي ابن عمار) فتمت المؤامرة بنجاح وقتل الثائر ، فتولى ابن عمار ولاية هذا الحصن[١٢٤] • الا ان اطماع ابن عمار ، اوقعتـه فريسـة سهلـة بأيدي (ابراهيـم وعبـد الجبار ابني سهيل احد عبيد علي بن مجاهد العامري)[١٢٥] ، حاكمـا حصـن شقورة بعد موت سراج الدولة بن علي عام ٤٦٩هـ [١٢٦] ، حيث ازعجهـم واحقدهم ابن عمار عندما كان واليا على مرسية [١٢٧] •

وضع الاخوان شراك المؤامرة بان عرضوا حصنهم على ملوك الطوائف، فرغب المؤتمن بن هود الذي عهد الى ابن عمار شراء هـذا الحصـن بالمال او بالحيلة وسير معه قوة من جيش سرقسطة ، فلما وصل ابـن عمار الـى الحصن دعاه الاخوان الى الدخول ، فلما انتهى ابن عمار الى درج ضيق في الحصن ، قبض عليه وشد وثاقه وذلك في عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م • فلما علـم المعتمد بهذا الامر، ارسل ابنه (يزيد الراضي) الى صاحبى الحصـن ،

١٢٣ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٧٢ •
١٢٤ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٨ ــ ١٤٩ •
١٢٥ــ المراكشي : المعجب ، ص١٨٦ يجعل حاكم الحصن باسم (ابن مبارك) •
١٢٦ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٤، ص١٦٥ •
١٢٧ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٥٠ •

واعطاهما ما طلبا فسلموا اليه الحصن والاسير ، الذي اقتيد الى قرطبة بصورة مزرية وهناك قتله المعتمد بطريقة وحشية عام ٤٧٧هـ[١٢٨] ، وفي رواية عام ٤٧٩هـ [١٢٩] .

وكان من جملة الاسباب التي ادت بالمعتمد الى قتل صاحبه ووزيره بهذه الصورة هو غرور ابن عمار بنفسه ، اضافة الى تعاونه مع الاسبان وتأثيره الكبير على الفونسو السادس مستغلا سفاراته اليه ، عندما يرسله المعتمد حتى كان ملك قشتالة يذكره باعجاب ، ويسمع الى نصحه وقد اثناه ابن عمار في احدى المرات عن مهاجمة اشبيلية وقرطبة بخدعة ذكية [١٣٠] .

خضع المعتمد بن عباد للفونسو السادس ـ كما بينا ـ ، ويبدو انه شعر بتأنيب الضمير على هذا الخضوع للاسبان ، وخاصة بعد هروب وزيره ابن عمار والتجائه الى بلاط الفونسو السادس وبلاط بني هود ، وعليه فقد حدد المعتمد موقفه من سفارة الفونسو السادس عام ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م ، والتي ستكون بداية التفكير الحقيقي في استدعاء المرابطين .

ارسل الفونسو السادس سفارته برئاسة (ابن شاليب اليهودي) وبصحبته عدد من فرسان قشتالة ، الى المعتمد بن عباد في عام ٤٧٥هـ /١٠٨٢م من اجل تسليم الاموال التي تعهد المعتمد بتأديتها الى ملك قشتالة [١٣١] ، كما سألت السفارة المعتمد السماح لزوجة الفونسو ان تلد في مسجد قرطبة

١٢٨ـ ابن بسام : الذخيرة، جـ٢، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص٩٩ ـ ابن الابار، الحلة السيراء، جـ٢، ص١٥٠ ، ص١٥٨ ـ ١٦٠ .

١٢٩ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص٥٣ ـ المراكشي ، المعجب، ص١٨٦ ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص١٤٣ .

١٣٠ـ المراكشي ، المعجب ، ص١٧٨ وبعدها .

١٣١ـ ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص٢٤٤ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٧٣ .

الجامع حسب اشارة القساوسة والاساقفة ، كما سألوا ان تنزل الزوجة في مدينة الزهراء حسب اشارة الاطباء (١٣٢) .

ارسل المعتمد المال مع بعض اشياخ المدينة برئاسة وزيره (ابو بكر بن زيدون)(١٣٣) ، فرفض السفير تسلم المال بحجة انه من عيار زائف، وهدد باحتلال حصون ومدائن مملكة اشبيلية ، اذا لم يتم دفع المال من العيار الحسن (١٣٤) . فلما علم المعتمد بالامر بعث رجاله فقبضوا على السفير ومن معه من الفرسان ، وقد جرت مقابلة عنيفة بين السفير والمعتمد أدت الى مقتل السفير ، كما القى القبض على الفرسان الاسبان وزجوا في السجن (١٣٥) . فلما علم الفونسو السادس بالامر تلطف مع المعتمد من اجل اطلاق السجناء ، فرد عليه (حصن المدور) القريب من قرطبة ثمنا لاطلاق سراحهم (١٣٦) ، الا انه من ناحية اخرى أقسم ان ينتقم من المعتمد ، وان يخرب اراضي مملكة اشبيلية كلها حتى يصل الى مضيق جبل طارق (١٣٧) .

حشد الفونسو السادس جيشا كبيرا من الجلالقة والقشتاليين والبشكنس ، وقسمه الى قسمين ، جعل على احدهما احد قواده ، وأمره بالسير الى كورة باجة في غربي الاندلس ، ثم يواصل سيره الى لبلة واشبيلية، وضرب له موعدا للقاء عند (طريانه) . ثم سار الفونسو على رأس الجيش الثاني فسلك طريقا غير طريق قائده (١٣٨) .

١٣٢ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٣٠ ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص٨٤

١٣٣ـ هو ابن الشاعر المشهور ابو الوليد بن زيدون الذي توفي عام ٤٦٣هـ .

١٣٤ـ ابن خلدون العبر ، جـ٤ ، ص١٥٨ ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص٧١ ـ ٧٢

١٣٥ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٤٨ السلاوي، الاستقصا، جـ٢، ص٣٤ .

١٣٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص٧٣ .

١٣٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٣١ .

١٣٨ـ الطيبي ، واقعة الزلاقة ، ص١١ ـ ١٢ .

عاثت الجيوش الاسبانية فسادا في املاك المسلمين خلال سيرها حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم ، قبالة قصر ابن عباد ، فاقاموا هناك .

وخلال ذلك كتب الفونسو للمعتمد رسالة جاء فيها : « كثر بطول مقامي في مجلس الذبان ، واشتد على الحر ، فألقنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي ، واطرد بها الذباب عنى ، فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر المرقعة : قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك ، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية [١٣٩] . في ايدي الجيوش المرابطية ، تروح منك ، لاتروح عيك ان شاء الله. فاما ترجم لابن فردلند توقيع ابن عباد في الجواب ، اطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال »[١٤٠] .

وبعد ان حاصر ملك قشتالة اشبيلية ، عاث في اراضي شذونة ، ثم انحدر جنوبا [١٤١] ، وهو يخرب كل ما يقع في طريقه حتى وصل الى مدينة طريف ، فوقف على شاطىء بحر الزقاق والموج يضرب قوائم فرسه ، والمعتمد طيلة هذه المسيرة المخربة يلتزم الدفاع[١٤٢] .

ان وصول الملك الاسباني بجيشه الى مضيق جبل طارق ، مخترقا الاندلس من اقصاها الى اقصاها يمثل لنا أصدق تمثيل حالة الضعف والجبن الذي وصل اليه ملوك الطوائف المتخاذلون ، حيث لم يحركوا ساكنا امام هذا الهجوم الكاسح ، الذي كان البداية الحقيقية لاسترداد الاندلس الاسلامية . وخلال ذلك كان معظم ملوك الاندلس المسلمين يؤدون الجزية

١٣٩ـ الجلود اللمطية : نسبة الى مدينة لمطة بالمغرب وهي بلدة عند السوس **الاقصى : ابن عـذاري : البيان المغرب** ، جـ٤ ص١١٤ ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ص٩١ .

١٤٠ـ **الحميري : الروض المعطار** ، ص٨٥ ـ راجع ، ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٤، ص١٣١ .

١٤١ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢، ص٣٢

١٤٢ـ ابن بسام ، الذخيرة، ق٤، جـ١، ص١٣١ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص٩٢ .

الى ملك قشتالة ويتوددون اليه بانفس الهدايا والتحف ، من اجل حمايتهم ، او معاونة احدهما ضد الاخر من اجل استرداد عرش مسلوب او السيطرة على بعض القلاع والحصون (١٤٣) .

وقدم لنا ابن الكردبوس صورة واضحة لموقف ملوك الطوائف من الفونسو السادس حيث قال : « ... وخلص الملك للفنش بن فردلند ، واستبد به ، واستفحل امره ، واستحكم في المسلمين طمعه . وصح في قياسه الفاسد ان يستخلص جزيرة الاندلس لنفسه ، فلم ينم عن شن الغارات ومواصلة الغزوات . وصادف ايام ملكه نفاقا كثيرا بين المسلمين واختلافا عظيما ، وضعف بعضهم عن بعض الا بمعونة الروم ، فبذلوا للفنش ما يحبه من الاموال ليعينهم على مناوئهم بانجاد الرجال ، واللعين في اثناء ذلك لما بينهم من الفتنة مسرور ، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمور ، واقتناء القيان ، وركوب المعاصي وسماع العيدان ، وكل واحد منهم يتنافس في شراء الذخائر الملوكية ، متى طرأت من المشرق ، كي يوجهها الى الفنش هدية ، ليتقرب بهاليه ، ويحظى دون مطالبة لديه ، الى ان ضعف من اولئك الثوار الطالب والمطلوب ، وذل الرئيس والمرؤوس ، وافتقرت الرعية ، وفسدت أحوال الجميع بالكلية ، وزالت من النفوس الانفة الاسلامية ، واذعن من بقي منهم خارج الذمة الى اداء الجزية ، وصاروا للفنش عمالا يجبون له الاموال لايخالف امره احد ، ولايتجاوز له حد . ووكلوا امور المسلمين الى اليهود ، فعاثوا فيهم عيث الاسود ، وجعلوهم حجابا ووزراء وكتابا . وتطوف الروم في كل عام على الاندلس يسبون ويغنمون ويحرقون ويهدمون ويأسرون »(١٤٤) .

١٤٣ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٣١١ ـ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٠١ .

١٤٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٦ ـ ٧٨

وبعد هذه الحملة المدمرة لملك الاسبان ، فكر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية جديا في استدعاء المرابطين الى الاندلس .

٤ ـ علاقات مملكة بلنسية بالممالك الاسبانية :

خضعت بلنسية للفتيان العامريين في بداية الفتنة ، فحكمها (مظفر ومبارك) الفتيان العامريان ، وانتهى حكمهما عام ٤٠٨هـ / ١٠١٧م [١٤٥] ، فتولى امر بلنسية بعدهما (لبيب العامري) صاحب طرطوشة ، وشاركه في حكمها مجاهد العامري ملك دانية والجزائر الشرقية ، ثم وقع الخلاف بينهما ، وسخط اهل بلنسية على لبيب ، الذي قوى اواصر الصداقة مع ملك برشلونة الاسباني (رامون بريل الثالث) ، وفسح له مجال التدخل في شؤون بلنسية بصورة واضحة ، فثار عليه اهل بلنسية ، ففر لبيب الى طرطوشة [١٤٦] ، وتولى مجاهد العامري حكم بلنسية ، الى ان عقدت البيعة لعبد العزيز بن عبدالرحمن شنجول وعين ملكا لبلنسية [١٤٧] وذلك في عام ٤١١هـ / ١٠٢١م عندما استقر المنصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن (٤١١ ــ ٤٥٢هـ/ ١٠٢١ ــ ١٠٦١م) في حكم بلنسية [١٤٩] ، وسع نفوذه على المرية واعمالها وعلى مرسية وأوريولة ، فشعر مجاهد العامري ملك دانية بخطر هذه المملكة القوية على سلطانه ، فنهض لمهاجمتها وزحف عليها بقواته ، فخرج

١٤٥ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٣٠٢ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٢٥ .

١٤٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص١٩٦ ، ٢٦٧ .

١٤٧ـ ابن بسام : الذخيرة، جـ٣، ص١٢٠ ـ ١٢٢ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ابن الابار، اعتاب الكتاب ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ابن حزم ، نقط العروس ، جـ٢، ٤٧ .

١٤٨ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٩٤ .

١٤٩ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩، ص٢٨٥ ، ٢٩١ ـ ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٣ ، ص٣٠٢ ـ عنان ، دول الطوائف ، ص٢٢٣ .

المنصور عبد العزيز من المرية حيث كان هناك عام ٤٣٣هـ / ١٠٤١م للاخ خصمه ، وكانت النهاية انتصار عبدالعزيز على مجاهد العامري ، وقد استعان عبدالعزيز ملك بلنسية بقوات من المرتزقة الاسبان أمده بها ملك قشتالة فرناندو الاول نظرا للعلائق الطيبة بينهما [١٥٠] . وبذلك لم تصب اراضي بلنسية في عهده غزوات مدمرة من الشمال عكس ما كان يحصل في وسط وغربي الاندلس ، وربما كان ذلك راجعا من بعض النواحي الى قرابته من ملوكهم عن طريق جدته[١٥١] .

تولى عبدالملك بن عبد العزيز حكم بلنسية بعد وفاة ابيه ، ولقب بنظام الدولة ، وبالمظفر (٤٥٢ ــ ٤٥٧هـ / ١٠٦١ ــ ١٠٦٥م) . ففي اثناء الحملة المدمرة التي قادها فرناندو الاول ملك قشتالة عام ٤٥٧هـ لمهاجمة اراضي سرقسطة ومعاقبة ملكها المقتدر بن هود الذي تأخر عن دفع الجزية ، ولنجدة أتباعه في هذه المملكة بعد حادثة بربشتر عام ٤٥٦هـ ، فبعد ان عاث فسادا في اراضي سرقسطة ، اشرف على ظاهر بلنسية وضرب القشتاليون الحصار حول المدينة . فتأهب عبدالملك المظفر ملك بلنسية وسكانها للدفاع عن مدينتهم ، فلما رأى القشتاليون مناعة الاسوار لجأوا الى الحيلة ، فتركوا الحصار وتظاهروا بالارتداد صوب الشمال الى بلدة (بطرنة) واعتقد سكان بلنسية ان القشتاليين قد رجعوا فعلا ، فخرجوا لمطاردة الفارين وعلى رأسهم عبدالملك المظفر ، وعندما فاجأهم هؤلاء وهاجموهم بشدة ، وامعنوا فيهم قتلا واسرا ، فارتد اهل بلنسية الى مدينتهم

١٥٠ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٣٠٢ ــ عنان ، دول الطوائف، ص٢٢٣ .

١٥١ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٩٥ .

للتحصـــن بها (١٥٢) ، واستطاع عبدالملـــك ان ينجـــو بنفســـه وهـــــو يـــــــــردد :

خليلي ليس الرأى في صدر واحد
أشيرا على القوم ما تريـــان (١٥٣)

وعاد القشتاليون الى محاصرة المدينة، وعندها هرع المأمون بن ذي النون ملك طليطلة لنجدة صهره عبدالملك والدفاع عن بلنسية ، علـى الرغم مـن انه المأمون كان مقرا بسيادة فرناندو الاول ويؤدي له الجزية (١٥٤) ٠

وعند أسوار مدينة بلنسية شعر ملك قشتالة بخطورة المرض ورجع بقواته الى ليون ومات هناك بعد فترة قصيرة ، وعندها دخل المأمون ملـك طليطلة مدينة بلنسية وعزل صهره ، وبذلك ضمت بلنسية الى مملكة طليطلة، في ذي الحجة من عام ٤٥٧هـ (١٥٥) ٠

اعطى المأمون امارة بلنسية الى (ابي بكر احمد بن ابي عبدالله محمد بن عبدالعزيز) الذي احسن الادارة ، وقد استقل بها واصبح ملكها المطلق بعد وفاة المأمون عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م ، فدانت له المدينة بالطاعة ٠

غدت مملكة سرقسطة من اعظم ممالك الطوائف رقعة بعد سيطرة المقتدر ابن هود على دانية عام ٤٦٨هـ/١٠٧٦م ، فقد مهد لها هذاالامتداد الى شرقي الاندلس سبيل التطلع الى مملكة بلنسية ، فتوجس ملكها (أبو بكر احمد

١٥٢ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٤٦٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية، جـ٤، ص١٢٠ ٠

١٥٣ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٥٣ وهناك اشعار اخرى ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢، ص٢٥٧ ـ المقري ، نفح الطيـب، جـ١، ص١٨١ ٠

١٥٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٢٥ ٠

١٥٥ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٠ ـ ٨١ ـ ابن عذاري ، البيـان المغرب، جـ٣، ص٢٥٢ ٠

بن عبدالعزيز ٤٦٧ ــ ٤٧٨هـ / ١٠٧٥ ــ ١٠٨٥) [١٥٦] من طمع المقتدر ابن هود ، فخاطب الفونسو السادس ملك قشتالة وانضوى تحت حمايته ، وتعهد باداء الجزية . وفي الوقت نفسه كان المؤتمن بن المقتدر يتطلع الى امتلاك بلنسية لاهمية موقعها ووفرة خيراتها ،فخاطب بدوره الفونسو السادس أيضا ودفع اليه مائة الف دينار ليعاونه في السيطرة على بلنسية ، وبالفعل زحف ملك قشتالة الى بلنسية ، فخرج اليه ملكها ابو بكر وخاطبه برقة ولباقة ، واقنعه بالرجوع فانصرف الفونسو ووعده بحمايته وبذلك فشلت محاولات بني هود[١٥٧] وكان الفونسو السادس ملك قشتالة معجبا بأبي بكر ملك بلنسية ، ويقول في مختلف المناسبات : رجال الاندلس ثلاثة ، ابو بكر بن عبد العزيز ، وابو بكر بن عمار ، وشنانده [١٥٨] . الا ان ابا بكر التمس حماية المؤتمن بن هود ، وقدم ابنته عروسا لابنه احمد المستعين واحتفل بعقد هذا الزواج بسرقسطة في حفلات كبيرة وذلك في رمضان ٤٧٧هـ/فبراير ١٠٨٥م[١٥٩] .

توفى ابو بكر في صفر من عام ٤٧٨هـ/يونيو ١٠٨٥م ، فخلفه في حكم بلنسية واعمالها ولده (ابو عمرو عثمان) [١٦٠] وعندها كانت طليطلة قد سقطت بيد الفونسو السادس ، ونفى ملك طليطلة القادر بن ذي النون الى بلنسية وحكمها الفترة (٤٧٨ ــ ٤٨٥هـ) .

١٥٦ــ ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٣، ص١٣، ص٢٠ ــ ٢١ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٤٥ ــ ١٤٦، ص١٥١ ــ ١٥٨، ص١٦٤ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٦٦ ، ص٣٠٤ .

١٥٧ــ عنان ، دول الطوائف، ص٢٢٦ .

١٥٨ــ المراكشي ، المعجب ، ص١٧٨ .

١٥٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٠ ــ ٨١ .

١٦٠ــ عنان :دول الطوائف ، ص٢٢٧ .

٥ ـ علاقات مملكة بطليوس بالممالك الاسبانية :

تعرضت مملكة بطليوس الى هجمات الفونسو الخامس ملك ليون (٣٨٩ ــ ٤١٨هـ/٩٩٩ ــ ١٠٢٧م) ، ففي عام ٤١٨هـ/١٠٢٧ هاجم هذا الملك ، اراضي المسلمين المجاورة له في شمالي البرتغال ، وافتتح بعض حصونها ثم حاصر مدينة (بازو) ، التي دافع عنها سكانها المسلمون اشد دفاع ، واستطاع احد الرماة المسلمين ان يصوب سهمه المسموم الى الملك الاسباني فأصابه ، فمات متأثرا بجراحه[١٦١] .

وبعد ان استتب الامر لفرناندو الاول ملك قشتالة وليون ، اخذ بطليوس الشمالية الواقعةفيما بين نهر التاجة ونهر دويرة ، والتي تتميز بضعف وسائل الدفاع وموقعها النائي [١٦٣] ، فاتجهت انظار فرناندو الاول الى هذه المنطقة .

في عهد هذا الملك تبلورت سياسة الاسترداد واصبحت ظاهرة قوية وعاملا حاسما في ميدان الصراع بين المسلمين والاسبان في اسبانيا ففي عام ٤٤٩هـ / ١٠٥٧ عبر فرناندو الأول بقواته نهر دويرة واخترق شمالي البرتغال ، الحدود الشمالية لمملكة بطليوس ، فاستولى على بعض الحصون ثم قصد مدينة بازو وضرب حولها الحصار ، فدافع عنها اهلهاالمسلمون أشد دفاع وابدى الرماة براعة عظيمة في صد هجمات الجيش الغازي ، حتى اضطر الاسبان الى ارتداء دروع مثلثة ، واضطر فرناندو الاول الى انشاء فرقة من حملة المقالع ، وبالاخير استطاع الاسبان من اقتحام المدينة واعملوا السيف في رقاب اهلها ، واسروا الكثير وقد كان من بين الاسرى ذلك الرامي الذي اصاب بسهمه المسموم الفونسو الخامس

١٦١ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٢٧ .

١٦٢ـ علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص١٩٠ .

١٦٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص٨٥ .

(عام ٤١٨هـ) فأمر فرناندو الاول بسمل عينيه وقطعت رجلاه ويداه ، وعذب حتى مات [١٦٤] • ثم سار فرناندو الاول بقواته الى مدينة (مليقة) الواقعة شمالي بازو ، فاقتحمها واستولى عليها بعد ذلك ببضعة اشهر وقتل معظم اهلها واسرهم، واسترق الاسرى من اهل المدينتين، واسكن بهما الاسبان[١٦٥]•

اما ملك بطليوس المظفر (٤٣٧ ـ ٤٦١هـ / ١٠٤٥ ـ ١٠٦٨م) فلم يحرك ساكنا ليقينه من عقم محاولة الدفاع امام هجمات الاسبان • ويبدو ان الملك فرناندو طلب الجزية من المظفر ، الا انه رفض دفع الجزية، فارسل فرناندو الاول حملة قوية الى الحدود الشمالية لمملكة بطليوس تقدر بعشرة الاف فارس ، وسارت قوة من الفرسان الى مدينة (شنترين) الواقعة على نهر التاجة ، وكان المظفر على علم بتحرك هذه القوة فارسل قواته الى المدينة قبل ان تصلها ، فلما اشرف عليها الجيش الاسباني أسقط بأيديهم ، فبعث قائدهم (القومس) الى المظفر يطلب المفاوضة ، فاجتمع الاثنان في نهر التاجة وكان المظفر يجلس في زورق في النهر والقومس راكب فرسه في الماء ، وانتهت المفاوضة بعقد الصلح وان يدفع المظفر لملك قشتالة جزية سنوية مقدارها خمسة الاف دينار [١٦٦] •ولم يحدد تاريخ هذه الهدنة ، الا انها وقعت بعد مضي بضعة اعوام من حملة عام ٤٤٩هـ ، ولعلها في عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م [١٦٧] •

والخطب الاخر الذي نزل بمسلمي الاندلس ـ بعد نكبة بربشتر ـ هو سيطرة فرناندو الاول على مدينة قلمرية عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م • وقبيل

١٦٤ـ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٢٦٤ •

١٦٥ـ عنان : دول الطوائف ، ص٨٥ ـ ٨٦، ٣٨٣ ـ مؤنس، السيد القمبيطور، ص٤١ •

١٦٦ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٣٨ ـ عنان : دول الطوائف، ص٨٦

١٦٧ـ عنان : دول الطوائف ، ص٤٨ •

مسير الملك الاسباني الى حصار المدينة ، قصد مدينة شنت ياقب زائرا القديس يعقوب ومستمدا منه العون والبركة في مشروعه هذا ، وقضى هنــــاك ثلاثة ايام في صلوات وخشوع [١٦٨] ثم سار الى قلمرية في جيش كبير ، وضرب حولها الحصار واستمر الحصار زهاء ستة اشهر ، وفي اثناء ذلك غادر قائد الحامية الاسلامية (راندة) المدينة سرا مع اهله بتفاهم مـع الملك الاسبـاني ، وترك قلمرية تنتظر مصيرها المحتوم [١٦٩] بيد ان اهل المدينة دافعوا عـن انفسهم اشد الدفاع وكاد ان يرجع الجيش الاسبـاني بعد نفاد الميرة ، الا ان رهبان (دير لورفان) امدوا الجيش الاسباني بالمـيرة المخزونـة في الجبـال ممـا ساعـده علـى مواصلـة الحصـار حتى تمكنوا مـن فتح المدينـة عنوة ودخلها الملك فرناندو الاول مع الملكة (دونياسانشا) ورهط مـن الاساقفة والرهبان ، وعهد بحكم المدينة الى الكونت (ششنند) ــ وهو الذي شجع ملكه على فتح قلمرية [١٧٠] ــ الذي حكم المدينـة بكفاءة ونـال احترام النصارى والمسلمين على السواء ، ولقب بالوزير . ثم عمد الملـك الاسباني بعد ذلك الى اخراج المسلمين من سائر الاراضي الواقعـة بـين نهري دويره ومينو ، وذلك تنفيذا لأجلاء المسلمـين من الاراضـي المجاورة لمملكتــه [١٧١] .

ولما سقطت قلمرية في يد الاسبان ، قصـد واليهـا السـابق (رانـدة) الى بطليوس ، وكان قد لجأ الى المعسكر الاسبـاني ثم غادره املا في عفـو سيده، فاستقبله ابن الافطس بجفاء وأنبه على خيانته ثم قتله جزاء غدره [١٧٢] .

١٦٨ــ عنان ، دول الطوائف، ص٣٨٤ .

١٦٩ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٣٩ ــ ابن الخطيب ، اعمـال الاعلام ، ص١٨٤ .

١٧٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٨٦ .

١٧١ــ ابن عذاري ، البيان المغـرب ، جـ٣، ص٢٣٨ ــ ٢٣٩ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٨٤ .

١٧٢ــ عنان : دول الطوائف ، ص٨٧ .

وهدأ ضغط الاسبان على اراضي مملكة بطليوس بوفاة فرناندو الاول ملك قشتالة عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م (١٧٣) ، ووقعت بين أولاده معارك حول عرش قشتالة استمرت عدة سنوات ، شغل خلالها الاسبان عن عدوانهم على اراضي المسلمين . ولما خلص عرش قشتالة وليون الى الفونسو السادس تحولت دفة عدوان الاسبان الى مملكتي طليطلة واشبيلية(١٧٤) .

توفى المظفر بن الافطس عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م فخلفه ولده يحيى الملقب بالمنصور (٤٦١ هـ ــ ٤٦٤هـ / ١٠٦٨ ــ ١٠٧٢م) وبعد وفاته تولى عرش بطليوس عمر المتوكل (٤٦٤ ــ ٤٨٨هـ) الذي تمتعت في عهده مملكة بطليوس بفترة من السلام والامن والرخاء .

تدخل عمر المتوكل في شؤون مملكة طليطلة ، حيث حكمها حوالي عشرة اشهر من عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م عندما ثارت طليطلة على ملكها الضعيف القادر بن ذي النون (١٧٥) ، الا ان القادر استعان بالفونسو السادس ملك قشتالة وعاونه في استرجاع عرش طليطلة (١٧٦) ، فلما شعر المتوكل بن الافطس بالخطر القادم اليه غادر المدينة الى بلاده ، بعد ان وضع يده على الكثير من اموال القادر ومتاعه وذلك في عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م (١٧٧) .

بدأ الفونسو السادس ملك قشتالة يشدد الضغط على مملكة طليطلة ابتداء من عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م من اجل السيطرة عليها ، وكان القادر ابن ذي النون يدافع الاسبان ماستطاع واستنجد بملوك الطوائف ، فلا

١٧٣ــ Cambridge Medieval history, 5, p: 393-395.

١٧٥ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٨٠ .

١٧٤ــ عنان : دول الطوائف ، ص٨٧ .

١٧٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٣ .

١٧٧ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٨٠ ــ عنان : دول الطوائف ، ص١٠٨ ــ ١٠٩ .

مجيب له الا عمر المتوكل بن الافطس الذي نزل الى ميدان الجهاد ضد الفونسو السادس ، وحاول مدافعته ، فبعث ولده الفضل والى ماردة في جيش قوي ليحاول رد الاسبان من مدينة طليطلة ، ولكنه لم يستطع مغالبة قوى الاسبان المتفوقة عليه في العدة والعدد ، فارتدت جيوش بطليوس بعد ان خاضت معارك دامية (١٧٨) ٠

واتتقاما من عمر المتوكل سيطر الفونسو السادس على مدينة قورية وقلاعها ، وهي في اطراف مملكة بطليوس الشمالية (١٧٩) وحصنها المنيع على نهر التاجة ، وذلك في عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ، وبذلك أصبح السبيل امامه ممهدا لكي يجتاح اراضي مملكة بطليوس بسهولة (١٨٠) ٠

وبعد حلول النكبة بمدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ قرر عمر المتوكل مع غيره من ملوك الطوائف الاستنجاد بالمرابطين ٠

٦ ـ علاقات مملكة غرناطة بالممالك الاسبانية :

لم تزودنا المصادر الاسلامية بمعلومات عن علاقات باديس بن حبوس ملك غرناطة (٤٢٨ ـ ٤٦٥هـ/١٠٣٨ ـ ١٠٧٣) بالممالك الاسبانية ٠ الا انه في نص ابن الكردبوس القائل : « ٠٠٠ فشن العدو الغارة على ناحية غرناطة ، فخرج في اثره برابرها فهزموه ، واحتووا على مضربه فانتهبوه ٠٠ »(١٨١) ربما يؤكد على العلاقات العدائية بين مملكة غرناطة والاسبان ٠

١٧٨ـ عنان : دول الطوائف ، ص١١١ ٠
١٧٩ـ ابن بسام : الذخيرة، ج٢، ص١٠١ ـ ١٠٢ (مخ) ٠
١٨٠ـ عنان : دول الطوائف، ص٩١ ٠
١٨١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٤ ٠

عندما توفي باديس سنة ٤٦٥هـ وتولى حفيده عبدالله بن بلقين [١٨٢] ، الحكم من بعده (٤٦٥ - ٤٨٣هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٠م) ، كان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية يرقب سير الحوادث في غرناطة ، فسنحت له الفرصة بذلك وسيطر على مدينة جيان ، اهم قواعد مملكة غرناطة الشمالية ، عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م ، ثم سار الى غرناطة وحاصرها ، الا ان جهود (الوزير سماجة) ومقاومته لقوات المعتمد ، اضطر ملك اشبيلية ان يتراجع عن غرناطة [١٨٣] .

ورأى عبدالله بن بلقين ملك غرناطة - بتوجيه من وزيره سماجة - ان يعقد مع الفونسو السادس ملك قشتالة معاهدة حلف وصداقة ، يتعهد فيها بتأدية جزية قدرها عشرين ألف دينار ، وعلى أثر ذلك سار ملك غرناطة في مجموعة من قوات صنهاجة البربرية ، ومعها سرية من الجند الاسبان أمده بها ملك قشتالة ، واغار على اراضي المعتمد بن عباد ، واستطاع ان يسترد حصن (قبرة) الواقع في جنوب غربي جيان ، كما كان بلاط الامير عبدالله يضم عددا من اكابر فرسان مملكة قشتالة وليون [١٨٤] .

وفي عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م سار الفونسو السادس الى مملكة اشبيلية وغرناطة ، ومعه وزيره (ششنند) مطالبا بالجزية ، فرفض ملك غرناطة دفعها [١٨٥] ، فانتهز المعتمد بن عباد الفرصة فبعث وزيره ابن عمار الى الفونسو

١٨٢- بلقين بن باديس الملقب بسيف الدولة قتل بظروف غامضة سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٤٠ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٣١ .

١٨٣- ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص٥٦ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص٢٣٤

١٨٤- عنان : دول الطوائف ، ص١٤٢ - ١٤٣ - مؤنس، السيد القمبيطور، ص٤٩ (ح١) .

١٨٥- الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١٤٢ .

السادس فعقد معه حلفا ، على ان يتعاون الطرفان في افتتاح غرناطة ، وان تكون المدينة للمعتمد ، وان يكون سائر ما فيها من الاموال لملك قشتالة ، وان يؤدي المعتمد اليه فوق ذلك جزية قدرها خمسون الف دينار ، وقد ظهر اثر هذا الحلف على الفور ، اذ عمد الاسبان الى تخريب بسائط غرناطة ولاسيما أراضي مرجها المشهور[186] . الا ان غرناطة تنفست الصعداء عندما احتل المأمون بن ذي النون ملك طليطلة مدينة قرطبة منتزعا اياها من المعتمد بن عباد عام ٤٦٧هـ ، وعندها استطاعت قوات غرناطة ان تحتل الحصن الذي بناه ابن عمار بمساعدة الاسبان ، القريب من غرناطة[187] .

ثم عاد ابن عمار فحرض الفونسو السادس على غزو اراضي مملكة غرناطة ، وزين له سهولة السيطرة عليها . وعندها رأى الامير عبدالله بن بلقين ان يتفاهم مع ملك قشتالة فسار اليه بنفسه ، وعقد معه معاهدة صداقة يتعهد فيها ملك غرناطة باداء جزية سنوية قدرها عشرة الاف مثقال من الذهب وان يسلمه بعض الحصون الواقعة جنوب غربي جيان ، وهذه باعها الملك الاسباني بدوره للمعتمد بن عباد[188] .

وينقل لنا الامير عبدالله في مذكراته ما سمعه من اقوال الكونت (ششنند) وزير الفونسو السادس ، شرحا لسياسة ملك قشتالة في الاستيلاء على الاندلس حيث قال : « .. وانما كانت الاندلس للروم في اول الامر ، حتى غلب عليهم العرب ، والحقوهم بأخس البقاع ، جليقية ، فهم الان عند التمكن طامعون بأخذ ظلاماتهم ، فلا يصح ذلك الا بضعف الحال والمطاولة حتى اذا لم يبق مال ولا رجال ، اخذناها بلا تكلف[189] .

١٨٦ــ الامير عبدالله : المصدر السابق ، ص١٤٣ ــاشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٥٦ .

١٨٧ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٦٢ .

١٨٨ــ عنان : دول الطوائف، ص١٤٣ .

١٨٩ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٧٣ .

وبعد مقتل ابن عمار على يد المعتمد بن عباد ، وقع الصلح بين مملكة غرناطة ومملكة اشبيلية وسويت جميع الخلافات بينهما اواخر عام ٤٧٧هـ[١٩٠]. ثم كانت نكبة طليطلة بداية عام ٤٧٨هـ ، فيذكر لنا الامير عبدالله، انه وأخوه تميم اول من خطر له فكرة الاستعانة بالمرابطين[١٩١] .

٧ ــ علاقات مملكة طليطلة بالممالك الاسبانية :

اشرنا خلال حديثنا عن علاقات مملكة سرقسطة بالممالك الاسبانية ، ان المأمون بن ذي النون (٤٣٥ ــ ٤٦٨هـ) دخل في صراع مرير مع سليمان ابن محمد بن هود (٤٣١ ــ ٤٣٨هـ) ملك سرقسطة ، واستمر هذا الصراع ثلاث سنوات (٤٣٥ ــ ٤٣٨هـ) واستعان كل من ملك طليطلة وملك سرقسطة بالممالك النصرانية في الشمال الاسباني ، ولم ينقطع هذا الصراع الا بعد موت ملك سرقسطة عام ٤٣٨هـ ، فتنفس المأمون ملك طليطلة الصعداء لوفاة خصمه الا ان المأمون لم يلتزم الهدوء ، فأشغل نفسه في محاربة مملكة بطليوس وقامت بين المملكتين معارك عنيفة ولعلها وقعت في عام ٤٤٣هـ / ١٠٥١م[١٩٢] .

واصل فرناندو الاول ملك قشتالة هجماته على ممالك الاندلس الاسلامية من اجل اخضاعها والسيطرة عليها ، ففي عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م خرج فيجيشه الى انحاء مملكة طليطلة الشمالية الشرقية ، وهاجم مدينة سالم وطلمكة ووادي الحجارة وقلعة النهر وعاث في بسائطها تخريبا وسبيا . فطاب اهل هذه المدن النجدة من المأمون ملك طليطلة ، الذي جمع بدوره مقادير كبيرة من الذهب والفضة والاقمشة الفاخرة ، وسار بنفسه الى معسكر الملك الاسباني، وقدم اليه الهدايا واعلن اعترافه بطاعته ، وتعهده باداء الجزية ، فقبل فرناندو الاول المال والعهد وعاد مثقلا بالغنائم [١٩٣] .

١٩٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص١٤٥ .
١٩١ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١٠٢ .
١٩٢ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٨٢ ــ ٢٨٣ .
١٩٣ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

اشرنا خلال الكلام عن علاقات مملكة بلنسية بالممالك الاسبانية ، ان المأمون بن ذي النون ملك طليطلة سيطر على بلنسية عام ٤٥٧هـ ، بعد رحيل فرناندو الاول عنها ، الا ان بعض الروايات تذكر : ان المأمون استعد سرا لغزو بلنسية ، واستعان بقوة من الجند الاسبان امده بها حليفه فرناندو الاول وصاحب السيادة الاسمية عليه ، وان القوات المتحالفة داهمت بلنسية في غفلة من ملكها عبدالملك (صهر المأمون) واهلها ، فلم يستطع البلنسيون الدفاع عن مدينتهم ودارت معركة بين الطرفين تسمى بـ(معركة بطرنة) انهزم بها البلنسيون واسر ملكهم ، وذلك في ذي الحجة من عام ٤٥٧هـ / اكتوبر ١٠٦٥م (١٩٤) .

قبيل وفاة فرناندو الاول قسم المملكة بين اولاده وبناته ، وقد ادى هذا الامر الى النزاع بين الاخوة ، وانفراد شانجة بالحكم ، وهروب الفونسو الى طليطلة والتجائه عند ملكها المأمون بن ذي النون ، وهروب غرسية والتجائه الى مملكة اشبيلية ، وذلك في عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م . وعاش الفونسو في بلاط المأمون زهاء تسعة اشهر معززا مكرما ، واستطاع خلال ذلك من دراسة احوال المدينة ومعرفة مواطن ضعفها ، واستغل ذلك فيما بعد في تسهيل مهمة سيطرته على طليطلة عام ٤٧٨هـ(١٩٥) . وعندما قتل شانجة القوى عام ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م رجع الفونسو الى بلاده ، بعد ان زوده المأمون بكثير من الهدايا والتحف وصحبه مع اكابر مملكته في موكب فخم حتى وصل الى حدود بلاده (١٩٦) . ولم يطلب منه المأمون سوى صداقته وان يقطع له عهدا بان يحترم مملكته ، وان يعاونه ضد خصومه من ملوك

١٩٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٠ ـ ٨١ ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ابن خلدون العبر ، جـ٤ ، ص ٣٤٩ .

١٩٥ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، جـ١ ، ص ١٢٤ ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ١٢٧ وبعدها .

١٩٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٩٣ .

الطوائف ، فقطع له الفونسو ما شاء من عهـــود [١٩٧] .

اعتلى الفونسو السادس عرش قشتالة بعد صعوبات ذللتها له أختـه (أوراكا) ، وبعد تخلصه من اخيه غرسية (صاحب المعتمد بن عباد) سنـة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ، اصبح ملكا لجليقـة وليـون وعادت المملكـة الاسبانيـة الى سابق وحدتها [١٩٨] .

وتحدثنا بعض الروايات ، بان الفونسو السادس بعد اعتلائه عـرش قشتالة ، اراد ان يعـرب عن عرفانه للمأمـون بن ذي النـون ، وذلك بـان اعانه في حربه ضد المعتمد بن عباد ، وامده ببعض قواته ، وسار معه الى قرطبة وعاث في احوازها ، وبذلك استطاع المأمون ان يستولى على قرطبة [١٩٩] ، الا ان الرواية الاسلامية توضح بان سيطرة المأمون على قرطبة كان بتدبـير (حكم بن عكاشة) في عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م [٢٠٠] .

بعد وفاة المأمون ٤٦٧هـ خلفه حفيده يحيى الملقب بالقادر ، الـذي وصف بقليل المعرفة وضعف الارادة ، [٢٠١] فطمع في بلاده ملوك الطوائـف الاقوياء امثال المعتمد ملك اشبيلية ، والمقتدر بن هود ملك سرقسطة . وكان المقتدر أشد ملوك الطوائف ارهاقا للقادر بن ذي النون ، الذي استعـان بملك اراجون والنافار (سانشو راميرث) في حربه ضد مملكـة طليطلة ، فسيطر على مدينة (شنتبرية) و(ملينه) الواقعتين شمال شرقي طليطلة[٢٠٢] .

١٩٧ـ أدهم : المعتمد بن عباد ، ص١٩٤ ـ ٩٥ .

١٩٨ـ ابـن الابار : الحلة السـيراء ، جـ٢، ص١٤٢ (ح) ـ مؤنس ، السيـد القمبيطور ، ص٤٦ ـ ٤٧ .

١٩٩ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٨(ح٢) ـ عنان : دول الطوائف ص٣٩٤ .

٢٠٠ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ابن خلدون ، العبـر ، جـ٤، ص١٦١ .

٢٠١ـ ابن الاثير : الكامل، جـ٩، ص٢٨٨ .

٢٠٢ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٠

ومـن جهـة اخـرى ثـار ابـو بكـر بـن عبدالعزيـز وخلـع طاعـة بني ذنون واستقل بحكم بلنسيـة ، فاتصل به المقتدر بن هود وخطب ابنتـه املا في السيطرة على بلنسية ٠ وكانت مدينة كنكة (قونقة) مـن امنع حصون القادر ، وقد حاصرها (سانشو راميرث) ملك اراجون وكادت تسقط بيده لولا ان افتداها اهلها بمبلغ كبير من المال ، وحاول القادر ان يرد خصومه المقتدر بن هود وسانشو راميرث ، فبعث قواته بقيادة (بشير الفتى) لمحاربتهم الا انهم تجنبوا لقاءه ، وعد القادر هذا الامر مغنما كبيرا [٢٠٣] ٠

وفي عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م قامت فتنة في طليطلة مات فيها الفقيه ابو بكر الحديدي [٢٠٤] ، وانتهبت بعض الدور ٠ فكتب القادر الى الفونسو السادس يلتمس منه العون، لكن ملك قشتالة اخذ يطالب القادر بالمال وقال له : « ٠٠ ان وجه الى مالا ان كنت تريد الدفاع عن انحائك، والا سلمتك لاعدائك٠٠٠»، كما طالبه ببعض الحصون الحـدودية ، وبالفعـل تسلم منهـا حصن سـرية وحصن قورية وحصن قنالش في منطقة وادي الحجارة ٠ كل ذلك والقـادر عاجز عن رد مطاليب الفونسو السادس المرهقة ، كما كان عاجزا عـن جمـع المال الذي امتنع الشعب عن دفعه ، فهدده القادر بجعلهم وابنائهم رهينة لدى الفونسو[٢٠٦] ٠

ازاء هذا الامر اضطرمت طليطلة بالثورة ، فاضطر القادر ان يلجأ مـع اهله الى حصن (وبذة) سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م فعارضـه صاحبهـا أبو وهب

٢٠٣ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨١ ٠

٢٠٤ــ ابن بسام : الذخيرة ، ق٤، جـ١، ص١١٨ ــ ١٢١ ــ ابـن الخطيـب، اعمال الاعلام ، ص١٧٧ ٠

٢٠٥ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٢ ٠

٢٠٦ــ ايضا ، ص٨٢ ــ ٨٣ ٠

(عامر بن لبون) [٢٠٧] ، وبعد فرار القادر من طليطلة استدعى اهلهـا عمـر المتوكل بن الافطس لحكم المدينة . وفي اثناء ذلك سار القادر من ملجئه الى مدينة قونقة ، وكتب الى الفونسو السادس يطلب منه العون ، فاستجـاب لدعوته[٢٠٨] ، وسار معه الى طليطلة في سرية من فرسان الاسبان لاسـترجاع العرش المغتصب ، فلما شعر عمر المتوكل بالخطر غادر طليطلة وعاد الى بلاده، وذلك في عام٤٧٣هـ . دخل القادر طليطلة على اسنة حـراب الفونسو السادس وفرسانه الاسبان ، وحاول اهل طليطلة رفض قدومه ، الا ان الجند الاسبـان نكلوا بهم ومزقوهم شر ممزق ، فجلس القادر على عرشه المهزوز ، ينتظـر مصيره المحتوم ، في عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١م [٢٠٩] .

كان الهدف الرئيس للفونسو السادس ، السيطرة على طليطلة منذ وفاة المأمون ، وخضوع القادر له سياسيا واقتصاديا ــ فلذا نراه ابتداء من عـام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م يواصل الغارات على اطراف مملكة طليطلة ، واستمر على هذه الغارات المخربة في الاعوام التالية سواء لحسابه الخاص ، او بحجة معاونة القادر ضد خصومه ، فاستولى خلال ذلك على مدينة (طلبيرة) ، ثم استولى على سائر المنطقة الواقعة بين طلبيرة ومجريط (مدريد) [٢١٠] ، وقد عاونه في غاراته المخربة هذه (الحزب المدجني) ، وهم اهل طليطلة الموالون للاسبان . وقد عملت هذه الغارات على تجريد طليطلة من جميع وسائلها الدفاعية ، وهذا ماكان يرمي اليه ملك قشتالة كمقدمة لاحتلال المدينة[٢١١] .

٢٠٧ــ هو شقيق ابي شجاع والي مدينة وبذة ، وهو الذي وقف بوجـه القادر عند مطالبته الشعب بالمال ، وتوفى عام ٤٨١هـ . ابـن الابار : الحلـة السيراء ، جـ٢، ص١٦٩ .

٢٠٨ــ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص٨٣ .

٢٠٩ــ ابن بسام ، الذخـيرة، ق٤، جـ١، ص١٢٤ ــ ١٢٧ ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٣ .

٢١٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٩٥ .

٢١١ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٧٧ ــ محمود : قيام دولة المرابطين، ص٢٥٣ .

كان مركز القادر ضعيفا في طليطلة بعد رجوعه الى عرشها ، فكان المعتمد ابن عباد وابن هود يكرران هجومهما المتواصل على أملاكه. فلما لم يكن للقادر قبلا في صد هذه الهجمات كتب الى الفونسو السادس ، فلما تحقق القادر انه لاطاقة له على الدفاع ، ولاسبيل له عنهم الى امتناع ، كتب الى الفنش، وتخلى له عن طليطلة وانظارها ، ليعينه على اخذ بلنسية واقطارها . فطار اليها الفنش بجناح ، ووصل الغدو بالرواح .. »[٢١٢] .

اقترب الفونسو السادس بقواته من المدينة في خريف سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م ، وتتألف هذه القوات من جنود قشتالة وليون واراجون ومتطوعين من فرنسه وغيرها ، شاركوا في مشروع يهم أوربه كلها[٢١٣] .

كان الطابع الصليبي واضحا في هذه الحملة ، وفي عهد الفونسو السادس وقعت حوادث الحروب الصليبية الاولى في المشرق ، ولكن البابا (اوربان الثاني) منع الاسبان من الاشتراك في هذه الحروب ، لان أعداءهم ــ المسلمين ــ يهددونهم من الداخل ، ولان لديهم في شبه الجزيرة وقودا كافيا لاضرام نار الحرب الدينية ، وكانت ظروف الحرب المستمرة بين الاسبان والمسلمين قد دفعت الكثير من رجال الدين النزول في ميدان الحرب ومشاركة الملك الاسباني في عمله هذا[٢١٤] .

نزلت القوات الاسبانية المنية المسورة والمعروفة ببستان الملك[٢١٥] ، وضربت الحصار حول طليطلة ، فاشتد الامر باهلها وزاد حرجهم حلول فصل الشتاء وقلة الاقوات . فاضطر زعماء طليطلة من ارسال سفارة الى ملك قشتالة

٢١٢ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٤ ــ ٨٥ .
٢١٣ــ الطيبي ، واقعة الزلاقة ، ص١٠ .
٢١٤ــ اشباخ : تاريخ الاندلس، ص١٣٩ ــ محمود ، قيام دولة المرابطين، ص٢٥٣ .
٢١٥ــ ابن بسام : الذخيرة، ق٤ ، جـ١، ص١٢٨ .

للتفاوض في امر الصلح ، فأبى الفونسو استقبالهم ، وتوسط لهم وزيـــره (ششنند) [٢١٦] فادخلهم على سيده ، وعرضوا عليه الصلح ، وافضوا اليـه انهم ينتظرون العون من بعض ملوك الطوائف . ففاجأهم الفونسو السادس ان اخرج من خيامه سفراء ملوك الطوائف اليه ، فبهت زعماء طليطلة وقد فقدوا كل امل وأيقنوا سوء المصير [٢١٧] .

ولم تمض ثلاثة ايام على مقابلة وفد طليطلة لفونسو السادس ، حتـى عرضت المدينة تسليم نفسها للاسبـان على شـروط جاء فيها : تأمين المسلمين على انفسهم واموالهم وعقارهم ، وان يحتفظوا بالمسجد الجامع الى الابد ، وان يكونوا احرارا في اقامة شعائرهم الدينية ، وان يحتفظوا بقضائهـــم وشريعتهم ، وان يسلموا الى ملك قشتالة سائر الحصون والقـــــلاع والقصر الملكي والمنية المسورة ، واما القادر فقد تكفل ملك قشتالة بان يمكنه من السيطرة على بلنسية [٢١٨] .

تظاهر الفونسو السادس قبول هذه الشروط وتعهد باحترامها ، ففتحت المدينة ابوابها للاسبـان ، فدخلوها في شهـر محـرم عام ٤٧٨هـ/مايـــس ١٠٨٥م [٢١٩] .

عهد الفونسو ادارة المدينة الى وزيره (ششنند) الذي اتبع سياســة اللين والتسامح مع اهلها ، ونصح سيده ان يلتزم الاعتدال في معاملة المدينة

٢١٦ــ اشبـاخ : المرجع السابق ، ص٥٩ ــ عنان : دول الطوائف، ص١١٢ .

٢١٧ــ ابن بسام : الذخيرة ، ق٤، ج١، ص١٢٩ــ ١٣٠ ــ أدهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٠٠ ــ Pidal, op.cit, p: 195

٢١٨ــ ابن بسام : الذخـيرة ، ق٤، ج١، ص١٣٠ ــ ١٣٢ ــ ابن الكردبوس تاريخ الاندلس ، ص٨٤ ــ ٨٥ ــ ابن خلدون ، العبر جـ٤ ، ص١٦١ ــ المقري ، نفح الطيب ، جـ٤، ص٤٤٧ .

٢١٩ــ ابن بسام، الذخـيرة، ق٤، ج١، ص١٣٠ ــ ابن الكردبوس : المصـدر السابق ، ص٨٥ ــ الذهبي، العبر، جـ٣، ص٢٨٩ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٢، ص١٨٦ ــ المقري ، نفح الطيب ، جـ٤، ص٣٥٢ .

المفتوحة[٢٢٠] ، كما رد الفونسو للمدينة مكانتها القديمة كمركز رئيسي للكنيسة الاسبانية ، وعين لرياستها الاسقف الفرنسي (برنار) عميد دير (ساهاجون) [٢٢١] ، الذي جعل فاتحة اعماله الاعتداء على مسجد طليطلة الجامع ، بعد شهرين من تاريخ الاستلام ، وكان هذا العمل بتحريض من الملكة (كونستانس) الفرنسية • وعبثا حاول حاكم المدينة (ششنند) ان يرد الاسقف عن عزمه ، وبين له سوء العاقبة • الا ان الاسقف انتهز فرصة غياب الفونسو السادس في ليون ، فاقتحم الجامع مع سرية من الفرسان وحطم المحراب ، وامر باقامة الهياكل ، وفي اليوم التالي عقد بالجامع قداسا حافلا مما ادى الى هياج المسلمين ، الذين انتهكت مقدساتهم ، الا ان وجود حامية اسبانية قوية في المدينة حال دون استمرار الهياج[٢٢٢] •

ولما علم الفونسو بالحادث عاد على عجل الى طليطلة وتظاهر بمعاقبة الاسقف والملكة بالحرق ، الا انه من الجانب الاخر يرعى عملية تحويل المسجد الجامع الى كنيسة ، وقد دشنت هذه الكنيسة في احتفال ضخم ، وانتخب الاسقف (برنار) مطرانا وذلك في شعبان ٤٧٨هـ / ديسمبر ١٠٨٥ ، بعد عمل متواصل منذ بداية ربيع الاول سنة ٤٧٨هـ [٢٢٣] •

بعد ان أمعن الفونسو السادس السيطرة على مدينة طليطلة ، شن غاراته على جميع اعمالها ، فسيطر على جميع املاك القادر بنذي النون ، وسيطر على الاراضي الممتدة من وادي الحجارة الى طلبيرة وفحص اللج[٢٢٤]

٢٢٠ـ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٤، جـ١، ص١٣٠ •

٢٢١ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس، ص١٤٨ •

٢٢٢ـ اشباخ : تاريخ الاندلس، ص١٢٢ ـ امين الطيبي ، واقعة الزلاقة المجيدة ، ص١٠ ـ ١١ •

٢٢٣ـ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٤، مج١، ص١٣١ ـ ١٣٢ ـ ارسلان، الحلل السندسية ، جـ١، ص٣٧٧ ـ ٣٨٠ ، ص٤٢٧ ـ ٤٢٨ •

٢٢٤ـ فحص اللج : الفحص كل موضع يسكن سواء كان سهلا او جبلا بشرط ان يزرع، واما فحص اللج فمن الصعب تحديد موقعه ، فالبعض يسميه

واعمال شنتبرية ، وبذلك تخوف ملوك الطوائف من توسيع ملك قشتالة هذا ، فاعلنوا خضوعهم له [٢٢٥] .

وعلى هذا الاساس اصبح خط نهر التاجة بما فيه من مدن وضياع ضمن سيطرة الاسبان ، فاصبحت مدينة طلبيرة وقلعة رباح الحد الفاصل بين ارض المسلمين وارض الاسبان في الاندلس[٢٢٦] ، وقد اطلق الاسبان على هذه المنطقة الجديدة فيما بعد اسم قشتالة الجديدة ، كماان احتلال الاسبان لمملكة طليطلة معناه شطر بلاد المسلمين شطرين وتمزيق شملهم[٢٢٧] . كما ان سقوط طليطلة بهذه الصورة معناه تفوق اسبانيا السياسي والعسكري ، وقد اتخذ الفونسو السادس على اثر ذلك لقب (الامبراطور ذي الملتين — اي الاسلامية والمسيحية [٢٢٨] ، ودخلت سياسة الاسترداد في طور جديد وقوي [٢٢٩] .

اثناء سيطرة الاسبان على طليطلة توفى ملك بلنسية (ابو بكر بن عبدالعزيز) ، وبقى امرها بعده سدى[٢٣٠] . وفي ضوء الاتفاق بين القادر ابن ذي النون والفونسو السادس ، سار القادر صوب بلنسية ومعه اهله وجماعة كبيرة من أهل المدينة ، تساندهم (قوة قشتالية بقيادة البرهانس

حصن اللج والبسيط ، ويسمى ايضا حصن الثلج مع الاختلاف في موقعه. راجع ، ابن حيان ، المقتبس ، جـ٢، ص٣٤٧ — ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٢٣ (ح١) ، ص٢٥١ — ٢٥٢ .

٢٢٥ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ٨٧ — ٨٨ .

٢٢٦ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٧٧ (ح٣)

٢٢٧ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٧ (ح٢)

٢٢٨ـ الونشريش ، اسنى المتاجر ، ص١٤٢ — ابن الخطيب ، الحلل الموشية، ص٢٦ — ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٠١ — بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص١٤٩ .

٢٢٩ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٥٤ .

٢٣٠ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٦٧ (ح٢) .

(ابن اخ القمبيطور)[٢٣١] ، فنـزل القادر في دار الامارة ، وانـزل البرهانس وفرسانة في رصافة بلنسية ، وذلك في شوال عام ٤٧٨هـ/شباط ١٠٨٥م[٢٣٢]، واستمر القادر في الحكم الى رمضان عام ٤٨٥هـ/تشرين الاول ١٠٩٢[٢٣٣] ٠

وهكـذا خرجت طليطلـة من الاسـلام ، وارتدت الـى النصرانيـة واصبحت حاضرة لمملكة قشتالة ، واصبح قصرها بلاطا للملك القشتالي ، ومسجدها الجامع اكبـر كنيسة للاسبـان ٠ ولهـذا جاء سقوطهـا ضربـة شديدة لمنعة الاندلس وسلامتها ، [٢٣٤] ، حيث اصبحت قاعدة حصينـة يشن منها الاسبان الغارات علـى المدن الاسلاميـة المجـاورة ٠ حيث خرجت سريـة متألفـة مـن ثمانـين فارسـا وهاجمـوا المريـة ، فتصـدى لهم صاحبها ابن صمادح (ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح ٤٤٣ ــ ٤٨٤هـ / ١٠٥١ ــ ١٠٩١م) الملقب بالمعتصم [٢٣٥] ، حيث اخرج لهم احد قواده على رأس سرية تتألف من (٤٠٠) شخص فلما التقوا بالعدو ، انهزموا ، ومـا وقفوا ولا أقدموا [٢٣٦] ٠

وكان لمثل هذه الغارات صدى كبير في سائر انحاء الاندلس الاسلامية ، وقد ايقن ملوك الطوائف ان الخطـر أحاط بهم مـن كل جانب ، فاتجهـوا بابصارهم الى اخوانهم في الدين يطلبون العون والمساعدة ، فكانت دعـوة المرابطين قد بدأت ، وسيكون لهم تاريخ جديد في جزيرة الاندلس ٠

٢٣١ــ Pidal, op.cit, p: 197

٢٣٢ــ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص٦ ــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٦٧ ــ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤، ص١٨٢ ــ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٨ ــ ٥٢ ٠

٢٣٣ــ ابن بسام ، جـ٣، ص٤٥ ــ ٤٧ ــ ابن الكـردبوس ، تاريـخ الاندلس ، ص٨٦ ــ ٨٧ ــ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣، ص٣٠٤ ــ ٣٠٥

٢٣٤ــ علي ادهم ، المعتمد ابن عباد ، ص٢٠١ ــ عنان : دولة الطوائف ص١١٥ ٠

٢٣٥ــ ابن بسام الذخيرة ، ق١، مج٢ ، ص٢٣٧ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب، جـ٣، ص١٧٤ ٠

٢٣٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس، ص٨٩ ٠

موقف العامة من علاقات ملوك الطوائف بالاسبان :

اشرنا خلال الكلام عن اهم مميزات عصر الطوائف ، الى التمزق النفسي للشعب الاندلسي ، المتمثل في اليأس نتيجة النكبات التي تعرض لها الاندلس في هذا العصر ، اضافة الى مميزات هذا العصر الاجتماعية ، المتمثلة في التحلل الخلقي والمجون وضعف التمسك بمبادىء الدين الاسلامي . وكان بعض الفقهاء في هذا العصر الذي ساد فيه الانحلال والفوضى الاخلاقية والاجتماعية ، اكبر عون لملوك الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم ، وقد اشار الى ذلك ابن حيان بقوله : « ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين كالملح : فيهم الامراء والفقهاء قلما تتنافر اشكالهم ، بصلاحهم يصلحون ، وبفسادهم يفسدون ، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لاكفاية له ، ولا مخلص منه ، فالامراء القاسطون ، قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة ، وجريا الى الفرقة ، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم ، صرف عما أكده الله عليهم من التبيين لهم، فقد اصبحوا بين أكل حلوائهم ، وخابط في أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم ، اخذا بالتقية في صدقهم »[٢٣٧] .

لكن هذا لايعني ان الشعب وقف مكتوف الايدي ازاء تصرف ملوك الطوائف هذا وتراميهم في احضان ملوك الاسبان ، ويتمثل موقف الشعب هذا في ناحيتين :

الاولى : رفض الشعب جمع الاموال واعطاءها الى الملك المسلم الذي بدوره يعطيها جزية وغرامة للملك الاسباني من اجل الحفاظ على عرشه المهزوز أو الاستعانة بالملك الاسباني ضد اخوانه ملوك الطوائف، ويتمثل لنا هذا الامر في مملكة سرقسطة عندما رفض الشعب دفع الاموال الى المقتدر بن هود الذي خضع لملوك الاسبان ، وافهموه ان

٢٣٧- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٥٤ .

هذا الامر مخالف لمبادىء الشرع الاسلامي [٢٣٨] ، ويتمثل أيضا في موقف شعب طليطلة الرافض لمطاليب القادر بن ذي النون في جمع الاموال ودفعها الى حليفه الفونسو السادس وذلك عام ٤٦٨هـ [٢٣٩] .

الثانية : الدعوة التي تزعمها صالح العلماء والفقهاء من اجل توحيد الاندلس [٢٤٠]، وتركزت هذه الدعوة على نبذ الخلافات بين ملوك الطوائف والعمل على ايجاد مملكة اسلامية موحدة قوية تقف بوجه اطماع ملوك الاسبان . وتلاقي هذه الدعوة قبولا متزايدا عندما تنزل النكبات بشعب الاندلس المسلم ، مثل نكبة بربشتر ونكبة قلمرية عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، وتوجت هذه النكبات بنكبة طليطلة عام ٤٧٨هـ وقد كانت بداية التفكير الجدي لاستدعاء المرابطين .

من صالح الفقهاء والعلماء الذين تزعموا دعوة التوحيد (سليمان بن خلف الباجي ٤٠٣ — ٤٧٤هـ) [٢٤١] ، فتذكر لنا بعض المصادر أن المتوكل بن الافطس ملك بطليوس طلب من الباجي التطواف على ملوك الطوائف من اجل دعوتهم الى الاتحاد ولم الشمل للوقوف ضد اطماع ملك الاسبان الفونسو السادس [٢٤٢] بينما تخبرنا المصادر الاخرى بان الباجي قام بمهمة الدعوة من تلقاء نفسه ، خاصة بعد رجوعه من رحلته الى المشرق

٢٣٨— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣، ص٢٢٩ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٧١ — ١٧٢ .

٢٣٩— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٢ — ٨٣ .

٢٤٠— راجع ، السامرائي ، خليل ، الدعوة الى توحيد الاندلس ايام الطوائف، مجلة زانكو ١٩٧٧ .

٢٤١— راجع ، ابن بشكوال ، الصلة ، ق١، ص٢٠٠ — الضبي ، بغية الملتمس ص٣٠٢ — النباهي ، المرقبة العليا ، ص٩٥ — العماد الاصفهاني ، خريدة القصر ، ٤، ٢، ص٤٩٩ .

٢٤٢— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٩٨

الاسلامي (٤٢٦ ـ ٤٤٠هـ)[٢٤٣] ، فطاف بين ملوك الطوائف داعيا الى الوحدة[٢٤٤] .

بعد رجوع الباجي من المشرق اصبح محل تقدير ملوك الطوائف [٢٤٥] ، وتولى مهمة السفارة بينهما وتقبل جوائزهم[٢٤٦] ، كما انه مارس التدريس في حواضر الاندلس التي طاف بها [٢٤٧] .

معظم المصادر التي ترجمت له وذكرت تطوافه بين حواضر الاندلس لم تعين مدة هذا التطواف ولا تاريخ بدئه . لكن الظاهر انه بدأ بهذه المهمة اثر رجوعه من المشرق عام ٤٤٠هـ على ضوء نص ابن بسام القائل : « لاول قدومه رفع صوته بالاحتساب ومشى بين ملوك اهل الجزيرة »[٢٤٨] . ويبدو ذلك بصورة غير رسمية مدفوعا بحماسته الدينية ، الى ان كلف بها بصورة رسمية من قبل ملك بطليوس .

كان اكثر تردد الباجي بشرقي الاندلس بين سرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية [٢٤٩] ، كما انه زار جزيرة ميورقة وناقش ابن حزم فيها [٢٥٠] ، وعلى ضوء تواجده المستمر في سرقسطة ـ حيث رد على رسالة الراهب الفرنسي، كما ان احد اولاده توفى في حياة ابيه فيها [٢٥١] ، يمكن القول ان نكبة

٢٤٣ـ الذهبي ، العبر ، جـ٣، ص٢٨٠ ـ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص١٢٠ .

٢٤٤ـ ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٢، ص٦٣ ـ المقري ، نفح الطيب، ص٧٧ .

٢٤٥ـ المقري : نفح الطيب ، جـ٢، ص٧٢

٢٤٦ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص١٢٠ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٣ ـ ٤، ص٨٠٥ .

٢٤٧ـ المقري : نفح الطيب ، جـ٢، ص٧٧ .

٢٤٨ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق٢، مج١، ص٨١ .

٢٤٩ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٣ ـ ٤، ص٨٠٣ .

٢٥٠ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق٢، مج١، ص٨١ ـ ابن عبدالملك المراكشي : الذيل والتكملة ، جـ٦ ، ص٢١٦ .

٢٥١ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٣ ـ ٤، ص٨٠٨ .

بربشتر عام ٤٥٦هـ كانت محفزا قويا لمهمة الباجي ، حيث تولى الدعوة الى الجهاد ، والتي اثمرت في استعادة المدينة من الاسبان في السنة التالية ٤٥٧هـ [٢٥٢] .

ويفهم من نص القاضي عياض في آخر ترجمته للباجي : « مولده في ذي القعدة سنة ثلاث واربع مائة ، وتوفى بالمرية سنة اربع وسبعين (واربع مائة) لسبع عشرة خلت من رجب وكان قد جاء الى المرية سفيرا بين رؤساء الاندلس يؤلفهم على نصرة الاسلام ، ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملك المغرب المرابطين على ذلك ، فتوفى قبل تمام غرضه رحمهالله »[٢٥٣] ، ان دعوة المرابطين لنصرة الاندلس كانت مبكرة ، اي سبقت سقوط طليطلة بعدة سنوات ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

ولعلنا نستنتج من الرسائل المتبادلة بين الفونسو السادس ملك قشتالة والمتوكل بن الافطس ملك بطليوس بعد سنة ٤٧٢هـ مباشرة ان ملك بطليوس رد بقوة على رسالة ملك قشتالة ، كما نلاحظ من خلال سطور رسالة المتوكل بن الافطس اهمية الوحدة والقوة التي دعى اليها هذا الملك وكلف بها القاضي الباجي : « ... ولو علم ان لله جنودا أعز بهم كلمة الاسلام واظهربهم دين نبينا محمد عليه السلام أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون ... اما تعبيرك للمسلمين فيما وهي من احوالهم فبالذنوب المركوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الامـلاك علمت اي مصاب أذقناك كما كانت اباؤك تتجرعه فلم تزل تذيقها من الحمام ضروب الالام شؤما تراه وتسمعه واذا المال تتورعه .. وبالله تعالى وملائكته المسومين تتقوى عليك ونستعين ، ليس لنا سوى الله مطلب ولالنا الى غيره مهرب »[٢٥٤] .

٢٥٢ـ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٣٤٢ .

٢٥٣ـ عياض ، ترتيب المدارك ، جـ٣ ـ ٤، ص٨٠٨ ـ ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات ، ص٢٥٥ .

٢٥٤ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٢٠ ـ ٢٣ .

ان الفقيه الباجي لم يكن وحده في هذا الميدان بل سبقه في ذلك ولو في مجال ضيق ، وواصل مسيرته ودعوته بعض من صالح العلماء والفقهاء ، امثال ابن حزم الذي جاءت كتاباته مفرطة بالنقد اللاذع لملوك الطوائف[255]، وشاركه ابن حيان ، وأوقع اللوم على امراء السوء في دول الطوائف، كما اوقع بعض اللوم على الشعب الذي ركن الى امثال هؤلاء الملوك ، فكانت هذه نتيجة : الاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل ، الذين هم منهم مابين فشل ووكل ، يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل »[256] .

وكان ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن حسن بن اسحاق من اهل قرطبة (نحو ٤٥٠هـ) قد تطوع في ازالة الخلافات بين ملوك الطوائف وسعى بينهم بجمع كلمتهم ويدعوهم الى الوحدة ولم الشمل [257] . ونرى من خلال كتابات أبي عمر يوسف بن عبدالبر[258] (٣٦٣هـ) وابنه أبي محمد عبدالله ابن عبدالبر (٤٥٨هـ)[259] ، دعوة الى الوحدة وائتلاف الكلمة امام الخطر المشترك ، ففي رسالة الكاتب ابي محمد عبدالله بن عبدالبر جاء فيها : « ورد كتابك يحض على ماامر الله به تعالى من الالفة واتفاق الكلمة واطفاء نار الفتنة ، وجمع شمل الامة ، في هذه الجزيرة .. »[260] .

٢٥٥- ابن حزم : نقط العروس ، ص٨٣ - ٨٤ .

٢٥٦- ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٣، ص٩٦ - ابن عذاري : البيان المغرب، جـ٣، ص٢٥٤ .

٢٥٧- ابن الابار : التكملة ، جـ١، ص٣٩٠ .

٢٥٨- ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢، ص٦٧٧ - ابن فرحون ، الديباج المذهب، ص٣٥٧ .

٢٥٩- ابن الابار : اعتاب الكتاب ، ص٢٢٠ - ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، جـ٢، ص٤٠٢ .

٢٦٠- ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ص٥٥ (مخ) .

وتناول ابن عبدالبر في رسالة كتبت على لسان اهل بربشتر ووزعت على سائر انحاء الاندلس جاء فيها : « ... فلو رأيتم — معشر المسلمين — اخوانكم في الدين ، وقد غلبوا على الاموال والاهلين ، واستحكمت فيهم السيوف ، ... فلا مغيث ولا مجير ، وقد صمت الاذان بصراخ الصبيان ونياح النسوان وبكاء الولدان .. وما ظنكم معشر المسلمين وقد سيقت النساء والولدان ، مابين عارية وعريان .. فيا ويلاه ويا ذلاه ويا قرآناه ويا محمداه ثم يقول على لسان اهل بربشتر : ولو كان شملنا منتظما ، وشعبنا ملتئما ، وكنا بالجوارح في الجسد اشتباكا ، وكالانامل في اليد اشتراكا ، لما طاش لنا سهم ، ولاسقط لنا نجم ... وقاتلوهم في اطرافكم قبل ان يقاتلوكم في أكنافهم ، وجاهدوهم في ثغورهم قبل ان يجاهدوكم في دوركم »[٢٦١] .

ومن العلماء الذين دعوا الى الوحدة بعد نكبة بربشتر عام ٤٥٦هـ المحدث ابو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ — ٤٦٠هـ) من اهل اشبيلية[٢٦٢] ، وقد قابل الباجي في شرقي الاندلس[٢٦٣] ، وقد كتب هذا المحدث الى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية بعد نكبة بربشتر ، رسالة يحثه فيها على الجهاد جاء فيها :

أعباد حل الرزء والقوم هجع
على حالة من مثلها يتوقع

فلق كتابي من فراغك ساعة
وان طال ، فالموصوف للطول موضع

٢٦١— احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي — عصر الطوائف والمرابطين ، ص١٧٧ .

٢٦٢— ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٤٠٢ — ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص٢٣٩ .

٢٦٣— القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٣ — ٤ ، ص٨٢٥ .

... تذر النساء ايامى ، والاطفال يتامى ... طمت حتى خيف علـى عروة الايمان الانفضاض ، وطمت حتى خشي على عمود الاسلام منهـا الانقضاض ، وسمت حتى توقع على جناح الدين الانهياض ... كان الجميـع في رقدة اهل الكهـف ...

أعباد ضاق الذرع واتسع الخـرق
ولاغرب في الدنيـا اذا لم يكن شـرق[٢٦٤]

وكان جواب المعتضد عليها ، ان دعى الهوزني ثم قتله بيده [٢٦٥] ، ولعل المعتضد ظن ان حض الهوزني له على الجهاد لم يكن الا نوعا من التوريط ، فاذا حارب وفشل سقطت هيبته لدى ملوك الطوائف ، واذا لم يحارب كشف النقاب عن تقاعسه في الدفاع عن حوزة الدين [٢٦٦] .

ولكن مع كل هذه الجهود المخلصة التي قام بها صالح العلماء والفقهاء في الدعوة الى الوحدة وجمع الشمل ، بقي اغلب ملوك الطوائف في خلافاتهم مع الاحتفاظ بولائهم لملوك الاسبان وخاصة الفونسو السادس ملك قشتـالة فبدلا من ان يوحدوا جهودهم ويعززوا قواتهم لانقاذ مدينة طليطلة عـام ٤٧٨هـ اثناء محاصرة الفونسو لها ، كان اغلبهم قد بعث سفراءه الى خيام الملك الاسبـاني يلتمس الحماية والمحافظة علـى املاكه ، وكأن امر طليطلـة لايعنيهم [٢٦٧] ، وقد ذكرت لنا بعض الروايات ان عبدالملك بن هذيـل (٤٣٦ ــ ٤٩٦هـ) ملك شنتمرية الشرق اهدى الفونسو السادس ، خـلال

٢٦٤ــ ابن بسام : الذخيرة، جـ٢، ص٣٤ (مخ) ، ق٢ ، مج١، ص٧٠ ــ ٧١ .
٢٦٥ــ القاضي عياض ، ترتيب المدارك، جـ٣ ــ ٤، ص٨٢٥ .
٢٦٦ــ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر الطوائف والمرابطـين، ص١٨٠ .
٢٦٧ــ ابن بسـام : الذخـيرة، ق٤، مج١، ص١٢٩ ــ ١٣٠ ــ عنـان : دول الطوائف ، ص١١٣ .

حصاره لمدينة طليطلة هدية كبيرة ، فكافأه ملك الاسبان بقرد كان عبدالملك يفخر به ويعده هدية عظيمة من ملك قشتالة (٢٦٨) .

سقطت طليطلة بيد الفونسو السادس ، وكانت قلب اسبانيا (٢٦٩) ، واتخذها الملك الاسباني فيما بعد قاعدة يهاجم منها اراضي ملوك الطوائف والسيطرة عليها، فانهارت النفس الاسلامية ، وظهرت عليها علامات التخاذل ، لان ملوك الطوائف لم يحركوا ساكنا ، وقد عبر الشاعر (ابو محمد بن عبدالله بن عزنون المعروف بابن العسال) عن هذا الانهيار بقوله المشهور :

حثوا رواحكم يا اهل أندلس

فما المقام بها الا من الغلط (٢٧٠)

عندما ادرك ملوك الطوائف الخطر المحيط بهم ، وان الملك الاسباني الذي تراموا في احضانه ، لم يذكر جميل طليطلة عليه اثناء لجوئه عند ملكها المأمون ، وانه مصمم على ابتلاع جميع عروشهم ، على الرغم من تبعيتهم له ، لذا قرروا دعوة المرابطين في المغرب الاقصى يطلبون منهم العون والمساعدة .

٢٦٨ـ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٠١، الا ان بعض المصادر تنسب هذه الحادثة الى ولده يحيى : ابي عذاري : البيان المغرب ، ج٣، ص٣١١ .

٢٦٩ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٣٥ .

٢٧٠ـ وردت القصيدة بالفاظ اخرى ، راجع ، المقري ، ازهار الرياض ، ج١، ص٤٦ .

الفصل الرابع

علاقات ملوك الطوائف بالاندلس بالمرابطين

٤٧٨ ـ ٤٧٩هـ

أ ـ علاقة ملك قشتالة بملوك الطوائف خلال ٤٧٨ ـ ٤٧٩هـ :

بعد سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨هـ ازداد عبث الاسبان في سائر انحاء الاندلس [١] ، واصبح زمام الامور بيد الفونسو السادس ملك قشتالة ، على اساس خضوع ملوك الطوائف له وتقربهم اليه بالجزية . واتخذ الفونسو السادس مدينة طليطلة ، قاعدة عسكرية يشن منها غاراته المتكررة على المدن الاسلامية المجاورة ، فقد سيطر على جميع الحصون والمدن التابعة للقادر بن ذي النون ، : « وذلك ثمانون منبرا سوى البنيات (المدن الصغيرة) والقرى المعمورات ، ... »[٢] واخذ بعد ذلك يهدد سائر ممالك الطوائف الاخرى .

اشار تطور الحوداث بعد سقوط مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ ، الى أن القوى الاسبانية في الشمال ـ بزعامة ملك قشتالة ـ تريد ان تبتلع كل شيء [٣] ، وانه لابد لملوك الطوائف اذا ارادوا المحافظة على أملاكهم

---

١ ـ ابن الكرديوس : تاريخ الاندلس ، ٨٩ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٣٣ .

٢ ـ ابن الكرديوس : المصدر السابق ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

٣ ـ ابن شاكر : عيون التواريخ (١٤٩٧ تاريخ ، دار الكتب) جـ ١٣ ، ص ١٠ ـ ١١ .

ان يستعينوا بالمرابطين ، ولذا نلاحظ خلال هذه الفترة ٤٧٨هـ ــ ٤٧٩هـ انعدمت الخلافات او كادت بين ملوك الطوائف ، تلك الخلافات التي كانت مشتعلة فيما بينهم قبل سقوط طليطلة • وتميزت هذه الفترة ايضا بعلاقات بين ملك قشتالة الفونسو السادس وبعض ملوك الطوائف ، حيث اراد هذا الملك الاسباني السيطرة على ممالك الطوائف بعد سيطرته على مدينة طليطلة ، واهمها :

١ ــ علاقة ملك قشتالة بمملكة بلنسية :

حسب الاتفاق بين القادر بن ذي النون ملك طليطلة والفونسو السادس ملك قشتالة ، تعهد القادر بتسليم المدينة الى الفونسو مقابل تعويضه بعرش بلنسية[٤] بل وعد القادر بمعاونته على افتتاح دانية وشنتمرية الشرق ، وذلك من اجل ان يغدو شرقا الاندلس تحت الحماية القشتالية [٥] •

خرج القادر واهله من طليطلة ، بعد سقوطها ، قاصدا بلنسية ، وقد صدته خلال الطريق سائر القلاع التي كانت تحت حكمه واغلقت ابوابها دونه ، ماعدا قلعة قونقة ، فرحب به حاكمها (ابن الفرج) ومهد ابن الفرج هذا الطريق لدخول سيده مدينة بلنسية التي إنقسم اهلها على انفسهم حول قبول زعامة القادر او زعامة ملك سرقسطة • وقد وافق اهل بلنسية على زعامة القادر ورحبوا به ، الذي دخل المدينة في مظاهر حافلة تظلله حراب الاسبان ، حيث صحبته قوة قشتالية بقيادة (البرهانس ابن اخ القمبيطور) [٦] ، فنزل القادر في دار الامارة ، وانزل البرهانس وقواته في رصافة بلنسية وذلك في شوال عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٦م [٧] •

---

٤ ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٨٤ ــ ٨٥ •
٥ ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٧ •
٦ ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٦ ورد باسم (البارهانش) •
٧ ــ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ص٤٥ ــ ٤٧ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٠٤ •

وهكذا قامت دولة بني ذي النون مرة اخرى في بلنسية ، بعد ان درست في طليطلة ، تحميها قوات الفونسو السادس ملك قشتالة التي اثقلت المدينة بمطاليبها وفرض الاموال على اهلها • وقد كان القادر ألعوبة بين هؤلاء الاسبان ، وعمل على مصادرة اموال اغنياء اهل بلنسية لكي يدفعها الى القشتاليين ، وقد غادر الكثير من اعيان المدينة فرارا من هذا الطغيان ، وغدت السيادة الحقيقية على المدينة لقوات ملك قشتالة بزعامة البرهانس [٨] •

واستمر القادر في حكم المدينة الى عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م [٩] ، وقد عمل وجوده فيها على تقوية نفوذ القمبيطور وسيطرته عليها فيما بعد •

٢ ـ علاقات ملك قشتالة بمملكة اشبيلية :

بعد دخول الفونسو السادس مدينة طليطلة لاح له ان نهاية ملوك الطوائف قد دنت ، وانه سوف يلتهم المدن تباعا • وقد سار على القاعدةالتي جعلها منهجا له وهي : « كيف اترك قوما مجانين ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وامرائهم •• »[١٠] • ولذا فقد صمم على تنفيذ الخطوة التالية وهي السيطرة على مملكة اشبيلية ، اهم ممالك الطوائف واقواها يومئذ ، فوجه الى المعتمد بن عباد رسالة يطالبه بتسليم ممتلكاته ، ويحذره من مثل طليطلة ومحنتها[١١] ، وقد جاء فيها : « من الانبيطور ذي الملتين [١٢] ، الملك المفضل اذ فنش بن شانجة ، الى المعتمد بالله ، سدد الله

---

٨ ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٨ •

٩ ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٨٨ ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٢ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ص ٣٤٨ •

١٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٩ •

١١ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٧٥ •

١٢ـ ورد هذا اللقب في : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٣٠ ـ ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠١ •

اراءه وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنى ، ونبتت في ربعه المنى ، باغترار الرمح بعامله ، والسيف بساعد حامله ، وقد ابصرتم بطليطلة نزال اقطارها ، وما حاق باهلها حين حصارها فاسلمتم اخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من ايقظ باله ، وقبل الوقوع في الحبالة ، ولولا عهد سلف ، بيننا نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو وارده ، لكن الاقدار تقطع بالاعذار ، ولايعجل الا من خاف الفوت فيما يرومه ، وخشي الغلبة على مايسومه ، وقد حملنا الرسالة اليك القرمط البرهانس ، وعنده من التسديد الذي تلقى بامثالك ، والعقل الذي تدبر بلادك به ورجالك ، مما اوجب استنابته فيما يدق ويجل ، وفيما يصلح لا فيما يخل ، وانت عندما تأتيه من آرائك ، والنظر بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك ، يسعى بيمينك وبين يديك » . وقد اجاب المعتمد على هذه الرسالة بما يلي :

« من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله ، محمد بن المعتضد بالله ابن عمر وابن عباد ، الى الطاغية الباغية أدفنش بن شانجة ، الذي نقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين ، قطع الله بدعواه سلام على من أتبع الهدى . اما بعد فان اول مايبدأ من دعواه انه ذو الملتين ، والمسلمون احق بهذا الاسم ، لان الذي تملكوه من امصار البلاد ، وعظيم الاستعداد ، ومجبى المملكة ، لا تبلغه قدرتكم ، ولاتعرفه ملتكم ، وانما كانت سنة سعد ، أيقظ منها مناديك ، واغفل عن النظر السديد جميل مباديك ، فركبنا مركب عجز نسخة الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة ، قلت في اثنائها ليس ، ولم تستح ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وانا لنعجب من استعجالك برأي لم تحكم انحاؤه ، ولاحسن انتحاؤه ، واعجابك بصنع وافقتك فيه الاقدار ، واغتررت بنفسك أسوأ الاغترار ، وتعلم انا في العدد والعديد ، والنظر السديد ولدينا من كماة الفرسان ، وحيل الانسان ، وحماة الشجعان ، يوم تلتقي الجمعان ، ورجال تدرعوا بالصبر ، وكرهوا القبر ، تسيل نفوسهم على حد

الشفار ، وينعاهم المنام في القفار ، يريدون رحى المنـون بحركات العـزائم ، ويشفون من خيط الجنون بخواتم العزائم ، فقد أعدوا لك ولقومك جلادا رتبه الاتفاق ، وشفارا حدادا شحذها الاصفاق ، وقـد يأتي المحبـوب مـن المكروه ، والندم من عجلة الشروه ، نبهت من غفلة طال زمانها ، وايقظت من نومه تجدد ايمانها ، ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين ، يد صاعدة او وقفة متساعدة ، الا ذل تعلم مقداره ، وتتحقق مناره ، والذي جرأك على طلب مالا تدركه قوم كالحمر ، لايقاتلونكم جميعا ، الا في قرى محصنة ، او من وراء جدر ، ظنوا المعاقل تعقل ، والدول لاتنتقل ، وكـان بيننا وبينك من المسالمة ، ما اوجب القعود عن نصرتهم ، وتدبير امرهـم ، ونسأل اللهالمغفرة فيما اتيناه في انفسنا ، وفيهم من ترك الحزم واسلامهـم لاعاديهم ، والحمد لله الذي جعل عقوبتنا ، توبيخك وتقريعك ، بما المـوت دونه ، وبالله نستعين عليك ، ولا نستبطىء في مسيرنا اليك ، والله ينصـر دينه ، والسلام على من علم الحق فاتبعه وأجتنب الباطل وخدعه »[13] .

أنهت هذه الرسائل المتبادلة الصداقة القائمة بين ملك قشتالة وملـك اشبيلية وعمل المعتمد من وقته على تقوية جيشه وحشد رجاله ، واصـلاح حصونه ، واتخاذ كل مايستطاع من الاهبات الدفاعية [14] . وكنتيجة لهذا الامر قرر المعتمد الاستنصار بالمرابطين .

٣ ــ علاقة ملك قشتالة بمملكة بطليوس :

كذلك اراد الفونسو السادس ملك قشتالة ابتلاع مملكـــة بطليوس ، بعد سيطرته على مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ ، وقد ارسل الى عمر المتوكل ملك بطليوس رسالة يطلب فيها تسليم بعض قلاعه وحصونه ، وان يؤدي له الجزية ، ويتوعده بشر العواقب اذا رفض ، ولا ينكر انه بعـــد

١٣ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٢٣ ــ ٢٥ .
١٤ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٧٦ ــ ٧٧ .

سقوط طليطلة أصبح خط نهر التاجة بما فيه مدن وضياع ضمن سيطرة الاسبان ، الذين وصلوا الى جبال قرطبة (سيراموريـنـا) ، فمكنهـا هـذا التفوق السياسي والعسكري على ممالك الطوائف [١٥] ، وقد شعر ملوك الطوائف بهذا الخطر . الا ان عمر المتوكل ملك بطليوس لم يذعن لتهديدات الملك الاسباني ، بل تحداه ورد عليه برسالة قوية ، تؤكد على اهمية الوحدة وجمع الشمل وجاء فيها : وصل الينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير واحكام العزيز القدير ، يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ، ثم يفرق ، ويهدد بجنوده الوافرة ، واحواله المتظافرة ، ولو علم ان لله جنودا اعز بهم الاسلام واظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام اعزه على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولايخافون ... أما تعييرك للمسلمين فيما وهي من احوالهم فبالذنوب المركوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الاملاك ، علمت اي مصاب اذقناك ، كما كانت اباؤك تتجرعه ، فلم نزل نذيقهـا مـن الحمـام ضروب الالام شؤما تراه وتسمعه ، واذا المال تتورعه . وبالامس كانت قطيعة المنصور على سلفك ، أهدي ابنته اليه مع الذخائر التي كانت تفد كل عام عليه ، واما نحن ان قلت اعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمددنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نروضه ، الا السيـوف تشهد بحدها رقاب قومك ، وجلاد تبصره في ليلك ويومك ، وبالله تعالى وملائكته المسومين ، فتقوى عليك ونستعين .. وما تتربصون بنا احدى الحسنيين ، نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة ، أو شهادة في سبيل الله فيالها من جنة ، وفي الله العوض مما به هددت ، وفـرج يفتر بما مددت ، ويقطع بك فيما أعددت »[١٦] .

وقد بينا ان عمر المتوكل كلف الباجي بمهمة الدعوة الى وحدة الاندلس وجمع شملها ، بالتعاون مع دولة المرابطين لايقاف هجمات الاسبـان .

١٥- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٨٧ (ح ٢) .

١٦- ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٢٠ - ٢٢ .

٤ ـ **علاقة ملك قشتالة مع مملكة المرية :**

أصبحت طليطلة قاعدة اسبانية تشن منها الغارات على المدن الاسلاميـة المجاورة ، ومن الممالك الاسلامية التي تعرضت لمثل هذه الغارات مملكـة المرية في عهد ملكها المعتصم (ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح ٤٤٣ ـ ٤٨٤هـ / ١٠٥١ ـ ١٠٩١) [١٧] ، حيث اخرج الفونسو السادس قـوة مؤلفة مـن ثمانين فارسا وهاجمـوا المـرية ، فتصـدى لهـذا الهجـوم المعتصم الذي اخرج قوة تتألف من اربعمائة فارس لصد عدوان الاسبـان، ويبدو ان الهزيمة لحقت بقوات المعتصم : « فلما التقوا بالعدو ، انهزموا ، وما وقفوا ولااقدموا »[١٧] ، ومع كل هذا فلم يكن المعتصم من المتحمسين لفكرة الاستنصار بالمرابطين في البداية لشعوره بما يقترن بمقدمتهم في الاحتمالات الخطـيرة [١٩] .

٥ ـ **علاقة ملك قشتالة مع مملكة شنتمرية الشرق :**

ذكرت لنا بعض الروايات عن ارتماء عبدالملك بن هذيل بـن رزين ملك شنتمرية الشرق (٤٣٦هـ ـ ٤٩٦هـ) في احضان الفونسـو السادس ملك قشتالة ، وانه اهدى اليه هدايا كبيرة اثناء محاصرة الفونسو السادس لمدينة طليطلة ، فكافآه الملك الاسباني بقـرد ، كان عبدالملك يفخـر به ، لأنه هدية ملك قشتالة [٢٠] ، ولو ان بعض الروايات تنسب هذه الحادثة الى ولده يحيى بن عبدالملك [٢١] . ولكن بعد سقوط مدينة طليطلـة عام

١٧ـ ابن بسـام ، الذخـيرة ، ق١ ، مج٢، ص٢٣٨ ـ المراكشـي ، المعجـب، ص١٩٦ .

١٨ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٩ .

١٩ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ اشباخ : تاريـخ الاندلس ، ص٦٩ .

٢٠ـ ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص١٠١ .

٢١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٨ .

٤٧٨هـ في يد ملك قشتالة اضطر عبدالملك بن هـذيل ان يؤدي الجزيـة الى الفونسو السادس ، اسوة بسائر ممالك الطوائف ، ولكن لما وقعت الهزيمة بقوات الاسبان في معركة الزلاقة ٤٧٩هـ امتنع عبـدالملك بن هذيل عن دفع الجزية [٢٢] . ثم اصبحت اراضي هـذه المملكة مسرحا لعبث القمبيطور فيما بعـد .

٦ ـ علاقة ملك قشتالة بمملكة سرقسطة :

بعد وفاة المؤتمن بن هود عام ٤٧٨هـ خلفه في حكم سرقسطة واعمالها ولده احمد المستعين ، الذي ماكاد يبدأ حكمه حتى القى نفسه امام نكبة اخرى ، وهي سيطرة الفونسو السادس على مدينة طليطلة . وبعد ان احكم ملك قشتالة السيطرة علـى طليطلة ونظم امـورها ، سـار بقواته وضـرب حول مدينة سرقسطة الحصار ، واقسم انه لن يبرحها حتى يدخلها او يموت. وحاول المستعين بن هود اقناع ملك الاسبـان برفع الحصار ، فعرض عليه اموالا كثيرة ، فرفض الفونسو السادس ، واصر على اخذ مدينة سرقسطة[٢٣]، واشاع اعوان الفونسـو السـادس انه في حالـة سيطـرة الفونسـو علـى سرقسطة سيكون اهلها المسلمون موضع عنايته ورعايته كأخوانهم مسلمي طليطلة . واستمر حصار ملك قشتالة لمدينة سرقسطة حتى جاءته الاخبـار في اوائل عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ بعبور المرابطين الى الاندلس ، وعندها اجبـر على الانسحاب الى الجنوب ، بعد ان فشلت كل محاولاته في السيطـرة على مدينة سرقسطة [٢٤] .

استدعاء المرابطين للاندلس :

خضعت منطقة المغرب الاقصى للمرابطين خلال الفترة من عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٢ الى عام ٤٦٥هـ ، ثم استطاع الامير يوسف بن تاشفين خلال الاعوام

٢٢ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥٦ .
٢٣ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٣ .
٢٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٩٢ .

(٤٦٦ ــ ٤٧٦هـ) من فرض سيطرة المرابطين علــى مدينــة سبتة وطنجــــة وتلمسان ووهران (الاجزاء الغربية من المغرب الاوسط ــ الجــزائر) وبذلك حقق دولة تمتد من الجزائر شرقا الى المحيط الاطلسي غــربا ، ومــن البحــر المتوسط شمالا حتى حدود السودان (غانة) جنوبا [٢٥] .

شارك البربر في احداث الفتنة الاندلسية ، وسيطر بنو حمود على قرطبة عام ٤٠٧هـ بعد ان قتلوا سليمان بن الحكم (المستعين باللــــه) [٢٦] كما سيطروا على مدينة اشبيلية . وكان قاضي اشبيلية على ايام القاسم بن حمود (محمد بن اسماعيل بن عباد) الذي سيطر على المدينة على اثر ثورة اهل اشبيلية وخلعهم القاسم بن حمود بسبب تعصبه للبربر . ومر بنا الحديث عن ابتلاع مملكة اشبيلية ، على ايام المعتضد بن عباد ، للامارات البربريــة الواقعة في جنوبي الاندلس ، وسيطرته على الجزيرة الخضراء من يد أميرها القاسم بن حمود عام ٤٤٦هـ .

وفي الوقت نفسه كانت مملكة غرناطة البربرية تتعصب للبربر ودخلت في نزاع مرير مع مملكة اشبيلية العربية ، وقد ادى هذا النــزاع الــى استعانة كلتا المملكتين بالاسبان ومر بنــا الحديث عن النــزاع بــين سليمــان بن هود ملك سرقسطة ، والمأمون بن ذي النون ملك طليطلة (٤٣٥ ــ ٤٣٨هـ) واستعانة كل منهما بالاسبان ، حتى حاصــر ملك الاسبــان فرنانــدو الاول مدينة طليطلة لصالح ملوك سرقسطة ، وخرب حصونها واتلف ثمارها . فبعث اليه اهل طليطلة بالصلح ، الا انه طلب شروطا صعبة واموالا كثيرة عجزوا عن قبولها ، فبعثوا يقولون له : لو كانت لدينا هذه الاموال ، لانفقناها علــى البربر واستدعيناهم للدفاع عنا ، فرد عليهم الملك الاسبــاني : « ... وامــا استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا وتهددونا به ولا تقدرون عليه مع

٢٥ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣١٣ ــ الطيبي ، واقعة الزلاقة ، ص١٣ .

٢٦ــ النباهي ، المرقبــة العليــا ، ص٨٩ ــ الابار ، الحلــة الســــيراء ، جـ٢، ص٢٧ .

عداواتهم لكم ... »[٢٧] ، فمن هم البربـــــر الذيــن قصــدهم اهـــل طليطلـــة بالنصـــس ؟ .

هل المقصود في هذاالنص بربر مدينة وادي الحجارة (مدينـــــة الفرج) وهم بنو سالم من بربر مصمــودة الذين جاءوا الــى الاندلس فــي موجة فتح الاولى[٢٨] ، ام بربر مدينة سالم التي اعاد بناءها سالم بن ورعمال المصمودي عام ٣٣٥هـ وسميت على اسمــه[٢٩] ، وهاتــان المدينتــان مــن اعمال الثغر الاوسط (طليطلة) ، ام المقصود في هذا النص البربـــــر المتواجدين في الاندلس وهم (دولة بني مناد في غرناطة) وامارة بني برزال في قرمونة (البرازلة) [٣٠] ، وامارة بني يفرن في رندة ، وامارة بني دمـــــر وبنـــي خـــزرون .

يبدو لنا ان كلمة استدعاؤكم بمفهومها العام تدل على طلب العـــــون من بربرة عدوة المغرب ، علما ان مملكة طليطلة صاحبة المشكلة يحكمهـا البربر (اسرة بني ذنون من قبائل هوارة) [٣١] ، ويجاورها مملكة بنـــــي الافطس البربرية من (قبائل مكتاسة) [٣٢] .

واذا صح لنا ان نقرر أن اهالي طليطلة فكروا بالعون والمساعدة مــن بربر العدوة ، فهذا يعني انهم يقصدون في ذلك الامارات البربرية المتواجدة

٢٧- ابن عــذاري ، البيــان المغــرب ، جـ٣، ص٢٨٢ ـ ارســـلان ، الحلــل السندسية ، جـ١ ، ص ٤٤١ .

٢٨- ابن حزم ، جمهــرة انساب العــرب ، ص٤٦٦ ـ ابن الكردبوس : تاريــخ الاندلس ، ص ٧٢ .

٢٩- ابن حيان : المقتبس ، جـ٢ ، ص٥١٤ ـ الادريسي ، نزهــة المشتـــــاق، ص١٨٩ .

٣٠- ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥٠ .

٣١- ابن حيان : المقتبس ، جـ٣ ، ص ١٨ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص ٣٤٧ .

٣٢- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ٩٦ وبعدها .

في الشمال الافريقي والتي يسميهم ابن الكردبوس بـ (الزناتيين) [٣٣] ، وهم بنو مـدرار ، وبنو خزون ، وبنو يفرن ، وبنو يخفش (بنو توالى)[٣٤] ، وهم الذيـن انتهى حكمهـم علـى يـد المرابطـين فيمـا بعـد[٣٥] .

وفي هذا الوقت بالذات (٤٣٥ ــ ٤٣٨هـ) كان بداية خـروج المرابطين من رباط نهر السنغال ، وبداية حروبهم الجهادية مع قبائل كدالـة ومسوفة [٣٦] ، ويبدو لنا من تتبع الحوادث ، ان انقسام الاندلس الى ممالك متنازعة فيما بينها من ناحية ، وموقف بني عباد العـرب (من قبيلة لخم)[٣٧] مـن الامارات البربرية من ناحيـة أخـرى ، جعلهـا تتخوف مـن ظهـور قوة بربرية في العدوتين تقضي على ممالك الاندلس وخاصة على مملكة اشبيلية كما ان المعتضد بن عباد بعد مؤامرة عام ٤٤٥هـ التي قتل بها (ابو نـور بن ابي قرة) صاحب رندة ، و (محمد بن نوح الدمري) صاحب مورور ، و (عبدون بن خزرون) صاحب أركش [٣٨] ، اخذ يسعى في الاستيلاء على جميع الامارات البربرية المجاورة له . فسيطر على الجزيرة الخضراء عام ٤٤٦هـ / ١٠٥٥م ، وهو عام انتهاء دولة بني حمود [٣٩] ، وسيطر علـى رنده عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[٤٠] وعلى أركش ومورور عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م[٤١] ، وعلى قرمونة عام ٤٥٩/١٠٦٧م[٤٢] .

٣٣ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٨٥ .
٣٤ــ ابن الخطيب : تاريخ الاندلس ، جـ٣ ، ص١٣٧ ــ ١٤٩ .
٣٥ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٨٥ (ح) .
٣٦ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص١٢٧ .
٣٧ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٣٤ .
٣٨ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٥٠ .
٣٩ــ المراكشي ، المعجب ، ص١٢١ ــ ١٢٢ .
٤٠ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٢٠٨ ، ص٣١٢ ــ ٣١٣ .
٤١ــ أيضا ، جـ٣ ، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٦ .
٤٢ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٣٦ ــ ٢٣٨ .

ومن نتائج هذه السيطرة ، اخذ المعتضد بن عباد يراقب بحـــذر اخبارعدوة المغرب ، وما يجرى فيها من احداث ، خاصة وان المرابطـــين بدأوا السير الى الشمال ، ووصلوا الى منطقة مراكش عام ٤٥٤هـ واختطوا أسسها [٤٣] .

وبدأت مخاوف المعتضد تزداد على ضوء توارد اخبار المرابطين [٤٤] . وانتصاراتهم الى عدوة الاندلس ، ويورد لنا ابن بسام نصا في غاية الاهمية حول هذا الامر بقوله : « واتفق ان دخل عليه يوما بعض وزرائه (أي المعتضد) وبين يديه كتاب قد اطال فيه النظر ، فاذا كتاب سقوت ــ المنتزى يومئــذ بسبته) [٤٥] . يذكر ان القوم المتلثمين المدعوين بالمرابطين قد وصلت مقدمتهم رحبة مراكش ، فقال له المعتضد : هو والله الذي أتوقعه واخشاه ، ان طالت بك حياة فستراه ، اكتب الى فلان ــ يعني عامله على الجزيرة (الخضراء). باحتراس جبل طارق حتى يأتيه امري ، واخذ يريش في تحصينه ، ووضــع أرصاده هنالك وعيونه »[٤٦] .

لايخفى علينا من تتبع النصوص ان فكرة الاستعانة بالمرابطـــين سبقت سقوط مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ حوالي عقد في السنين [٤٧] ، ففـــي الترجمة التي اوردها القاضي عياض لابي الوليد الباجـــي جاء فيهـــا ، « ... وتوفي بالمرية سنة اربع وسبعين (٤٧٤هـ) ... وكان جاء الى المرية سفيرا

٤٣ـ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص٨٨ ــ المراكشـــي ، الاعـــلام ، ص٦٣ ــ ٦٤ .

٤٤ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٤٥ .

٤٥ـ بعد زوال امر الحموديين بقيت مدينة سبتة وطنجة بيد سقوت البرغواطى الزناتى ، وكان مناوئا للمعتضد ومهددا له . ابن الآبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥١ (ج) .

٤٦ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، مجـ١ ، ص٣١ ــ راجع : ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥٢ .

٤٧ـ الحجي ، التاريخ الاندلس ، ص٣٩٣ .

بين رؤساء الاندلس يؤلفهم على نصرة الاسلام ، ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملك المغرب المرابطين على ذلك، فتوفي قبل تمام غرضه رحمه الله »[٤٨] .

ويبدو ان سفارة الباجي كانت قبل عام ٤٧٤هـ ولعل ذلك في عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وهي السنة التي سيطر بها ملك قشتالة على مدينة قورية من اعمال مملكة بطليوس [٤٩] . ففي الوقت الذي بدأ فيه الباجي بسفارته بين ملوك الطوائف يدعوهم الى الوحدة وتنسيق الخطط مع المرابطين ، أرسل المتوكل بن الافطس ملك بطليوس رسالة مثيرة الى يوسف بن تاشفين بعد سقوط قورية ، يستنصره فيها على الجهاد ويدعوه الى الانجاد العاجل ، ويشرح له فيها حال المسلمين في الاندلس [٥٠] . والظاهر ان المتوكل ملك بطليوس تلقى جوابا من يوسف بن تاشفين يعده فيه بالجواز والانجاد [٥١] .

مر علينا ذكر سفارة الفونسو السادس الى المعتمد بن عباد عام ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م برئاسة ابن شاليب اليهودي ومقتل هذا السفير ، فكانت حملة الفونسو السادس المدمرة التي وصل بها الى مدينة طريف على بحر الزقاق[٥٢] . ومر بنا اثناء محاصرة الملك الاسباني لمدينة اشبيلية ، كتب الى المعتمد بن عباد رسالة يطلب بها بعض المراوح نظرا لشدة الحرارة ، فاجابه

٤٨- القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج٣ - ٤ ، ص ٨٠٨ - ابن قنفذ القسنطيني ، كتاب الوفيات ، ص٢٥٥ .

٤٩- ابن بسام ، الذخيرة ، ج٢ ، ص١٠١ - ١٠٢ - ابو الفدا : تقويم البلدان، ص١٨٥ .

٥٠- راجع نص الرسالة : ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٢٠ وبعدها - عنان : دول الطوائف ، ص٩٢ - ٩٣ .

٥١- عنان : دول الطوائف ، ص ٩٣ .

٥٢- قال الفونسو السادس وهو راكب فرسه في البحر ، هنا يجب ان انتهي بجنودي ، كنون ، عبدالله : النبوغ المغربي في الادب العربي ، ج١ ، ص٦٦ .

المعتمد : « ... قــرأت كتابك ، وفهمت خيلاءك واعجابك ، وسانظــر لك في مراوح من الجلود اللمطية ، في ايدي الجيوش المرابطية ، تروح منك ، لا تروح عليك ان شاء الله . فلما ترجم لابن فردلند توقيع ابن عباد في الجواب أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببـــال »(٥٣) .

ويبدو لنا من هذا النص مايلي : ـ

١ ـ ان المعتمد بن عباد راسل يوسف بن تاشفين امــير المرابطــين ، يستنجد ويطلب العون منه قبل وخلال سنة ٤٧٥هـ ، ويبدو انه تلقى جــوابا منه يعده بالانجاد ، وخاصة بعد ان يفتح مدينة سبته(٥٤) .

٢ ـ يدرك الفونسو السادس ملك الاسبان مسبقــا ، ان انتصــاراته هــذه التي احرزها في الاندلس ، وسيطرته على اهم المدن والقـــــلاع الاسلامية ، كان بسبب الخلافات المريرة بــين ملوك الطــوائف . وفي ضوء جواب المعتمد هذا أدرك أن وحدة المسلمين في العدوتين سيجعل منهم قوة كبيرة تقف في وجهه وتحطم أماله وما بناه من ملك وجــاه وسيصدق هذا الظن ، ولو في مجال ضيق في معركة الزلاقة عـــام ٤٧٩هـ .

اذن مضت سنوات على فكرة الاستعانة بالمرابطين ، ونمت خلالها ، لكنها ظهرت بصورة قوية ، اثناء وبعد سقوط مدينة طليطلة عــام ٤٧٨هـ(٥٥) .

٥٣ـ الحمــيري ، الروض المعطــار ، ص٨٥ ـ راجع : ابن عــذاري ، البيــان المغرب ، جـ٤ ، ص ١٣١ .

٥٤ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ـ عنان : دول الطوائف ص٩٣ .

٥٥ـ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ٣٩٢ .

ان فكرة استدعاء المرابطين لنجدة الاندلس مرت بالمراحل التالية : ـ

١ ـ مرحلة الدعوات والمراسلات الشخصية والخاصة ، والتي بدأ بها المعتمد ابن عباد والمتوكل بن الافطس[٥٦] ، ويحدثنا الامير عبدالله في مذكراته ، ان اول من خطر له الاستنصار بالمرابطين من ملوك الاندلس هو أخوه تميم بن بلقين والي مالقة ، وانه اراد الاستعانة بهم ضد اخيه عبدالله ، ولكن يوسف بن تاشفين لم يلتفت الى هذه الدعوة [٥٧] ، ثم كانت مراسلة المتوكل بن الافطس لامير المرابطين عام ٤٧٤هـ [٥٨] .

٢ ـ مرحلة الاعداد من قبل العلماء والفقهاء الذين رحلوا باستمرار من الاندلس الى المغرب ، هاربين بانفسهم من بطش الاسبان . وكان هؤلاء الفقهاء يروون لزعماء المرابطين قصصا دامية وحوادث مفجعة يهتز لها كيان كل مسلم مخلص لدينه ، وكان بعض هؤلاء الفقهاء يسعون الى لقاء يوسف بن تاشفين مجهشين بالبكاء لما أصاب بلادهم من بؤس وشقاء ، وذلك قبل وبعد سقوط مدينة طليطلة ، فتهتز نفسه ، وتقوى عزيمته على وجوب التدخل ونصرة المسلمين في الاندلس [٥٩] . وقد اورد صاحب الحلل الموشية نصا يلقي الضوء على مثل هذه الاتصالات بقوله : « في سنة اربع وسبعين واربع مئة . وفد عليه (اي يوسف بن تاشفين) جماعة من الاندلس شكوا اليه

٥٦ـ ظهر شك حول حقيقة هذه الرسائل التي ارسلها ملوك الطوائف الى يوسف ابن تاشفين . عنان : دول الطوائف ، ص٧٩ ـ عنان : نهاية الاندلس ص ٨٩ .

٥٧ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص ١٠٢ .

٥٨ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٢٠ ـ الحميري : الروض المعطار ، ص٨٦ .

٥٩ـ الحميري : الروض المعطار ، ص٨٦ ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٦٤ .

ما حل بهم من اعدائهم فوعدهم بمرادهم وأعانهم . وكان ممن كتب اليه حين ذلك المتوكل على الله ابن الافطس »[٦٠] .

يتبين لنا من ذلك ، ان المتوكل بن الافطس تبنى دعوة الباجي لما يلي : —

أ — الدعوة الى توحيد الاندلس وجمع شمل ملوكها .

ب — الاستعانة بالمرابطين لنصرة الاسلام في الاندلس[٦١] .

ان تطلع شعب الاندلس الى عون المرابطين بلغ ذروته بعد سقوط مدينة طليطلة ، واعتبروا وجود المرابطين هو المخرج لهم من مأزقهم ، والفرج من شدتهم ، : « فخرج المسلمون من جميع الاقطار حين تملكها العدو (أي طليطلة) ولم يكن لهم فرار ، ولا هدو ولا طمع في التخلص من يد اللعين (اي الفونسو السادس) سوى انباء طرأت عليهم من قبل المرابطين، وانهم قد ملكوا مغرب العدوة وطردوا عنه الزناتين ، فكأنهم تأسوا بانبائهم ورجوا الفرج من تلقائهم »[٦٢] .

٣ — مرحلة الدعوة الرسميه ، وذلك بعد سقوط مدينة طليطلة مباشرة . وتزعم هذه الدعوة المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس والامير عبد الله بن بلقيس يساندهم في هذه الدعوة اكثر ملوك الطوائف وفقهاء الاندلس [٦٣] واخبرتنا بعض الروايات الاسلامية ان هذه الدعوة الرسمية جاءت في شهر جمادي الاولى من عام ٤٧٨هـ ، اي بعد ثلاثة اشهر من نكبة مدينه طليطلة ، حيث يذكر ابن الخطيب ان المعتمد ابن عباد خاطب : يوسف بن تاشفين غرة جمادي الاولى . من سنة (٤٧٨هـ) ، يستأذنه في القدوم عليه لتقرير احوال الاندلس[٦٤] .

٦٠— ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٢٠ .
٦١— الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٣٩٨ .
٦٢— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ٨٥ .
٦٣— حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٦٧ .
٦٤— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٤٥ .

لانكون مجافين للحق اذا قلنا : ان ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد ابن عباد وعبدالله بن بلقين تراموا في احضـان الاسبـان ، ودفعوا لهم الجزية من اجل الحفاظ على سلطانهم وقلاعهم ، ومن اجل القضاء على خصومهم من بقية ملوك الطوائف ، ويبدو لنا من ذلك ان المصلحة الشخصية وحب التسلط هي الصفة الغالبة لهؤلاء الملوك ، الذين لاهم لهم الا العيش اياما معدودة على حساب عزة الاسلام وكرامة النفوس . وفي الجانب الاخر كان الشعب يتقد حماسا ، بجهود صالح العلماء والفقهاء ، من اجل وحدة البلاد والنصرة بالمرابطين . كما ان تطور الحوادث بعد عام ٤٧٨هـ قد جعل الامر واضحا بان القوى الاسبانيـة تريد ان تبتلع كل شـيء ، وانه لابـد للملوك الطوائف اذا ارادوا المحافظة على عروشهم واملاكهم ، ان يستعينـوا بالمرابطين (٦٥) .

ان الجهاد في سبيل الله هو محور قيام دولة المرابطين في بـلاد المغرب والاندلس ، واحلته من سياستها محلا رفيعا من اجل انقـاذ العالم الاسلامي من الوهن والفرقة . هذا المبدأ المقدس وضعه (عبدالله ابن ياسين) والامير (ابو بكربن عمر) وسار على هديهم يوسف بـن تاشفين حيث قال : « انا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولايتولى هذا الامـر أحد الا أنا نفسي »(٦٦) . وبعد ان أكمل يوسف بن تاشفـين فتـح بـلاد المغرب الاقصى ، اخذ يحرض مختلف القبائـل علـى الانخراط في سلك المجاهدين في سبيل الله (٦٧) ، كما انه اهتم ببناء الاسطول بعد ان تم فتح مدينة سبتة وطنجة (٦٨) ، والذي سيستخدمه في نصرة اهل الاندلـس فيما بعـد .

٦٥ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٦

٦٦ـ المراكشي : المعجب، ص١٩١ ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٣ .

٦٧ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص٩٣ .

٦٨ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٨١ .

ذكرت بعض الروايات ، ان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بعث بسفينة لمساعدة المرابطين اثناء حصارهم مدينة سبتة ، لانه كان يفكر في ان يستعين بهم لرد عدوان الاسبان على مملكته ، وذكرت هذه الروايات ان المرابطين وعدوه بالمساعدة بعد فتح مدينة سبتة وطنجة [٦٩] ، الا ان ابن بسام يذكر : ان سفينة المعتمد هذه كانت بميناء سبتة تتزود بالميرة وقت نشوب المعركة ، فطلب المرابطون نجدتها فانجدتهم[٧٠] ، وذلك من اجل القضاء على قراصنة سبتة الذين كانوا يتعرضون لسفن الاندلس بالسلب والنهب [٧١] .

ان توسع المرابطين هذا لم يصادف قبولا حسنا عند ملوك الطوائف ، فتوجسوا خيفة واحسوا بان هناك قوة جديدة سيكون لها دور كبير على مسرح التاريخ المغربي ، وقد ذكرنا مخاوف المعتضد بن عباد من هذه القوة الجديدة ، وقد ازداد مخاوف ملوك الطوائف عند اطلال المرابطين على مضيق جبل طارق ، وشروعهم في بناء الاسطول : « لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتوني المغرب وبنى مدينتي مراكش وتلمسان .. وتمهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور الى جزيرة الاندلس فهم بذلك واخذ في انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم واعدوا له العدة وصعب عليهم مدافعته وكرهوا ان يكونوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والمسلمون من جنوبهم »[٧٢] .

اذن تخوف ملوك الاندلس من التوسع المرابطي ، وقد ذكرت لنا بعض الروايات الخلاف بين المعتمد ملك اشبيلية وابنه الراشد حول فكرة

٦٩ــ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩١ ــ السلاوى ، الاستقصا ، جـ٢ ، ص٣٠ .

٧٠ــ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ .

٧١ــ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص٢١٨ .

٧٢ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١١٢ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٦ ، ص ١١٢ .

الاستنصار بالمرابطين [٧٣] ، كما اشار بقية ملوك الاندلس على المعتمد بالتحالف مع الفونسو السادس ملك قشتالة واجابته لكل مطاليبه[٧٤] .

يتبين لنا من ذلك ، اختلاف ملوك الاندلس حول استدعاء المرابطين، ولم يكن هناك اجماع حول الامر ، بل كان من رأي بعض ملوك الاندلس الاستعانة بعرب بني هلال [٧٥] ، الذين غزوا افريقية ، وهددوا مملكة بني مناد[٧٦] .

ازاء ضغط الاسبان على ملوك الطوائف في الاندلس من ناحية، وجهود صالح العلماء والفقهاء في الاندلس وسعيهم الى جمع الكلمة والدعوة الى التوحيد بين القوى الاسلامية في العدوتين من ناحية اخرى ، أصبح ملوك الاندلس امام الامر الواقع ، وخاصة بعد سقوط مدينة طليطلة ، بان يستنصروا بالمرابطين لرد الخطر الاسباني عن بلادهم ، ولكي لايظهروا بمظهر المتخاذل عن الجهاد[٧٧] . وقد زودنا ابن الكردبوس بنص مهم يوضح هذه الفكرة بقوله : « ولما تيقن كل من ثار ورأس ، ولاسيما رؤساء غرب الاندلس كابن عباد وابن الافطس ، مذهب الفنش فيهم ، وانه لايقنع منهم بجزية ولا هدية ، رأوا ان الرجوع الى الحق أحق ، فاستصرخوا بالمرابطين ، واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، على ان ينخرطوا في سلكه، ويدخلوا تحت ملكه . وفتحوا له بابا الى الجهاد كانوا قد سدوه ، فأجابهم

٧٣ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٨١ .

٧٤ــ الحميري : الروض المعطار ، ص٨٥ ــ ابن حمديس ، الديوان ، ص٣٧٧ .

٧٥ــ عرب بني هلال : قبائل بدوية غزت المغرب في القرن الخامس الهجري ودمرت القيروان وهددت دولة بني حماد في الجزائر ، وسيرد لها التفاصيل في الباب الثالث .

٧٦ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٦٢ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٥٧ ــ ١٥٩ .

٧٧ــ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٦٧ ــ راجع ، دوزي، ملوك الطوائف ، ص ٢٨١ .

الى مارغبوه ، ولم يخالفهم فيما طلبوه ، اذ كان راغبا في جهاد المشركين والذب عن حريم المسلمين ، فاستيقظ طلب النصر من منامه ، وتطلع بدر التأييد من خلال غمامه »[٧٨] •

ويتبين لنا من هذا النص مايلي : —

١ — ان ملوك الاندلس بعد ان فشلوا في السير مع ركاب الفونسو السادس، استعانوا بالمرابطين من اجل حماية عروشهم •

٢ — اقرار ملوك الطوائف بتبعيتهم لامير المرابطين يوسف بن تاشفين والخضوع لحكمه •

٣ — كان يوسف بن تاشفين يتطلع الى التدخل في شؤون الاندلس وانقاذ المسلمين من حالتهم السيئة ، حتى لو لم يستنجد به ملوك الطوائف[٧٩]، لان حبه للجهاد ورغبته في الدفاع عن حرم المسلمين يشجعه على ذلك •

اجتمع هذا الامر ، مع صريخ ملوك الطوائف واهل الاندلس ، فسارع يوسف بن تاشفين في العبور الذي لابد منه • لانه كان باستطاعته ، لو كان عازفا عن التدخل في شؤون الاندلس ، ان يصرف جهوده الى فتح بقية شمالي افريقية والتوسع شرقا ، وكانت الاحوال هناك تمهد له مثل هذا التوسع[٨٠] •

لكن لم يهدف يوسف بن تاشفين الى امتلاك الاراضي الواسعة مثل هدفه الى تحقيق اهداف المرابطين في الجهاد من اجل نصرة الاسلام • وقد

٧٨— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٨٩ — ٩٠ •

٧٩— الطيبي ، واقعة الزلاقة ، ص١٣١ •

٨٠— محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٦٧ •

تبين لنا زهده في المكاسب المادية بقوله : انما كان غرضنا من ملك هـــذه الجزيرة (أي الاندلس) ان نستنقذها من أيدي الروم لما رأينا استيلاءهم على اكثرها ، وغفلة ملوكهم واهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة ... ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هـــذه الفتنة الى المسلمين ، ولاملأنها عليهم ــ يعني الروم ــ خيلا ورجالا لاعهـد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم برخاء العيش ، انما هم أحدهم فرس يروضه ويستفرهه ، او سلاح يستجيده ، او صريخ يلبي دعوته ... »[81] .

كما ان تطلعاته الى الاشتراك في معارك الجهاد في الاندلس كانت مبكرة منذ وصوله الى شاطىء مضيق جبل طارق ، وقد منعه سقوت الزناتي صاحب سبتة من العبــور الى الاندلس ، فافتى الفقهــاء بقتله ، فحاربــه يوسف بن تاشفين . وقتله مع ابنه ، : « وازدلف خلال ذلك الى سبتة امــير المغـــرب حينئذ ــ ابو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني ــ حسبه ورغبة في الجهاد ، وقد دانت له بلاد العدوة ، وسأل عن سقوت بن محمد صاحب سبته انيبيح له فرض الاجازة الى الاندلس ، فأبى وتمنع من ذلك ، فأفتى الفقهاء بقتالـه لصده عن سبيل الله فقتل هو وابنه في خبر طويل ... »[82] .

كانت سيطرة المرابطين على سبتــة عام ٤٧٦هـ . فتزايدت مخاوف ملوك الاندلس من هذه القوة المقابلة لعدوتهم ، لان اية قوة سياسية تفرضـــ سيطرتها على شمالى افريقية وخاصة على سبتة وطنجة ، تتطلع الى بســط نفوذها الى بلد الاندلس المجاور ، كما أثبتت حوادث الفتح الاسلامي الاول لشمالى افريقية ، وتطورات تاريخ المرابطين وتاريخ الموحدين فيما بعد .

٨١ــ المراكشي : المعجب ، ص٢٢٦ .

٨٢ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٨ .

في ضـــوء تزايد مخاوف ملوك الاندلس من توسع المرابطين ، عقـــد هؤلاء العزم على مكاتبة يوسف بن تاشفين يسألونه الاعراض عنهم ، وانهـــم تحت طاعته وجاء في رسالتهم : « اما بعد ، فانك ان اعرضت عنـــا نسبت الـــى كرم ، ولم تنسب الى عجز ، وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقـــل ، ولم ننسب الى وهم ، وقد اخترنا لانفسنا اجمل نسبتنا فاختر لنفسك أكرم نسبتك ، فانك بالمحك الذي لايحب ان تستبق فيه الى مكرمـــة وان في استبقائك ذوي البيوت ماشئت من دوام لامرك وثبوت والسلام [٨٣] ، وارفقوا مع رسالتهم جملة من الهدايا .

ولما عرف يوسف بن تاشفين بما جاء في هذه الرســـالة ، طمأن ملـــوك الاندلس ورد على رسالتهم ، وعلى هداياهم ، ففرح ملوك الاندلس بهـــذا الموقف وقرروا انهم متى رأوا خطراً من الاسبان يستجـــدون به ويطلبـــون عونه [٨٤] .

بعـــد سقوط مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ ، ازداد عبث الاسبـــان في سائـــر انحاء الاندلس [٨٥] ، فقرر ملوك الاندلس ــ وعلى رأسهم المعتمد بن عباد ــ دعوة المرابطين لرد خطر الاسبـــان . وكان هذا القرار ، وخاصة من جانب المعتمد بعد تردد كبير ، عندما فشل من مواصلة السير في ركاب الفونســـو السادس الذي : « انزل نفسه منازل القياصرة ، وداخله من الاعجاب ماالحتقر به كل ماش على التراب » [٨٦] . وقد اعتبر المعتمد الاسبان والمرابطين عدوين له ، الا انه فضل التعاون مع المرابطين وربما شاركه بقية ملوك الاندلس بهذا

٨٣ــ ابن عـــذاري : البيـــان المغـــرب ، جـ٤، ص١١٢ ــ ١١٣ ــ ابـــن خلكان، وفيات الاعيان ، جـ٦ ، ص ١١٢ ــ ١١٣ .

٨٤ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤، ص١١٤ .

٨٥ــ ابن الكردبوس : تاريـــخ الاندلس ، ص ٩٨ ــ ابـــن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٣٣ .

٨٦ــ ابن الكردبوس : المصدر السابق ص ٨٨ .

الامر ، وله القول المشهور : « ... ولان يرعى أولادنا جمالهم (أي المرابطين) أحب الينا من ان يرعوا خنازير الفرنج ، ... »[87] .

اذن اضطر المعتمد ، وبقية ملوك الاندلس على دعوة المرابطين لرد كيد الاسبان ، فجاءت هذه الدعوة بعد ثلاثة اشهر من سقوط مدينة طليطلة[88] ، فعقدوا مؤتمر قرطبة .

كان عقد هذا المؤتمر نتيجة لعدم المقدرة على السير في ركاب الفونسو السادس الذي اخذ يعمل على ابادة ملوك الطوائف والقضاء عليهم[89] ، وقد استعرضنا سابقا علاقات ملوك الطوائف بالفونسو السادس خلال (٤٧٨ — ٤٧٩هـ) وعبثه في اراضي الاندلس خلال هذه الفترة ، فأيقن ملوك الطوائف انه لامفر لهم من الخطر الاسباني ، الا الاستعانة بالمرابطين ، فراسلوا يوسف ابن تاشفين يطلبون العون والمساعدة ، : « وان الاذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الاندلس بجمع كبير من الفرنج : فخافه ملوك الاندلس على البلاد واجفل اهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا الى المعاقل ، فكتب المعتمد ابن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له : ان كنت مؤثرا للجهاد فهذا اوانه ، فقد خرج الاذفونش الى البلاد ، فاسرع في العبور اليه ، ونحن معاشر اهل الجزيرة بين يديك »[90] .

وكما قلنا لم يكن هناك اجماع من ملوك الطوائف على هذه الدعوة ، حيث عارض المعتصم بن صمادح ملك المرية (٤٤٣ — ٤٨٤هـ) هذه الفكرة ،

٨٧— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٤٤ — الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٢٤ ، ص ٣ (مخ) .

٨٨— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٤٥ — ليون بول ، العرب في اسبانيا ، ص ١٦٥ .

٨٩— ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٨٩ .

٩٠— ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١١٤ — ١١٥ — ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص ١١٩ .

الشعوره بما يقترن بقدوم المرابطين الى الاندلس من الاحتمالات الخطيرة[٩١]، كما عارض الرشيد بن المعتمد وجماعة من زعماء اشبيلية فكر المعتمد بن عباد وفضلوا التعاون مع الاسبان[٩٢] • الا ان المعتمد بن عباد ـ في ضوء نص ابن الابار التالي ـ بالتعاون مع بعض ملوك الطوائف قرروا استدعاء المرابطين لنجدة الاندلس وفق شروط معينة لا تتعدى الى غيرها ، لانهم أحسو ولمسوا بانفسهم مبلغ تهيؤ يوسف بن تاشفين لدخول الاندلس، فاحبوا ان يستفيدوا من حركة قائمة ، ارضاء للفقهاء والشعب ، قبل أن يكتسحهم تيارها ، وحتى لايظهروا امام العالم الاسلامي بمظهر المتقاعسين عن الجهاد في بلادهم[٩٣] ، ولتنفيذ هذه الفكرة عقدوا مؤتمر قرطبة •

أعطانا ابن الابار صورة واضحة عن مؤتمر قرطبة ، وذلك بقوله : « وعلم المعتمد محمد بن عباد تصميمه على نيته (اي يوسف بن تاشفين)، فخاطب جارية : صاحب بطليموس وصاحب غرناطة ، في تحريك قاضيها الى حضرته للاجتماع بقاضي الجماعة بقرطبة • فوصل من بطليوس قاضيها ابو اسحاق ابن مقانا • ومن غرناطة قاضيها القليعي ، واجتمعا في اشبيلية بالقاضي ابي بكر بن أدهم ، وانضاف اليهم الوزير ابو بكر محمد بن ابي الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون[٩٤] • وتوجهوا جميعا الى ابن تاشفين على شروط لاتتعدى الى غيرها • ووصلوا الى الجزيرة الخضراء ـ وعليها يزيد بن المعتمد ، الملقب بالراضي ـ ثم اجازوا البحر منها ، واجتمعوا بابن تاشفين مرة بعد مرة • وتفاوضوا في مكان تنزله العساكر ، فأشار ابن زيدون

٩١ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ •

٩٢ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ـ سعد اسماعيل شلبي ، البيئة الاندلسية واثرها في الشعر ، عصر ملوك الطوائف ، ص٣٦ ـ ٣٧ •

٩٣ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٢٦٧ •

٩٤ـ في رواية كان معهم ابو بكر بن القصيرة الكاتب المشهور : المراكشي ، المعجب ، ص٢٢٧ •

بجبل طارق ، وسئل الجزيرة الخضراء فلم توجد سبيلا اليها ، فما قوبل بشكر ولا لوم ، وأصدر هو واصحابه دون علم المراد »[٩٥] .

يتبين لنا من ذلك ، ان عدم الاتفاق كان واضحا ، وهناك اشـارات الى احتمال فشل السفارة ، وستكون مهمة المرابطين في الاندلس صعبـة من اول خطوة ، حيث كان نزولهم بالجزيرة الخضراء ، بعد عبورهم الـى الاندلس ، محفوفا بالمخاطر ، حتـى ان المعتمـد بـن عبـاد تخلـى عنهـا بالاكـــراه .

وتذكر بعض الروايات عبور المعتمد بن عبـاد الـى عـدوة المغـرب فلقى يوسف بن تاشفين وابلغه رغبة اهل الاندلس في الجواز اليهم ونصرتهم على عدوهم ، فما كان منه الا ان لبى دعوتهم واستنفر الجيوش الى الجهاد [٩٦] .

٩٥ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٨ ـ ٩٩ ـ راجع ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٨٦ .

٩٦ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص٩٣ ـ كنون : النبوغ المغربى ، جـ١ ، ص ٦٦ .

الباب الثاني

العلاقات السياسية بين المرابطين والممالك الاسبانية بالاندلس

الفصل الاول : الجهاد المشترك بين المرابطين وملوك الطوائف ضد الممالك الاسبانية في عام ٤٧٩هـ الى عام ٤٨٣هـ .

الفصل الثاني : القضاء على ممالك الطوائف وتوحيد الاندلس تحت سيادة المرابطين .

الفصل الثالث : جهاد المرابطين للممالك الاسبانية من ٤٨٣ – الى ٥٤٢هـ .

الفصل الرابع : ثورة اهل الاندلس على المرابطين وانتهاء عهدهم فيها .

الفصـــل الاول

الجهاد المشترك بين المرابطين وملوك الطوائف ضد الممالك الاسبانية من عام ٤٧٩ الى عام ٤٨٣هـ

تميزت العلاقات السياسية بين المرابطين وملوك الطوائف خلال الاعوام مابين ٤٧٩ ــ ٤٨٣هـ بالتعاون المشترك لصد اطماع وهجمات القوى الاسبانية وبخاصة اطماع الفونسو السادس الذي أثقل كاهل ولايات المسلمين في الاندلس بالغارات الشديدة بعد سيطرته على مدينة طليطلة واتخاذه لقب الامبراطور •

عبور المرابطين الاول وموقعه الزلاقة عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م :

استجاب زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ، بعد مشاورات مع الفقهـــاء ، لدعوة ملوك الطوائف لممارسة الجهاد في سبيل الله ببلد الاندلس • واستنادا الى مشورة وزيره (عبدالرحمن بـــن اسباط)[1] ، حصل يوسف بن تاشفين على الجزيرة الخضراء كشرط لاجابة الدعوة والعبور الى الاندلس[2] • وقد وافق المعتمد بن عباد على هذه الرغبة رغم معارضة ولده الرشيد، وامر ابنه يزيد

---

١ ــ عبدالرحمن بن سباط : اندلسي من اهـــل المرية : ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ٣٦ •

٢ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ٢٤٦ ــ سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص٢٤٠ •

الراضي (ابو خالد) والي الجزيرة الخضراء ، ان يتركها ويتولى بدلها مدينة رندة[3] . استنفر يوسف بن تاشفين قواته للجهاد ، وتطوع جموع المجاهدين من بلاد الصحراء والقبلة والزاب[4] ، واخذ يرسل قواته تباعا الى الجزيرة الخضراء ، وأول من عبر (داود بن عائشه) على رأس قوة من الفرسـان واستقر بها[5] ، واخذ يعمل على توفير السلاح اللازم لخوض غمار الجهاد[6] . ثم واصل امير المسلمين ارسال قواته تباعا ، وارسل معهم مجموعة من الابـل لاستخدامها في حروب الجهاد[7] . وبعدها عبر يوسف بن تاشفين يوم الخميس منتصف ربيع الاول من عام ٤٧٩هـ / ٣٠ حزيران ١٠٨٦ م على رأس كتيبته الخضراء المشتملة على أثنى عشر الف من صناديد الرجال[8] .

وتذكر لنا الروايات انه خلال عبوريوسف بن تاشفين فرضة المجاز هبت ريح عاصف اثارت امواجا عاتية ، فرفع يديه الى السماء يدعو الله عز وجل ان يسهل له هذا العبور[9] . فاستجاب الله جل وعلا لدعائه وسهل له العبور الى الجزيرة الخضراء ، فأجتمع مع سائر قواته هناك ينظمها من اجل تحقيق الهدف الذي عبروا من اجله[10] ، كما عمل على تحصين اسوار ابراج الجزيرة الخضراء وبعد ان ترك بها حامية من خاصة جنده[11] ، سـارت قواته صـوب اشبيلـة

---

٣ ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٧٠، ص١٠٠ .
٤ ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٣ ــ المراكشي : المعجب ص١٩١ .
٥ ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٣٨ ــ عنان : دول الطوائف ص٧٩ .
٦ ــ ابن الخطيب : ايضا ، ص٢٤ .
٧ ــ محمود ، قيـام دولة المرابطـين ، ص٢٦٩ ــ حمـودة : تاريخ الاندلس السياسي ، ص٢٧٥ .
٨ ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص٩٠ ــ ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص١٠٠ .
٩ ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ص٩٣ ــ الناصري : الاستقصـاء جـ٢ ، ص٣٤ عنان : دول الطوائف ، ص٣٩١ ، ص٤٤٧ .
١٠ ــ المراكشي : المعجب ص١٩١ ــ الحميري : الروض المعطار ، ص٧٨ .
١١ ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٢٠ .

يتقدمها داود بن عائشة واعقبهم يوسف بن تاشفين بباقي قواته ونزل بظاهر اشبيلية ، وهناك تقاطرت جموع المجاهدين من سائر انحاء الاندلس للمشاركة في الجهاد[١٢] .

وخلال خضم هذه الاستعدادات نقلت الاخبار الى يوسف تاشفين موت ابنه ابو بكر ، فلم يصرفه هذا الخطب عن مقصده وآثر الجهاد على كل امر ، الا انه ارسل الامير (ابو محمد مزدلي بن سلنكان ــ ابن عمه) الى مراكش[١٣] . خرج ملك اشبيلية المعتمد بن عباد على رأس قوة من فرسانه لملاقاة يوسف بن تاشفين عند اقترابه من مدينة اشبيلية، فتعانقا وابدى كل منهما للاخر منتهى الود والاخلاص[١٤] ، ودعوا الله ان يجعل جهادهما خالصا لوجهه[١٥] . وبعد ان مكث يوسف بن تاشفين ثلاثة ايام في ضيافة ملك اشبيلية ، كتب رسائله الى سائر ملوك الاندلس يدعوهم فيها الى المشاركة في شرف الجهاد وانقاذ البلاد من خطر الاسبان[١٦] . فتقاطرت اليه قوات ملوك الطوائف اثناء سيره الى بطليوس[١٧] ، فأول من وافاه ملك غرناطة الامير عبدالله في ثلثمائة فارس ، واخوه تميم والي مالقة في نحو مائتين فارس[١٨] . كما وافته قوات ملك المرية بقيادة ابنه معز الدولة ، وجميعهم اصبحوا في ضيافة ملك بطليوس المتوكل بن الافطس[١٩] .

١٢ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٨٧ .
١٣ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ص١٠٠ .
١٤ــ المراكشي : المعجب ص١٩١ ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٣٩ .
١٥ــ عنان : دول الطوائف ص٣٢١ ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٠٤ .
١٦ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ص٣٩ ــ عنان : دول الطوائف ص٣٢١ .
١٧ــ الضبي : بغية الملتمس ، ص٣١ .
١٨ــ التباهي : المرقبة العليا ص٩٧ ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٠٠ .
١٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص٩١ .

وبعد إقامة يوسف بن تاشفين اياما في بطليوس لتلتحق به جموع المجاهدين، نظم الجيش المشترك فجعل في المقدمة الجيش الاندلسي بقيادة المعتمد بن عباد ، في حين جعلت الجيوش المرابطية في المؤخرة[٢٠] ، حسب خطة عسكرية ماهرة ستظهر نتائجها في غمار المعركة .

سارت الجيوش الاسلامية صوب سهل الزلاقة (Sagrajas) الواقع شمالي بطليموس بروح جهادية عالية ، تمني النفس بالنصر او الاستشهاد في سبيل الله[٢١] .

اما الاسبان فقد ادركوا وضعهم الحرج امام هذه الروح الجهادية ، وشعر الفونسو السادس بالخطر ، وقد كان حينذاك محاصر لمدينة سرقسطة وكادت ان تسقط بيده ، لولا عبور المرابطين هذا[٢٢] ، فترك الفونسو حصار مدينة سرقسطة ورجع مسرعا الى مدينة طليطلة لتنظيم قواته استعدادا للجولة القادمة[٢٣] .

نظم الفونسو السادس قواته العسكرية في مدينة طليطلة ، وخلال ذلك بعث صريخه الى ملوك وامراء اوربا لنجدته من اجل دفع الخطر الاسلامي ، فدخل الامر في طور حرب صليبية[٢٤] .

وبعد ان دوت اصوات الاستغاثة في ارجاء اوربا ، وعملت الكنيسة على اذكاء الحماس في نفوس المتطوعين ونزل رجال الدين الى معترك

٢٠- محمود : قيام دولة المرابطين ص٢٧٠ .

٢١- الحجى : التاريخ الاندلسي ص٤٠٤ .

٢٢- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص٩١ – ابن ابي زرع : روض القرطاس، ص٩٢ .

٢٣- ابن الكردبوس ، ايضا ، ص٩٢ – علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٢٠

٢٤- راجع : التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص ٢٨١ ، ٦٠٠ ، ص٦٠٤ .

القتال وتبايعوا على الموت[٢٥] . كما هرع الفرسان من ايطالية ومن وراء جبال البرت[٢٦] ، ومن سائر انحاء الممالك الاسبانية التي هرع ملوكها الى نجدة الفونسو السادس[٢٧] ، كما خف اليه (البرهانس) الذي رفع الحصار عن مدينة بلنسية[٢٨] .

سار الفونسو السادس على رأس القوات الاوربية المتحدة صوب بطليوس مزهوا بتفوقه في العدة والعدد[٢٩] ، والامكانات الكبيرة لقواته وبخاصة أدوات القتال التي يحملونها[٣٠] ، وعسكر على بعد ثلاثة أميال من معسكر المسلمين وكان يفصل بين المعسكرين نهر بطليوس[٣١] .

لاينكر ان سقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ هو الذي ادى الى عبور المرابطين الى الاندلس ، لكننا نلاحظ ان الجيوش الاسلامية لم تسر رأسا صوب طليطلة ، بل سارت نحو بطليوس ، وذلك من اجل الحفاظ عليها من خطر الاسبان ، اذ توغلها بعمق في الاراضي الخاضعة للاسبان تبعد عليها خطوط المواصلات مما يسهل على الفونسو السادس وحلفائه ضرب الجيش الاسلامي من الخلف ويقطعوا صلته بالجنوب[٣٢] كما أن وجود الجيش الاسلامي بالقرب من بطليوس يستطيع الاحتماء داخل أسوارها وحصونها في حالة الهزيمة ،

٢٥ـ الناصري : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٤١ .
٢٦ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٤ ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ص ٨٠ ـ عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢ ـ Pidal, op.cit, p: 217
٢٧ـ الناصري : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٣٢ ـ الطيبي ، واقعة الزلاقة ، ص ١٨ .
٢٨ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٩٢ ـ الونشريشي : اسني المتاجر ص ١٤٢ .
٢٩ـ عنان : دول الطوائف ص ٣٢٢ .
٣٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٩٢ .
٣١ـ ايضا ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ـ ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٥٣ يجعل المسافة ١٨ ميل
٣٢ـ محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧٤ .

كما كان في نية الجيش الاسلامي التقدم نحو مدينة قورية ، والتي احتلها الفونسو السادس[٣٣] .

كما أن الفونسو السادس تعمد المسير بقواته المشتركة الى اراضي بطليوس حسب خطة عسكرية مدروسة تدل على مدى التحوط لنتائج هذه المعركة الفاصلة ، حيث تعمد الفونسو السادس عدم لقاء المسلمين في احواز مدينة طليطلة لاسباب ذكرها لوزرائه وخاصته وذلك خشية الهزيمة مما يؤدي الى تمكن الجيش الاسلامي في مدينة طليطلة ، وهدف من السير الى بطليوس التمكن من بلاد المسلمين في حالة هزيمتهم ، وعدم اللحاق به في حالة هزيمة الاسبان[٣٤] .

اغتر الفونسو السادس بكثرة قواته[٣٥] ، والتي كانت تفوق الجيش الاسلامي عددا[٣٦] ، فارسل رسالة الى يوسف بن تاشفين يغلظ فيها القول ، فلما قرأها امير المسلمين امر كاتبه (أبا بكر بن القصيرة) الرد عليه ، فكتب ردا طويلا ، فقال يوسف : هذا كتاب طويل . فاحضر كتاب الفونسو السادس وكتب على ظهره : « الذي يكون ستراه » وارسله اليه ، فلما قرأه الفونسو ارتاع لهذا الامر وعلم انه امام رجل له دهاء وحزم[٣٧] .

وربما كانت هذه الرسالة ، على اثر رسالة يوسف بن تاشفين التي ارسلها الى الفونسو السادس قبيل حدوث المعركة وعملا باحكام السنة التي دعاه فيها الى الاسلام او الجزية أو الحرب ، ومما جاء في الرسالة : « وبلغنا يا

٣٣ــ ابن بسام : الذخيرة ج ٢ ، ص ٩٩ (مخ) ــ الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٨ .

٣٤ــ الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٨ ــ الناصري : الاستقصاء ج ٢ ، ص ٣٩ .

٣٥ــ الحميري : الروض المعطار ، ص٨٨ .

٣٦ــ ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ص١٥٢ ــ المقري : نفح الطيب ، ج٤ ص

٣٧ المقري : نفح الطيب ج٤ ، ص٣٦١ ــ الناصري : الاستقصا ٢ ، ص٣٧ .

أذفونش انك دعوت الله في الاجتماع بنا وتمنيت ان تكون لك سفن تعبر عليها البحر الينا[٣٨] ، فقد عبرناه اليك وقد جمع الله تعالى في هذه الفرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك (وما دعاء الكافرين الا في ضلال)[٣٩] »[٤٠] .
فغضب الفونسو السادس لهذه الرسالة ورد بكتاب عنيف الى الامير يوسف اكتفى ابن تاشفين بالرد عليه مقتضبا .

اراد الفونسو السادس خديعة المسلمين في تحديد يوم الموقعة ، الا ان فطنة المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ويقظة الجيش الاسلامي الساهر على رصد حركات الجيش النصراني ابطل كيد الفونسو وافشل مسعاه[٤١] .

قامت الاستعدادات العسكرية في الجانبين ، وحث الرؤساء اتباعهم على الحرب والصبر فيها . ففي الجانب الاوربي تزعم الاساقفة والرهبان تحفيز اتباعهم الى الاستبسال في القتال وتبايعوا على الموت[٤٢] ، كما قام يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد بحث اتباعهما على الصبر والمجالدة ، وقام الفقهاء والعلماء بحث المجاهدين على انقاذ بلاد الاندلس من خطر الغزاة والاستشهاد في سبيل الله[٤٣] .

اذن فشلت محاولات الفونسو السادس في خديعة الجيش الاسلامي حول تحديد يوم المعركة ، وبات المسلمون على أهبة الاستعداد طيلة ليلة الجمعة (١٢ رجب عام ٤٧٩ هـ / ٢٣ تشرين الاول ١٠٨٦ م) خائفين من كيد العدو .

٣٨ـ راجع : ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٢٩ ـ ٣٠ .
٣٩ـ سورة غافر : الاية ٥٠ .
٤٠ـ الناصري : الاستقصا ، جـ ٢ ـ ص ٣٨ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٧ ص ١١٦ .
٤١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٣ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٤ ص ١٣٧ .
٤٢ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ .
٤٣ـ الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٠ ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٧٧ .

ومما زاد في حذر المسلمين ، الحلم الذي رآه الفقيه الناسك ابو العباس احمد ابن رميلة القرطبي[٤٤] ، حيث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره بالفتح والشهادة في صبيحة يوم الجمعة[٤٥] ، وتخبرنا بعض الروايات عن الحلم الذي رآه الفونسو السادس قبل حدوث المعركة ، والذي فسر بالهزيمة الساحقة[٤٦] .

قسم يوسف بن تاشفين الجيش الاسلامي الى مقدمة وعليها المعتمد بن عباد ، وميمنة وعليها المتوكل بن الافطس ، وميسرة وعليها اهل شرقي الاندلس ، ومؤخرة وعليها سائر اهل الاندلس ، أما المرابطون فجعلهم في كمائن متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء[٤٧] ، وقد قضى الليل كله (ليلة الجمعة) يرتب الصفوف ويعد العدة لكل احتمال حتى انه غير مواضع قواته دون ان يشعر به احد[٤٨] .

فلما كان صباح يوم الجمعة (١٢ رجب) تقدمت طلائع الاسبان بقيادة البرهانس ، وهاجمت القوات الاندلسية وذلك من اجل القضاء عليها ، لكي تتفرغ لمهاجمة الجيش المرابطي والقضاء عليه[٤٩] ، الا ان يوسف بن تاشفين انقذ الجيش الاندلسي من هذا الخطر بامداده بقوات مرابطية بقيادة داود بن عائشة ، وأردفها باخرى بقيادة سير بن ابي بكر[٥٠] ، وعمل يوسف بن تاشفين

٤٤ــ له ترجمة في : ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٨ (رقم : ١٤٤) .

٤٥ــ الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٠ ــ ٩١ ــ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٦٥ وبعدها .

٤٦ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٤ ص ١٣٥ ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ص ٤٢ ــ ٤٣ .

٤٧ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٤٧ .

٤٨ــ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٤ .

٤٩ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٧٧ .

٥٠ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٤ ص ١٣٨ ــ الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٢ .

على تطويل المعركة من اجل اجبار الاسبان على ترك مواقعهم[٥١] ، وبالفعل تركت مواقعها وتتبعت قوات اهل الاندلس . اما يوسف بن تاشفين فهاجم معسكر الاسبان من الخلف واستولى عليه واضرم فيه النار . فاضطرت القوات الاسبانية الى التراجع لانقاذ معسكرها ، وما كاد جيش اهل الاندلس يعلم بذلك حتى انقلب من الفرار الى الهجوم ، واطبق على الاسبان من الخلف ، فأصبحوا بين القوات الاندلسية والقوات المرابطية[٥٢] .

أردف بطل المعركة هذه الخطة ، بخطط عسكرية اخرى ألقت الرعب في صفوف الاعداء ، فقد نظم يوسف بن تاشفين فرق من المشاه السودان مسلحين بالسهام ودرق اللمط[٥٣] ، الذين طعنوا خيول الاسبان بسهامهم فجمحت بركابها وولت الادبار ، كما استعمل يوسف بن تاشفين الجمال التي أرعبت خيول الاسبان واستعمل الطبول التي كان لها دويا مرعبا تهتز له الارض ، وترتعد له فرائص الفرسان[٥٥] .

لعب عامل الجهاد في سبيل الله وصدق عزيمة يوسف بن تاشفين واتباعه على احراز النصر ، دورا كبيرا في هذه المعركة . فقد كان يوسف بن تاشفين يركض بجواده بين الصفوف ويحرض المسلمين على القتال ، ويرغبهم في الموت في سبيل الله[٥٦] . وقد اشترك كثير من الفقهاء والعلماء في هذه المعركة ويحرضون المسلمين على الجهاد امثال (أبي العباس أحمد بن رميلة

٥١ـ محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧٨ .

٥٢ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

٥٣ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .

٥٤ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٢ ص، ص١٠٠ (مخ) ـ ابن عذاري : البيان المغرب جـ٤ ، ص ١٣٨ .

٥٥ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ١١٥ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٤٨ .

٥٦ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ص ٩٥ ـ اشباح : تاريخ الاندلسي ، ص ٨٥ .

القرطبي)[٥٧] و (أبي مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش)[٥٨] و (الفقيه أبي رافع الفضل ابن العالم الاندلسي ابو محمد بن حزم)[٥٩] .

ولا ننكر دور المعتمد بن عباد ملك اشبيلية والقوات الاندلسية في هذه المعركة ، الا ان خطط يوسف بن تاشفين ، هي التي انقذت الجيش الاسلامي من الخطر المحقق[٦٠] .

استمرت معركة الزلاقة يوما واحدا لاغير ، وهو يوم (١٢ رجب عام ٤٧٩ هـ) على الرغم من اختلاف بعض الروايات حول تاريخ يوم المعركة[٦١] .

بعد اصابة الفونسو السادس بطعنة في رجله ، تسلل في الظلام مـــع خمسمائة فارس ، مثخنين جراحا[٦٢] ، هاربين نحو طليطلة حيث توفي اكثرهم في الطريق ، ولم يدخل طليطلة الا حوالي مئة فارس[٦٣] . وقد كانت خســائر الجيش الاسلامي اقل بكثير من خسائر الجيش الاسباني الذي قدر عدد قتلاه بعشرة الاف شخص[٦٤] .

استبشر المسلمون بهذا النصر الذي عمل على اعادة روح الجهاد التي ألفوها في هذا البلد ، الا ان الجيش الاســلامي لم يلاحــق فلــول الاسبــان

٥٧ـ ابن الابار : التكملة جـ٢ ، ص ٦٢٠ .

٥٨ـ ابن عذاري : البيان المغرب جـ٤ ، ص١٤٠ .

٥٩ـ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٦٤ (رقم : ٩٩٧) ـ المراكشي : الذيــل والتكملة جـ ٢ ، ق ٥ ، ص ٥٤٠ .

٦٠ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٧٩ .

٦١ـ راجع : ابن بسام : الذخيرة ، جـ ٢ ، ص ٩٨ ـ ابن دحية : المطرب ، ص١١٩ ـ الذهبي : العبر ، جـ٣ ص٢٩٣ ـ ابن عذاري : البيان المغــرب ، جـ ٤ ، ص ١٣٠ .

٦٢ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص٩٤ ـ المراكشي : المعجب ، ص١٩٥ .

٦٣ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص١٣٨ ـ الحمــيري : الروض المعطار ، ص ٣ ص ٩٣ .

٦٤ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٤ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ، ص٤٨٤ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٩٤ .

المنهزمين بعد المعركة . وقد ظهرت تعليلات كثيرة حول هذا الامر[٦٥] ، الا ان يوسف بن تاشفين ادرك بفطرته العسكرية مدى الفرقة والتنازع بين ملوك الطوائف حتى في ساعة المحنة[٦٦] ، ولذلك جمعهم بعد المعركة واوصاهم بالاتحاد ونبذ الفرقة[٦٧] . اضافة الى ماورد من اخبار اليه حول تزايد خطر عرب بني هلال وبني حماد أصحاب الجزائر على أراضي المغرب[٦٨] . وبذلك فوت على الجيش الاسلامي الافادة من هذا النصر في تتبع الجيش الاسباني ومهاجمته في عقر داره أو على الاقل العمل على استعادة مدينة طليطلة .

ذاعت اخبار انتصار المسلمين في الزلاقة ، وارسل يوسف بن تاشفين الرسائل الى بر العدوة يشرح فيها سير المعركة، ويكشف عن الدور الجهادي الذي قام به[٦٩] ، فقرئت رسائله على منابر مساجد بلاد المغرب[٧٠] ، كما احتفلت الاندلس بهذه المناسبة وخاصة مملكة اشبيلية وتبارى الشعراء في مدح ملكها[٧١] . وقد شبه المؤرخون يوم الزلاقة بيوم القادسية واليرموك ، ووصفت بفتح الفتوح[٧٢] . وقد عمت الفرحة بلاد المشرق الاسلامي حتى روى : ان الامام الغزالي — رضى الله عنه — هنأ يوسف بن تاشفين بهذا النصر ، واعتبره الامير المثالي الذي كان يرجو ان يظهره الله ليعيد عزة الاسلام

٦٥— ابن عذاري : البيان المغرب جـ٤، ص١٣٩ — الحميري : الروض المعطار ص ٩٣ .

٦٦— محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٨٢ .

٦٧— الامير عبد الله بن بلقين : كتاب التبيان ص ١٠٦ — ١٠٧ .

٦٨— ابن بسام : الذخيرة ، جـ ٢ ، ص ١٠٦ — ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٩٥ — ٩٦ .

٦٦— الحميري : الروض المعطار ص ٩٦ — عنان : الدول الطوائف ص ٤٤٦ وما بعدها .

٧٠— ان الخطيب : الاحاطة ، ٢ ، ص ٧٩ .

٧١— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص١٤٠ — بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص ٢٠ .

٧٢— ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٥٢ — ٥٣ ، 116 .

وقوته[٧٣] . كما كتب الامراء المعاصرون الى يوسف بن تاشفين مهنئين بهذه المناسبة[٧٤] .

اعادت وقائع الزلاقة بارقة أمل في نفوس اهل الاندلس من أجل احياء عهود الازدهار الحافلة ببارع البطولات ، فاهتزت نفوسهم وقويت روحهم المعنوية ، كما مهدت لايواء الاندلس تحت سلطان المرابطين ، وانها اعانت في مد عمر اسلامية شبه الجزيرة الاندلسية لاربعة قرون أخرى[٧٥] .

الجهاد المشترك مابعد الزلاقة :

رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بعد أن أراح قواته اياما في اشبيلية[٧٦] ، وقد ترك ثلاثة الاف فارس مرابطي تحت تصرف المعتمد بن عباد ، وجعل عليهم القائد (ابا عبدالله محمد به الحاج ـ ابن عم يوسف)[٧٧] وذلك من اجل حماية الاندلس من خطر الاسبان[٧٨] ، كما ترك قوات مغربية اخرى بامرة سير بن ابي بكر (قريبة بالمصاهرة) لمواصلة معركة الجهاد[٧٩] .

شاركت قوات سير بن أبي بكر مع قوات المتوكل بن الافطس ملك بطليوس في الاغارة على أواسط البرتغال مما يلي نهر التاجه ، فهدمت القوات المشتركة الكثير من الحصون والقلاع[٨٠] . كما زحف المعتمد بن عباد ملك اشبيلية وهاجم اراضى طليطلة ، واستولى على اقليش وقونقة ، وواصل زحفه

٧٣ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٨٤ .
٧٤ـ الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٦ .
٧٥ـ الحجى : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٠٩ ـ ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
٧٦ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ص١٤٠ .
٧٧ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ١١٠ .
٧٨ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٥ ـ ٩٦ .
٧٩ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ٣٦٨ ـ الناصري : الاستقصا ، ج ، ص ٤٦ .
٨٠ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٨٩ .

الى مرسية ، حيث تصدت له هناك قوات اسبانيـة كانت تغير علـى الاراضـي الاسلامية ، فهزمته وتحصـن بقلعة لورقة ، ثم رجع مسرعا الى قرطبة ، تاركا مرسية لمصيرها المحتوم[٨١] .

انتهز الفونسو السادس رحيل المرابطين ، فحشد قواته ونظم صفـوفه ، وقام بمهاجمة اراضي اشبيلية[٨٢] ، كما كانت قوة من الجند القشتاليين تؤازر فرسان حصن (أليط Aledo) وتعيث فسادا في اراضي مرسية ، وتقلـق بال المعتمد ، وتهدد اشبيلية من الشرق[٨٣] .

اما منطقة الثغر الاعلى فقد كانت تواجه حرب صليبية جديدة يتزعمها (سانشو راميرز) ملك أرغون ، تسانده ، قوات صليبية قادمة من بلاد فرنسة، فتعرضت مدن تطيلة ووشقة وطرطوشة وطركونة الى خطر مدمر[٨٤] .

اما شرقي الاندلس ، فقد تعرض الى هجمات القمبيطور ، الذي ظل سبع سنوات يهاجم اراضي لاردة ، ويغير على منطقة بلنسية ، واصبحت دانيـة وشاطبة ومرسيـة وحصن مربيطر مهددة بالوقوع في قبضة العـدو بعـد ان أتلفت محاصيلها وخربت حصونها ، اما غربى الاندلس فقد كان في حالة جيدة لوجود قوات مرابطية هناك .[٨٥]

ويعني هذا ان القوات المرابطية بقيـادة سـير بن ابي بكر كانت تقـوم بواجب الجهاد في غربي الاندلس احسن قيام ، وعلى الرغم مـن الصعـوبات التي كانت تعانى منها هذه القوات ، وبخاصة بعد انصراف ملوك الاندلس

٨١ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، جـ١ ، ص٩٣ (طبعة اخرى) .
٨٢ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .
٨٣ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، جـ ١ ص ٩٤ ـعلى ادهم : المعتمد بن عباد ، ص ٢٥١ .
٨٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٣١ .
٨٥ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٦ ـ ٩٧ .

كل الى مملكته وانشغالهم بالمنازعات الخاصة[٨٦] ، وقد كتب هذا القائد الى يوسف بن تاشفين يخبره بحال الجيوش المرابطية وما تعاني من ضيق عيش وجهد في محاربة الاسبان اما ملوك الطوائف فهم في عيش رغيد[٨٧] . اضافة الى ان المعتمد قد انهكته هجمات الاسبان على مناطق مرسية ولورقة في شرقي الاندلس ، كل هذه الامور اصبحت تلح على استدعاء المرابطين مرة اخرى الى الاندلس .

معركة حصن الييط والعبور الثاني للمرابطين عام ٤٨١هـ / ١٠٨٨ م :

بعد سيطرة الفونسو السادس على مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ اتخذها قاعدة لمهاجمة المدن والحصون الاسلامية المجاورة ، وتنفيذا لهذه السياسة، ارسل قوات اسبانية بقيادة (غرسيه خمينس) عاثت فسادا في المنطقة الواقعة بين مرسيه ولورقة[٨٨] ، واتخذ قائد الحملة هناك حصنا منيعا وشحنه بالمقاتلة والسلاح من اجل الاغارة على اراضي مرسية والمرية والحصون المجاورة . ويدعى هذا الحصن بـ (حصن ألييط)[٨٩] الذي اثار الرعب في هذا المنطقة ، وقد عجزت القوات الاندلسية المتواجدة هناك من صد هجوم قوات هذا الحصن ، فكثر صريخهم واستغاثاتهم وتوالت كتبهم ورسلهم الى يوسف بن تاشفين في طلب العون والامداد وذلك في سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م[٩٠] ، وقد ذكرت بعض الروايات عبور المعتمد بن عباد ملك اشبيلية الى عدوة المغرب وعلاقاته ليوسف بن تاشفين في وادى سبو وهناك حثه على

٨٦- محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٩٠ .

٨٧- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٢١ - الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

٨٨- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

٨٩- ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٨٦ (ح) - المراكشي ، المعجب، ص ١٩٢ .

٩٠- ابن الخطيب :الحلل الوحشية ، ص ٥٤ .

انجاد الاندلس[91] ، كل هذه الامور عجلت بعبور يوسف بن تاشـــفين الى الانــدلس مرة اخرى .

كان المعتمد بن عباد صاحب السيادة الشرعية على مرسية ولورقة ، ولهذا كان مســؤلا عن انقاذ هذه النواحي من عــدوان اسبان حصن أليط ، الذين شددوا هجماتهم بقيادة غرسيه خمينس على أراضي لورقة ومرسية انتقاما من المعتمد بن عباد الذي عمل على استدعــاء المرابطـين ، فكانت وقائـــع الزلاقة[92] . كما كان المعتصم بن صمادح ملك المرية يشارك المعتمد هــذا الاهتمام ، لما كان ينزل باراضيه من عبث اسبـــان حصن أليبط الذين يقدرون بحوالي ثلاثة عشر الف مقاتل[93] . كما حاول المعتمد بن عباد في الوقت نفسه استراد مدينة مرسية وانتزاعها من عبدالرحمن بــن رشيق الذي استقل بها ، فسارت قوات اشبيلية تساندها قوات مرابطية واقنعهم بان يتركوه في سلام وقد أفلح ، فرجع المعتمد بقواته الى اشبيلية يجر أذيال الخيبة[94] .

ازاء هذه الاحداث كلها ، قرر المعتمد بن عباد العبور الى عدوة المغــرب لمقابلة يوسف بن تاشفين من اجل حثه على العبور لانقاذ الاندلس ــ وبصورة خاصة شرقي الاندلس ــ من عسف الاسبــان وغاراتهم[95] ، وبخاصة اسبان حصن أليبط ــ فكان اللقاء في وادي سبو ، الذي على اثره أمر يوسف بن تاشفين تهيئة الجيش للجواز[96] .

٩١ــ ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٢، ص٤٩٠ ــ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٥٤ .

٩٢ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣٤ .

٩٣ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٥٥ ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣٤ .

٩٤ــ ابن الابار : الحلل : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

٩٥ــ ابن اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٩٠ .

٩٦ــ ابن الخطيب الحلل الموشية ، ص٥٤ ــ٥٥ ــ ابــن ابــي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٨ .

كما أن يوسف بن تاشفين تلقى الكثير من الكتب ـ قبل عبور المعتمد عليه ـ من فقهاء الاندلس واعيانها ، يطلبون منه الانجاد لقمع عدوان اسبان حصن أليبط ، ويشكون له ماحل بأهل بلنسية من عبث القمبيطور واعوانه(٩٧) .

العبور الثاني :

عبر يوسف بن تاشفين بقواته الى الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الاول من عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م(٩٨) ، فاستقبله هناك المعتمد بن عباد وقدم له المؤن الوفيرة(٩٩) . ومن الجزيرة الخضراء كتب الى ملوك الطوائف ودعاهم الى موافاته عند حصن أليبط(١٠٠) ، ثم سار يوسف بن تاشفين صوب مالقة ، واتجه الى المرية ، ثم دخل لورقة ، حيث تلاحقت به هناك قوات المعتمد بن عباد ، واتجهت القوات المشتركة صوب حصن أليبط ، الذي يقع على مسيرة نصف يوم من لورقة ، وكان هدف يوسف بن تاشفين الاستيلاء على هذا الحصن، ثم السير صوب بلنسية لينقذها من عبث القمبيطور واعوانه(١٠١).

لبى ملوك الاندلس نداء يوسف بن تاشفين ، فتوافدت قواتهم صوب حصن أليبط للاشتراك في معركة الجهاد الجديدة(١٠٢) ، فجاء ملك غرناطة (المظفر عبدالله بن بلقين)(١٠٣) واخوه (المستنصر بالله تميم بن بلقين ، صاحب

٩٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص١٤١ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٥٤ .

٩٨ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ ٣ ص ٢٤٩ .

٩٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٢ .

١٠٠ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ـ الامير عبد الله : كتاب التبيان ، ص ١٠٨ وبعدها .

١٠١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٤٢ ـ الابن الخطيب : الحلل الموشية،ص ٥٤ ـ عنان : دول الطوائف ص ، ٣٣٥ .

١٠٢ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

١٠٣ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٨٦ ـ الابن الخطيب : الاحاطة ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

مالقة)[١٠٤] ، والمعتصم بن صمادح صاحب المرية[١٠٥] ، واصحاب شقورة وبسطة وجيان وبياسة[١٠٦] ، وعبد الرحمن بن رشيق صاحب مرسية[١٠٧] ، ولم يتخلف عن هذه المعركة غير المتوكل بن الافطس ملك بطليوس[١٠٨] .

وقد رسم المعتمد بن عباد خطة الهجوم على هذا الحصن ، لكي يتخلص من غارات الأسبان فيه ، وقد ذاق الامرين منها ، وقد استعان صاحب مرسية ، عبدالرحمن بن رشيق ، باسبان الحصن من اجل افشال خطط المعتمد الرامية في السيطرة على هذه المدينة[١٠٩] .

حاصرت القوات المشتركة الحصن من كل ناحية ، ولم يتركوا فنا من فنون الحصار الا واستعانوا به ، وقرروا اطالة الحصار على هذا الحصن وحبس الماء والاقوات عنه[١١٠] . وفي الوقت الذي كان فيه قادة الجيش الاسلامي يهاجمون فيه الحصن ويقاتلون رجاله ، كان النجارون والحدادون يعملون الالات المختلفة لدك أسوار الحصن بها[١١١] .

دامت المعارك حول هذا الحصن أربعة اشهر ، وقد قاوم رجال الحصن الأسبان الجيش الاسلامي مقاومة عنيفة حتى أعياهم التعب ، وانقذهم حلول فصل الشتاء[١١٢] .

١٠٤- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ، ص١٤٢ .
١٠٥- ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٥٥ .
١٠٦- ايضا ، ص ٥٥ - عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣٥ .
١٠٧- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٤٢ .
١٠٨- ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .
١٠٩- ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص ٥٤ - محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٩٢ .
١١٠- ابن بسام : الذخيرة ، ج٢ ص١٠٧ - ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص ٥٦ .
١١١- ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤ ، ص ١٤٢ .
١١٢- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٤٣- الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ص ٤٧ .

انسحبت الجيوش الاسلامية صوب مدينة لورقة وتركت مواصلة حصار الحصن[113] ، وقد ظهرت تعليلات كثيرة حول هذا الانسحاب ، وفسر مرة بالنصر ومرة اخرى بالهزيمة[114] .

الا ان حلول فصل الشتاء حال دون استمرار الحصار في وسط بيئة جغرافية قاسية ، فيئس المحاصرون من دك اسوار الحصن . ومن الجانب الاخر ، لعب العامل السياسي دورا مهما في هذه الاحداث ، وهو عامل الفرقة والخلاف بين ملوك الطوائف المحاصرين للحصن ، كما كان أهل الاندلس يتوافدون الى معسكر يوسف بن تاشفين يرفعون شكاياهم اليه من جور ملوكهم ، فكان امرهم يلاقي قبولا عند امير المسلمين ، فأوغر هذا صدور ملوك الطوائف وغير قلوبهم ومواقفهم من يوسف بن تاشفين[115] . فقد كان تميم ابن بلقين صاحب مالقة ، واخوه عبدالله صاحب غرناطة يشكو كل منهما الاخر ، ويتهمه باغتصاب حقوقه[116] ، وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمعتصم ابن صمادح صاحب المرية يوقع كلا منهما في حق صاحبه لدى يوسف بن تاشفين ويتهمه بشتى التهم[117] ، اضافة الى الخلاف الشديد بين المعتمد بن عباد وعبدالرحمن ابن رشيق صاحب مرسية ، فقد اتهم المعتمد ، صاحب مرسية بمؤازرة الاسبان ، ودفعه الى ملك قشتالة جباية مدينة مرسية ، وبتعاونه مع حامية حصن أليبط في الخفاء[181] .

تأثر يوسف بن تاشفين بهذه التهمة الخطيرة ، واستفتى الفقهاء حول الامر ، فأفتوا بادانة عبدالرحمن بن رشيق ، فأمر بتسليمه الى المعتمد على

١١٣ــ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

١١٤ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٩٣ .

١١٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، ص ٨٦ ــ الامير عبد الله : كتاب التبيان ، ص ٣٤١ .

١١٦ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣٦ .

١١٧ــ علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٦٠ .

١١٨ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ، ص١٤٢ .

شرط ان لايقتله[119] . فكان لهذا الامر اثر سيء على مواصلة الحصار حيث غادرت قوات ابن رشيق المعسكر الاسلامي ، وقطعوا المؤن التي كانت ترسل الى المعسكر من مدينة مرسية واحوازهـا مما أدى الى حراجـة امـر المحاصرين[120] ، وتزايدت الفرقة والخلاف بين ملوك الطوائف بدلا من توحيد جهودهم[121] .

ازاء هذا الوضع المضطرب في الجيش الاسلامي ، وردت الاخبار بتقـدم الفونسو السادس صوب الحصن لانقاذه ، حيث ارسـل الاسبـان في الحصن يطلبون النجدة من سيدهم ، على رأس جيش كبير من الاسبان[122] . وقد ادرك يوسف بن تاشفين بفطرته الصحراوية وخبرته العسكرية ، ان هدف الفونسو السادس من جملته هذه تخليص أتباعـه من الحصـار واخــلاء الحصن[123] ، فمن الحكمة ان ينسحب ويترك الحصار دون الدخول في معركة لا تعرف عقباها من اجل بضع مئات من النصارى اعتصموا في الحصـــن وأوشكوا على الموت[124] ، فانسحب بقواته الى منطقة ترياسـة[125] .

تقدم الفونسو السادس بقواته صوب الحصن ، وانقذ اتباعه المحصورين فيه ، ثم دك اسواره ، وابراجه ، وانسحب صوب طليطلة لايلوى على شيء ، لانه كان يخشى ان تتكرر عليه هزيمة الزلاقة[126] .

١١٩ـ المراكشي : المعجب ، ص١٩٢، يذكر تصالح المعتمد وابن رشيق .

١٢٠ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٥٦ .

١٢١ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١١٢ ـ ١١٣ .

١٢٢ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٢ ـ ابـن ابـي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ .

١٢٣ـ ابن عذاري ، المصدر السابق ، جـ٤، ص١٤٣ .

١٢٤ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٨٦ (ح) ـ محمـود : قيـام دولة المرابطين ، ص٢٩٥ .

١٢٥ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٣ .

١٢٦ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس، ص٩٩ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٥٧ .

على الرغم من ان نتائج معركة حصن أليبط لم تكن بمستوى نتائج معركة الزلاقة ، الا ان امرها عاد بالفوائد الكثيرة الى المعتمد بن عباد فقط ، فقد قبض على ابن رشيق ، وتخلص من غارات الاسبان الموجودين في الحصن ، وبات في مأمن من شرهم ، كما انه استولى على اطلال الحصن بعد مغادرة النصارى له(١٢٧) .

انسحب يوسف بن تاشفين بقواته من ترياسة الى مدينة لورقة ، بعد ان ترك جيشا مرابطيا يزيد على اربعة الاف فارس ، وامره بالتوجه صوب مدينة بلنسية لانقاذها من خطر القمبيطور واعوانه ، كما ترك جيشا مرابطيا اخر بقيادة محمد بن تاشفين ليقوم بواجب الجهاد(١٢٨) ، وكان في نفسه من أمر الجزيرة « المقيم المقعد »(١٢٩) .

١٢٧- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ - الناصري : الاستقصا ، جـ٢ ص٤٨ .

١٢٨- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٣ .

١٢٩- المراكشي : المعجب ، ص١٩٩ .

الفصـــل الثاني

القضاء على ممالك الطوائف وتوحيد الاندلس تحت سيادة المرابطين

رأى يوسف بن تاشفين أن سياسة الجبهة الموحدة (الاندلسية والمرابطية) لم يبق لها أي مفعول ، بسبب الخلافات التي فرقت بين ملوك الطوائف وعصفت بوحدة الجهود[1] . فكان عليـــه اما ان ينسحب من ميدان المعركـــة ويتـــرك الاندلس فريسة للاسبان ، واما ان يعتمد علـــى نفســـه وقواته فقط لمواصلـــة الجهاد ، ويتطلب هذا الامر خلع ملوك الطوائف .

الاحتمال الاول غير وارد حسب مقتضيات الوضع الاستراتيجي لدولة المرابطين ، لان الاندلس تعتبر جناح المغرب الدفاعي ، من ناحية الشمال ، وبسبب الخلافات بين ملوك الطوائف ستمكن الاسبـــان من السيطـــرة علـــى دول الطوائف تباعا ، فتكون بلاد الاندلس ، نتيجة ذلك بيدهم مما يعرض بلاد عدوة المغرب الى الخطر المباشر ، حيث لايفصل بينهما سوى المضيق الصغير[2] . وقد اثبتت بعض حوادث الاندلس احتمال هذا الرأي ، وذلك عند ما اخترق الفونسو السادس الاندلس من اقصاها الى اقصاها وخاض مياه المضيق بقوائم فرسه وذلك في عام ٤٧٥ هـ .

---

١ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٣٩ .

٢ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٣٩ .

اذن الامر الثاني فرض نفسه ، وقد ظهرت على مسرح الاحداث امور اجبرت يوسف بن تاشفين على وضع الخطط لخلع ملوك الطوائف وانقاذ بلاد الاندلس من خطر الاسبان .

الامر الاول :

الخلافات الشديدة والمنازعات المزمنة بين ملوك الطوائف ، وقد فشلت جميع جهود يوسف بن تاشفين في ازالة هذه الفرقة وقد نصحهم مرارا باصلاح نياتهم وترك خلافاتهم فلم يجد هذا الامر شيئا(٣) .

الامر الثاني :

ترك يوسف بن تاشفين بعد معارك الزلاقة وحصن أليبط قوات مرابطية في الاندلس لتقوم بواجبها الجهادي ضد نصارى الشمال الاسباني ، فقد رأينا وضعهم الحرج بعد الزلاقة ، وازداد حرجهم بعد معركة حصن اليبط حيث قطع ملوك الطوائف الميرة والتموين عن هذه القوات ، فساء هذا الامر يوسف بن تاشفين(٤) .

الامر الثالث :

على الرغم من كل التضحيات التي قدمها يوسف بن تاشفين الى ملوك الطوائف من الزلاقة وبعدها ، وخسر الكثير من رجاله في محاربة الاسبان، اعتبر ملوك الطوائف هذه التضحيات امورا فرضتها اصول الاخوة الاسلامية، فبذلك عاد هؤلاء الملوك الى خلافاتهم القديمة ، كما عادوا الى التعاون مع ملوك الاسبان والارتماء في احضانهم ، بل تطور الامر الى الكيد بقوات المرابطين المتواجدة في الاندلس(٥) .

---

٣ ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٨٩ .

٤ ـ ابن خلدون : العبر، جـ٦، ١٨٧ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٥٧ .

٥ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .

بعد ان اطمأن يوسف بن تاشفين الى الاسباب التي تمكنــه من خلــع ملوك الطوائف ، عزز هذا الامر بصفة شرعية ، حيث افتى الفقهاء والعلماء بالامر .

دور الفقهاء في خلع ملوك الطوائف :

اعتمد زعماء المرابطين الاول على الفقهاء في تثبيت اركان دولتهم وقد ورث يوسف هذا الاعتماد ، حيث كان ملتزما بتعاليم الشرع المقرونة بتأييد الفقهاء ، وهم الذين رافقــوه في مختلف حروبــه الجهادية في بلاد العدوتين .

كان الفقهاء يشكلون حزب المعارضة اتجاه مواقف ملوك الطوائف حيال الاسبان ، ويعطي لنا تاريخ الاندلس مشاهد رائعة لمواقف بعض الفقهاء من بعض ملوك الطوائف ، على شكل نصح وارشاد او موعظة بترك الخضوع لملوك الاسبان[٦] .

كان اهــل الاندلس يدركون ان الانتصار في معركــة أليبط لم يكـــن بالمستوى الجهادي الذي حصل في معركة الزلاقة ، وقد اكد الفقهاء والعلماء لعامة الشعب ان الخصومات بين ملوك الطوائف هي السبب في كل ذلك ، وانه لو كانت قيادة الجيوش الاندلسية بقيادة يوسف بن تاشفين لاحرز انتصارا لايقل عن انتصار الزلاقة[٧] .

عزز يوسف بن تاشفين موقفه حيال خلع ملوك الطوائف من ناحيتين : الاولى ، الحصــول على فتاوى فقهاء المشــرق الاسلامــي : مثال الغزالــي والطرطوشي ، وقد وصلت فتاويهم اليه عام ٤٩٣هـ ، وقد بدأ فعلا بخلع ملوك الاندلس منذ عام ٤٨٣ هـ . والثانية : الحصول على تأييد فقهاء الاندلس

٦ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣، ص٢٢٩ .

٧ ـ علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٧٠ .

وعامة الناس الذين اكثروا من شكواهم اليه بعد العبور الثاني ، وكشفوا ليوسف بن تاشفين النقاب عن سوء ومكر ملوك الطوائف ، وحرضوه على الايقاع بهم وخلعهم[8] ، وكان على رأس هؤلاء الفقهاء (ابو جعفر بن القليعي) قاضي قرطبة ، الذي عبر الى عدوة المغرب واخبر يوسف بن تاشفين ببعض الأمور التي تتلعق بملوك الطوائف ، وخاصة بالامير عبدالله بن بلقين ملك غرناطة[9] .

العبور الثالث عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م وبداية خلع ملوك الطوائف :

هيأ يوسف بن تاشفين جيوشه التي اجتمعت حول مدينة سبتة[10] ، وبعد اكتمال عددها عبرت الى الاندلس دفعة واحدة بقيادة اشهر قواده[11] ، وذلك في اوائل عام ٤٨٣ هـ ، ولم يبدأ يوسف بن تاشفين بعزل ملوك الطوائف، بل اخفى مقاصده اولا[12] ، وبدأ بمحاربة الاسبان ليقطع اي اتصال بينهم وبين حلفائهم من ملوك الطوائف[13] .

بعد ان استقبله المعتمد بن عباد في الجزيرة الخضراء[14] ، سار يوسف ابن تاشفين بقواته الى مدينة طليطلة عاصمة مملكة قشتالة ، وشدد حولها الحصار ليوقع الذعر في نفوس أهلها ، ووصل زحفه الى مدن الحدود مما يلي شمالي طليطلة ، ثم حاصر مدينة قلعة رباح الواقعة على الطريق المؤدي الى مملكة قشتالة[15] .

---

٨ ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٠ .
٩ ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٣٢٠ ، ٤٨٧ .
١٠ــ النويري : نهاية الادب ، جـ٢٢، ص١٨٢ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٢، ص٣١ .
١١ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ص١٨٩ ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ٢ ، ص٨١ .
١٢ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان : ص٢٧٣ ــ ٢٧٤ .
١٣ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣٠٢ .
١٤ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٣ .
١٥ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ ــ اشباخ : تاريخ الاندلس، ص٩٣ .

قاوم الفونسو السادس وحليفه (سانشو راميرز) القوات المرابطية والتي انسحبت دون ان تدخل معركة حاسمة مع الاسبان[١٦] ، ولم تشترك القوات الاندلسية في هذه الحملة مما أدى الى تأثر يوسف بن تاشفين بموقف ملوك الطوائف هذا[١٧] ، اضافة الى ان ملوك الطوائف أحسوا بنوايا يوسف بن تاشفين نحوهم فباتوا يترقبون ما تأتى لهم الايام من امور[١٨] .

عاد يوسف بن تاشفين بقواته في احواز طليطلة صوب الجنوب[١٩] ، بعد ان قطع الصلة بين ملوك الطوائف والاسبان ، ليضع بداية النهاية لملوك الطوائف .

القضاء على ممالك الطوائف ٤٨٣ ــ ٥٠٩هـ :

هناك ظاهرتان يمكن ملاحظتها في هذا الموضوع :

الاولى : ان أكثر ممالك الطوائف سيطرت عليها القوات المرابطية نتيجة تعاون ملوكها مع اسبان الشمال وموقفهم المضاد للمرابطين .

الثانية : ان بعض ممالك الطوائف مثل : مملكة بلنيسة ومملكة الجزائر الشرقية دخلتها القوات المرابطية لانقاذها من خطر هجمات الاسبان ، أي ان هذه الممالك هي التي طلبت العون من المرابطين .

ونظرا لتداخل احداث هذه الفترة ، سرنا على توضيح علاقة كل مملكة من ممالك الطوائف مع الشمال الاسباني اولا ، ومن ثم كيفية اخضاعها من قبل المرابطين ثانيا ، وذلك خلال الفترة من ٤٨١ هـ الى ٥٠٩ هـ ، مراعين بذلك الترتيب الزمني :

١٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٤٠ .
١٧ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ .
١٨ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣٠٣ .
١٩ـ الناصري : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٤٨ .

مملكة غرناطـة :

١) علاقات مملكة غرناطة مع الممالك الاسبانية ٤٨١ ــ ٤٨٣هـ :

عرف الفونسو السادس ، عقب معركة حصن أليبط ، مدى الخلاف بين ملوك الطوائف ، فعمل على مهاجمة كل واحد منهم على انفراد . فبعث قائده البرهانس الى عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة يطالبه بالجزية المتأخرة ويهدده حول هذا الامر[٢٠] .

صالح عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة الفونسو السادس وبعث اليه الاموال الكثيرة ، وظاهره علي يوسف بن تاشفين ، واخذ يعمل على تحصين بلاده ضد خطر المرابطين ، وفي ذلك يقول احد الشعراء :

يبنى على نفســه سفاهـــــا   كأنــــــه دودة الحريــــــر
دعوه يبنى فســوف يــــدري   اذا أتــت قــدرة القديــر[٢١]

وقد نقل الامير عبدالله الكثير من المتاع والذخيرة الى قصبة المنكب الواقعة على البحر تحوطا للمخاطر القادمة[٢٢] .

وصلت أخبار هذه العلاقة بين الفونسو السادس والامير عبدالله صاحب غرناطة الى يوسف بن تاشفين ، عن طريق احد اتباعه وهو (مؤمل) مولى جده باديس[٢٣] وغيره ، اضافة الى الاهتمام بتجديد الاسوار وتحصين المدينة. ومن جهة اخرى فقد اصدر فقهاء غرناطة فتوى بخلع الامير عبدالله واخيه تميم صاحب مالقة ، لما يرتكبانه من المظالم وعدم اتباع اوامر الشرع[٢٤] ، وقد كان للقاضى (ابن القليعى) دور كبير حول هذا الامر .

٢٠ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٨٩ ــ ٩٠ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص١٨٧ .
٢١ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٥٨ .
٢٢ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٤٠ ــ ٣٤١ .
٢٣ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٣٥ ــ عنان : دول الطوائف، ص٢٣٥ .
٢٤ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٤١ .

اخضاع مملكة غرناطة عام ٤٨٣هـ :

نزلت القوات المرابطية في ظاهر مدينة غرناطة ، وفرضت عليها الحصار حتى لاتصل اليها الامدادات من ملك قشتالة حليف اميرها[٢٥] . ودام الحصار شهرين ، وقد ماطل الامير عبدالله في تسليم المدينة لعل الامدادات تصل اليه من حلفائه الاسبان[٢٦] .

اصيب صاحب غرناطة بخيبة امل مريرة ، ولم يستطع مواصلة الحصار ، وكانت امه وبعض رجاله يلحون عليه في تسليم نفسه الى يوسف بن تاشفين، لما بينهما من وشيجة الاصل البربري التي ستحمل يوسف بن تاشفين على معاملته بالحسنى . وبالفعل سلم صاحب غرناطة نفسه املا بالعفو ، الا انه كبل بالحديد عند دخول القوات المرابطية المدينة[٢٧] .

دخلت القوات المرابطية مدينة غرناطة في يوم ١٣ رجب[٢٨] من عام ٤٨٣هـ / أيلول ١٠٩٠م ، ونزل يوسف بن تاشفين في قصرها[٢٩] ، واخذ ينظم شئون المدينة ووعد اهلها برفع المغارم والضرائب واتباع احكام الشرع[٣٠] .

٢٥- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ - عنان : دول الطوائف، ص٣٤١ .
٢٦- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ - الناصري : الاستقصا ، ج٢، ص٤٨ .
٢٧- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس، ص١٠٤ - ١٠٥ - التباهي : المرقبة العليا ، ص٩٧ .
٢٨- ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢، ص٨٩ : يجعل الشهر ، شعبان .
٢٩- ابن بسام : الذخيرة ، ج٣، ص٢٩ (مخ) - الضبي : بغية الملتمس، ص٣٢ .
٣٠- ابن الاثير : الكامل ، ج١٠، ص١٥٥ - ابن خلدون : العبر ، ج٦، ص١٨٧ - ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٣٥ - ٢٣٦ .

وفي الوقت نفسه سارت قوات مرابطية الى مدينة مالقة ، فقبضت على أميرها تميم بن بلقين ، وحمل مكبلا الى عدوة المغرب ، وبعدها ارسل الى مدينة السوس ، وقد عفا عنه يوسف بن تاشفين بعد ذلك فسكن مراكش الى ان توفى عام ٤٨٨ هـ[٣١] .

اما الامير عبدالله فقد نقل واهله الى مدينة سبتة ، واستقروا اخيرا في مدينة اغمات تحوطهم رعاية يوسف بن تاشفين ، وهناك كتب مذكراتـــــه المشهورة[٣٢] ، وبذلك كانت مملكة غرناطة اول ما ملكه يوسف بن تاشفين من بلاد الاندلس[٣٣] .

وبعد سيطرة القوات المرابطية على غرناطة ، سارت قوات مرابطية الى البيرة والمنكب فسيطرت عليها ، وبذلك سقط ملك بني زيري بالاندلس[٣٤] .

ترك امير المسلمين بلاد الاندلس راجعا الى العدوة في شهر رمضان من عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م[٣٥] وقد فوض شئون الاندلس الى جملة قواد وامرهم باسقاط ممالك اشبيلية وبطليوس حسب خطة عسكرية سنذكرها فيما بعــد .

مملكة اشبيليــة :

١) علاقات مملكة اشبيلية بالممالك الاسبانية ٤٨١ ــ ٤٨٣هـ :

بعد معركة حصــن ألييط هاجمت قوات الفونسو السادس بعض حصون وقلاع مملكة اشبيلية[٣٦] ، اضافة الى ان المعتمد بن عباد اخذ يعمل على

٣١ــ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١٦٣ ، ١٧١ ــ ابن الخطيب : اعمــال الاعلام ، ص٢٣٦ .

٣٢ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٥٨ .

٣٣ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠، ص١٥٥ .

٣٤ــ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص٤٤ ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ٣٠٤ .

٣٥ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٦ (ح١) ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ .

تحصين بلاده ، واستعد للدفاع[٣٧] ، بعد ان شعر ـ كغيره من ملوك الطوائف ـ بموقف يوسف بن تاشفين منهم جميعا عقب معركة حصن الييط .

اتصل المعتمد بن عباد سرا بالفونسو السادس وعقد العزم معه على مهاجمة القوات المرابطية المتواجدة في الاندلس وجعلها فريسة له ، على شرط ان يتركه على عرشه ، وتعهد للفونسو السادس بدفع الاموال ، وقد شاركه في هذا الامر المتوكل بن الافطس ملك بطليوس[٣٨] .

أدرك المعتمد بن عباد وصاحبه ابن الافطس ، حراجة مركزهما بعد اخضاع المرابطين مملكة غرناطة ، الا انهما سارا الى غرناطة وقدما التهانى الى يوسف بن تاشفين ، خاصة وان المعتمد يطمع في السيطرة على غرناطة بموجب وعد سابق له من يوسف بن تاشفين[٣٩] ، الا أن امير المسلمين استقبلهما بجفاء ، وهنا أدرك الخطر المحيط بهما ، فرجع كل الى مملكته يستعد للظروف ، واخذا ينصحان ملوك الطوائف الاخرين بالاستعداد للدفاع عن انفسهم من خطر القوات المرابطية ، وبذلك أمسكوا عن امداد الجيوش المرابطية بالرجال والميرة ، واعتزموا على تكوين حلف مع الفونسو السادس لدفع خطر المرابطين[٤٠] . وقد ازدادت العلاقات توترا ، بصورة خاصة ، بين المعتمد ويوسف بن تاشفين الذي دعاه مرات الى لقائه فرفض ، كما دعا الى مقاومة الاسبان وأتباع احكام الشرع ، فلم يجبه الى شيء[٤١] ،

٣٦ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص٨٩ ـ ٩٠ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٣٨ .

٣٧ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٢، ص٤٩٠ .

٣٨ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .

٣٩ـ الامير عبدالله : كتاب التبيان، ص١٦٤ ـ عنان : دول الطوائف، ص٣٤٢ .

٤٠ـ علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

٤١ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ ـ الناصري : الاستقصا ، جـ٢، ص٤٨ .

واخذ يعمل على تحصين بلاده لدرء الخطر القادم[٤٢] . كما اتصل المعتمد في هذه الاوقات الحرجة بالاسبـان وطلب منهم العـون والمساعدة لمقاومـة المرابطين والقضاء عليهم ، وقد دللت المصادر على وجود مثل هذا التعاون اثناء حصار اشبيلية ، وذهبت الى أبعد من ذلك ، بان المعتمد زوج ابنتـه (زائدة) للفونسو السادس ، تعزيزا لاواصر الصداقة بينهما ، وهو أمر لنا له عودة فيما بعد .

٢) اخضاع مملكة اشبيلية ٤٨٣ ــ ٤٨٤هـ :

كان المرابطون يراقبون تحركات المعتمد بن عباد ، فلما ايقنوا اتصاله بالاسبـان استفتوا الفقهاء بخلعه ، فأفتوا بذلك ، واعتبروا انفسهم مسؤولين امام الله بذلك ، لان يوسف بن تاشفين سبق ان أقسـم بان لايخلع المعتمد ولا يغدر به[٤٣] .

اذن تهيأت الاسباب ليوسف بن تاشفين من اجل القضاء على مملكة اشبيلية ، فقد وضع خطة عسكرية لتنفيذ هذا الامر ، فقد عهد الى سير بن أبي بكر ــ الذي فوض له شؤون الاندلس بعد رجوعه من اتمام امر مملكة غرناطة عام ٤٨٣ هـ[٤٤] ــ بالسيطرة على اشبيلية[٤٥] ، ومن المغرب ارسل (ابو عبدالله بن الحاج) على راس جيش مرابطي وعهد اليه بالسيطرة على قرطبـة وعليها المأمون بن المعتمد ، وقدم جيشا آخر بقيادة (أبي زكريا ابن واسينو) وعهد اليه فتح المرية ، وقدم (جرور الحشمي) على رأس جيش وامره بمحاصرة

٤٢ــ ابن عـذاري : البيان المغـرب ، جـ٤ ، ص١٤٤ ــ ابن الخطيب : الحلـل الموشية ، ص٥٨ .

٤٣ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٦ ــ ١٠٧ .

٤٤ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ .

٤٥ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، ص١٤٤ .

يزيد الراضي بن المعتمد والي رندة ، وقد عبرت هذه الجيوش الى الاندلس ، وامير المسلمين مقيم في سبته مترقبا لانبائهم ، ونتائج اعمالهم[٤٦] .

واضح لدينا من اعداد هذه الجيوش ، ان يوسف بن تاشفين هدف الى مهاجمة مملكة اشبيلية في وقت واحد ، لان هذه المملكة واسطة عقد الاندلس ، وان ملكها له نوع من السلطة الادبية على بقية ملوك الطوائف ، فبسقوطها ، تسقط بقية ممالك الاندلس[٤٧] .

بدأ سير بن ابي بكر بالسيطرة على قواعد اشبيلية ، فسيطر على جزيرة طريف في شوال من عام ٤٨٣هـ ونادى فيها بدعوة امير المسلمين ، ثم اتجه نحو الشمال قاصدا مدينة اشبيلية[٤٨] .

أصبحت المهمة صعبة امام القائد سير ، الذي كان يرسل الجيوش المرابطية الفرعية للسيطرة على اهم حصون مملكة اشبيلية ، مع مراقبة حركات المعتمد والمتوكل بن الافطس ، واتصالاتهم بالاسبان .

حاصر القائد (جرور الحشمي) مدينة رندة[٤٩] ، وكان حاكمها (ابو خالد يزيد الراضي) ، فصمدت امام الحصار لمناعة اسوارها ، فاكتفى جرور الان بالحصار منتظرا سير الحوادث[٥٠] .

اما مدينة جيان ، من اعمال المعتمد ومنها اراد العبور الى مرسية في شرقي الاندلس[٥١] ، فقد حاصرها القائد (بطى بن اسماعيل) ، فاستسلمت صلحا ، وبشر (سير) امير يوسف بن تاشفين بهذا الفتح ، كما امر (سير)

٤٦ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٤٤ ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٥٩ .

٤٧ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٤٣ .

٤٨ــ المراكشي : المعجب ، ص٢٠٠ ــ الناصري : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٤٩ .

٤٩ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٦٢ ، ٧٠ .

٥٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٤٤ .

٥١ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٢١ وبعدها .

قائده (بطى) ان يذهب الى حصار قرطبة[٥٢] . الا ان ابن الخطيب يذكر لنا : أن جيشا من القشتاليين جاء لنجدة مدينة جيان ، تنفيذا للحلف المعقود بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس ، وانه قامت بين المرابطين والاسبان موقعة عنيفة أبيد بها المرابطون ، فزاد هذا الامر النقمة على المعتمد[٥٣] .

أما القائد (ابو عبدالله محمد بن الحاج) فقد اوكلت اليه مهمة حصار قرطبة ، وعزز بقوات اضافية[٥٤] ، لعلها بقيادة (بطى) . وكان الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون (ابو نصر)[٥٥] حاكم قرطبة ، قد اتخذ كل الاهبات للدفاع عن المدينة ، فأرسل زوجته وأولاده وامواله الى حصن المدور — في جنوب غربي قرطبة — تحوطا للامر ، ولكي يتمكنوا من اللجوء ، عند الضرورة ، الى حماية الفونسو السادس ملك قشتالة[٥٦] . الا أن قرطبة لم تصمد امام حصار المرابطين حتى افتتحت في ٣ صفر من عام ٤٨٤ هـ / ٢٦ مارس ١٠٩١ م[٥٧] ، بعد مقتل المأمون ووزيره[٥٨] ، وقد رثاه المعتمد كما رثى ابنه الراضي (قتيل رندة) بقوله :

معى الاخوات الهالكات عليكما وأمكما الثكلى المضرمة الصدر[٥٩]

على اثر سقوط قرطبة ، سيطر المرابطون على (أبدة وبياسة وشقورة) في شرقى قرطبة ، وعلى حصن البلاط والمدور في غربها ، كما ارسلت حملة

٥٢— ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ — النويري : نهاية الادب، جـ٢٢، ص١٨٣ .

٥٣— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٦٣ .

٥٤— الناصري : الاستقصا ، جـ٢، ص٤٩ .

٥٥— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٦٢ .

٥٦— عنان : دول الطوائف ، ص٣٤٥ .

٥٧— ابن ابي زرع : روض القرطاس، ص١٠٠ — المراكشي : المعجب ، ص٢٠٠ .

٥٨— القاضي عياض : المدارك ، جـ٤، ص٤٤٧ — ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ص٦٢ .

٥٩— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٦١ .

مرابطية تتألف من الف فارس ، سيطرت على قلعة رباح[٦٠] . وهكذا سيطر المرابطون على سائر اراضي الوادي الكبير ، وعلى سائر قواعد مملكة اشبيلية ماعدا (رندة وقرمونة واشبيلية)[٦١] .

ذكرت بعض مصادرنا الاسلامية امر زوجة المأمون بن المعتمد ، التي تزوجها الفونسو السادس وانجبت منه ولده شانجة قتيل معركة اقليش عام ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م[٦٢] .

فزائدة الاندلسية هذه هي كنة (زوجة الابن) المعتمد وليست ابنته ، وهي التي وضعها زوجها في حصن المدور حماية لها من خطر المرابطين ، ويبدو انه بعد مقتل المأمون ووزيره ، وسيطرة المرابطين على حصن المدور ، لجأت زوجته الى حماية الفونسو السادس ، وهناك اجبرت على التنصر وتزوجها ملك قشتالة[٦٣] ، وان مثل هذه الحوادث سبق وقوعها في تاريخ الاندلس[٦٤] .

اما مدينة قرمونة ، حصن اشبيلية في الشرق ، فقد حاصرها القائد سير ابن ابى بكر ودخلها عنوة في ١٧ ربيع الاول من عام ٤٨٤هـ/١٠ مايو ١٠٩١ م[٦٥] .

٦٠- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٠ - الناصري : الاستقصا، جـ٢، ص٤٩ .

٦١- عنان : دول الطوائف ، ص٣٥٠ .

٦٢- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٥٠ - الونشريشي : اسنى المتجار، ص١٨٩ .

٦٣- راجع : عنان دول الطوائف، ، ص٣٤٥ وبعدها - بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص١٥٢ وبعدها - الحجي : التاريخ الاندلس، ص٣٥٣ .

٦٤- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص٦٧ .

٦٥- ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص١٨٧ - ابن ابي زرع : روض القرطاس، ص١٠٠ .

بعد سقوط اهم حصون مملكة اشبيلية بيد المرابطين، تقدم بن ابي بكر بقواته وضرب الحصار حول مدينة اشبيلية ، وهو يحمل اوامر سيده ، بان يعرض على المعتمد التسليم والسير باهله وماله الى عدوة المغرب ، واذا عارض فالسيف هو الحكم ، فلما عرض القائد المرابطى هذا الامر على ملك اشبيلية لم يعطه جوابا ، بل تحصن في المدينة للدفاع عنها ، فحاصره القائد المرابطى عدة اشهر بقوات ضخمة(٦٦) .

كان على المعتمد ان يستنجد بحليفه الفونسو السادس لخوض معركة الحياة أو الموت ، أو أن ملك قشتالة ارسل الى ملك اشبيلية قوات اسبانية بعد اخضاع قرطبة(٦٧) . وعلى هذا الاساس ، اشتركت قوات نصرانية بقيادة البرهانس مؤلفة من عدة الاف بين فارس راجل(٦٨) ، لانجاد المعتمد ورد خطر المرابطين . فلما علم القائد المرابطي سير بن ابي بكر بقدوم الاسبان هيأ قواته لصد الاسبان عن تقديم اي مساعدة للمعتمد بن عباد ، وقد تعاون هو وأحد قواته (ابراهيم بن اسحاق اللمتوني) والتقيا مع الاسبان في معركة شديدة قتل فيها الكثير من المرابطين وقد كتب لهم النصر في النهاية ، فانهزمت قوات الاسبان(٦٩) ، وبذلك انهار آخر أمل كان يعلقه المعتمد على معاونة حلفائه الاسبان(٧٠) .

تحرج موقف المعتمد ، بعد هزيمة الاسبان ، فزاد المرابطون من حصارهم للمدينة ، فكان هناك جيشان يحاصران المدينة ، احدهما من الناحية الشرقية ، والاخر من الناحية الغربية ، ويفصل بينهما نهر الوادي الكبير الذي كان فيه

٦٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٧ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٢، ص٤٨٧ .
٦٧ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٢٣ .
٦٨ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٩٦ .
٦٩ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠، ص١٩٠ .
٧٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٥١ .

اسطول للدفاع عن المدينة[٧١] ، الا ان مدينة اشبيلية صمدت امام هجمات المرابطين أربعة أشهر (من ربيع الاول الى شهر رجب) ، حتى استاء القائد المرابطي من طول الحصار[٧٢] .

وازداد موقف المعتمد في اشبيلية حرجا ، بسبب قيام ثورة اهل اشبيلية داخل المدينة ، ويبدو ان هؤلاء الثوار من انصار المرابطين الذين عملوا على احراج مركز المعتمد ، الذي افلتت الامور من يده خلال هذه الفترة[٧٣] ، كما استطاع المرابطون من احداث ثلمة في سور المدينة التي دافع عنها المعتمد ببسالة[٧٤] ، وحدث في الوقت نفسه ، ان احرقت القوات المرابطية اسطول اشبيلية الراسي في النهر ، فدمرت معظم سفنه ، فانهارت مقاومة المدينة[٧٥] .

أدرك أهالي اشبيلية ، ان خطط الدفاع عن المدينة اخذت في الانهيار ، وسرى بينهم الرعب والفوضى ، وقد شدد قواد المرابطين الحصار حول المدينة من جهة البر والبحر ومن اشهرهم (حدير بن واسنو) و (ابو حمامة مولى بني سجوت) ، كما شدد سير بن ابي بكر الحصار ، فدخلت الجيوش المرابطية المدينة في يوم الاحد ٢٢ رجب من عام ٤٨٤هـ / ٧ أيلول ١٠٩١م[٧٦] ، فانهارت مقاومة المعتمد ، وقتل مالك (فخر الدولة)[٧٧] ولده ، فاستسلم لقضاء الله فنقلته القوات المرابطية واهله الى الجزيرة الخضراء ومنها

٧١- علي ادهم : المعتمد بن عباد ، ص٢٧٧ .
٧٢- الامير عبدالله : كتاب التبيان ، ص١٧٠ .
٧٣- عنان : دول الطوائف ، ص٣٥١ .
٧٤- المراكشي : المعجب ، ص٢٠١ .
٧٥- ايضا ، ٢٠١ - ٢٠٢ - عنان : دول الطوائف ، ص٣٥١ .
٧٦- راجع التفاصيل : ابن بسام : الذخيرة ، ج٢ ، ص١٩ - النباهي : المرقبة العليا ، ص٩٤ - الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ٢١ - ٢٢ - ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ، ص١٩٠ - ابن العماد الاصفهاني ، خريدة العصر ، ج١١ ، ص١٤٥ - المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص٤٥٣ .
٧٧- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج٢ ، ص٨٢ - ابن قنفذ : كتاب الوفيات ، ٢٦٠ (ح٢)

الى عدوة المغرب ، ففرضت عليه الاقامة في مدينة اغمات جنوبي مراكش ، الى ان لقى ربه عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[٧٨] .

كلف (جرور الحشمى) بالسيطرة على رندة ومحاصرة اميرها يزيد الراضى ، وقد صمدت رندة امام هجمات المرابطين ، الا انه بعد سقوط اشبيلية وأسر المعتمد ، بقى يزيد الراضى معتصما في المدينة وأخوه (ابو بكر المعتمد)، في (ميرتلة جنوبى البرتغال) كانا في منعة[٧٩] وحصانة . وارغم المرابطون المعتمد ان يكتب الى ولديه ، ناصحا لهما بالتسليم ، وشاركته أمهما اعتماد الرميكية ، فاذعن الولدان لرجاء الوالدين[٨٠] .

سلم يزيد الراضى صاحب رندة نفسه للمرابطين ، بعد ان قطع له القائد جرور المواثيق والعهود ، ولكن بعد فتح المدينة للمرابطين قبض جرور على يزيد الراضى فاعدمه ، وانتهب امواله ، وامر بقتل كل من ظفر بهم من المدافعين عن المدينة وذلك في رمضان من عام ٤٨٤ هـ[٨١] .

أما المعتمد بالله صاحب ميرتلة فقد نزل من حصنه ايضا تحقيقا لرغبة والديه ، وقد ابقى المرابطون على حياته ، وقنعوا بالسيطرة على امواله[٨٢] ، وبذلك تم للمرابطين السيطرة على سائر قواعد مملكة اشبيلية[٨٣] .

٧٨- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٥٥ ، ٦٢ المراكشي : المعجب، ص٢٠٧ .

٧٩- المراكشي : المعجب ، ٢٠٤ .

٨٠- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٧١ - المراكشي : المعجب ص٢٠٤ .

٨١- القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٤، ص٤٤٧ - الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص٢٠ - ٢١ .

٨٢- المراكشي : المعجب ، ٢٠٤ .

٨٣- عنان : دول الطوائف ، ص٣٥٣ .

مملكة المريـة :

١) علاقات مملكة المرية بالممالك الاسبانية ٤٨١ – ٤٨٤هـ :

شاركت قوات المعتصم بن صمادح في معركة حصن أليبط ، للتخلص من هجمات من في الحصـن على اراضـى الممالك المجاورة ، ومنهـا اراضـى المريـة[٨٤] .

ويبدو ان المعتصم بن صمادح شارك ملك اشبيلية وملك بطليوس وملك غرناطة تعاونهم مع ملك قشتالة ضد المرابطين[٨٥] ، الا انه شارك المعتمد بن عباد والمتوكـل بـن الافطـس في تقديـم التهانـى ليوسف بـن تاشفـين بعد سيطرته على مملكة غرناطة عام ٤٨٣ هـ ، فارسل ولده (عز الدولة ابو مروان عبيد الله بن محمد بن معن المعتصم) .

استقبل يوسف بن تاشفين المهنئين بجفاء ، وقد رجع كل من المعتمد والمتوكل الى بلدهما سراعا ، اما عز الدولة بن المعتصم فقد سجنه يوسف بن تاشفين ، ولا ندري ماهي الاسباب التي دفعت امير المسلمـين الى سجن ابـن المعتصم ؟ ، وقد كتب عبيد الله الى ابيه قائلا :

حللـت رسـولا بغرناطـة ... فحـل بـى خـطب جليـل
وثقفت اذ جئتهـا مرسـلا ... وقد كان يكرم قبلى الرسـول
فقـدت المريـة ، اكرم بهـا ... فما للوصـول اليهـا سبيـل

فكتب اليه أبوه محمد بن معن المعتصم قائلا :

عزيـز علي ، ونومـي ذليـل ... على ما أقاسـي ، ودمعي يسيـل
لئن كنت يعقوب في حزنـه ... ويوسف انت ، فصبر جميـل

٨٤– ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٥٥ .
٨٥– ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .

الا ان المعتصم احتال على اطلاق سراح ابنه ، اذ هربه بمركب في البحر نقله من مالقة الى المرية ، وقد هنئ المعتصم بهذا الخلاص[٨٦] .

٣ ــ اخضاع مملكة المرية عام ٤٨٤هـ :

عهد يوسف بن تاشفين مهمة السيطرة على مملكة المرية لقائده (ابو زكريا بن واسينو)[٨٧] ، وقد اختلفت الروايات حول الصيغة التي سقطت بها المرية بيد المرابطين ، فبعضها يذكر : ان المرابطين حاصروا المرية على عهد ملكهـا المعتصم بن صمادح ، وامتلكوا معظم حصونها ، فضيقوا عليه الحصار ، وهو يعاني سكرات الموت[٨٨]، ثم توفى في ربيع الاخر عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م . اما المصادر الاخرى فتذكر : ان المعتصم بن صمادح عندما حضرته الوفاة، أوصى ابنه وولي عهد معز الدولة أحمد[٨٩] بالهرب الى بنى حماد أصحاب الجزائر حال سقوط مدينة اشبيلية ، فبعد سقوط اشبيلية في رجب من عام ٤٨٤ هـ ، هرب معز الدولة بحرا في رمضان من عام ٤٨٤هـ الى المغرب الاوسط ، قبـل ان يصل المرابطون الى مملكته وهناك عاش في كنف ملكهـا (المنصـور بـن الناصر بن علناس)[٩٠] ، الذي أكرم وفادته ، واعطـاه بلـد (تدلس) التـي ازدهرت وعمرت فيما بعد[٩١] ، وبذلك دخلت مملكة المرية تحت حكم المرابطين في (ربيع الاخر أو رمضان من عام ٤٨٤ هـ) ، على يد القائـد محمد بـن عائشة[٩٢] .

٨٦ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٨٩ .

٨٧ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ٤٤ .

٨٨ــ ابن بسام : الذخيرة ، جـ١، ق٢، ص٢٤٠ ــ ٢٤١ ــ ابن الابار : الحلـة السيراء ، جـ٢، ص٨٣ ــ ابن عذاري : البيـان المغرب ، جـ٣، ص١٦٨ .

٨٩ــ ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ٨٩ .

٩٠ــ ابن الاثير: الكامل ، جـ١٠ ، ص١٩٢ ــ ١٩٣ ــ ابـن خاقـان ، قلائـد العقيان ، ص٤٨ .

٩١ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٥ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص١٩١ .

٩٢ــ ابن الكرديوس : المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

مملكة مرسيـــة :

١ ـ علاقات مملكة مرسية بالشمال الاسباني ٤٨١ ـ ٤٨٤ هـ :

اثناء حصار حصن أليبط افتى الفقهاء بادانة عبدالرحمن بن رشيق صاحب مرسيـة ، الذي ترامـى في احضان الاسبـان ودفـع لملك قشتالـة جبايـة مدينة ،، كما انه كان يعـاون حاميـة حصـن أليبـط ، فعهـد يوسف ابن تاشفين بامره الى المعتمد بن عباد شريطة ان لايقتله ، فكان لهذا الامـر اثر سيء على اتباع ابن رشيق حيث تركوا المشاركـة في محاصـرة الحصـن وقطعوا المؤون عن الجيش الاسلامي[٩٣] .

وقد اختلفت الروايات حول مصير ابن رشيق هذا ، ولكن يبدو الامر لنا ان ولاية مرسية اصبحت تحت نفوذ المعتمد بن عباد سواء بواسطة التصالح مع ابن رشيق[٩٤] أم انتزاعها منه بالقوة من قبل (أبي الحسن ابن اليسع) والي لورقة[٩٥] .

ويعنى هذا ان مدينة مرسية اصبحت ضمن قواعد مملكة اشبيلية من ٤٨١ هـ الى عام ٤٨٤ هـ .

٢ ـ اخضاع مرسية في شوال ٤٨٤هـ :

استطاع الامير أبو عبدالله محمد بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن عائشة[٩٦] ، السيطرة على مرسية ، في شوال من عام ٤٨٤ هـ / تشرين الاول ١٠٩١ م[٩٧] ، واستولت القوات المرابطية في نفس العام على معظم اعمالها[٩٨] ،

٩٣ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٤٢ .

٩٤ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٦٠ ـ المعجب : المراكشي ، ص١٩٢ .

٩٥ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٧٥ ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢، ص٢٤٨ .

٩٦ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠١ (ح) .

٩٧ـ ابن عـذاري : البيان المغـرب ، جـ٤، ص١٤٩ ـ عـنان : دول الطوائف، ص١٨٥ .

٩٨ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠١ .

وجعلت مرسية قاعدة عسكرية مرابطية تنطلق منها الجيوش لمقاومة عدوان القمبيطور في شرقي الاندلس[99] .

وقد استطاع القائد محمد بن عائشة خلال ٤٨٤ ــ ٤٨٥ هـ من فرض سيطرة المرابطين على دانية وشاطبة[100] ، وبذلك اصبحت القوات المرابطية قريبة من مملكة بلنسية .

ويعني سيطرة القوات المرابطية على دانية وشقورة بانها اقتطعت الجـزء الجنوبى من مملكة سرقسطة ، بعد سيطرة المقتدر بن هود على دانية عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م ، فادى هذا الامر الى استقلال الجزائر الشرقية التي كانت تابعة لدانية، كما سنوضح هذا الامر فيما بعد .

مملكة بطليوس :

١ ــ علاقة مملكة بطليوس مع الممالك الاسبانية ٤٨٤ ــ ٤٨٨هـ :

تخلف المتوكل بن الافطس عن حضور معركة حصن الييط[101] ، وربما كان ذلك من اجل رصد حركات الاسبان من جهة الغرب ، كما شارك المعتمـد تقديم التهانى الى يوسف بن تاشفين بعد سيطرته على مملكة غرناطة ، ورجع الملكان الى بلادهما بعد أن قابلهما امير المسلمين بجفاء واحتاطا للامر ، واخبرنا ابن الكردبوس عن الاتصال السري بين المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس بالفونسو السادس ملك قشتالة من اجل القضاء على المرابطين[102] .

٩٩ــ ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص١٨٧ ــ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، جـ٢، ص٢٤٨ وبعدها .

١٠٠ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ١٠٧ .

١٠١ــ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ ــ محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٢٩٣ .

١٠٢ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ١٠٤

بعد ان سقطت اشبيلية بيد سير بن ابي بكر عام ٤٨٤هـ ، اخـذ المتوكل ابن الافطس يتقرب الى هذا القائد ووثق اواصر الصداقة معه[١٠٣] . الا ان سير بن ابى بكر كان يراقب تحركات ملك بطليوس ، وفي الوقت نفسه أسند يوسف بن تاشفين الى القائد سير مهمة خلع ملوك منطقة غربى الاندلس وعينه حاكما عليها[١٠٤] ، فبدأ بالمعتمد ، وبقى عمر المتوكل ينتظر مصيره .

ولما شعر ملك بطليوس بخطر المرابطين ، لجأ الى الاستعـانة بالفونسـو السادس ملك قشتالة ، وقدم مدينة (اشبونة وشنترة وشتـرين) ثمنـا لهـذا التحالف ، فكان لعمله هذا وقع سيء على رعيته ، الذين تمردوا عليه وراسلوا المرابطين لتخليصهم من خطر هذا التحالف[١٠٥] .

٢ ــ اخضاع مملكة بطليوس عام ٤٨٨ هـ :

سارت قوات القائد سير الى مملكة بطليوس ، فتحصن عمر المتوكل في قصبة بطليوس وقاوم الجيوش المرابطية ، آملا وصـول قوات اسبانيـة تساعده في هذه المقاومة[١٠٦] الا ان القوات المرابطية دخلت المدينة عنوة ، وقتلت المتوكل وولديـه الفضـل والعباس وذلك في اوائـل عـام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م[١٠٧] .

وكان لعمر المتوكل ولد آخر اسمه المنصور ، وقد بعثه والده مـع معظم ذخائره الى حصن (منتانجش) ، على مقربة من حدود قشتالة ، ليتحصن به ،

١٠٣ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٦٨ .

١٠٤ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ١٠٦ (ح) .

١٠٥ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٧ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٨٥ ــ ١٨٦ .

١٠٦ــ عنان : دول الطوائف ، ص ٣٦٩ .

١٠٧ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ١٠٢ ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٩٣ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٠ ــ ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٣٧ .

فلما سمع بمصير ابيه واخويه ، سار باهله واموال الى الفونسو السادس ، ولجأ عنده وتنصر[١٠٨] ، اما نجم الدولة سعد بن المتوكل فقد سجنه المرابطون[١٠٩] .

وعلى اثر سيطرة المرابطين على بطليوس وقتل ملكها ، سارت حملة مرابطية الى ثغر اشبونة (لشبونة) ، التي كانت تحت سيطرة الاسبان بقيادة الكونت ريمون البرجوني صهر الفونسو السادس منذ ان تنازل عنها المتوكل بموجب الاتفاق ، فسيطر عليها ، وقتلت معظم حاميتها الاسبانية ، وبذلك عادت لشبونة الى الحكم الاسلامي مرة اخرى[١١٠] . وبعد سيطرة القوات المرابطية على بطليوس واصلت زحفها في مناطق غربي الاندلس ، فسيطرت على مدينة (شلب) ومدينة (يابرة)[١١١] .

مملكة بلنسية :

١ ــ علاقات مملكة بلنسية مع الممالك الاسبانية ٤٧٩ ــ ٤٩٥ هـ :

أولا : العلاقات في عهد القادر بن ذي النون ٤٧٨ ــ ٤٨٥ هـ

بعد سقوط مدينة طليطلة بيد الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ ، غادر القادر بن ذي النون المدينة وسار الى مدينة بلنسية فتملك امرها تحت حراسة الجيوش الاسبانية بقيادة البرهانس ابن اخي القمبيطور[١١٢] .

شاركت قوات البرهانس بقية الجيوش الاسبانية في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ ، فتنفس اهل بلنسية الصعداء لرحيل القشتاليين عن بلادهم ،

١٠٨ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٨٦ .

١٠٩ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ١٠٣ .

١١٠ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٥٥ ــ عنان : دول الطوائف ، ص٣٧٠ .

١١١ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٠٥ .

١١٢ــ Pidal, op.cit, pp: 197,201.

ووصلت الى مسامعهم بشائر الانتصار في الزلاقة ، فانتعشت نفوسهم وتأملوا الخير من المرابطين • وبادر القادر ملك بلنسية الى التماس صداقة يوسف بن تاشفين اسوة بملوك الطوائف ، الا ان امير المسلمين كان في شغل شاغل عن شئون شرقي الاندلس ، حيث عجل بالرجوع الى عدوة المغرب[١١٣] •

لم يرض اهل بلنسية على حكم القادر ، الذي سلط الاسبان عليهم، فثار عليه حكام الحصون والقلاع ، كما ازدادت أطماع ملوك الطوائف المجاورين في اراضيه • وكان اكثرهم طمعا الحاجب المنذر بن احمد بن هود صاحب لاردة وطرطوشة ودانية ، الذي كان يطمع في السيطرة على بلنسية من اجل توحيد مملكته ، لان بلنسية تشطر مملكته الى شطرين •

استعان الحاجب المنذر بقوات اسبانية من مرتزقة القطلان (برشلونة) وسار صوب بلنسية ففرض حولها الحصار عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، وفي الوقت نفسه سار احمد المستعين (ابن اخي الحاجب المنذر) في اربعمائة فارس ، تساعده قوة اسبانية قوامها ثلاثة الاف فارس تحت امرة القمبيطور ، صوب بلنسية من اجل تملكها وقد اتفق مع القمبيطور بان له أموال بلنسية وللمستعين الاجزاء الداخلية للمدينة[١١٤] •

استولى الذعر على القادر بن ذي النون ، وكاد ان يسلم المدينة للحاجب المنذر ، لولا نصيحة ابن طاهر صاحب مرسيه السابق له بالتريث، وفي الوقت نفسه بعث القادر صريخه الى الفونسو السادس ملك قشتالة لنجدته، كما ارسل نفس الاستغاثة الى احمد المستعين صاحب سرقسطة، والقادر لايدري ما يبطن له صاحب سرقسطة[١١٥] • ولما قاربت قوات المستعين والقمبيطور الى ضواحي بلنسية ، انسحب المنذر بقواته راجعا الى بلاده[١١٦] •

١١٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٩ •

١١٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٩٨ — Pidal, op.cit, p.230.

١١٥ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ •

١١٦ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٨ •

اثناء وصول المستعين والقمبيطور الى بلنسية ، جـرت محالفات سـرية بين القادر حاكم المدينة وبين زعماء الانجاد تكشف لنا حقيقـة ملوك الطوائف من ناحية وحقيقة القمبيطور الذي وضع خدمتـه تحت تصـرف بعض ملوك الطوائف دون اعتبار لموثق او كلمة من ناحية اخرى .

ارسل القادر سرا الى قائد الاسبـان يطلب اليه عقـد التحالف دون علم المستعين ،وبعث اليه بالتحف والهدايا ، وفي الوقت نفسه دفع المستعين المبالغ الطائلة الى القمبيطور وطلب معاونته في الاستيلاء على بلنسية[١١٧] .

وفي الوقت الذي يعقد القمبيطور معاهدة صداقة وتحالف مع المنذر، يؤكد للفونسو السادس بانه تابع له وجندي من جنوده ، فيوافق الفونسـو السادس على كل اعمال القمبيطور في شرقي الاندلس[١١٨] . ونتيجة لذلك ذهب القمبيطور الى قشتالة وقابل سيده هناك ، وحصل منه على وثيقة يؤكد له فيها بان جميع المناطق التي يسيطر عليها من المسلمين تكون ملكا له ولاولاده من بعده[١١٩] .

عاد القمبيطور من قشتالة يقود سبعة الاف مقاتل من المرتزقة الاسبـان، وغدا زعيم عصابة يفرض بالقوة ما يريد في شرقي الاندلس[١٢٠] . واتجه صوب بلنسية ، ونزل وعصابته في (الكدية) شمالي بلنسية ، فارسل اليه القادر الاموال والهدايا واضعا نفسه تحت حمايته ، وبذلك بدأ التدخل المباشر له في شئون بلنسية[١٢١] .

على اثر ذهاب القمبيطور الى قشتـالة لتقديم فروض الطاعـة لملكهـا، أدرك المستعين بن هود مدى نفاق صاحبه وغدره ، فقطع علاقته به ، وتحالف

١١٧ـ لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨٢ .
١١٨ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
١١٩ـ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٣٧ .
١٢٠ـ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٣٧١ ـ Pidal, op.cit, p.262
١٢١ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٥٧ .

مع كونت برشلونة (رامـون برنجـير الثاني ٤٦٨ ــ ٤٨٩هـ)، والـذي كان من ألد اعداء القمبيطور ، وقدم له الاموال ، وبعثه الى محاصرة بلنسية ، الا ان القادر صمد امام هجمات صاحب برشلونة حتـى عاد القمبيطور من قشتالة على رأس عصابته ، فدخل في معارك عنيفة مع كونت برشلونة الذي وقع في الاسر مع نفر من اصحابه ، ولم يطلقهم القمبيطور الا لقاء فدية كبيرة ، فغادر كونت برشلونة أراضي بلنسية عائدا الى بلاده[١٢٢] .

كان شرقي الاندلس ، بهذه الصورة يعاني من عبث القمبيطور وارهاقاته الماليـة التي فرضهـا على حكام المدن والقلاع ، اضافـة الى خطـر الاسبان المتواجدين في حصن أليبط الذين عملوا الدمار في اراضي مرسية والمرية ولورقـة[١٢٣] .

تخلف القمبيطور عن معاونة الفونسو السـادس في معركة حصن أليبط عام ٤٨١ هـ ، فانتهز خصومه هذه الفرصة ، واثاروا حفيظة الفونسو السادس عليه وصوروا له تصرفه هذا ضـربا من العقوق والخيانة فلابد من معاقبتـه، وبالفعل امر الفونسو السادس باخلاء كل الحصون والدور العائدة للقمبيطور، وقبض على زوجته واولاده الصغار[١٢٤] .

وعلى اثر ذلك اخذ القمبيطور يستولي على القلاع والحصون في شرقي الاندلس لحسابه الخاص ، فهاجم المنطقة المحصورة بين أريولة وشاطبة وكان يبيع اسراه وغنائمه في مدينة بلنسية[١٢٥] ، وهذا يفسر لنا اهتمام يوسف بن تاشفين بامر بلنسية ، حيث ارسل اليها جيشا على اثر فراغه من معركة حصن أليبط .

١٢٢ــ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ص ٢٩ (مخ) ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٣٧ .

١٢٣ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠١ ــ ابن الخطيب : الحلـل الموشية ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

١٢٤ــ لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨٣ ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٣٩ .

١٢٥ــ لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨٢

اراد الفونسو السادس ، انتقاما من القمبيطور ، الاستيلاء على مدينة بلنسية الواقعة تحت نفوذه . ولتحقيق هذه الغاية استعان الفونسو السادس بأساطيل اوربية من جنوة وبيزة لمهاجمة بلنسية من الساحل ، فاعتبر القمبيطور هذا العمل اهانة وتحديا لنفوذه ، فهاجم اراضي قشتالة وأمعن فيها الدمار[١٢٦] .

سار الفونسو السادس بقواته صوب بلنسية وعسكر في منطقة (جبالة) ، وطلب من حكام الحصون المجاورة ان يؤدوا اليه الاموال التي كانوا يدفعونها للقمبيطور ، وبعث الى القادر بن ذى النون ان يمتنع عن ارسال الاموال الى القمبيطور . ولما علم القمبيطور ، وكان انذاك في ظاهر سرقسطة ، اعتزم على محاربة الفونسو السادس ، الذي تحرج موقفه بعدم مجيء السفن الايطالية بموعدها المحدد ، اضافة الى قلة المؤن ، فامر جيشه بالانسحاب ورجع الى بلاده ، وعندها ظهرت السفن الايطالية في البحر وعددها (٤٠٠) سفينة ، بيد انها لم تعمل شيئا ، فتركت سواحل بلنسية الى طرطوشة ، وهناك ساعدتها قوات اسبانية اخرى بقيادة (الكونت رامون برنجير الثالث) صاحب برشلونة، وقوات (سانشو راميرت) ملك اراغون والنافار يساعده ولي عهده بدرو الاول ، الا ان المدينة صمدت امام هجمات الاعداء الذين انصرفوا خائبين ، وبعد ذلك تصالح الفونسو السادس والقمبيطور ، وذلك في ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م[١٢٧] ، واقره على جميع ماستولى عليه في غزواته من شرقي الاندلس[١٢٨] .

ضاق اهل بلنسية ذرعا من عبث الاسبان في اراضيهم ، واوقعوا اللوم على القادر بن ذي النون المنفذ لرغباتهم ، فاتصلوا بالمرابطين بعد دخولهم دانية واعلنوا دخولهم في طاعتهم[١٢٩] .

١٢٦– مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص٥٦ .

١٢٧– ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٩ – ١٠٠ – بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص١٨٨ – ١٨٩ –

١٢٨– لين بول : العرب في اسبانيا ، ص ١٨٣ .

١٢٩– ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص٢١٠ .

لم يستطع ابن عائشة فاتح دانية من مغادرة المدينـة ، الا انه بعث أحـد قواده المدعو (ابو نصر)[130] الى بلنسية على رأس جيش قوامه (٥٠٠) رجل تلبية لنداء القاضي (ابو احمد جعفر بن عبدالله بن جحاف المعافري)[131] الذي تولى امر المدينة .

ثانيا : العلاقات في عهد القاضي ابن جحاف المعافري ٤٨٥ – ٤٨٧ هـ :

سار الجيش المرابطي بقيادة (ابو نصر) صوب بلنسية ، فسيطر على معظم الحصون الواقعة في الطريق ، ولم تستطع قوات الاسبـان هنـاك مـن الصمود امام هذا الجيش المرابطي[132] ، فدخل المرابطون المدينـة دون مقاومة ، واستطاع القاضي ابن جحاف من قتل بن ذي النون ، وبويع بالرئاسة (يوم الثلاثاء ٢٤ رمضان ٤٨٥ هـ)[133] .

كان للقمبيطور انذاك في سرقسطة بعيدا عن مسرح الحوادث في بلنسية، فلما علم بتطور الامور ، اكتفى بتهديد القاضي ابن جحاف ، وفي الوقت نفسه حاول التقرب اليه[134] ، لانه كان يخشى القـوات المرابطيـة المتواجـدة في دانية ومرسية ، ولم يدخل في حرب فاصلة معهم خوف الهزيمة[135] .

فاوض القمبيطور ، حاكم المدينة ابـن جحاف وحمله على صرف حلفائه المرابطين عن بلنسية ، وأوهمه انه قد يجد في محالفته ومحالفة ابن هود ما يعوضه عن محالفة المرابطين[136] .

١٣٠– مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص٥٧ .

١٣١– ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ – الضبي : بغية الملتمس، ص٢٥٧ – ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٣٠٥ .

١٣٢– محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣١٣ .

١٣٣– ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ٧ (مخ) – ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٣ .

١٣٤– ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

١٣٥– محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٤ .

١٣٦– ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ (مخ) .

نفذ القاضي ابن جحاف هذا الامر وصرف الجيوش المرابطية عن المدينة ، فلما تم هذا الامر ، سار القمبيطور بقواته صوب بلنسية وحاصرها مدة عشرين شهرا ، من آخر شهر رمضان عام ٤٨٥هـ الى منسلخ جمادي الاولى عام ٤٨٧هـ (تموز ١٠٩٣ ــ ١٥ حزيران ١٠٩٤م)[١٣٧] ، ولقى أهلها الذل والهوان بسبب هذا الحصار[١٣٨] .

ازاء هذا الخطر ، استنجد اهل بلنسية بالمرابطين مرة اخرى ، كما استنجدوا ببعض ملوك الطوائف ، ولقى هذا الامر اهتماما كبيرا من يوسف ابن تاشفين الذي أصدر اوامره الى قواده وعماله على بلاد الاندلس بنصر ومساعدة اهل بلنسية، واراد العبور الى الاندلس لنصرة بلنسية الا ان الظروف احالت دون ذلك ، وكتب الى القمبيطور يهدده ، ويطلب منه رفع الحصار عن المدينة، فرد عليه القمبيطور ردا ساخرا ويستهزء به لتقاعسه عن اللقاء معه[١٣٩] .

اصدر يوسف بن تاشفين اوامره الى قواته المتواجدة بشرقي الاندلس، ان تيمم شطر بلنسية ، وتولى الامير (ابو بكر بن ابراهيم اللمتوني) قيادتها[١٤٠] . وتذكر لنا بعض الروايات ان القمبيطور والقاضي ابن جحاف كتبا الى قائد المرابطين يخوفانه من لقاء الاسبان المتواجدين حول بلنسية والذين حالفهم ملك أرغون[١٤١] ، وينصحانه بالعودة من حيث اتى مخافة ان تلحق به الهزيمة[١٤٢] .

الا ان القوات المرابطية تجمعت في مدينة شاطبة ، ثم واصلت سيرها الى بلنسية ، فاستبشر اهلها بالنصر ، واعتقدوا ان يوم الخلاص بات قريبا ،

١٣٧ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٣ .
١٣٨ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٣٠٥ ، جـ٤، ص١٤٧ ــ ١٤٨ .
١٣٩ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣١٤ .
١٤٠ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٣٣ .
١٤١ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٣٥ .
١٤٢ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣١٥ .

الا ان اهالي بلنسية اصيبوا بخيبة امل كبيرة حيث انسحبت القوات المرابطية ورجعت الى شاطبة[143] .

أخبر قائد المرابطين (ابو بكر بن ابراهيم) يوسف بن تاشفين بانسحابه وعدم مواصلة الحصار[144] ، وقد كانت الاسباب المقبولة التي اجبرت قائد المرابطين على الانسحاب بعد ان أصبح قاب قوسين او أدنى من المدينة المحاصرة ، تعود الى نقص في الاقوات ووعورة الطريق الذي دمرته الامطار الغزيرة[145] ، وبذلك خشت القوات المرابطية الدخول في معركة غير مأمونة الجانب[146] .

رغم التدابير التي اتخذها البلنسيون لاطالة مدة المقاومة وانتظار العون من الاخوة المرابطين والاندلسيين ، لكن الاحوال بلغت حدا من السوء لم يعد بالامكان تجاهله، كما أن اهالي بلنسية طلبوا من القمبيطور قبل دخوله المدينة، ارسال وفودهم الى ملك سرقسطة ، والى (ابن عائشة) قائد المرابطين في مرسية لطلب العون والانجاد لمدة خمسة عشر يوما ، وبالفعل ذهبت وفودهم في طلب النجدة ، ولكن مضت المدة المقررة دون عودة احد منهم[147] .

ثالثا — فترة حكم القمبيطور ٤٨٧ — ٤٩٢هـ ، والصراع مع المرابطين :

دخل القمبيطور المدينة[148] ، وأذاق اعوانه من الاسبان أهلها الذل والهوان ، وكان لهذا الامر وقع مؤلم في نفس يوسف بن تاشفين[149] .

---

١٤٣ — ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ٤٨ — ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٣٣ .

١٤٤ — ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٣٣ .

١٤٥ — محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣١٥ — ٣١٦ .

١٤٦ — مؤنس : السيد القمبيطور ، ص٦٠ — ٦١ .

١٤٧ — عنان : دول الطوائف ، ص٢٤٤ .

١٤٨ — وافق سيطرة القمبيطور على بلنسية ، تاريخ اول حملة صليبية على المشرق الاسلامي وسيطرتها على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ . — أشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١١

١٤٩ — ابن : بسام الذخيرة ، جـ٣ ، ص٣١ .

روعت الاندلس لسقوط بلنسية في ايدي الاسبان ، فتوالت على يوسف ابن تاشفين الصرخات[150] ، فسار الى مدينــة سبتة وحشــد قواته ، وعــين ابن اخيه (محمد بن تاشفين) ـ أبو عبدالله ابن اخي يوسف لامه) ، والامير ابو بكر (ابن اخي يوسف لامه وابن عمه) لقيادة الحملة ، وكتب الى صاحب غرناطة المرابطي ، والى امراء شرقي الاندلس ، اصحاب شنتمرية ، والبونت ، ولاردة وطرطوشة ان يجمعوا قواتهم ويسيروا لانقاذ بلنسية[151] .

عبرت القوات المرابطية الــى الاندلس في شعبــان من عام ٤٨٧هـ/أيلول ١٠٩٤م باعداد كبيرة ، واجتمعت معها الجيوش الاندلسية ، وسارت صــوب بلنسية ، فوصلت الى (كوارت) ثم الى (مسلاته) غربي بلنسيــة جنــوبي النهر الابيض[152] في شهر رمضان ٤٨٧ هـ/تشرين الاول ١٠٩٤ م ، وصلوا صلاة عيد الفطر في مسلاته ، ثم بدأ الهجوم على المدينة[153] .

ارتاع الاسبان لمقدم الجيش المرابطي ، وهموا بالفرار واخلاء المدينــة ، الا ان القمبيطور صمد وثبت عزائم جنده[154] ، فكرر المرابطون هجماتهم على المدينة ، وفرضوا عليها الحصــار ، الا ان القمبيطور فاجأهم ليلا واوقــع في الجيوش المرابطية الذعر ، واستولى على مغانم كثيرة من الســلاح والمــؤن والخيل ، وقتل من المسلمين اعدادا كبيرة ، ثم رجع مسرعا وتحصن داخل المدينة[155] .

١٥٠ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص٣٤ .

١٥١ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ص٤٨ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ص٢٠٤

١٥٢ـ النهر الابيض : احد فروع النهر الاحمر (أو توريا) ـ الزهى : كتاب الجغرافية

١٥٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٤٧ .

١٥٤ـ ابــن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٣٥ .

١٥٥ـ ابن عذاري : المصدر نفسه جـ٤ ، ص٣٦ ـ لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨٤ .

وفي اثناء ذلك كتب القمبيطور الى الفونسو السادس ملك قشتالة يطلب المساعدة ، فهرع اليه بقواته ، واثناء سيره وصلت اليه اخبار هزيمة المسلمين، فعرج الى (وادي أش) من اعمال غرناطة ، واكتسح حصونه واخذ بعض سكانه من المعاهدين لاجل عمارة ارض طليطلة ، وارسل اليه القمبيطور بعض ماغنمه من الجيش الاسلامي[156] ، كما بعث الى (بيدرو الاول) ملك أرغون يطلب منه العون والمساعدة[157] .

وقعت اشتباكات عنيفة بين الجيوش الاسلامية وبين جيوش الاسبان، استولى خلالها القمبيطور على (مربيطر)[158] ، التي كانت تحت حماية ملك برشلونه (ريموند برنجار الثالث) ، وعلى مجموعة من الحصون[159] .

استاء يوسف بن تاشفين من حراجة المركز الحربي لجيوشه في شرقي الاندلس واشتد غضبه على قائد الجيش ، الذي رجع بقواته الى دانية ومنها الى شاطبة ، وامر قائد جيشه ان يرابط في شاطبة ويواصل هجماته المتكررة على بلنسية ، وانه (أي يوسف) يقوم بامداده بالاموال والرجال . الا انه في الاخير أبدله بقائد جديد وهو (ابو الحسن علي بن الحاج) الذي لحق بشاطبة يترقب الاوامر[160] .

أزداد أمر بلنسية سوءاً بعد حرق قاضيها ابن جحاف في جمادى الاولى من عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[161] ومجموعة من العلماء ، فستأسد عليها القمبيطور .

وفي شهر شعبان من عام ٤٨٨ هـ شددت القوات المرابطية في مرسية حصارها لمدينة بلنسية ، فجرد القمبيطور اهل بلنسية من جميع الاسلحة حتى من الابر والمسامير ، ونفى وقتل من يشك فيه ، وأستمرت هذه الحالة الى

١٥٦ـ ايضا ، جـ٤ ، ص٣٦ .
١٥٧ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ .
١٥٨ـ دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١٢ ، ص٤٣١ .
١٥٩ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ .
١٦٠ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٣٧ .
١٦١ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٢٦ .

شهر رمضان . فازاء هذا الوضع الخطر شدد الامير (محمد بن تاشفين)الحصار حول المدينة وقد توافدت اليه جيوش كثيرة من سائر انحاء الأندلس(١٦٢) وصلوا عيد الفطر في (منزل عطاء على ساقية هوارة) ، وقد ايقن الاسبان الموجودون في المدينة انتصار هذه الجيوش الأسلامية الكبيرة(١٦٣) ، الا ان القمبيطور اشاع في الثامن من شهر شوال عام ٤٨٨هـ بان ملك ارغون جاء لنجدته ، كما أعمل الحيلة ليلا وهاجم المعسكر الاسلامي ، فاوقع فيه الرعب، واستولى على غنائم كثيرة ، ثم عاد فتحصن داخل المدينة(١٦٤) ، وصب جام غضبه على اهلها وطالبهم بالاموال الطائلة (٧٠٠ ألف مثقال) وسلط عليهم اليهود الذين كانوا من أخلص اتباع القمبيطور وساموا الناس سوء العذاب(١٦٥) .

ويبدو ان هذا الامر أقلق يوسف بن تاشفين — حتى ذكرت بعض الروايات عبوره الى الاندلس في عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م(١٦٦) — فجهز جيشا كبيرا من المرابطين وأهل الاندلس واشترك معهم بعض فرسان عرب بني هلال(١٦٧) ، بقيادة محمد بن الحاج الذي اطبق على قوات الفونسو السادس عند (كنسويجرا Consuagra) أو (كنشره) ، والتي منيت بخسارة بالغة(١٦٨) ، وذلك في عام ٤٩٠هـ/١٥ أيلول ١٠٩٧ وقتل احد ابناء القمبيطور

١٦٢— مؤنس : السيد القمبيطور ، ص٧٦ .

١٦٣— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٤٠ .

١٦٤— عنان : دول الطوائف ، ص٢٤ — مؤنس : السيد القمبيطور ، ص٧٦٧ .

١٦٥— ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣، ٤٨ — ٤٩ — ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص١٢٦ . — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

١٦٦— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٧ — ابن خلدون : العبر ، ، جـ٦، ص١٨٧ .

١٦٧— ابن القطان : نظم الجمان ، ص٩ — ١٠ (ح) .

١٦٨— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٨ .

المدعو (ديجـــو Diego)[169] ، فسر يوسف بن تاشفين بهذا النصر ، وارسل حملة اخرى بقيادة (محمد بن عائشة) حاكم مرسية الى احواز قونقة (كنكة) شرقى مدريد ، وذلك في ايلول وتشرين الاول من عام ١٠٩٧م ، فانهزمت القوات القشتالية التي كانت بقيادة البرهانس ، والتي تؤازره قـوات ارغونية أرسلها بدرو الاول ملك ارغون للمساهمة في هـذه المعركـة ، ومـن ثم قتل البرهانس قائد القشتاليين[170] •

ثم سار القائد (محمد بن عائشة) الى ناحية جزيرة شقر ، وهنـاك التقى بجملة من جنود القمبيطور، فأوقع بهم هزيمة منكرة، ولم يفلت منهم الا اليسير فكان لهذا الامر وقع كبير على نفس القمبيطور الذي مـات همـا وكمـدا لذلك[171] •

رابعا : عهد شيمانة زوجة القمبيطور ٤٩٢ ــ ٤٩٥هـ ودخول المرابطين بلنسية :

توفـى القمبيطـور عام ٤٩٢/١٠٩٩م[172] ، وتولت زوجتـه شيمانـة ادارة بلنسية مع العمل على صد هجمات الجيوش المرابطية المتكررة بالتعاون مع الفونسو السادس ملك قشتالة • فأصبح خلال هذه الفترة امام القوات المرابطية ان تقاوم جيوش الاسبان في بلنسية وطليطلـة • ومـن اجـل قطـع مساعدات الفونسو السادس لحاكمة بلنسية ، سارت حملة مرابطية كبيرة في عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م بقيادة (الامير يحيى بن ابى بكر بن يوسف بن تاشفين) وعبرت الى الاندلس ، وصحبه الامير (سير بن ابى بكر) و (محمد بن الحاج)

١٦٩ـ مؤنس : السيد القمبيطور ، ٧٧ •

١٧٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٨ ـ مؤنس : السيد القمبيطور، ص٧٧ •

١٧١ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص١٠٨ ــ ١٠٩ ـ بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ص١٩٥ •

١٧٢ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص ١١١ ــ لين‌بول : العرب في اسبانيا ، ص١٨٥ ــ Pidal, op.cit, p.406.

وساروا جميعا صوب طليطلة ففرضوا حولها الحصار وشنوا عليها الغارات ، فسيطروا على جملة من حصونها وسبوا الكثير من سكانها(١٧٣) .

وفي عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م سار الامير (ابو محمد مزدلي بن سلنكان ـ ابن عم يوسف) الى الاندلس في جيش كبير ويمم شطر بلنسية ونزل بالقرب منها(١٧٤)، في محلة قلبيرة جنوبي بلنسية ، وشدد الحصار الذي استمر سبعة اشهر مما جعل حاكمة المدينة شيمانة تعجل في الاستنجاد بالفونسو السادس الذي جاء مسرعا الى بلنسية ودخلها عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م(١٧٥) .

في البداية تجنب قائد المرابطين لقاء الفونسو السادس ، الذي خرج الى أحواز قلبيرة بعد شهر من قدومه ، فانتسف زروعها ، وهالته ضخامة الجيش المرابطي ، فارتد مسرعا الى المدينة وهو عازم على اخلائها(١٧٦) .

نصح الفونسو السادس شيمانة بترك المدينة ، وكانت تحاول الدفاع عنها ، فاقتنعت بالانسحاب واخذت معها رفات زوجها والاموال التي انتهبها(١٧٧) ، ثم ترك الفونسو السادس مدينة بلنسية بعد ان أحرقها فغدت اطلالا دارسة ، فدخلها المرابطون في منتصف شهر رجب من عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م(١٧٨) . فعادت مرة اخرى الى حوزة الاسلام .

١٧٣ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٩ .
١٧٤ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤١ .
١٧٥ـ عنان دول الطوائف ، ص٢٤٨ .
* ابن عذارى : البيان المغرب جـ٤ ، ص٤٢ .
١٧٦ـ مؤنس : السيد القمبيطور ، ص٧٧ ـ بروفنسال الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٩٦ .
١٧٧ـ ابن بسام : الذخيرة ، جـ٣ ، ٥٠ ـ ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص٤٢٢ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٨ .
١٧٨ـ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص١٣٩ .

بعد ان استقرت الجيوش المرابطية في بلنسية ، استعادت أيضا مربيطر والمنارة والسهلة وغيرها من الحصون والقلاع في اقليم بلنسية ، كما أدى هذا التوسع الى حماية ظهر مملكة سرقسطة ، وتوثيق الصلات بينها وبين المرابطين ليتعاونا في صد التيار الاسباني الذي يهدد الاندلس في الشمال الشرقي[١٧٩] .

امارة البونت :

١ ـ علاقات امارة البونت مع الممالك الاسبانية ٤٨١ ـ ٤٩٦هـ :

على اثر الخلاف الذي حصل بين الفونسو السادس ملك قشتالة والقمبيطور بسبب عدم اشتراك الاخير في معركة حصن أليط ، اتخذ والقمبيطور من منطقة بلنسية قاعدة لشن غاراته على ممالك الطوائف المجاورة . ففي عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م زحف القمبيطور بقواته على امارة البونت ـ الواقعة بين بلنسية وشنتمرية الشرق ـ على عهد أميرها (عبدالله بن محمد أل قاسم ٤٤٠ ـ ٤٩٦ هـ)[١٧٩] ، وعاث فسادا في اراضيها ، واضطر اميرها هذا الى دفع جزية قدرها عشرة الاف دينار ، والاعتراف بطاعة ملك قشتالة[١٨٠] ، ويبدو ذلك بعد المصالحة بين زعماء الاسبان .

٢ ـ سيطرة المرابطين عليها عام ٤٩٦هـ/١١٠٣م :

لما اشتد ارهاق القمبيطور لاهل بلنسية عام ٤٨٨هـ ، شدد الامير محمد بن تاشفين (ابن اخي يوسف) الحصار حول المدينة ، وساعدته الكثير من القوات الاندلسية ، ومن جملة من ساهم في الحصار نظام الدولة (عبدالله ابن محمد) بمجموعة من جيوشه[١٨١] .

١٧٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص١٤٥ ، ٢١٥ ـ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢ ، ص٣٩٦ .

١٨٠ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٦١ .

١٨١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ٤٠ .

ولما انقذ المرابطون بلنسية من خطـر الاسبـان عام ٤٩٥ هـ ، استولوا على معظم القواعد والحصون المجاورة لها ، فدخلت القوات المرابطية امارة اليونت عام ٤٩٦هـ/١١٠٣م[١٨٢] ، بقيادة داود بن عائشة . وعلى الرغم مـن ان بعض الروايات تذكر : ان ال قاسم امراء البونت استمروا في حكم الامارة حتى عام ٥٠٠ هـ[١٨٣] ، الا ان الغالب على هذه الاحداث هو عام ٤٩٦ هـ[١٨٤].

حصل القمبيطور على تأييد سيده الفونسو السادس ملك قشتالة حول حياته ، وقد أظهر تجلدا وصبرا لهذا الامر بقوله :

خلعـت عـن الملـك لكننـي عـن الصبر والمجـد لا أخلـع
رمانـي الزمـان بأرزائـه وغيري في خطبه يجزع ....[١٨٥]

امارة شنتمرية الشرق (سهلة بني رزين) :

١ ـ علاقات هذه الامارة بالممالك الاسبانية ٤٨١ ـ ٤٩٧هـ :

حصل القمبيطور على تأييد سيده الفونسو السادس ملك قشتالة حول شرعية كل اعماله التي يقوم بها في شرقي الاندلس وذلك عام ٤٨١هـ اثنـاء ذهابه الى قشتالة والحصول على التأييد هناك .

وبعد رجوعه من قشتالة على رأس عصابة اسبانيـة تتألف من سبعـة الاف مقاتل ، مر باراضي شنتمرية الشرق[١٨٦] ، وعسكر في منطقة (كالاموشا) في شمالها الشرقي ، ولبث فترة من الزمن هناك يجمع المحاصيل والاقوات ،

١٨٢ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١١٤ (ح) يذكـر د. مؤنس عام ٤٨٥هـ لهذا الحدث .

١٨٣ـ ابن عذاري : البيان المغـرب ، جـ٣، ص٢١٥ ـ ابن الخطيب : اعمـال الاعلام ، ص٢٠٨ .

١٨٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٦٢ .

١٨٥ـ ايضا . راجع : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢، ص٢٩٦ .

١٨٦ـ تسمى أيضا (بالبراثين Albarracin) ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٧٥ (ح) .

فلما شعر (أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين ٤٣٦ — ٤٩٦ هـ) بما يهدد امارته من الخراب ، قصد معسكر القمبيطور ، واتفق معه على ان يتركه في سلام ، على ان يؤدي الجزية للفونسو السادس كما كان الشأن قبل موقعة الزلاقة ، وان يدفع في الحال الى القمبيطور ، بصفته نائبا عن الملك مبلغ عشرة الاف دينار ، وعندئذ غادر القمبيطور اراضي السهلة صوب بلنسية[١٨٧] .

ولما كثر عبث الاسبان في مناطق بلنسية ، لم يستطع القائد (ابو عيسى بن لبون بن عبدالعزيز بن لبون)[١٨٨] حاكم حصن مربيطر من اعمال بلنسية ، ان يصمد امام قوات الاسبان ، وانف من مفاوضة القمبيطور ، فتخلى عن هذا الحصن الى عبدالملك بن هذيل صاحب شنتمرية الشرق في اواخر عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٢ م[١٨٩].

لجأ ابن لبون واهله الى بلاط عبدالملك ، امير السهلة ، الذي تهادن مع القمبيطور وجعل الحصون الواقعة في اراضيه مفتوحة للبيع والشراء مع الاسبان ، وان يقدم لجنود الاسبان مايحتاجون من الميرة[١٩٠] .

تنكر صاحب السهلة لهذا القائد وضيق عليه ، وقاسى ابن لبون الامرين من هذه المعاملة ، وندم على عمله هذا فقال :

ذروني أجب شرق البلاد وغربها	لأشفي نفسي أو أموت بدائي
فلست ككلب السوء يرضيه مربض	وعظم ولكني عقاب سماء
وكنت اذا ما بلدة لي تنكرت	شددت الى اخرى وراء ابائي[١٩١]

١٨٧ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٥٧ .

١٨٨ــ الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٦٧ .

١٨٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٨٢ (ح) ــ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢ ، ص٢٧٥ .

١٩٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٥٧ .

١٩١ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٦٨ .

وقد طالت اقامة هذا (العقاب) في كنف ابن رزين الى ان توفى هناك ، وقيل توفى في سرقسطة[192] .

حاول عبدالملك بن هذيل أمير (مربيطر) الجديد السيطرة على بلنسية ، منتهزا سوء الاوضاع فيها وناقضا شروط الاتفاق مع القمبيطور . ولتحقيق هذه الغاية فاوض (بدرو الاول Pedro I) ملك أرغون[193] ، وعرض عليه اموالا كثيرة . فلما علم القمبيطور بهذا الامر سار مسرعا بقواته الى اراض السهلة ، وعاث فيها فسادا واتسف الزروع ، واستاق الماشية وسبى الكثير من اهلها ، وبعث غنائمه هذه الى محلة (جبالة) على مقربة من بلنسية . وعندما اضطر عبدالملك الى مهادنة القمبيطور مرة ثانية لصون اراضي امارته ، وكان ذلك في عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٣ م[194] .

وقد شارك عبدالملك بن رزين الجيوش المرابطية وبقية عساكر أهل الاندلس في حملة عام ٤٨٨ هـ من اجل انقاذ بلنسية ، حيث ارسل ولده حسام الدولة (يحيى بن عبدالملك) على رأس قوة مشاركة[195] .

توفى عبدالملك عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٣ م[196] ، فخلفه ابنه يحيى (حسام الدولة) ٤٩٦ — ٤٩٧ هـ ، فكان اميرا ضعيفا ، مدمنا على الشراب ، صانع الفونسو السادس ملك قشتالة ، وارسل له هدية كبيرة . فكافأه عنها الفونسو بان بعث اليه قردا يلعب به ، وكان الامير يحيى يفتخر بين اقرانه بهذه الهدية[197] .

١٩٢ــ ابن الابار : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٦٩ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٠٩ .

١٩٣ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٠ ، ١٠٨ (ح) .

١٩٤ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٥٨ .

١٩٥ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٠ .

١٩٦ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١١٤ ــ ١١٥ .

١٩٧ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٣١٠ ــ ٣١١ (ينسب هذه الحادثة الى عبدالملك) .

ب ـ سيطرة المرابطين على السهلة عام ٤٩٧هـ :

يبدو ان بعد دخول المرابطين بلنسية عام ٤٩٥ هـ ، اعترف عبدالملك بطاعتهم وسار على منهجه ابنه يحيى[١٩٨] ، ولكن هذا الامر لم يمنع قوات (أبي عبدالله بن فاطمة) من دخول شنتمرية الشرق في (٨ رجب من عام ٤٩٧هـ / نيسان ١١٠٤ م)[١٩٩] ، وبذلك انتهت امارة بني رزين ، وخضعت لحكم المرابطين[٢٠٠] ، الذين شارفوا على أراضي مملكة سرقسطة .

مملكة سرقسطة :

١ ـ علاقات مملكة سرقسطة بالممالك الاسبانية ٤٧٩ ـ ٥٠٣هـ :

غداة عبور المرابطين الاول الى الاندلس ، كان الفونسو السادس محاصرا لمدينة سرقسطة ، التي صمدت ببسالة امام ضرباته[٢٠١] ، وقد عمد ملك الاسبان الى سياسة الدهاء والحيلة من اجل اضعاف روح المقاومة في نفوس أهلها[٢٠٢] . وعندما وصلت اليه انباء عبور المرابطين ، شدد الفونسو السادس الحصار على المدينة، وذلك من اجل السيطرة عليها حتى يتفرغ لمحاربة المرابطين، فلم يفلح من اقتحامها ، وطلب من ملكها (المستعين بن هود ٤٧٨ ـ ٥٠٣ هـ) المال الذي رفضه في البداية عندما فاوضه المستعين على ذلك[٢٠٣] . ازاء هذه الظروف انسحب الفونسو السادس بقواته صوب طليطلة تاركا حصار سرقسطة من اجل ملاقاة الخطر القادم عليه من عدوة المغرب[٢٠٤] .

١٩٨ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١١٠ .
١٩٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣، ص٣١١ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٦٣ ـ ٦٥ .
٢٠٠ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٨ .
٢٠١ـ عنان : مواقف حاسمة ، ص١٧٥ .
٢٠٢ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩١ .
٢٠٣ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٢ ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٣٠ .
٢٠٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص٩٢ .

ولما كانت مملكة سرقسطة تتصل اتصالا مباشرا بحدود ممالك النافار وليون وارغون وبرشلونة الاسبانية ، جعلها هذا الامر تتحمل عبء المقاومة التي تشنها هذه الممالك على الاراضي الاسلامية المجاورة[٢٠٥] ، ولهذا لما عبر المرابطون الى الاندلس لاول مرة لم تشترك قوات مملكة سرقسطة في حروب الجهاد ، وذلك لمراقبة القوى الاسبانيـة التي تتحفز للقضاء عليها ، ولعل ملوك سرقسطة نجحوا من حيث لايدرون في الحيلولة بين القوات الاوربية التي كانت تتدفق من وراء البرت ، وبين شد ازر الفونسو السادس في حروبه مع المرابطين ، فقد وقفت القوى الصليبية عند نهر الابرو ولم تستطع ان تتجاوزه خوفا من بني هود ، وبذلك يروى ان المستعين كاتب يوسف بن تاشفين عند عبوره الاول الى الاندلس يبرر له عدم مشاركته في حرب الزلاقة وذلك من اجل الحيلولة دون تقدم القوى الاسبانية من الشمال[٢٠٩] .

بعد معركة الزلاقة انصرف المستعين الى محاربة عمه الحاجب المنذر صاحب لارادة ودانيـة من ناحيـة ، كما حارب ملك ارغون (سانشو را ميرث ١٠٤٣ — ١٠٩٤) من ناحية اخرى ، بيد انه لم يظفر من وراء هذه المعارك بطائل ، وكانت الهزيمة نصيبه في معظم الاحيان[٢٠٧] .

ثم بدأ المستعين يتطلع في الاستيلاء على بلنسية منافسا في ذلك عمه المنذر ، ومعتمدا على القمبيطور ، وملك برشلونة الاسباني في تحقيق هـذا المشروع وقد دخلت هذه المنافسة دورا يشهد على تخاذل ملوك الطوائف ومدى تحالفهم مع ملوك الاسبان من ناحيـة ، ويشهـد ايضـا على وحـدة القوى الاسبانية وعملها المتواصل من اجل ابتلاع املاك المسلمين في الاندلس[٢٠٨] .

٢٠٥ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص٢٠٠ .
٢٠٦ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٦٠ .
٢٠٧ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٠٢ ــ عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٧ .
٢٠٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ٩٨ .

فشلت مشاريع المستعين هذه ، حيث غدا القمبيطور حاكم بلنسية المطلق ابتداء من عام ٤٨٥هـ ، وفي الوقت نفسه تزايد الخطر الاسباني على منطقة الثغر الاعلى ، حيث سيطر ملك ارغون (سانشوراميرث) على مدينة (منتشون Monzon) في مركز بربشتر[٢٠٩] ، في عام ٤٨١هـ/١٠٨٩م من اعمال المستعين[٢١٠] ، فسارع المستعين بن هود الى طلب المساعدة من الفونسو السادس ملك قشتالة وتعهد بدفع الاموال اليه[٢١١] .

بدأت مشاريع ملك ارغون تزداد خطرا على منطقة الثغر الاعلى ، حيث قرر الاستيلاء على مدينة وشقة ، المدينة الثانية بعد سرقسطة ، وابتنى ازاءها حصنا يكرر منه الهجوم على المدينة بغية الاستيلاء عليها[٢١٢] .

وعلى الرغم من ان ملوك سرقسطة كانوا يطمعون في بلنسية ، او على الاقل يأملون ان تقوم بها امارة اسبانية تحول بينهم وبين تقدم المرابطين[٢١٣] ، وبالفعل توقف زحف القوات المرابطية الى الثغر الاعلى حتى عام ٤٩٥ هـ ، الا ان المستعين بن هود اصبح الآن أمام الامر الواقع بسبب ضغط ملك ارغون ، وهجمات القوى الاسبانية التي كانت تتقدم صوب حوض نهر الابرو من بعد معركة الزلاقة[٢١٤] ، فرأى ضرورة الاستعانة بالمرابطين ، وتنفيذا لهذه الفكرة ارسل ولده (الحاجب عماد الدولة عبدالملك) على رأس وفد الى يوسف بن تاشفين بالمغرب ومعه هدية جميلة ، وبعث اليه يطلب العون لانقاذ مدينة وشقة .

٢٠٩ـ العذاري : نصوص عن الاندلس ، ص٣٢ ، ١٥٤ .
٢١٠ـ عنان دول الطوائف ، ص٢٨٨ .
٢١١ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٠٣ .
٢١٢ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٨ .
٢١٣ـ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص٢١٦ .
٢١٤ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١، ص٨٨ .

ادرك يوسف بن تاشفين حراجة موقف المستعين بن هود ، كما ادرك من الجانب الآخر اهمية بقاء سرقسطة حاجزا بين المرابطين والممالك الاسبانية[٢١٥] وبعد أن استقبل الوفد احسن استقبال ، زوده بخطاب رقيق الى المستعين يعبر فيه عن مشاعر الود والاخلاص[٢١٦] ، وفي الوقت نفسه بعث يوسف بن تاشفين الى ولاته في شرقي الاندلس يأمرهم بارسال المدد والعون الى المستعين ، فسار القائد (ابو محمد عبدالله بن فاطمة) الى سرقسطة بجيش كبير قوامه الف وخمسمائة فارس[٢١٧] وفي الوقت نفسه طلب المستعين العون من ملك قشتالة الفونسو السادس ، الذي أمده بفرقه من الاسبان بقيادة (الكونت غرسيه اردونس)[٢١٨] .

شدد ملك ارغون الحصار حول مدينة وشقة ، التي صمدت ببسالة امام الحصار ، وفي اثناء ذلك مات ملك ارغون (سانشوراميرث) عام ٤٨٧هـ /١٠٩٤[٢١٩] بسبب جرح خطير اصابه خلال معارك الحصار[٢٢٠] ، فاستمر ولي عهده وولده بدرو الاول (١٠٩٦ – ١١٠٤م) في الحصار يعاونه أخوه الثاني (الفونسو) ، استغاث اهل وشقة بالمستعين الذي هرع بقواته لنجدة المدينة تساعده قوات اسبانية بقيادة (أردوش) الذي وصف بقمبيطور آخر[٢٢١] ، فلما رأى ملك ارغون (بدرو الاول) هذه النجدة سار اليها وأوقع الهزيمة بها في معركة (الكرازة) على مقربة من وشقة ، وقد قتل الكثير من المسلمين ، كما قتل قائد جيش قشتالة ، وذلك في ذي القعدة من عام ٤٨٩ هـ

٢١٥- اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .
٢١٦- ابن الخطيب: الحلل الموشية ص٦٠ – ٦١ .
٢١٧- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٢ .
٢٢٨- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٤ .
٢١٩- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٠ .
٢٢٠- اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .
٢٢١- اشباخ : ص١٠٥ ، ص١٠٨ .

١٠٩٦/م[٢٢٢] ، بعد هذه الهزيمة يئس اهل وشقة من النصر وسلموا المدينة بعد ثلاثة ايام من المعركة الى ملك ارغون ، الذي دخلها في موكب فاخر ، وفي الحال حول مسجدها الجامع الى كنيسة ، وجعلها عاصمة لمملكة ارغون[٢٢٣] .

بعد دخول الجيوش المرابطية مدينة بلنسية عام ٤٩٥ هـ اصبحت هذه الجيوش على مقربة من مشارف الثغر الاعلى ، خاصة انها اخذت في الانسياب صوب الشمال لمهاجمة الممالك الاسبانية . فهنا ادرك المستعين خطورة وضعه امام المرابطين والذي سيجدد الاتصال بهم مرة اخرى .

في عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٣ م عبر يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وهو الجواز الرابع[٢٢٤] ، وفي شهر ذي الحجة من هذا العالم ، جمع يوسف بن تاشفين بقرطبة امراء واشياخ المرابطين وجماعة من الفقهاء ، واخذ البيعة عليهم جميعا لولده علي ، وكان من شروط تقديم علي لولاية العهد ، ان ينشيء بالاندلس جيشا مرابطيا ثابتا قوامه (١٧) الف فارس ، موزعة على قواعد الاندلس ، منها سبعة الاف باشبيلية ، والف في كل من قرطبة وغرناطة ، واربعة الاف في شرقي الاندلس ، وباقي العدد (اربعة الاف) يوزع على الثغور[٢٢٥] .

اثناء تواجد يوسف بن تاشفين في الاندلس عام ٤٩٦ هـ ، شعر المستعين ابن هود بأن مصير مملكته ، قد اصبح رهنا بخطط المرابطين المقبلة ، فقرر التقرب الى يوسف بن تاشفين ، فارسل ولده عبدالملك الى قرطبة بهدية سنية ، من جملتها (اربعة عشر ربعا) من انية الفضة ، مطرزة باسم جده المقتدر ،

٢٢٢ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢٨٩ .

٢٢٣ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٦٣ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٧٢ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٤٤١ .

٢٢٤ـ هناك اختلاف في تاريخ العبور : ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص١٠٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٨ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٦٢ .

٢٢٥ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٦٥ .

فقبلها امير المسلمين وامر بضربها قراريط ، وفرقها باطباق على رؤساء المرابطين ليلة عيد الاضحى وقد حضر عبدالملك حفل البيعة لعلي بن يوسف ، ثم عاد الى سرقسطة(٢٢٦) .

بعد ان نظم يوسف بن تاشفين بعض امور الاندلس ، ومنها عزل الامير مزدلي عن ولاية بلنسية ، واعطاؤها الى القائد (ابو محمد عبدالله بن محمد بن فاطمة)(٢٢٧) ، رجع الى بلاد المغرب في مستهل عام ٤٩٧ هـ ، بعد ان اوصى قواده بممارسة الجهاد ضد الاسبان .

ويبدو لنا انه خلال تواجد يوسف بن تاشفين في الاندلس ، شدد الفونسو السادس هجومه على منطقة سرقسطة ، مما جعل المستعين بن هود يطلب العون من يوسف بن تاشفين لدرء خطر الاسبان ، فأمده بألف فارس بقيادة (ابن فاطمة) الذي هاجم اراضي قشتالة وغنم الكثير ، ورجع الى بلاده(٢٢٨) ، وقد ذكرت لنا بعض الروايات هذا الامر في عام ٤٩٧ هـ(٢٢٩) .

تحالفت القوى الاسبانية بزعامة ملك البرتغال الرنك (انريكي دي بورجوينا) ــ وهو هنري البرجوني توفى عام ٥٠٥هـ/١١١٢م(٢٣٠)، والفونسو الاول المحارب (ابن ردمير) ملك ارغون والنافار (٤٩٩ ــ ٥٢٩هـ/١١٠٤ ــ ١١٣٤م) ، في السيطرة على اهم قواعد الثغر الاعلى ، فحاصر هذان الملكان مدينة تطيلة فاسرع لنجدتها ملك سرقسطة المستعين بن هود ، ووقعت بين الجانبين معركة عنيفة عند مدينة (بلتيرة Valtierra)(٢٣١) انهزم فيها

٢٢٦ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٨ ــ ٢٤٩ ــ ابن عذارى البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٢ .

٢٢٧ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٢ .

٢٢٨ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٤ .

٢٢٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٣ .

٢٣٠ــ ايضا ، ١١١ (ح) .

٢٣١ــ الطرطوشي : سراج الملوك ، ص٣٣٠ ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١٠٦

المسلمون ، وقتل المستعين بن هود في اول رجب من عام ٥٠٣هـ/٢٤ يناير ١١١٠م[٢٣٢] .

بعد مقتل المستعين خلفه في حكم سرقسطة ولده (عماد الدولة عبدالملك) وقد بايعه اهل سرقسطة على شرط ان يترك محالفة الاسبان[٢٣٣] ، وقد طمح القائد المرابطي (ابو محمد عبدالله بن فاطمة) حاكم بلنسيه ، بالسيطرة على مدينة سرقسطة بعد مبايعة عبدالملك ، وسار بالفعل اليها ، ولما وصل على مقربة منها خرج اليه اهلها والتمسوا منه الرجوع خشية وقوع الفتنة ، ومن ثم خشية استعانة عبدالملك الحاكم الجديد بالاسبان ، فرجع عنها[٢٣٤] ، وبعد ذلك نقل (ابن فاطمة) من ولاية بلنسية الى ولاية غرناطة (٥٠٣ — ٥٠٤هـ)[٢٣٥] .

ازاء خطر المرابطين هذا ، تحالف عبدالملك بن هود مع الفونسو الاول المحارب ملك ارغون والنافار ، ضاربا عرض الحائط شروط اهل سرقسطة[٢٣٦] ، الذين كتبوا بدورهم الى علي بن يوسف وهو في مراكش ، يناشدونه خلع بني هود ، فاستفتى علي بن يوسف الفقهاء بالامر ، فافتوه بوجوب تحقيق هذه الرغبة[٢٣٧] .

٢ — دخول المرابطين مدينة سرقسطة عام ٥٠٣هـ

بعث علي بن يوسف الى قائده (محمد بن الحاج) والى بلنسيه الجديد وامره بالسير الى سرقسطة[٢٣٨] ، ولما علم عبدالملك بن هود بالامر ، ارسل

٢٣٢— ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص٢٤٨ — ابن عذارى : البيان المغرب، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٧٥ .

٢٣٤— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٥٣ — مكي ، محمود علي ، وثائق مرابطية جديدة ، ص١٥٤ .

٢٣٥— ابن القطان : نظم الجمان ، ص٨ (ح٢) : وبعدها اصبح والي مدينة فاس (٥٠٤ — ٥٠٩) ثم والي مدينة اشبيلية وتوفي عام ٥١١هـ .

٢٣٦— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢١٣ (ح) .

٢٣٧— عنان : دول الطوائف ، ص٢٩٢ .

٢٣٨— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٥٤ .

الى علي بن يوسف رسالة مؤثرة يستصرخه فيها ، ويذكره بما كان بين والديهما (اي يوسف والمستعين) من اواصر المودة والاخلاص ، ويعترف له بأنه لم تصدر منه اية اساءة ، وانه من الخيران ان يترك سرقسطة على حالها لتكون حاجزا بين قوات المرابطين وقوات الاسبان[٢٣٩] ، فرق علي بن يوسف وتأثر لهذه الرسالة ، وكتب الى قائده ان يعدل عن هذه المهمة ، الا ان كتاب علي ابن يوسف وصل الى والي بلنسية وقد ادخلته الرعية مدينة سرقسطة[٢٤٠] ، في صبيحة يوم السبت العاشر من ذي القعدة عام ٥٠٣هـ/١١١٠م . وبذلك دخلت سرقسطة في حوزة املاك المرابطين[٢٤١] .

غادر عبدالملك بن هود سرقسطة باهله وامواله ، واستقر في حصن روطة المنيع يترقب الحوادث[٢٤٢] ، واسس هناك امارة تحت حماية الفونسو الاول المحارب ملك ارغون والنافار ، الى ان توفى عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م ، وقام من بعده ابنه احمد ، وسنتابع اخباره مع مجرى الحوادث في الفصل الثالث .

الجزائر الشرقية (البليار) :

١ — علاقات الجزائر الشرقية بالممالك الاسبانية ٤٦٨ — ٥٠٩هـ

لما سيطر المقتدر بن هود ملك سرقسطة على دانية عام ٤٦٨هـ ، وعزل ملكها علي مجاهد العامري ، استقل عبدالله المرتضى (٤٤٢ — ٤٨٦هـ) بحكم الجزائر الشرقية[٢٤٣] ، وقد كانت له علاقات ودية مع ملك برشلونة

٢٣٩— ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢ ، ص٤٣٨ — ابن الخطيب الحلل الحلل الموشية ، ص٨١ — ٨٢ .

٢٤٠— ابن الخطيب — الحلل الموشية ، ص٨٢ .

٢٤١— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ص٢٤٨ — ابن عذاري : البيان المغرب جـ٤ ، ص٥٤ — ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤ — ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص١٧٥ .

٢٤٢— ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢، ص٤٣٨ .

٢٤٣— سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص٢٤٣ .

الاسباني (رامون برنجير الاول ٤٢٧ ـ ٤٦٩هـ) وولديه برنجير ورامون، بدليل انه ارسل أحد سفرائه الى ملك برشلونة في بعض المهام ، فتعرف السفير على (مبشر بن سليمان) ـ الذي سيحكم الجزائر من بعده ـ فأعجب به السفير وافتداه من الاسر وعاش في بلاط عبدالله المرتضى(٢٤٤) .

بعد وفاة عبدالله ، خلفه في حكم الجزائر الشرقية (مبشر بن سليمان ٤٨٦ ـ ٥٠٨) الذي تلقب بناصر الدولة(٢٤٥) . ففي الوقت الذي كانت فيه الجيوش المرابطية تواصل زحفها في شرقي الاندلس، وبخاصة بعد دخولها مدينة بلنسية عام ٤٩٥هـ الى دخولها سرقسطة عام ٥٠٣هـ ، لم يفكر مبشر بالانضواء تحت سلطان المرابطين ، او على الاقل يعقد حلفا معهم ، وفي الجانب الآخر لم تكن الجزائر الشرقية خطرا على تواجد المرابطين في شرقي الاندلس ، بل انها كانت تجاهد الاساطيل الايطالية ، واساطيل مملكة برشلونة الأسبانية ، مما يخفف جزء من العبء على القوات المرابطية في تلك الفترة .

كانت جمهورية بيزة الايطالية اشد المدن الأوربية اهتماما بالسيطرة على الجزائر الشرقية ، ووضع حدا لغاراتها المتكررة على الشواطيء الايطالية ، وقد كان البابا يشجع هذا المشروع ويباركه(٢٤٦) .

عقدت جمهورية بيزة وجنوة ومملكة برشلونة حلفا للسيطرة على الجزائر الشرقية(٢٤٧) ، ففي اوائل عام ٥٠٨هـ/١١١٤م خرج من مياه جنوة اساطيل الغزاة وعدتها (٣٠٠ سفينة)(٢٤٨) ، ومعها وحدات بحرية من برشلونة وفرنسة(٢٤٩) .

٢٤٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٣ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤، ص١٦٥ .
٢٤٥ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢١٠ .
٢٤٦ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢١١ .
٢٤٧ـ الحميري : الروض المعطار ، ص١٨٨ ـ القلقشندي : صبح الاعشى جـ٥، ص٢٥٦ .
٢٤٨ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٢ .
٢٤٩ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٦ .

حاصر الاسطول المشترك جزيرة يابسة اولا فسيطر عليها، ثم سار الاسطول فحاصر جزيرة ميورقة[٢٥٠] ، واستمر هـذا الحصـار زهاء عام ، حيث قاسى المسلمون الاهوال من شدة هذا الحصار .

حاول ناصر الدولة (مبشر بن سليمان) امير الجزائر الشرقية دفع اسطول الغزاة ، فعرض عليهم الصلح، وتسليم الاسرى ، وان يؤدي تعويضا عن نفقات الحملة، فرفض الاسطول الاوربي هذا العرض، وعندما استعد (مبشر) لحصار طويل الامد ، وفي الحال بعث صريخه الى علي بن يوسف يطلب العون والمساعدة قبل ان تسقط الجزائر الشرقية بأيدي الغزاة[٢٥١] .

استمر الحصار طيلة عام ٥٠٨هـ تقريبا ، وفي اثنائه توفى مبشر بن سليمان وتولى امر الجزائر الشرقية قريبه القائد (ابو الربيع سليمان بن لبون)[٢٥٢] .

واصل الامير الجديد مجاهدته للأساطيل النصرانية ، وفي الوقت نفسه اضطر ملك برشلونة ان يعـود الى بلاده ـ قبيـل سقوط الجـزائر ـ لدرء خطر القوات المرابطية التي اخذت تشدد هجماتها على اراضيه[٢٥٣] . ولعل ذلك اجراء لتشتيت شمل الغزاة من قبل القوات المرابطية المتواجـدة في شـرقي الانـدلس .

كما حاول امير الجزائر الشرقية (سليمان بن لبون) مغادرة جزيرة ميورقة مع نفر من اصحابه في مركب صغير ، من اجل طلب العون والمسـاعدة مـن المرابطين ، الا ان الاسطول الاوربي اسره ومنعه من تحقيق هدفه[٢٥٤] .

٢٥٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٢ (ح) تتألف الجزائر الشرقية من ميورقة ، ومنورقة ، ويابسة ، ومجموعة جزر اخرى صغيرة .

٢٥١ـ القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٢٥٧ ـ عنان : دول الطوائف ص٢١١ ـ ٢١٢ .

٢٥٢ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٣ .

٢٥٣ـ عنان : دول الطوائف ، ص٢١٢ .

٢٥٤ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٧ .

كان القائد (ابو عبدالله بن ميمون) راسيا بسفينته في مياه ميورقة فكلفه مبشر بن سليمان قبيل وفاته ان يوصل الاستغاثة الى علي بن يوسف، واستطاع هذا القائد الافلات من ملاحقة الاسطول الاوربي وأوصل الصريخ الى علي بن يوسف ، الذي امر في الحال بتعمير اسطول مرابطي قواته (٣٠٠) سفينة وان يرسل بعد اكماله الى مياه ميورقة لانقاذها[٢٥٥] .

الا ان الاسطول الاوربي استطاع في يوم ٧ ذي القعدة من عام ٥٠٨هـ/٣/ نيسان ١١١٥م ، ان يدخل جزيرة ميورقة ، ويعمل فيها الخراب والدمار[٢٥٦] .

٢ ـ دخول المرابطين الجزائر الشرقية ٥٠٩هـ :

بعد اكمال عدة الاسطول المرابطي ، قاده (ابن تاقرطاس) صوب الجزائر الشرقية لانقاذها من خطر الغزاة ، فلما علم الغزاة بمقدم الاسطول الاسلامي ادركوا ان لاامل لهم في مقاومته ، فغادروا جزيرة ميورقة مثقلين بالغنائم والسبي ، بعد ان احرقوا المدينة ، وقتلوا معظم اهلها ، ووصلت السفن المرابطية في اثرهم الى الجزيرة في عام ٥٠٩هـ/١١١٦م ، وشرع المرابطون في الحال في اصلاح احوالها[٢٥٧] ، وبذلك تدخل الجزائر الشرقية في حوزة املاك المرابطين وعين لها والي (وانور بن ابي بكر اللمتوني)[٢٥٨] .

تعاقب الولاة المرابطون على الجزائر الشرقية ، حتى استقل بها محمد بن غانية واقام امارته المشهورة[٢٥٩] .

٢٥٥ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٣ .

٢٥٦ـ ايضا ، ١٢٣ (ح) ـ سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص٢٤٣ ـ السامرائي ، خليل ، الجزائر الشرقية (البليار) في ايام الطوائف ، مجلة التربية والعلم ـ كلية التربية ـ جامعة الموصل ١٩٧٩ .

٢٥٧ـ سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ٢٤٤ ـ محمود : قيام دولة المرابطين ٣٣٠ .

٢٥٨ـ راجع : ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٤ ـ الحميري : الروض المعطار ص١٨٨ ـ القلقشندي / صبح الاعشى ، جـ٥، ص٢٥٧ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤، ص١٦٥ .

٢٥٩ـ المراكشي : المعجب ، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ محمود علي مكي، وثائق مرابطية جديدة ، ص١٨٥ ـ ١٨٦ .

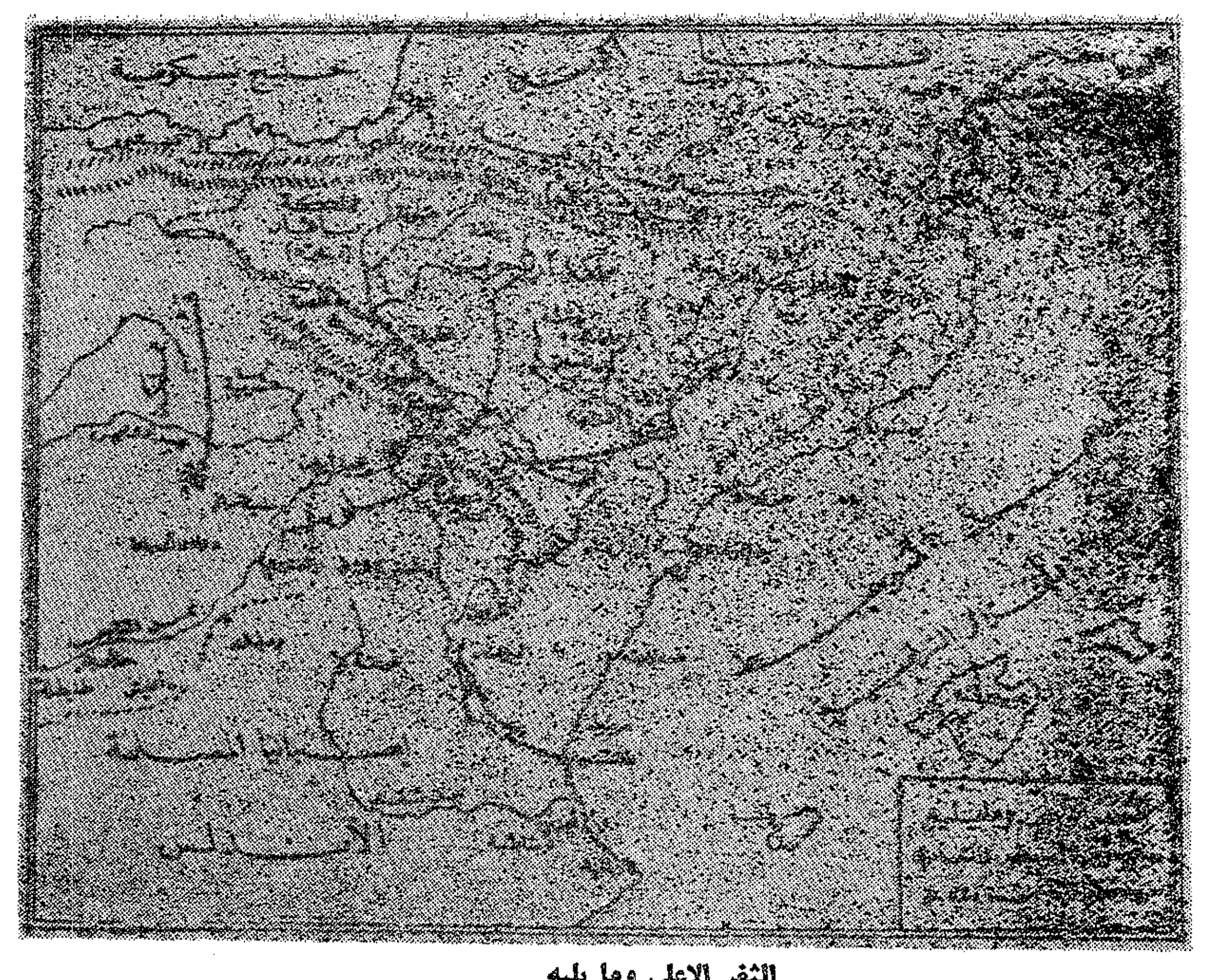
الفصـــل الثالث

جهاد المرابطين للممالك الاسبانية

من ٤٨٣ هـ الى ٥٤٢ هـ

من الملاحظ ان المرابطين لم يخضعوا ممالك الطوائف لحكمهم مرة واحدة بل استغرقت هذه العملية من عام ٤٨٣هـ الى عام ٥٠٩هـ • وقد رأينـا ان ملوك الطوائف بعد معركة حصن البيط عام ٤٨١ اخذوا يميلون الـى التعاون مـع الممالك الاسبانيـة ضـد المرابطـين ، ولـذا كانت مهمـة المرابطـين مزدوجة ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، ففي الوقت الذي كانت الجيوش المرابطية ابتداء من عام ٤٨٣هـ تسقط ممالك الطوائف تباعا وتتصدى لكـل مساعدة يقدمها الاسبان لحلفائهم كانت الجيوش المرابطية من ناحيـة اخـرى تجاهد القـوى في اسبانيا المتمثلة في ممـالك برشلونـة وارغـون والنافار وقشتالة والبرتغال ، وهذا هو موضوع الفصل •

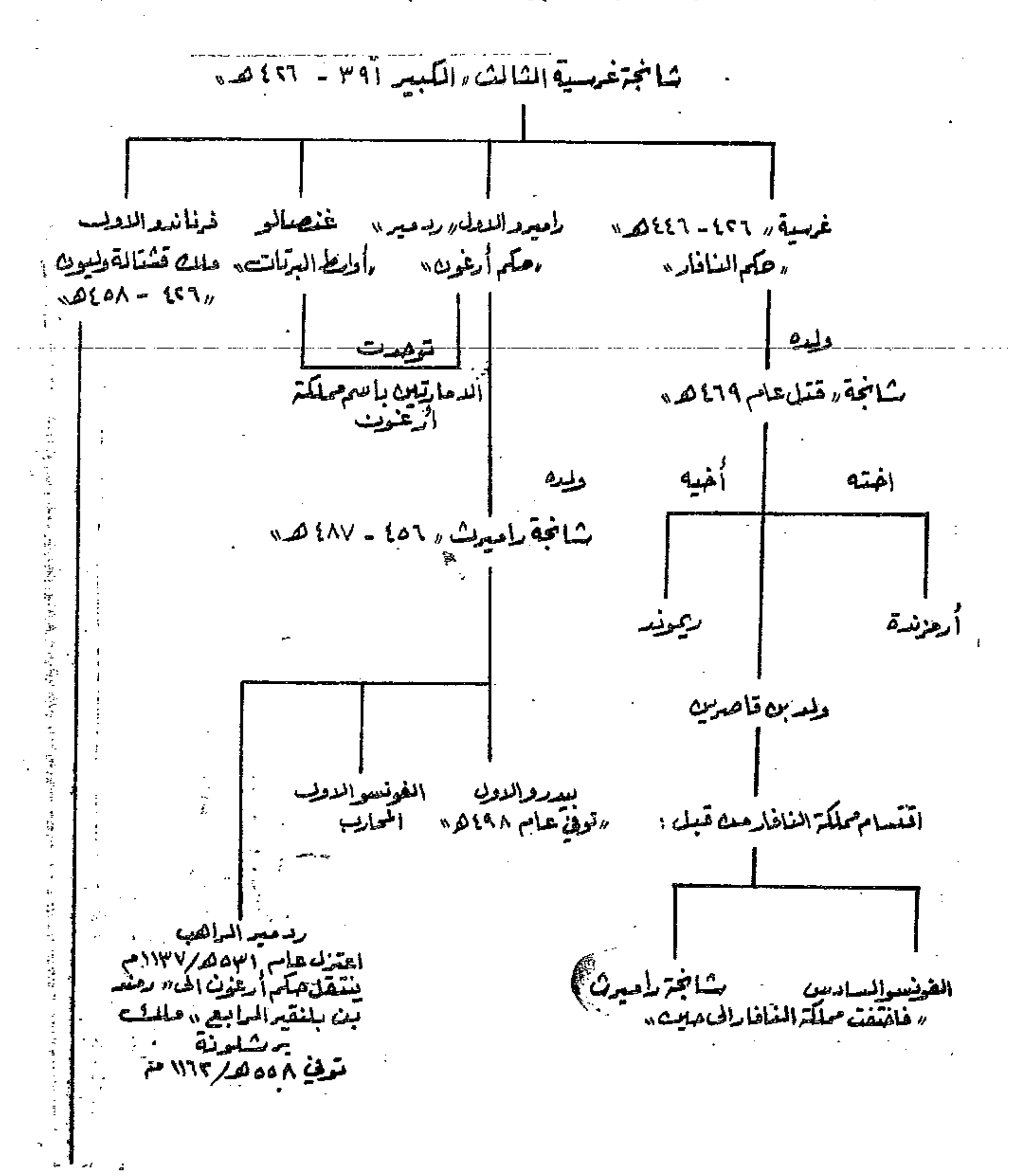
ونظرا لطول الفترة الزمنية موضوع البحث ٤٨٣ ــ ٥٤٢هـ ، ارتأينا ان نتناول جهاد المرابطين مع كل مملكة اسبانية على انفراد ، مع ذكر ملوكها خلال الفترة موضوع البحث في المقدمة •



الثغر الاعلى وما يليه

مواقع حروب المرابطين والاسبان حتى موقعة سنة ٥٢٨هـ

ملوك النافار وأرغون وليون والبرتغال الاسبان :



اما ملوك المرابطين خلال هذه الفترة فهم :

١ ـ يوسف بن تاشفين (توفي عام ٥٠٠هـ)/١١٠٦م

٢ ـ علي بن يوسف : ٥٠٠ ـ ٥٣٧/١١٠٦ ـ ١١٤٢م

٣ ـ تاشفين بن علي : ٥٣٧ ـ ٥٣٩/١١٤٢ ـ ١١٤٥م

٤ ـ ابو اسحاق ابراهيم : ٥٣٩ ـ ٥٤١هـ/١١٤٥ ـ ١١٤٧م

٥ ـ اسحاق بن علي :٥٤١ ـ ٥٤٢هـ/١١٤٧ ـ ١١٤٨م

١ ـ جهاد المرابطين لمملكة قشتالة وليون ٤٨٣ ـ ٥٤٢هـ :

وكان اشهر ملوكها :

١ ـ الفونسو السادس : ٤٥٨ ـ ٥٠٢هـ/١٠٦٥ ـ ١١٠٩م .

٢ ـ اوراكة ابنة الفونسو السادس ٥٠٢ ـ ٥٢٠هـ/١٠٦٥ ـ ١١٢٦م

٣ ـ الفونسو السابع (السليطين) ٥٢٠ ـ ٥٥٢هـ/١١٢٦ـ ١١٥٧م[١] .

مر علينا من سياق الحوادث ، ان يوسف بن تاشفين لما عبر الى الاندلس عام ٤٨٣هـ بقصد خلع ملوك الطوائف ، قام اولا بمحاربة الاسبان لكي يقطع اي اتصال بينهم وبين حلفائهم ملوك الطوائف ، فسار صوب طليطلة عاصمة قشتالة ، فحاصرها كما حاصر قلعة رباح ، فتصدى له الفونسو السادس ملك قشتالة بالتعاون مع ملك ارغون (سانشوراميرث) ، وقد انسحب بعد ذلك يوسف بقواته دون ان يدخل معركة حاسمة مع الاسبان[٢] .

بعد سيطرة المرابطين على مدينة جيان عام ٤٨٣هـ ، سارت قوات الفونسو السادس لانقاذها ، وقامت معارك بين الطرفين هزم فيها المرابطون اولا ، الا ان المرابطين اعادوا الهجوم فهزموا الاسبان ، ولم ينج منهم الا الفونسو السادس

---

١ ـ لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، جـ٢، ص٦٤٥

٢ ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٩٩ .

وعدد قليل من اتباعه ، وذلك في عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وكانت هذه المعركة من اشهر المعارك بعد الزلاقة ، واكثر الشعراء من ذكرها[٣] .

وبعد استرجاع مدينة بلنسية الى حظيرة الاسلام ، شدد المرابطون هجماتهم على ممالك الاسبان ، ففي عام ٤٩٥هـ سار القائد محمد بن الحاج من قرطبة وفي صحبته القائد (ابن تجوت)[٤] في جيش كبير متجهين صوب قشتالة ، فتصدى لهم الامير الرنك ، صهر الفونسو السادس وزوج ابنته تيريسا ، فأوقعت به القوات المرابطية هزيمة منكرة شفت صدور المسلمين[٥] .

وفي نفس العام سار القائد المرابطي (يعّاله)[٦] على رأس قوة مرابطية الى مدينة قلعة ايوب ، وهناك هزم الاعداء شر هزيمة وغنم اموالهم ، وسبى الكثير من رجالهم[٧] .

رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ، مستهل عام ٤٩٧هـ ، وهو الجواز الرابع ، بعد ان اوصى قواده بالاندلس بممارسة الجهاد . ففي رمضان من عام ٤٩٧هـ سار القائد (ابو الحسن علي بن الحاج) قائد المرابطين في شرقي الاندلس ، وبصحبته القائد (ابو محمد عبدالله بن فاطمة) ، على رأس جيش كبير لصد جيوش الفونسو السادس ملك قشتالة الذي حاول حصار مدينة سالم ، فقام القائدان المرابطيان بمهاجمة مدينة طليطلة ومدينة طلبيرة ، وقد استشهد في هذه الغزوة القائد (علي بن الحاج) الذي دفن في قبلي جامع مدينة تطلية فعهد يوسف بن تاشفين الى (ابن فاطمة) ان يتولى قيادة الجيش

---

٣ — ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٠٢ — النويري : نهاية الارب ، جـ٢٢ ص١٨٣ .

٤ — ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١١ (ح٥)

٥ — ايضا ، ص١١١ .

٦ — ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٧ : ورد باسم يناله ، وكان له دور في احداث شرقي الاندلس الى عام ٥١١هـ .

٧ — ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١١ .

في شرقي الاندلس[٨] ، وفي الوقت نفسه سار القائد (محمد بن عائشة) وهاجم قوات قشتالة في فحص اللج[٩] من اعمال طليطلة ، فانتصر عليها وغنم الكثير[١٠] .

بدأ المرض يدب في جسم يوسف بن تاشفين عام ٤٨٩هـ ، فذاع امر مرضه في الاندلس ، ونقلت اقوال وصور زائفة عن حقيقة الامر في المغرب والاندلس الى مملكة قشتالة ، فاعتقد الفونسو السادس ان الفرصة قد سنحت ليستأنف غزواته على اراضي الاندلس الاسلامية ، فبعث حملة من نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وسارت نحو اشبيلية ، فعاثت فيها فسادا ، واستولت على مغانم كثيرة ، فخرج الامير سير بن ابي بكر والي اشبيلية في قواته لرد الغزاة ، ولحقت به قوات من غرناطة بقيادة (ابي عبدالله بن الحاج) واليها يومئذ ، فطارد الجيش المرابطي القوات الاسبانية ، وردها على اعقابها وقتل منها نحو الف وخمسمائة في المعركة المعروفة بـ(مقاطع)[١١] .

معركة اقليش :

بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ ، تولى الامر من بعده ابنه علي الذي اولى اهتمامه الكبير بالاندلس ، حيث عبر اليها في نفس العام ونظم امورها[١٢] وبعد رجوعه الى عدوة المغرب ، كتب الى اخيه (ابا الطاهر تميم) والي غرناطة وقائد الجيوش المرابطية في الاندلس ، في اوائل عام ٥٠١هـ ، ان يستأنف الجهاد ويكرر الغزو لارض الاسبان ، فجهز الامير تميم الجيوش المرابطية وخرج من غرناطة في اواخر شهر رمضان عام ٥٠١هـ/أوائل مايو

٨ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٤ ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٨ .

٩ ـ راجع : ابن حيان : المقتبس ، تح : محمود علي مكي ، ص٦٢٨ .

١٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٣ .

١١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص٤٤ ـ ٤٥ ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٦ .

١٢ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧٠ .

١١٠٨م ، شمـالا صـوب جيان واستقر حتى توافيه الامدادات الاخـرى .
فوافته حشود قرطبة بقيادة واليها (ابي عبدالله محمد بن ابي رنق)[١٣] ،
ثم سار بالقوات المرابطية الى (بياسة) شمال شرقي جيان ، واتجه منها شمالا
صوب اراضي قشتالة ، وتوافدت اليه في الطريق جيوش مرسية بقيادة واليهـا
(ابي عبدالله محمد بن عائشة) وحشود بلنسية بقيادة واليها (محمد بـن
فاطمة)[١٤] فاخترقت القوات المرابطية المشتركة اراضي قشتالة وسارت صوب
(اقليش Ucles) الواقعة شرقي طليطلة[١٥] فوصلت الى ظاهرها في
يوم الاربعاء ١٤ من شوال ٥٠١هـ[١٦] .

حاصرت القوات المرابطية بلدة اقليش وهاجمها بعنف ، ولـم يستطع
أهلهـا المقاومـة ، ففتحهـا المرابطـون في يوم الخميس ١٥ شوال ، والتجأ
المدافعون من الاسبان الى قصبة اقليش الحصينة ، وتحصنـوا بهـا في انتظار
المدد من الفونسو السادس .

واثناء دخول القوات المرابطية المدينة هرع اليها جماعة من المسلمين الذين
بقوا تحت حكم الاسبان ، ويسمون بالمدجنين ، وشـرحوا لاخوانهم المرابطين
حال المدينة ودخلوا تحت حمايتهم[١٧] .

وصلت هذه الاحداث الى مسامع الفونسو السادس ، فجهز الجيوش
الاسبانية لمقاومة المرابطين . وقد اشارت بعض الروايات الـى ان الفونسـو
السادس قاد هذه الجيوش واشترك في محاربة المرابطين ، الا انه رجع خاسرا
الى بلاده ، ومات بعد ذلك غما وحزنا على مقتل ولده الوحيد شانجه[١٨] .

١٣- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ، ص٤٩ .
١٤- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٢ (ح : ٢)
١٥- الحميري : الروض المعطار ، ص٢٨ .
١٦- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٦١
١٧- ايضا ص٥٣٥ (باب الوثائق) . والمدجنون لهم تفاصيل في الباب الرابـع من هذه الرسالة
١٨- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٤ - ١١٥ .

ولكن الذي يبدو من مقارنة النصوص ، ان الفونسو السادس لم يشترك في هذه المعركة لكبر سنه ومرضه ، بل عهد قيادة الحملة الى ولده الوحيد سانشو (شانجه) من زوجته زائدة الاندلسية ، وسير معه كبار قواده أمثال : (الكونت البرهانس) و(غرسيه اوردونيث) و(رامون دي بورجونيا) زوج دونيا اوراكا ابنة الفونسو السادس ، ولهذا عرفت هذه الموقعة بأسم اقليش او الاقباط السبعة[19] . ولكن بعض الروايات تذكر ان الفونسو السادس حينما علم بان تميم بن يوسف بن تاشفين هو قائد الجيش الاسلامي اشارت عليه زوجته ان يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجها لتميم لأن تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجة ابن ملك الروم ، فاستجاب لنصحها ولم يشترك في المعركة[20] .

على اية حال ، سارت القوات الاسبانية صوب اقليش ، وهي تفوق الجيوش المرابطية في العدد[21] . وقد ذكرت لنا بعض الروايات ان الأمير تميم لما رأى كثرة الجيش الاسباني احجم في لقائه ، فنصحه بقية القواد على مواصلة الصمود ولقاء العدو[22] الا ان الرسالة التي بعث بها تميم الى علي ابن يوسف تصور لنا الامر بشكل آخر ، وهو استعداده لخوض المعركة بعد تشاوره مع القائدين (محمد بن عائشة) و(عبدالله بن فاطمة)[23] .

وفي فجر يوم الجمعة ٦ شوال من عام ٥٠١هـ/٢٩ مايس ١١٠٨م بدت طلائع المعركة[24] ، وتقدمت الجيوش المرابطية ، وبدأ الهجوم، ووقعت الصدمة الاولى ــ حسبما يخبرنا الامير تميم في رسالته ــ ضد قوات قرطبة ، فارتدت

١٩ــ ميرندا ، وقعة اقليش ، ص١١٥ وبعدها .

٢٠ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤ ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١٧

٢١ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٥٠ ــ ابن القطان ، نظم الجمان ص٥ ــ ٧

٢٢ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤

٢٣ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٣٣ (باب الوثائق) .

٢٤ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١٨ .

الى الوراء ، وعندئذ تقدمت قوات مرسية وبلنسية ، وتوغل الامير تميم بقواته الى قلب المعركة ، ودارت رحى الحرب بشدة(٢٥) .

ومن الجانب الاسباني رمى الامير سانشو نفسه في قلب المعركة ، والى جانبه مؤدبه (غرسية اوردونيت) والكونت (دي قبـرة) ، فلم يلبـث ان أحاطت بهما فرقة من المسلمين ، فطعن الامير الاسباني وسقط ميتا من فوق حصانه ، وسقط فوقه الكونت (دي قبرة) مدافعا عنه(٢٦) . وفي رواية ان الامير الاسباني أفلت من قلب المعركة في ثمانية من الاسبان ولجأ معهم الى حصن (بلنشون) ، وكان فيه رعية لهم في المسلمين ، فاختبأ عندهم رجاء ان ينجو هو ورفاقه من القتل ، فلحق بهم المسلمون وقتلوهم(٢٧) .

انهارت معنوية الجيش الاسباني وكثر القتل بهم ، ولجأ الكثير منهـم الى الفرار ، وسقط معظم القادة والكونتات قتلى ، وارتد البرهانس في فلول الاسبان صوب طليطلة(٢٨) .

وهكذا كانت ادوار معركة اقليش ، التي اعادت بروعتها انتصار المرابطين الساحق فيها ، ذكريات معركة الزلاقة(٢٩) . وقدرت بعض الروايات الاسلامية خسارة الجيش الاسباني بنيف وثلاثة وعشرين ألفـا(٣٠) ، وهو رقم مبالغ فيـه جـدا .

ولا تذكر خسارة الجيش المرابطي ، وكان ممن استشهد في هذه المعركة (الامام الجزولي) وجماعة من الاعيان والعربان ، وهم عرب بني هلال(٣١)

٢٥ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٣٧ (باب الوثائق) .
٢٦ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١١٨ .
٢٧ــ ميراندا : وقعة اقليس ، ١١٧ وبعدها .
٢٨ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ٦٥ .
٢٩ ــالحجى : التاريخ الاندلسي ، ص٢٤٥ .
٣٠ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤
٣١ــ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص٩ ــ ١٠ ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١٢٩ .

ومن الملاحظ ان بعض المصادر الاسلامية لم تذكر هذه الموقعة ، والبعض الاخر ذكرها باختصار شديد لايفي بالغرض وقياسا لأهمية الموقعة[٣٢] . اما الروايات الاسبانية فأولت اهتماما خاصا بهذه المعركة ، وخاصة وصفها لمصرع شانجة ومحاولات اتباعه الدفاع عنه ، وتنحرف الرواية الاسبانية بعد ذلك الى منحدر الاسطورة ، فتبين ان الملك الفونسو السادس اراد ان ينتقم لمصرع ولده الوحيد ، فسار الى قرطبة وحاصرها ، وفيها أمير المسلمين ، واثناء الحصار أسر جنده جماعة من المسلمين ، وكان رئيسهم عبدالله ، وهو من اشراف قرطبة ، وهو الذي قتل ابن عباد حمو الملك الفونسو السادس ، وان الملك الاسباني أمر بتقطيع اشلائه وحرقها ، واحرق معه عددا من الاشراف المسلمين ، وانه اخيرا استطاع ان يرغم امير المسلمين على طلب الصلح ، واداء ضريبة كبيرة لقشتالة[٣٣] .

اما مصادرنا الاسلامية فتذكر ان ملك قشتالة المنكوب مات بعد ثلاثة شهور من مصرع ولده ، اي في شهر ذي الحجة من عام ٥٠١هـ او مستهل عام ٥٠٢هـ[٣٤] .

تولت أوراكة حكم قشتالة وليون بعد وفاة أبيها ، الى عام ٥٢٠هـ ، وأرادت ان تعزز حكمها فتزوجت من الفونسو الاول المحارب ملك أرغون والنافار (٤٩٩ ـ ٥٢٩هـ) ، الا ان هذا الزواج لم يستمر ، حيث تم الفراق بينهما عام ٥٠٧/١١١٤م بعد حروب طويلة[٣٥] .

وفي المحرم من عام ٥٠٣هـ عبر علي بن يوسف الى الاندلس للمرة الثانية برسم الجهاد ، واستقر في غرناطة ريثما يتكامل اعداد الجيوش المرابطية

٣٢ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٨ .

٣٣ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٦٧ .

٣٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلسي ، ص١١٥ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٠ .

٣٥ـ ايضا ، ص١١٥ ـ ١١٦ ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨٠ وبعدها .

والمتطوعة ، فلما تكاملت سار بها صوب قرطبة ، واقام بها اياما يضع الخطط لمهاجمـة قشتالة[٣٦] .

سارت الجيوش الاسلامية صوب طليطلة عاصمة مملكة قشتالة ، وهي تمني النفس بأرجاع هذه المدينة الى حكم المسلمين ، خاصة بعد موت ملكها القوي ، وحاصرت في اول أمرها مدينة (طلبيرة) غربي طليطلة ، ودخلوهـا وخلصـوا من كان بهـا من اسـرى المسلمين[٣٧] ، ولجأت جماعـة مـن المحاصرين بها الى قصبة المدينة ، ثم رموا انفسهم في النهر ــ نهر التاجة ــ ليلا ناجين بأنفسهم ، فاستولى المرابطون على القصبة ، وسيطروا على كـل مافي المدينة من المتاع والسلاح، وردوا كنيستها جامعا ، وعين لها حاكما وزود بحامية قوية[٣٨] ، وقد تم هـذا الامـر في شهر صفر أو ربيـع الاول مـن عام ٥٠٣هـ[٣٩] .

كانت مدينة طلبيرة حاجزا بين المسلمين والاسبان[٤٠] ، وكان لفتحهـا اهمية في انسياب القوات المرابطية الى الحصون والمدن الاخرى المحيطـة بمدينة طليطلة .

رحل علي بن يوسف بقواته عن طلبيرة[٤١] ، ويم شطر طليطلة ، فاتحا في طريقه الحصون والقلاع الواقعة في احواز طليطلة ، ثم استرجع مجريط (مدريد) ووادي الحجارة ، وقصد بعد ذلك مدينة طليطلة وضرب حولهـا الحصـار[٤٢] .

٣٦ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٢ .
٣٧ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٤ .
٣٨ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٢ ــ ابـن الخطيـب : الحلل الموشية ، ص٧٠ .
٣٩ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٣ يجعل هذه الحوادث في شهر المحرم .
٤٠ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٦ ، ص٥٣ .
٤١ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٢ .
٤٢ــ محمود علي مكي : وثائق مرابطية جديدة ، ص١٣٩ ــ ١٤٠ ــ اشبـاخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٠ ــ ١٤١ .

تبدو لنا اهمية هذه الحملة ، من قيادة علي بن يوسف لها ، منتهزا الحرب الدائرة بين الفونسو الاول المحارب وزوجته أوراكا[٤٣] ، وشاركه في هذه الحملة (يحيى بن ابي بكر بن علي بن يوسف) و(عزالدولة ابو مروان عبيدالله بن المعتصم بن صمادح) ، ويروى انه لما شارفت قوات الامير يحيى مدينة طليطلة سقط احد ألويته من يد حامله فانكسر الرمح . فتطير قوم وتفاءل آخرون ، فقال عزالدولة :

لم ينكسر عود اللواء لطيرة يخشى عليك بها وان تتأولا
لكن تحقق انه يندق في نحر العدو لدى الوغى فتعجلا[٤٤]

سيطر علي بن يوسف على منية طليطلة المشهورة[٤٥] ، وعلى جملة من حصونها[٤٦] ، وكان يدافع عن المدينة قائد قشتالة المعروف (البرهانس) في حامية اسبانية قوية ، ولم يلبث المرابطون على حصار طليطلة وفقا للرواية الاسلامية ، سوى ثلاثة أيام[٤٧] ، وفي رواية شهر[٤٨] ، الا انها اوقعت الرعب في نفوس أهل طليطلة وقشتالة[٤٩] .

لم تفلح القوات المرابطية من فتح مدينة طليطلة[٥٠] ، وتذكر بعض المراجع لن سبب اسراع علي بن يوسف بالرجوع الى قرطبة ومنها الى عدوة المغرب ، يعود الى انتشار الوباء في جيشه[٥١] . ومن نافلة القول : ان مجموعة

٤٣ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٠ (ح٢)
٤٤ــ ايضا ، جـ٢ ، ص٩١ .
٤٥ــ ابن بسام : الذخيرة ، ج١، ق٤ ، ص١٢٨ .
٤٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٧ .
٤٧ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٢ .
٤٨ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٥ .
٤٩ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٧ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص١٨٨ .
٥٠ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٠ (ح : ٢) .
٥١ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٠ ــ ١٤١ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٦٩ .

من العلماء والفقهاء شاركوا في هذه الحملة الجهادية : أمثال قاضي الجزيرة الخضراء ، وقاضي غرناطة (عبدالله بن علي بن عبدالملك ابن سمجون اللواتي توفى في عام ٥٢٤هـ)[٥٢] .

وتذكر بعض الروايات الاسلامية عن معركة مهمة وقعت عام ٥٠٠هـ بين الاذفونش صاحب طليطلة وبين امير المسلمين علي ، وكان النصر للقوات المرابطية[٥٣] . ومن المعروف ان الفونسو السادس — الذي كان تسميه الرواية الاسلامية الفنش — مات عام ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ وتولت ابنته الحكم، واصبح البرهانس حاكم مدينة طليطلة من قبل هذه الملكة ، كما ان الرواية الاسلامية تسمي الفونسو الاول (بابن رذمير) نسبة الى أبيه (سانشوراميرث) ، فمن هو هذا الاذفوش ؟ مع العلم ان ابن الاثير يذكر امورا في حوادث عام ٥٠٥هـ لها علاقة بأحداث معركة اقليش[٥٤] .

وفي عام ٥٠٦هـ/١١١٣م سار الامير مزدلي بالجيوش المرابطية صوب وادي الحجارة ودمر الحصون حولها ، وشدد حولها الحصار، ورجع الى قرطبة بعد ان غنم اموالا كثيرة[٥٥] .

كما كرر الامير مزدلي ، والي غرناطة وقرطبة والمرية[٥٦] ، هجومه على منطقة قشتالة ، يعاونه الامير والي اشبيلية بقوات كبيرة ، فسيطر الجيش المرابطي على كثير من الحصون ، ومن اشهرها حصن (أوريخا)[٥٧]، واباد حاميته وسبى الكثير من اهله ، ثم سار الجيش صوب طليطلة[٥٨] .

٥٢— ابن الابار : التكملة ، جـ٢ ، ص٩١٥ — ٩١٦ (رقم : ٢١٤٦) .

٥٣— ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤٩٠ — ٤٩١ — الذهبي : العبر ، جـ٤، ص٩ .

٥٤— ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤٩٠ — ٤٩١ .

٥٥— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٦ .

٥٦— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ (ح) .

٥٧— ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الاندلس ، ص١٦٢ .

٥٨— اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤١ .

ضربت القوات المرابطية الحصار حول مدينة طليطلة عام ٥٠٧هـ/١١١٤م، وكان انذاك حاكم المدينة الاسباني البرهانس موجوداً في منطقة قونقة ، والتي استرجعها من المرابطين عام ٥٠٤هـ/١١١١م ، ولكنها لم تلبث في يد القشتاليين سوى فترة قصيرة[٥٩] ، فرجع بقواته مسرعا صوب طليطلة عندما وصلت اليه اخبار الحملة المرابطية ، وقامت بين الطرفين معارك عديدة قتل من جيش البرهانس سبعمائة فارس[٦٠] ، الا ان البرهانس استطاع ان يجبر المرابطين على رفع الحصار بعد ان دمر آلاتهم الثقيلة[٦١] ، وعندما رجع مزدلي الى قرطبة مكتفيا بما احرزه من نصر[٦٢] .

وواصل الامير مزدلي حروبه الجهادية مع مملكة قشتالة ، فسار بقواته صوب منطقة وادي الحجارة ، ففر حاكمها الكونت (رودريجو تونيز ــ الزند غرسيس)[٦٣] فغنم الامير مزدلي جميع امواله وامتعته[٦٤] ، وتوفى الامير مزدلي في شوال من عام ٥٠٨هـ/١١١٥م، وذلك اثناء الغزوة التي قام بها ضد القشتاليين على مقربة من حصن مسطانية (مستنا Mastana الواقع في طريق قرطبة[٦٥] .

في هذه الفترة، دارت الحرب الاهلية بين الفونسو المحارب ملك ارغون والنافار وبين الملكة اوراكا ملكة قشتالة وليون ، وقد قتل خلالهما البرهانس حاكم طليطلة على يد اهل مدينة شقوبية الذين ساندوا ملك أرغون وذلك في عام ٥٠٧هـ[٦٦] وقد اضعف هذه الحروب الاهلية الجبهة الاسبانية ، واصبحت

٥٩ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧١ .
٦٠ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢١ .
٦١ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧١ .
٦٢ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٧ ــ ٥٨ .
٦٣ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٣
٦٤ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٥ .
٦٥ــ ابن عذاري : البيان المغرب : جـ٤ ، ص٦٠ ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ ــ مؤنس الثغر الاعلى ، ص١١٣ ــ ١١٤
٦٦ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٢ .

عاجزة عن صد هجوم القوات المرابطية ، وعلى هذا الاساس نلاحظ نشاط الحملات المرابطية في هذه الفترة ، واقدامها الى مدينة طليطلة عاصمة قشتالة ومحاصرتها اكثر من مرة[٦٧] .

وبعد وفاة الامير مزدلي ، تولى ابنه (محمد بن مزدلي) ولاية غرناطة ، وبعد عدة شهور خرج محمد بن مزدلي بالجيوش المرابطية لصد القوات القشتالية التي اقتربت من اراضي ولاية قرطبة ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، فاستشهد في هذه المعركة محمد بن مزدلي ، وعدد كبير من زعماء لمتونة ، وعدد كبير من اهل الاندلس ، وذلك في مستهل صفر عام ٥٠٩هـ/٢٧ حزيران ١١١٥م[٦٨] .

وبعد استشهاد الامير محمد بن مزدلي ، ندب علي بن يوسف لولاية قرطبة ابن عمه الامير (ابو بكر يحيى بن تاشفين) ، الذي سارع بقيادة الجيوش المرابطية لتأديب اسبان قشتالة الذين كرروا غاراتهم على اراضي قرطبة ،فتبعهم الوالي الجديد الى منطقة بياسة، ولحق به أيضا عبدالله بن مزدلي والي غرناطة في قواته ، وقامت بين الاسبان والمرابطين معركة جديدة ، هزم فيها المرابطون مرة اخرى ، وقتل منهم عدد كبير ، وذلك في ٢٨ جمادي الثانية عام ٥٠٩هـ/أواخر تشرين الاول ١١١٥م[٦٩] .

خلال الاعوام ٥٠٩ ــ ٥٢٠هـ شغلت القوات المرابطية في الاندلس بمجاهدة مملكة ارغون والنافار ، كما سنوضح ذلك فيما بعد ، فقلما نجد خلال هذه الفترة حملات مرابطية ضد أسبان قشتالة ، حتى تخبرنا بعض الروايات عن عبور الامير تاشفين بن علي الى الاندلس عام ٥٢٠هـ ، وبدأ

٦٧ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٣ .

٦٨ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦١ ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٩ .

٦٩ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦١ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٢ .

معاركه الجهادية في غربي الاندلس (البرتغال)[٧٠] ، كما انه صد هجوما للقوات القشتالية عام ٥٢٢هـ/١١٧٨م ، عندما وصلوا في زحفهم الى (جبال الكرس) ، على مقربة من قلعة رياح ، فهزمهم الامير تاشفين ، وردهم خائبين الى بلادهم[٧١] .

وبعدمعركة القلاعة عام ٥٢٣هـ وهزيمة المرابطين فيها ، عين الامير تاشفين ابن علي قائدا للقوات المرابطية في الاندلس[٧٢] فعنى بالجيش وتأهب للجهاد[٧٣] .

ففي عام ٥٢٣هـ/١١٢٩م ارسل الامير تاشفين جيش اشبيلية بقيادة (واجدي بن عمر بن سير اللمتوني) ، الى منطقة طلبيرة ، فسيطر هذا الجيش على عدة حصون ، واثناء رجوعه تعقبه خمسون فارسا من الاسبان فتهاون بعددهم ثم لحقهم ركب أخر ، ولم يحفل بهم ايضا ، حتى لحق بهم جمع ثالث ، فبلغوا (٣٠٠) فارس ، فقاتلوا الجيش المرابطي ، فانهزم واسروا الكثير من رجاله ، فلما علم علي بن يوسف باخبار هذه الهزيمة ، ألزم قائد الجيوش ، فسار اليها مسرعا ، فانهزم الجيش الاسباني ، وسار بعدها الامير زكريا يحيى بن علي الحاج)[٧٤] .

وفي عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م ، انحدرت القوات القشتالية جنوبا حتى اصبحت على مقربة من قرطبة ، فاستنجد واليها (عبدالله تينغمر) بالامير تاشفين قائد الجيوش ، فسار اليها مسرعا ، فانهزم الجيش القشتالي ، وسار بعدها الامير

٧٠– ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٧ .
٧١– عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢٣ .
٧٢– ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١، ص٤٥٦ – ٤٥٧ – وسترد لهذه المعركة التفاصيل .
٧٣– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٠ .
٧٤– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٠ – عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٣٣ .

تاشفين الى مدينة جيان واقام بها يتطلع اخبار العدو ، وبعدها رجع الى غرناطة[٧٥] .

وفي رمضان من عام ٥٢٤هـ سار الامير تاشفين بجيش غرناطة ومتطوعتها ولحق به جيش قرطبة ، الى حصن السكة Azeca من اعمال طليطلة[٧٦] ، وكان ملك قشتالة قد شحنه بالمقاتلة للاغارة على اراضي المسلمين، فحاصره تاشفين وافتتحه ، وقتل من كان فيه واسر قائده (تليو فرنانديث) وكان من مشاهير فرسان قشتالة ، ثم واصل تاشفين سيره الى حصن (بارجاس) فقتل خمسين من رجاله ، واستمر في تقدمه حتى وصل الى (سان سرفاندو) من ضواحي طليطلة ، ثم رجع بقواته بعد ذلك الى غرناطة ، فاستقبله الناس باحتفال كبير[٧٧] .

أخذت قوات قشتالة تهاجم الحدود الاسلامية وتضيق على المسلمين، فتتصدى لها الجيوش المرابطية ، كما حدث في صفر من عام ٥٢٥هـ/١١٣١م، والحقت بها الجيوش المرابطية الهزيمة ، وتخبرنا بعض الروايات الاسلامية عن الحصار الذي قام به القشتاليون حول حصن (أرنيط ــ أرلبة) ، والواقع قرب قلعة رياح[٧٨] ، وكان من امنع الحصون الاسلامية في تلك المنطقة ، فضيق الاسبان على حامية الحصن ، وقطعوا عنها الاقوات . فاستنجد والي قرطبة (الامير عبدالله بن ابي بكر) بالامير تاشفين ، وبيحيى بن غانية والي مرسية وبلنسية (ولي شرق الاندلس عام ٥٢٤هـ)، فهرعت القوات المرابطية من قرطبة ومرسية واشبيلية واجتمعت تحت قيادة يحيى بن غانية ، وسارت مسرعة لانجاد الحصن ، واستعد القشتاليون للقاء المسلمين بقوات جديدة جاءت مغيثة له ،

٧٥ــ ايضا ، جـ٤ ، ص٨١ .

٧٦ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٢٨٢ .

٧٧ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٦ ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٥٩ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٣٤ .

٧٨ــ ابن حيان : المقتبس ، جـ٢ ، ص٥٨٦ .

وقد تعرضت القوات المرابطية الى هزيمة في اول المعركة ، احرزت النصر مؤخرا ويبدو ذلك في اواخر عام ٥٢٥هـ او بداية عام ٥٢٦هـ[٧٩] ، الا ان الروايه الاسبانية تذكرها في احداث عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م[٨٠] .

وفي ربيع الاول من عام ٥٢٦هـ/١١٣٢ جاءت الانباء الى الامير تاشفين بان القشتاليين خرجوا من طليطلة متجهين صوب قرطبة ، فأسرع الامير بالسير الى قرطبة وترك عدته واثقاله في حصن (ارجونة) وسار مسرعا للقاء الجيش الاسباني في قواته الخفيفة . وفي الوقت نفسه ، كان القشتاليون قد وصلوا الى حصن (شنت اشتبين) على مقربة من جيان ، واستولوا عليه ، ثم ساروا الى قرية (براشة) وهناك دارت رحى الحرب ، وكان النصر فيها للمرابطين ، حيث أسر قائد الجيش القشتالي وعدد من كبار رجاله ، وغنم المرابطون كميات كبيرة من الاسلحة والدواب ، فسار الامير تاشفين بالاسرى والغنائم الى قلعة رباح القريبة من ساحة المعركة فأصلح احوالها وحصن اسوارها ، وترك الاسرى لدى أهلها ليفتدوا بهم من يستطيعون من أسراهم ، ثم عاد في قواته الى غرناطة ، وقد مدحه الشعراء وهنأوه بالنصر[٨١] .

وكرر القشتاليون هجومهم على ناحية اشبيلية بقيادة (رد ريجـــو كونثالث) في عام ٥٢٦ ، من جهة حصن القليعة ، وعاثوا فيها فسادا ثم انحدروا الى الشرف El Ajarafe ، وهو منطقة التلال المحيطـة بالمدينة[٨٢] ، وقتلوا الكثير من أهله . فبادر والي المدينة (الامير عمر بـن الحاج اللمتوني) في قواته لصد هجوم القشتاليين ، وقد فصل بينهم النهر ،

٧٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٤ .

٨٠ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٥١ . وقد ورد في باب الوثائق ص٥٤٧ رسالة مبعوثة الى علي بن يوسف تتعلق بشؤون حصن ارلبة .

٨١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٥ ـ ٨٦ ـ ابـن الخطيب . الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٥٩ .

٨٢ـ الادريسي، نزهة المشتاق ، ص١٧٤ ـ ١٧٨ ـ الحميري : الروض المطار، ص١٩ .

فبعث بسرية من فرسانه الى الضفة الاخرى وأسرت بعض الاسبان فأمر بضرب اعناقهم بعداستجوابهم أمام عين اخوانهم الاسبـان الموجوديـن في الضفـة الاخرى ، مما ادى الى حماس الاسبان فاقتحموا النهر وهاجموا المرابطين ، ووقعت بينهما معركة عنيفة قتل فيها عمر بن الحاج ومعظم جنده[٨٣] . ورجع البقية فرارا الى مدينة اشبيلية ، فاغلقت المدينة ابوابها بوجه الجيش الاسباني الذي أصبح على بعد فرسخين منها ، وهم يعيثون فسادا في احوازها ، فبادرها الامير تاشفين بالانجاد ، فطارد الاسبان الذين ارتدوا الى بلادهم مثقلين بالسبي والغنائم بعد ان احرقوا الزروع ، وذلك في منتصف رجب من عـام ٥٢٦هـ[٨٤] .

وتقدم لنا الرواية الاسلامية ، اخبارا موجزة عن غزوة قام بها الفونسو السابع السليطين ٥٢٠ ــ ٥٥٢ هـ[٨٥] ، وبرفقته احمد بن عماد الدولة الملقب سيف الدولة المستنصر بن هود ، فابن القطان يجعلها في عام ٥٢٦هـ ، ويذكر ان السليطين صاحب قشتالة وابن هود اشتركا فيها ، فهبطوا الى اشبيلية ، ثم ساروا الى شريش ، فدخلوها وقتلوا من كان بها ، واستباحوا وبالغـوا في النكاية بالمسلمين ، ثم رجعوا الى بلادهم[٨٦] . اما ابن عذارى فيجعل هذه الحوادث في عام ٥٢٧هـ[٨٧] ، وبذلك تكون روايته متفقة مع الرواية الاسبانية التي زودتنا بتفاصيل عن هذه الغزوة :

٨٣ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٩٨ ــ ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٦٠ .

٨٤ـ ابن عبدالملك المراكشي : الذيل والتكملة ، جـ٤ ، ص٦١ ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٢ ــ ٨٣ : حيث يذكر هذه الاحداث في عام ٥٢٤هـ .

٨٥ـ ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، جـ٢ ، ص٣٧٠ .

٨٦ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢٠٠ .

٨٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٨

غزا الفونسو السابع ملك قشتالة اراضي المسلمين عام ٥٢٧ ـ ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ، وقسم جيشه الى قسمين ، بقصد تسهيل التموين والحركة ، فسار هو على رأس القسم الاول ، وسار سيف الدولة بن هود على رأس القسم الثاني ، ومعه الدون (رديجو كونثالث دي لارا) زعيم ليون • عبر الجيشان جبل الشارات (سيرا مورنيا) ، واجتمعا على مقربة من قرطبة ، وكان الموسم ، موسم الحصاد فأمر ملك قشتالة بحرق الحقول ، فساد الذعر بين المسلمين وهجروا القرى الى معاقل الجبال ، ووصل الجيش الاسباني الى احواز اشبيلية ، وهو يحرق المزارع والقرى المهجورة ، ويدمر المساجد ويحرق المصاحف ، وينكل بالعلماء والفقهاء • وساد الذعر المنطقة الواقعة بين قرطبة واشبيلية ، وامتلأت ايدي الاسبان بالغنائم والاسرى ، وبعدها سار الى مدينة شريش ، فخربها وهدمها ، ثم سار الى البحيرة وقادس[٨٨] • ولما رأى ذلك امراء الاندلس[٨٩] ، بعثوا الى سيف الدولة بن هود يطلبون اليه ان يكلف ملك قشتالة من اجل العمل على تحريرهم من نير المرابطين ، فبعث اليهم سيف الدولة بن هود ، بعد التفاهم مع ملك قشتالة يحثهم على انتزاع الحصون ومقاتلة المرابطين وبعدها يأتي هو والملك الاسباني لانجادهم ، ثم ارتد الجيش القشتالي عائدا الى طليطلة حتى لايغامر بالبقاء في ارض لايأمن عواقبها[٩٠] •

وفي اوائل عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م حشد الفونسو السابع ملك قشتالة جيشا قوامه عدة آلاف ، وبه كثير من أبطال قشتالة ، وقصد الى ناحية بطليوس وباجة ويابرة ، وشن الغارة على اراضي المسلمين هناك[٩١] ، فنهض

٨٨ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، ص٨٨ : يذكر معظم هذه الاماكن •

٨٩ــ لا أدري ما المقصود بامراء الاندلس ، وقد اصبحت ولاية مرابطية ، فهل المقصود انهم زعماء الثورة الاندلسية على المرابطين فيما بعد ؟ •

٩٠ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٥٠ (ح١) اشباخ : تاريخ الاندلس، ص١٧٣ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٤١ •

٩١ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٨

اليه الامير تاشفين ، الذي اصبح اميرا على غربي الاندلس من عام ٥٢٦هـ[٩٢]، من اشبيلية في قوات كبيرة ورابط للقائه في مكان يقع شرقي بطليوس على مقربة من سهل الزلاقة[٩٣] ، وما كادت طلائع العدو تبدو حتى تأهب للقائه بروح جهادية عالية ، ونظم الجيش الاسلامي مثلما نظم يوم الزلاقة في وحدات متناسقة ، فاحتل المرابطون ، وعلى رأسهم الامير تاشفين القلب تتقدمهم البنود البيض مكتوبة بالايات ، واصطفت الى جانبيه القوات الاندلسية تتقدمها الرايات الحمراء بالصورة الهائلة ، واحتل الجناحين اهل الثغور وشجعان الفرسان ، وعليهم الرايات المرقعات ، واحتل المقدمة ابطال زناته ، ولفيف من الحشم اصحاب العمائم ، وامامهم الاعلام المصبغات[٩٤] . وقامت بين الجانبين معركة عنيفة ، دارت فيها الدائرة على الاسبان واستنقذ المسلمون الاسرى والغنائم من أيدي القشتاليين ، وكان ذلك في جمادي الاولى من عام ٥٢٨هـ/مارس ١١٣٤م ، وبعدها رجع الامير تاشفين بقواته ظافرا الى قرطبة ، ثم سار منها الى غرناطة ، فاستقبل استقبالا حافلا[٩٥]، ومدحه الشعراء مهنئين :

اما وبيض الهند عنك خصوم	فالروم تبذل ماظباك تروم
تمضي سيوفك في العدا ويردها	عن نفسه حيث الكلام رحيم[٩٦]
دار هجمت بيوتها بظباك فأبدأ	على قمم الملوك هجوم
لله يا يوم العروبة انه	يوم على الدين الكريم كريم
خضعت ملوك الروم في بلدانها	لا غر قام بتاجه التعميم[٩٧]

٩٢ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٨ .

٩٣ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص٨٨ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٦٠ .

٩٤ـ ايضا ، جـ٤ ، ص٨٩ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

٩٥ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص١٠٠ ـ ١٠١ ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٣٧ ـ ١٣٨ .

٩٦ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٦١ .

٩٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٥ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٨ .

واصل الامير تاشفين حروبه الجهادية ضد قشتالة ، فخرج في شهر ذي الحجة من عام ٥٢٨ هـ وسار بقوات غرناطة وقرطبة وجموع المجاهدين صوب الغرب ، وقد انضم الى جيش اشبيلية ، وكان واليها (ينتان بن علي بن يوسف) في فحص (الريحانة) ، ثم سار الى موضع (البكار Albacar شمالي قرطبة ، وهو الطريق المؤدي الى قشتالة[٩٨] ، ولما رأى الاسبان القوات المرابطية وضعوا خطة لاجتذابها الى هذا الموضع ، واقبل المرابطون اليه بالفعل ، وندب القشتاليون فرقة من فرسانهم تبلغ نحو الفين فهاجمت المرابطين فجأة عند دخول الظلام ، واستطاعت ان تخرق صفوفهم في عدة مواضع ، فدب الخلل المرابطي ، ونفرت الخيل ، وكثر الهرج بين المسلمين، وفروا من كل جانب ، ووصلت سرية من الاسبان الى خيمة الامير تاشفين فأشار اليه بعض خاصته بالفرار ، فأبى ، فاحاط به فرسان الاندلس وابطال المرابطين ، وحالوا بينه وبين قوات الاسبان ، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين ، والامير تاشفين يشدد الضرب والطعان[٩٩] ، واستطاع أحد الجند العبيد ان يقتل قائد الاسبان فانهزم جنده . وفي صباح اليوم التالي سار الامير تاشفين الى حصن (قشرش)[١٠٠] شمال شرقي بطليوس ، ثم غادره عائدا الى قرطبة[١٠١] ، وذلك في أواخر شهر ذي الحجة من عام ٥٢٨هـ/أوائل تشرين الاول ١١٣٤م[١٠٢] .

كرر الامير تاشفين هجومه على اراضي قشتالة ، ففي عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م التقى مع قوات قشتالة في (فحص عطية) فهزمهم ، وقتل منهم جموعا

٩٨ـ المقدسي : حسن التقاسيم ، ص٩٣ ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٥ .

٩٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩٠ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص١٠٢ .

١٠٠ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٥ يسميه (قصرش) .

١٠١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩٠ ـ ٩١ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٩ .

١٠٢ـ ابن القطان : نظم الجمان، ص٢١٥ : يجعل هذه الحوادث في عام ٥٢٩هـ.

كثيرة[١٠٣] ، ويخبرنا ابن عذارى عن غزوة كبيرة قام بها الامير تاشفين ، في شعبان من عام ٥٣٠هـ ، بعد ان استشار زعماء المرابطين والعرب وزنانه والحشم ، فهاجم جموع الاسبان في منطقة (جبل القصر) ، والحق بهم هزيمة منكرة ، وغنم الكثير من اسلحتهم ودوابهم ، ورجع الامير تاشفين بعدها الى قرطبة[١٠٤] .

وفي ربيع من عام ٥٣١هـ/١١٣٦م هاجم الامير تاشفين اراضي قشتالة، وسيطر على مدينة (كركي) على مقربة من قلعة رباح ، فلم يجد بها أحداً[١٠٥] ، وقد مدحه الشعراء بهذه المناسبة[١٠٦] .

وواصل الامير تاشفين حروبه الجهادية ضد قشتالة ، فغزا في عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م مدينة (اشكونية) أو (أشكلونة Escalona وهي حسبما يقول الحميري من اعمال كورة تدمير (مرسية)[١٠٧] ، الا ان هذا غير ممكن لان ولاية مرسية كانت بيد المسلمين ، الا ان الرواية الاسبانية تذكر : ان الامير تاشفين ، قبيل عبوره الى العدوة ، قام بغزوة اراضي (وبذة) و(ألاركون) ، وهما من اعمال مقاطعة قونقة الواقعة الى الحدود ، ثم دخل قونقة واخضعها ، وكان اهلها قد اعلنوا التمرد ، وذلك في عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م[١٠٨] . وتذكر الرواية الاسلامية ، ان الامير تاشفين دخل (أشكلونة) عنوة ، وقتل وسبى الكثير من اهلها ، وغنم الكثير من النواقيس الكبيرة ، وعندما رجع الى قرطبة كان يوما مشهودا ، وتضيف هذه الرواية ان الامير

١٠٣- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٤٢ .
١٠٤- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩٥ - ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص١٠١ وبعدها .
١٠٥- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩٦ - ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٧ .
١٠٦- ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١، ص٤٥٣ - عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٤٢ .
١٠٧- الحميري : الروض المعطار ، ص٢٢ ، ص١٧٢ .
١٠٨- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٤٣ .

تاشفين حمل من سبي هذه الغزوة عند عبوره الى عدوة المغرب في نفس العام (٥٣٢هـ) غنم ستة الاف سبية[١٠٩] .

واثناء خروج الامير تاشفين من قرطبة قاصدا الى عدوة المغرب ، بلغه هجوم الاسبان على منطقة جيان ، فاستعد للسير الى لقائهم ، وكان القشتاليون قد ساروا بحشودهم الكبيرة صوب الوادي الكبير ، واقتربوا من (بياسة) و(أبدة) ، وعاثوا في تلك المنطقة ، واستعدوا لعبور النهر ، لكن الامطار هطلت بغزارة ، واستمرت عشرين يوما حتى فاض النهر ، فحال دون عبور الاسبان . ووضع القشتاليون بعض المعادي فوق الماء ، وحاولوا عبور النهر فانكسر بعضها وغرق من كان فيها ، فتعقبهم قائد جيان فأوقع بجماعة منهم ، وانصرف الاسبان بعد ان هاجموا حصن (شبيوطة) من عمل (أبدة) وعجزوا عن اقتحامه[١١٠] اما الامير تاشفين فانه لبث يترقب السير الى الشمال مدى اسابيع ، والامطار تهطل والسيول تغمر الطرق فعاقت سيره . ولما بلغه انصراف الاسبان ، واصل سيره الى طريق عدوة المغرب ، وجاز البحر الى مراكش ، وذلك في عام ٥٣٢هـ[١١١] .

في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م أصدر علي بن يوسف مرسوم ولاية عهده لولده تاشفين ، عقب وفاة ولده الاكبر وولي عهده سير[١١٢] ، فأصبح مهمة مقاومة ومجاهدة الاسبان في الاندلس من واجب حكام المدن ، ففي عام ٥٣٣ هـ خرج الزبير بن عمر والي قرطبة غازيا لارض الاسبان ، وافتتح حصن موره[١١٣] ، من اعمال طليطلة[١١٤] .

١٠٩ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٧ ، ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٩ .

١١٠ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٤٣ .

١١١ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٧ . ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٥٤ ، ٤٦١ .

١١٢ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ص٩٧ـ ابن الخطيب: الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٥٥ .

١١٣ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص١٥٢ .

١١٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٩٥ .

قام الفونسو السابع (السليطين) ملك قشتالة الى غزو الاراضي الاسلامية ، بعد الصلح بينه وبين ملك البرتغال (الفونسو هنريكز) عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م فارتد الفونسو السابع الى طليطلة وهو يتمزق غيظاً ، وحاول فيها فسادا ، ولم يلق الاسبان من المرابطين مقاومة شديدة في البداية ، ولكن حدث ان فرقة من الاسبان عبرت نهر الوادي الكبير لتتابع النهب والسبب ولم تستطع العودة بسبب هطول الامطار وفيضان الماء ، ففتك بها الجند المرابطون وأبادوها جميعا امام أعين الملك القشتالي وجنده ، وذلك في عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م فارتد الفونسو السابع الى طليطلة وهو يتمزق غيظاً ، وحاول بعد مدة وجيزة ان ينتقم لقتلاه بمحاصرة قورية ، فدافع عنها المسلمون اشد دفاع ، وكان فشلا آخر حز في نفس ملك قشتالة(١١٥) .

بعد ان فتح المرابطون حصن مورة عام ٥٢٣هـ اتخذوه قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش الاسلامية الى اراضي قشتالة . ومن اجل التصدي لهذه الجيوش ، حشد الفونسو السابع ملك قشتالة جيشا كبيرا وسار به الى قلعة قورية ، فحاصرها مدى شهرين حتى سقطت في يده عام ٥٣٦هـ/١١٤٢م بعد ان يأست حاميتها الاسلامية من تلقي الانجاد . وفي الوقت نفسه بعث ملك قشتالة حاكم مدينة طليطلة (رد ريجو فرنانديت) على رأس بعض قواته الى منطقة وادي يانة ، فعاث في احواز قرطبة واشبيلية(١١٦) ، الا ان المعروف عن مدينة قورية ، استولى عليها الفونسو السادس قبل استيلائه على طليطلة ، وتمكن المرابطون من استرجاعها(١١٧) ، وفي ايام الموحدين أصبحت معقلا اسلاميا ونقطة دفاع مهمة ، ولم تسقط بيد الاسبان الا حوالي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م في يد الفونسو الثامن(١١٨) .

١١٥ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٠٤ .

١١٦ــ ايضا ، ٥٦ ــ ٥٠٧ .

١١٧ــ ابن خفاجة ، الديوان ، ص١٠٢ .

١١٨ــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٣٥٢ ــ ٣٥٣ (ح) .

وتذكر الرواية الاسبانية ، غزوة قام بها القشتاليون بقيادة (نونيو الفونسو) حاكم مورة السابق ، في الاراضي الاسلامية ، واسفرت المعركة التي نشبت بين القشتاليين وبين قوات اشبيلية وقرطبة ، عن هزيمة المسلمين ومصرع والي اشبيلية وقرطبة ورفع رأسيهما في طليطلة على رمحين ، واستولى القشتاليون على كثير من الغنائم والاسرى ، وذلك في عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م[١١٩] وتذكر هذه الرواية ايضا ان ملك قشتالة ارسل في عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م حملة جديدة بقيادة (مارتن فرنانديث) و(نونيو الفونسو) ، لتحول دون قيام المرابطين بتحصين قلعة مورة . فخرج والي قلعة رباح (فرج) في قواته ، واشتبك مع القشتاليين في معركة انهزم فيها القشتاليون ، وفر (مارتن) جريحا وقتل (نونيو الفونسو) فوق تل (صخرة الوعل) مدافعا عن نفسه ، فاحتز رأسه وقطعت اطرافه ، وارسلتا الى قرطبة واشبيلية لتعرضا على ارملتي الواليين القتيلين تعزية لهما ، ثم ارسلت بعد ذلك الى امير المسلمين تاشفين بمراكش[١٢٠] .

اصيب ملك قشتالة بنكبة اليمة بعد هذه الهزيمة ، واقسم بالانتقام لمصرع قائده ، فخرج في عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م في قواته الى اراضي الاندلس الاسلامية، واثخن في احواز قرطبة واشبيلية ، وانشف واحرق القرى في سيره حتى اراضي غرناطة والمرية ، ثم عاد الى بلاده مثقلا بالغنائم والاسرى[٢١] .

يبدو لنا ان القوات المرابطية في الاندلس في هذه الفترة كانت أضعف من ان تصد هجمات الاسبان ، وذلك بسبب نشاط الموحدين في عدوة المغرب وبداية سيطرتهم على أهم المدن والحصون المرابطية وخاصة في عام ٥٣٩هـ[١٢٢]، وكذلك بسبب الثورات المتعاقبة التي قامت في الولاية الاندلسية ابتداء من

١١٩ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٠٧ .

١٢٠ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ١٨٣ ـ ١٨٤ .

١٢١ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٠٧ .

١٢٢ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص١٠٧ ، ص١١١ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٣ ، ص١٩٤ .

عام ٥٣٩هـ ــ ٥٤٢هـ ، وظهور الفكرة الاندلسية القائلة : بضرورة تحرير الاندلس من النير المرابطي ، بالتعاون مع ملوك الاسبان ، الذين باركوا مثل هــذا التعاون[١٢٣] .

سقط اهم معقل من معاقل الاندلس الوسطى بيد الفونسو السابع ملك قشتالة ، في اواخر عام ٥٤١هـ/١١٤٧م وهو قلعة رباح، وقد احدث القشتاليون باستيلائهم على هذا المعقل المنيع ثغرة خطيرة في خطوط الدفاع المرابطية في الاندلس[١٢٤] . وقد سبق للفونسو السادس ان سيطر على هذا الحصن اثناء سيطرته على طليطلة عام ٤٧٨هـ ، ويبدو ان المرابطين استرجعوا هذا الحصن خلال معارك الجهاد ، الى ان سقط بيد الاسبان في هذا العام[١٢٥] .

كما سقطت المرية ، ثغر الاندلس الشرقي واحدى قواعــد اساطيلــه الكبرى ، على يد جيوش نصرانية من اسبانية (قشتالة وارغون وبرشلونة) مع قوات من جنوة وبيزة ومن خلف جبال البرت[١٢٦] ، وقد نظم هذه الحملة الفونسو السابع ، فدخلتها الجيوش المشتركة يوم الجمعة السابع عشر مــن جمادي الاولى عام ٥٤٢هـ[١٢٧] ، وقد استشهد الكثير من المسلمين خلال دخول العدو المدينــة ، ومنهم عالم المرية الامام (ابو محمد عبدالله الرشاطي)[١٢٨] ، كما أسر الكثير من اهلها[١٢٩] .

١٢٣ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٠ ــ ٣١ .
١٢٤ــ علام : الدولة الموحدية بالمغرب ، ص١٧٥ .
١٢٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٧٨ .
١٢٦ــ سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص٢٤٩ .
١٢٧ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص٥٢ (رقم ١٤٧) ــ المراكشي : المعجب ، ص٣٨٠ . ــ المقري : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص٤٦١ .
١٢٨ــ ابن الابار : المعجم، ص٢٢٨ (رقم ٢٠٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص١٠٧ .
١٢٩ــ المقري : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص٤٦٣ .

٢ ــ جهاد المرابطين لملكة البرتغال ٤٨٣ ــ ٥٤٢هـ :

وكان اشهر ملوك هذه الامارة الاسبانية :

١) الامير هنري البرجوني (الرنك) زوج تيريزا ابنة الفونسو السادس وتوفى عام ٥٠٥هـ/١١١٢م •

٢) تيريزا : الوصية على عرش ابنها (الفونسو هنريكز) ٥٠٥ ــ ٥٢٢ هـ / ١١١٣ ــ ١١٢٨م

٣) الفونسو هنريكيز (ابن الرنك) ٥٢٢ ــ ٥٥٣هـ/١١٢٨ ــ ١١٥٨م •

أعلن الفونسو هنريكيز عند تسلمه امارة البرتغال انه لايتبع أحداً • فثار لذلك الفونسو السابع ملك قشتالة ، اذ كان يعتبر البرتغال اقليما من اقاليم مملكته • وعلى هذا الاساس ، قامت حروب مدمرة بين الطرفين ، انتهت بالتصالح بينهم عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م ، دون الاتفاق حول مسألة تبعية البرتغال لمملكة قشتالة[١٣٠] •

سبق ان ذكرنا انه اخضاع المرابطين لمملكة بطليوس ، استرجعوا ثغر اشبونة (لشبونة) ومدينة شلب ومدينة يابرة وذلك عام ٤٨٧هـ[١٣١] • ومما يذكر في هذا المجال : ان امارة البرتغال ومملكة قشتالة كانتا على العموم تتعاونان في محاربة الجيوش المرابطية ، على اعتبار ان امارة البرتغال تابعة الى مملكة قشتالة ، وقد دللنا على ذلك اثناء الحملة التي قادها (محمد بن الحاج) عام ٤٩٥هـ ومعه القائد (ابن تجوت) ، الى اراضي قشتالة ، فتصدى لهذه الحملة المرابطية الرنك صهر الفونسو السادس ، الذي انهزم شر هزيمة[١٣٢] •

١٣٠ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٠٢ ، ص٥٢٦ •

١٣١ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٥٥ ــ محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣٠٥ •

١٣٢ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١١ •

جهز المرابطون حملة كبيرة الى مملكة البرتغال في صفر من عام ٥٠٥هـ قادها الامير سير بن بكر والي اشبيلية ، وسار بقواته صوب (يابرة) وفتحها بسهولة ، ثم سار الى اشبونة فدخلتها القوات المرابطية وسيطرت على ضاحيتها شنترة[١٣٣] ، ثم سار شمالا ، وسيطر على مدينة شنترين ، ولقد اورد المراكشي تفاصيل مهمة عن حوادث فتح هذه المدينة ، في ضوء الرسالة التي وجهها الامير سير الى علي بن يوسف عقب الفتح ، وهي من انشاء الوزير (ابى محمد عبدالمجيد بن عبدون) . فاخبرتنا هذه الرسالة ان المرابطين حاصروا المدينة فامتنعت عليهم ، فشددوا عليها الحصار حتى فتحت بعد مقتل الكثير من حاميتها[١٣٤] . ثم واصل القائد المرابطى سيره نحو الشمال حتى اصبح على مقربة من مدينة (قلمرية)عاصمة الامارة ، ولم تستطع القوات البرتغالية بقيادة الكونت هنري دفعا للقوات المرابطية[١٣٥] .

كانت حملة الامير سير هذه موفقة ، حتى ذكرت بعض الروايات الاسلامية ان هذا القائد ، افتتح ايضا مدينة بطليوس ، التي كانت في يده من قبل ، ومدينة بورتو (برتغال)[١٣٦] . ومن الواضح ان بطليوس أصبحت ولاية مرابطية منذ عام ٤٨٨ هـ ، واما بورتو فلم تصل اليها القوات المرابطية لانها تقع شمالي قلمرية التي لم يتجاوزها الجيش المرابطي[١٣٧] .

وعلى اثر هذه الغزوة ، وفد على مدينة اشبيلية المنصور بن عمر المتوكل قادما من قشتالة ، حيث لجأ اليها عام ٤٨٨ هـ ، ومن اشبيلية ارسل الى مراكش ، فكانت له هناك مكانة عند علي بن يوسف[١٣٨] .

١٣٣- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٠ .
١٣٤- المراكشي المعجب ، ص٢٢٨ - ٢٣٢ .
١٣٥- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٠ .
١٣٦- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٥ - ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٦٠ (ح) .
١٣٧- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٠ .
١٣٨- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٦ .

عبر امير المسلمين علي بن يوسف الى الاندلس للمرة الثالثة عام ٥١١هـ/ ١١١٧ م[١٣٩] واستقر في مدينة اشبيلية ينظم امور الجهاد ، ويضع الخطط العسكرية اللازمة ، حتى يكتمل عبور الجيوش المغربية ، وتتأهب الجيوش المرابطية في الاندلس ، وتطوع الكثير من علماء وفقهاء قرطبة واشبيلية وغرناطة ، اضافة الى المتطوعين في سبيل الله من عامة الناس[١٤٠] ، وكان هدف علي بن يوسف من هذا الجواز استرجاع بعض القواعد الاسلامية التي وقعت بايدي الاسبان . فلما كملت استعدادات الجيش المرابطي سار من اشبيلية الى اراضي مملكة البرتغال ، وذلك لاسترجاع مدينة قلمرية[١٤١] ، وتوغل الجيش المرابطي في اراضي البرتغال ، ولم تستطع قوات الملكة تيريزا الوصية على ابنها ، ان تقوم باية اعمال دفاعية ذات شأن ، فانهزم امامه الاسبان ، واعتصموا بالمعاقل المنيعة[١٤٢] . ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية ان الجيش المرابطي دخل مدينة قلمرية وشن هجماته على الحصون المجاورة[١٤٣] ، وأيدت ذلك الرواية الاسبانية[١٤٤] . واما رواية ابن عذاري ، فتذكر محاصرة الجيش المرابطي للمدينة مدة عشرين يوما وانصرف عنها بعد ذلك الى اشبيلية[١٤٥] .

والظاهر ان علي بن يوسف لم يحتفظ بمدينة قلمرية ، فقد انصرف عنها عقب افتتاحها الى مدينة اشبيلية ، ولعل ذلك يعود الى موقع قلمرية النائي ، وصعوبة الاحتفاظ بها في منطقة يحيط بها الاسبان من كل جانب[١٤٦] .

١٣٩ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ يجعل هذا العبور عام ٥١٣هـ ويعتبره العبور الثاني ــ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٦١ .
١٤٠ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٤ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٤٧ .
١٤١ــ ايضا ، جـ٤ ، ص٦٤ .
١٤٢ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨١ .
١٤٣ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧٠ .
١٤٤ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨١ .
١٤٥ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٤ .
١٤٦ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨١ .

ويبدو لنا من بعض الروايات الاسلامية ان المنصور بن عمر المتوكل ، قد عبر الى الاندلس مع علي بن يوسف ، ومارس شرف الجهاد ضد الاسبان مع القائد (عبدالله بن فاطمة) حيث اشتركا في حملة مرابطية الى بلاد الاسبان ـ دون تحديد المملكة ـ في عام ٥١١ هـ ، وغنما اموالا كثيرة ثم رجعا الى اشبيلية(١٤٧) •

ويخبرنا صاحب روض القرطاس ، انالامير تاشفين عبر الى الاندلس منذ عام ٥٢٠ هـ ، وانه خرج في اواخر هذا العام او أوائل عام ٥٢١ هـ في جيشه ، وفي اجناد الولايات ، وسار الى غربي الاندلس ، والتقى بالاسبان في موضع (فحص القباب) فهزمهم هزيمة شديدة ، وافتتح ثلاثين حصنا من حصون هذه المنطقة ، وكتب الى ابيه بالفتح(١٤٨) •

وتقدم لنا بعض الروايات الاسلامية عن حوادث عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م ان الامير تاشفين سار بقواته نحو الغرب ، ومعه (ابن قنونة ـ عبدالله بن جنونة) والى قرطبة والتقيا بقوة من الاسبان ، كانت قد اغارت على أحواز (يابرة) ، فانهزمت القوات الاسبانية ، وقتل الكثير من رجالها ، بعد أن انقذوا الاسرى والغنائم التي سيطروا عليها من احواز يابرة(١٤٩) •

بعد الصلح الذي تم بين ملك قشتالة السليطين وملك البرتغال (ابن الرنك) عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٩ م ، وجه ملك البرتغال جهوده من اجل السيطرة على بعض القواعد الاسلامية القريبة من حدود امارته ، ففي نفس العام قام بهجوم كبير على الاراضي الاسلامية واحرز نصرا على الجيش المرابطي الذي حشده ولاة بطليوس ويابرة وباجة واشبيلية ، وذلك في موقع (أوريك) على

١٤٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٤ •

١٤٨ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٧ ـ عنان : عصر المرابطين ص١٣٣ •

١٤٩ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٩٨ ـ ١٩٩ ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٣٦ •

ضفة نهر التاجة ، وقد اعتزم أمير البرتغال عقب هذا النصر ان يتلقب بالقاب الملوكية ، وان السليطين بعث الى البابا يحتج على اتخاذ امير البرتغال مثل هذه الخطوة[١٥٠] .

استغلت الممالك الاسبانيــة ثــورة اهــل الانــدلس على المرابطــين ، فاخذت تهاجم المدن والحصون المجاورة لها ، فيخبرنا ابن الاثير ان الاسبان في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م سيطروا على مدينة شنترين وباجة وماردة واشبونة ، وسائر المعاقل المجاورة من بلاد المسلمين[١٥١] . علما بان هذه المدن متاخمة لامارة البرتغال الاسبانية .

٢ ـ جهاد المرابطين لمملكة برشلونة ٤٨٣ ـ ٥٤٢هـ :

واشهر ملوكها في هذه الفترة :

١) رامون برنجير الثاني ٤٦٨ ـ ٤٨٩ هـ / ١٠٧٦ ـ ١٠٩٦ م ، وقد اشترك هذا الملك مع الفونسو السادس في موقعة الزلاقــة .

٢) رامون برنجير الثالث ٤٨٥ ـ ٥٢٥هـ/١٠٩٢ ـ ١١٣١م ، تسلم الحكم سنة ٤٨٥ هـ بعد سفر عمه (رامون برنجير الثاني) الى المشرق . وتزوج هذا الملك مارية ابنة القمبيطور ، ويلقب بالبرشلوني[١٥٢] .

٣) رامون برنجير الرابع ٥٢٥ ـ ٥٥٧ هـ / ١١٣١ ـ ١١٦٢ م ، تعاون هذا الملك مع الفونسو السابع ملك قشتالة تعاونا كبيرا ، وتزوج ملك قشتالة من الاميرة (برنجيلا) ، اخت رامون برنجير الرابع عــام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م[١٥٣] .

١٥٠ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

١٥١ـ ابن الاثير : الكامل ، ج١١ ، ص١٠٦ .

١٥٢ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١ (ح) ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٠ (ح٣) .

١٥٣ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥١٠ .

بعد دخول الجيوش المرابطية مدينة بلنسية عام ٤٩٥ هـ ، اصبح الامير مزدلي واليا عليها ، وكلف بمهمة مقاومة الاسبان المتاخمين لمنطقة الثغر الاعلى . ففي عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م قام الامير مزدلي بحملته المشهورة على مملكة برشلونة ، وتوغل بعمق في اراضيها ، ودمر الكثير من قلاعها وحصونها ، وقتل واسر الكثير من اهلها ، وغنم جيشه الكثير من النواقيس والصلبان الكبيرة والثمينة ، فامر بتحويلها الى ثريات وركبت في جامع بلنسية[١٥٤] .

وفي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ ـ ١١١٥ م سارت القوات المرابطية بزعامة الامير محمد بن عائشة امير مرسية ، ومحمد بن الحاج امير سرقسطة صوب برشلونة ، وتوغلت في اراضيها ، ودمرت الكثير من حصونها ، واستولت على كميات كبيرة من الغنائم ، واستمرت هذه القوات في زحفها حتى وصلت الى ظاهر مدينة برشلونة ، وعندئذ بعث محمد بن الحاج الغنائم والسبى مع بعض قواده لتعود من الطريق الكبير[١٥٥] واتجه هو بباقي قواته غربا من طريق البرية ، وهو اقصر واقرب الى سرقسطة[١٥٦] . لكن محمد بن الحاج فوجيء خلال الطريق بقوات كثيفة من الاسبان متأهبة في كمائنها ، فنشب القتال بين الفريقين ، واستبسل محمد بن الحاج في الدفاع حتى استشهد[١٥٧] مع جمع كبير من اتباعه ، ونجا محمد بن عائشة وقليل من اصحابه ، ثم لم يلبث ابن عائشة ان فقد بصره ، فاستدعاه أخوه علي بن يوسف ، وعين بدلا منه

١٥٤ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٠ ـ ١١١ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٨ .

١٥٥ـ الطريق الكبير : هو الطريق الروماني المرصوف الذي يبدأ من قادس وينتهي بأربونة مارا بقرطبة واشبيلية وسرقسطة وطركونة : الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦ ـ سالم : تاريخ المسلمين ، ص٣٠٢ .

١٥٦ـ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٢ ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٥٨ .

١٥٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦١ : يجعل استشهاده عام ٥٠٩هـ .

على مرسية اخاه ابراهيم بن يوسف[158] ، وقد سميت غزوة برشلونة هذه بموقعة البورت (الباب) والتي يعرفها مؤرخو الافرنج باسم (كونجست دى مارتويل Congostde de Mortorell)[159] .

بعد استشهاد محمد بن الحاج ، عين علي بن يوسف ، واليا جديدا على سرقسطة وهو الامير (أبو بكر بن أبى يحيى ابراهيم المشهور بابن تيفلويت) زوج اخته ، وقد كان واليا من قبل على غرناطة[160] كما اعطاه ولاية بلنسية وطرطوشة[161] .

أمر علي بن يوسف والي سرقسطة الجديد السير صوب برشلونة من اجل تدمير حصونها ، لاخذ ثار شهداء البورت . فسار القائد شمالا الى برشلونة وهو يدمر اراضيها وحصونها ، ثم حاصر المدينة لمدة عشرين يوما ، حتى خرج الى لقائه ملكها (رامون برنجير الثالث) في قوات برشلونة واربونة ، ونشبت بين الطرفين معارك عنيفة ، قتل فيها الكثير من الاسبان ، وخسر المسلمون نحو سبعمائة قتيل ، وارتد المرابطون بعد ذلك صوب سرقسطة[162] .

في عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م . جعل علي بن يوسف ، القائد محمد بن ميمون اميرا للاسطول المرابطي ، فقام بحملات جهادية بحرية ضد الاسبان . وقد اخبرنا ابن عذارى في حوادث عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م عن حملة بحرية

١٥٨ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤ ــ ميراندة : علي بن يوسف ، ص٩٤ ، ص١١٤ ــ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٥٨ .

١٥٩ــ راجع ، ابن الابار : المعجم ، ص٥٤ ، ص٢٠١ ــ محمود علي مكي : وثائق مرابطية ، ص١٢٩ .

١٦٠ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤١٢ وبعدها ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٣ .

١٦١ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤ ــ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٥٨ .

١٦٢ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٤ ــ ١٠٥ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٧٥ .

قام بها محمد بن ميمون الى بلاد الروم ــ دون تحديد الجهة ــ وفتح مدينة قطرون ؟[١٦٣] . وعلى الرغم من اضطراب الخبر ، الا ان هذا القائد كانت له ايام المرابطين مواقف جهادية رائعة في الدفاع عن الجزائر الشرقية وسواحل بلنسية ومرسية ، وهو الذي أسر (الربرتير) ويسميه البيذق (الابرتير)[١٦٤]، ويلقبه ابن الابار (علج لبني تاشفين)[١٦٥] . وبعد وقوعه في اسر امير البحر المرابطي سيق الى مراكش ، حيث دخل في خدمة المرابطين ، وجعله علي بن يوسف رئيس فرقة الجند الرومي التي كانت تعمل في صفوف المرابطين ، وقد أبلى (الربرتير) ، وهو قائد قطلوني مشهور ، وأصله من فرسان النبلاء في برشلونة في الدفاع عن دولة المرابطين امام الموحدين ، وقتل عند تلمسان قبل مقتل تاشفين بن علي بن يوسف بقليل في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ ــ ١١٤٥ م ، ومات معه نفر آخر من الجند الرومي منهم (شوين) و (غشتون) و (بطريان) . وكان للربرتير ولد اسلم وسمي (عليا) وكان من بواسل جنود الموحدين فيما بعد[١٦٦] . ونستدل من كل هذا ، الحملات البحرية الجهادية للاسطول المرابطي بقيادة محمد بن ميمون على سواحل مملكة برشلونة ويعني ان القوات المرابطية هاجمت هذه المملكة برا وبحرا .

واصلت مملكة برشلونة توسعها على حساب اراضي الثغر الاعلى منذ عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م حيث سيطرت على مدينة طركونة في عهد (رامون برنجير الثاني) ، وفق حملة صليبية باركها البابا اوربان الثاني[١٦٧] ، وواصل الملك (رامون برنجير الثالث) هذا التوسع ، وقد حاولت القوات المرابطية

١٦٣ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧٦ .

١٦٤ــ البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص٩٤ .

١٦٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٩٣ .

١٦٦ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٩٦ (ح١) ــ ابن الابار : الحلة السيراء جـ٢ ، ص١٩٣ (ح٢) .

١٦٧ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٦ .

عدة مرات استرجاع ثغر طركونة وبرشلونة فلم تفلح • وفي عام ٥١٤هـ/١١٢٠م استولى (رامون برنجير الثالث) على قلعة الحمير من اعمال لاردة منتزعا اياها من امراء بني هود[١٦٨] (عماد الدولة بن هود ٥٠٣ ــ ٥٢٤ هـ) •

بعد سقوط المرية بيد الاسبان عام ٥٤٢ هـ ، شجعهم الامر على غزو ثغر طرطوشة ، الذي كان له من اهمية قصوى عند الاسبان باعتبـاره أعظم ثغـور الشمال الشرقي ، وانه واقـع على حـدود مملكـة برشلونـة ، ثم انه كان مأوى المسلمين المجاهدين الذين كثيرا ما كانوا يرابطون في هذا الثغر ، ويكررون هجماتهم على مملكة برشلونة ومملكة أرغون وشواطىء فرنسة • حتى اعتقدت الممالك الاسبانية ان المسلمين بطرطوشة ربما يستطيعون اسقاط مملكة برشلونة ، ومملكة ارغون اللتين قامتا على انقاض مملكة سرقسطة المسلمة ، بل ربما يستطيعون ان يرجعوا سرقسطة الى عهدها الاسلامي[١٦٩] ، لهذا انتهز الاسبان فرصة صداقتهم للامير محمد بن سعيد بن مردنيش ، حاكم شرقي الاندلس وزعيم الثورة فيها ضد المرابطين ، فهاجموا مدينة طرطوشة بزعامـة ملك برشلونـة (رامـون برنجـير الرابـع) في عـام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م[١٧٠] ، تسانده فرسان الهيكل وغيرهـم من جيوش ارغون وبيـزة وجنوة[١٧١] ، وبارك البابا (اوجين الثالـث) هـذه الحملـة[١٧٢] • وصمدت المدينة مدة اربعين يوما منتظرة الامداد من بلنسية ، ولكـن دون جـدوى ، فسقطت بيد الجيوش في ١٦ شوال من عام ٥٤٣ هـ[١٧٣] •

١٦٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص١٢٢ (ح٦) •

١٦٩ــ علام : الدولة الموحدية بالمغرب ، ص١٧٦ •

١٧٠ــ ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص٦٤ •

١٧١ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٠ (ح) ــ ابن الخطيب : الاحاطة جـ٢ ، ص١٢٦ •

١٧٢ــ علام : الدولة الموحدية بالمغرب ، ص١٧٧ •

١٧٣ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٤١ •

٤ ـ جهاد المرابطين لملكة ارغون والنافار ٤٨٣ ـ ٥٤٢هـ :

واشهر ملوك هذه المملكة الاسبانية :

أ ـ النافار :

فقد النافار استقلالهم منذ عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م عندما سيطر سانشو راميرث ملك أرغون على بلادهم[١٧٤]. الا انه بعد وفاة الفونسو الاول المحارب (٤٩٩ ـ ٥٢٩ هـ) لم يرض النافار بحكم اخيه (دون راميرو الراهب) ، فاعلنوا انفصالهم ، وانتخبوا (غرسيه راميرث) ملكا لهم ٥٢٩ ـ ٥٤٥ هـ .

ب ـ أرغـون :

١ ـ بيدرو الاول : ٤٨٩ ـ ٥٩٩ هـ / ١٠٩٦ ـ ١١٠٥ م

٢ ـ الفونسو الاول المحارب : ٤٩٩ ـ ٥٢٩ هـ / ١١٠٥ ـ ١١٣٤ م

مات الفونسو الاول المحارب دون وريث ، فانتخب المؤتمر النيابي الذي عقد في منتشون أخا الملك (دون راميرو الراهب ٥٢٩ هـ ـ ٥٣٢ هـ / ١١٣٤ ـ ١١٣٧ م) حيث تنازل عن عرش أرغون الى ملك برشلونة (رامون برنجير الرابع) بعد عقد قران ابنته (بترويلا) لامير برشلونة هذا ، وعاد راميرو الى الرهبنة مرة اخرى الى ان مات عام ٥٤٩/١١٥٤ م ، ولقب امير برشلونة بعد ذلك (كونت برشلونة وامير أرغون) .

وعندما سيطر القمبيطور على مدينة بلنسية ، فرض ملك أرغون بيدرو الاول سيطرته على حصـن (مطرنيس Montornes) الواقع بين برشلونة وطرطوشة ، الا ان القوات المرابطية بعد ان دخلـت بلنسية عـام ٤٩٥ هـ ، استعادت هذا الحصن ايضا[١٧٥] .

تزوج الفونسو الاول المحارب عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م من أوراكة ابنـة الفونسو السادس وكان الغرض من هذا الـزواج توحيد الممالك الاسبانيـة

١٧٤ـ عنان : دول الطوائف ، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

١٧٥ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٢٤ (ح٢) .

في مملكــة واحــدة ، غــير ان هذا الزواج لم يــدم حيث تــم الاتفــاق على ان يكون الفونسو الاول المحارب ملكا على ارغون وقشتالة ، وتكون أوراكة ملكة على ليون وجليقية • وعندما ماتت اوراكة خلفها ابنها الفونسو السابع (السليطين) ٥٢٠ ــ ٥٥٢ هـ وسميت على عهده مملكة ليون وجليقية بالدولة البرغونية[١٧٦] ، واتخذ لقب الامبراطور عام ٥٢٩هـ/١١٣٥م[١٧٧]، ويبدو ذلك بعد وفاة الفونسو الاول المحارب •

بسط الفونسو السابــع نفوذه على بقيــة الممالك الاسبانية المجــاورة لقشتالة ، حيث اعترف ملك أرغون (الراهب راميرو) بانه يحكم ارغون في ظل قشتالة ، واعلن نفس الاعتراف ملك النافار (غرسيــة راميرث)[١٧٨] ، كمــا اعلن رامون برنجير الرابع ، صهر الفونسو السابع ، وملك برشلونة ولائه لملك الدولة البرغونية[١٧٩] •

ويخبرنا ابن عذاري ، ان الفونسو الاول المحارب ســار الى سرقسطــة عندما دخلها المرابطون ، حتى كان منها على بعد فرسخين ، فجهز محمد بن الحاج الجيوش لملاقاة ملك الاسبان ، الا ان اكثر افراد هذا الجيش تسلل راجعا الى المدينة ، وظهر الاضطراب فيه ، فانتهز الفونسو المحارب ملك ارغون هذه الفرصة ، وقسم جيشه الى فرقتين وبدأ بمهاجمة المرابطين ، فصدمت الاولى محمد بن الحاج ، وصدمت الثانية ابنه (ابا يحيى) الذي استشهد بسبب ذلك ، وكانت هذه الواقعة عشية يوم الاحد منتصف شهر ذي الحجــة عام ٥٠٣ هـ[١٨٠] •

١٧٦ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٥٠ ، (ح) •
١٧٧ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ٤٩٦ •
١٧٨ــ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٧٦ (الطبعة الثانية) •
١٧٩ــ جاء هذا الاسم من رويموند البرجوني زوج أوراكــة ابنــة الفونســو السادس ، ووالد الفونسو السابع هذا (الفونسو ريمونديس) •
١٨٠ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٤ •

ازاء هذا الوضع سارع الامير ابو عبدالله محمد بن عائشة من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة ، وكان ذلك في عام ٥٠٤ هـ[١٨١] ، وقد انتهت هذه العملية بانقاذ سرقسطة من خطر الفونسو الاول المحارب ملك ارغون وعودته الى بلاده[١٨٢] .

كان علي والي سرقسطة المرابطي (محمد بن الحاج) ان يصمـد امام هجمات الاسبان المحيطين بمنطقة الثغر الاعلى ، وتحرشات امراء بني هود المخلوعين . ففي عام ٥٠٤هـ/١١١١م زحف الفونسو المحارب ملك ارغون نحو سرقسطة ومعه عمادة الدولة عبدالملك بن المستعين حتى أصبح قريبا منها ، فخرج محمد بن الحاج في قواته لصد الهجوم الاسباني ، يسانده محمد بن عائشة قائد جند المرابطين في مرسية ، والموجود قرب سرقسطة ، فلما رأى ملك الاسبان تفوق المرابطين رجع الى بلاده وطاردته الجيوش المرابطية داخل اراضيه ، وعرجت فرقة مرابطية بقيادة (علي بن كنفاط اللمتونـي) صـوب مدينة قلعة ايوب ، وحاصرت بعض حصون عبدالملك بن هود ، الذي استغاث بحليفه ملك أرغون ، الذي انجده بجيش من الاسبان ، استطاع هزيمة الجيش المرابطي وأسر قائده ، وبقى (علي بن كنفاط) في اسر عبدالملك بن هود فترة من الزمن ثم أطلق سراحـه[١٨٣] .

تولى الامير (ابو بكر بن ابى يحيى ابراهيم) أمر سرقسطـة (٥٠٩ ـ ٥١٠ هـ) فاسرف في ترفه وملذاته على الرغم من اخطار الاسبان المحيطين بالثغر الاعلى[١٨٤] حيث كان الفونسو الاول المحارب ملك ارغون يرهق هذا

١٨١ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٨ .

١٨٢ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ١٠١ ـ ١٠٢ (ح) ـ ميراندا : علي بن يوسف ، ص٨٧ ، ٩٤ .

١٨٣ـ ابـن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٥ ـ عنان : عصر المرابطـين والموحدين ، ص٧٤ .

١٨٤ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص٤١٢ ـ ٤١٧ .

الامير بغزواته المتكررة على منطقة الثغر الاعلى(١٨٥) . ومما تسجل له الرواية الاسلامية حملته المشهورة في عام ٥١٠ هـ حيث قاد الجيوش المرابطية الى حصن روطة وبالغ في حصاره ، ثم واصل سيره الى مدينة برجة وبها عماد الدولة أبن هود ، فضيق على المدينة حتى صالحه اهلها ، ثم رجع الى سرقسطة(١٨٦) .

بعد وفاة الامير ابو بكر ، سار والي مرسية (الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين) الى سرقسطة ، فبعد ان نظم امورها رجع الى مقر ولايته في مرسية(١٨٧) .

ومما يلفت النظر ، انه خلال الفترة (٥١٠ ــ ٥١١ هـ) لم يعين واليا على سرقسطة ، على الرغم من شدة الخطر الاسباني المحيط بها ، بل كان والي مرسية ينظم امورها ، وبقى حال سرقسطة المضطرب على هذه الشاكلة حتى اواخر عام ٥١١ هـ حيث ندب (عبدالله بن مزدلى) والى غرناطة ، ليكون واليا لبلنسية وسرقسطة ، وزوده علي بن يوسف بقوات مرابطية كبيرة(١٨٨) .

تولى عبدالله بن مزدلي امر سرقسطة (٥١١ــ ٥١٢هـ) وقد قضى هذه المدة يدافع هجمات الفونسو المحارب ملك ارغون الذي أذاق أهل سرقسطة البلاء الشديد(١٨٩) ، ففي الوقت الذي انتزع فيه الفونسو المحارب مدينة تطيلة عام ٥١١ هـ / ١١١٧ وصل في اوائل عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م الى منطقة (موريلا) القريبة منها(١٩٠) .

١٨٥ــ ايضا ، جـ١، ص٤١٦ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨٩ .

١٨٦ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٣ .

١٨٧ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨٩ .

١٨٨ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٥ ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٤ .

١٨٩ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٤ .

١٩٠ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٩٠ .

احتلال سرقسطة :

بلغ الحقد الصليبي الذروة خلال هذه الفترة ، حيث سقطت مدينة بيت المقدس بيد الصليبيين عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ، وازدادت الروح الصليبية اضطراما في فرنسة واسبانيا ، ففي عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م عبرت حملة كبيرة من الفرنجة الى اسبانيا بقيادة (جاستون ذي بيارن) واخيه (سانتولو) ، وكانا قد اشتركا بالمشرق في الحملة الصليبية الاولى ، لتشترك مع جند أرغون في افتتاح قواعد الثغر الاعلى[١٩١] .

وفي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م عقد بمدينة (تولوشة) مؤتمر من اساقفة (أرل) و (اوش) و (لاسكار) و (بنبلونة) وغيرها ، وتقرر فيه ارسال حملة صليبية اخرى الى اسبانيا يقودها الكونت (دي تولوز) ، وحشدت فوق ذلك قوات اسبانية من النافار وقطلونية ، ومن (أورقلة) تحت امرة حكام هذه المناطق ، وكان بين المقاتلين كثير من الاساقفة ورجال الدين ، وقد اشارت المصادر الاسلامية الى ضخامة هذه الحملة ، والتي قدرت بـ (خمسة آلاف فارس) ، ووصفت بانها كانت امما كالنمل والجراد[١٩٢] .

شرع الجيش المشترك بمحاصرة مدينة سرقسطة وصنع ابراجا من خشب تجري على بكرات ونصب عليها عشرين منجنيقا[١٩٣] ، وذلك في مستهل شهر صفر عام ٥١٢هـ/٢٢ مايس ١١١٨م[١٩٤] .

استمر الحصار لمدينة سرقسطة سبعة شهور ، من شهر صفر الى شهر رمضان من عام ٥١٢ هـ[١٩٥] .

١٩١- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٩٠ .

١٩٢- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ - الحميري : الروض المعطار ، ص٩٨ - مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٥ .

١٩٣- السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ، ص٦٠ .

١٩٤- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٨ .

١٩٥- الحميري : الروض المعطار ، ص٩٧ - ٩٨ : يجعل المدة ٩ شهور .

كان عبدالله بن مزدلي والي سرقسطة ، وقت نزول الاسبان على سرقسطة ، في جهة جيان لحمايتها من عدوان اسبان طليطلة ، فلما سمع بالخطر الجديد رجع مسرعا الى سرقسطة ، ولحق به امداد عسكري من قرطبة بقيادة (ابو يحيى بن تاشفين) حاكمها ، فسارا معا الى طرسونة ، وانقذاها من غارات الاسبان ، سار الى مدينة تطيلة والاردة وحارب الاسبان هناك ، ثم عاد مسرعا الى مدينة سرقسطة فدخلها في اوائل جمادى الاخرة عام ٥١٢ هـ[١٩٦] . ومما زاد في اضطراب الامور وفاة والي سرقسطة عبدالله بن مزدلي في اوائل جمادى الاخرة ٥١٢ هـ / أيلول ١١١٨ م ، والظاهر انه لم يخلف في الرئاسة أحدا من اهل المدينة ، فلما علم ملك ارغون بهذا الخبر جدد حصاره لمدينة سرقسطة ، فعهد علي بن يوسف مهمة الدفاع عن سرقسطة الى اخيه الامير تميم ، والي شرقي الاندلس ، كما امر ولاة الاندلس المرابطين بمساعدة اخيه في هذه المهمة[١٩٧] .

اشتد الحصار على مدينة سرقسطة ، وقامت معارك عنيفة بين الاسبان والمسلمين ، وقد أحرق المسلمون قنطرة سرقسطة حتى يمنعوا عبور الجيش الاسباني عليها . وكان الجيش الاسباني في هذه الفترة يعاني من نقص في المؤون منذ مقدم فصل الخريف ، حتى لقد فكر قادة الجيش الاسباني في رفع الحصار ، لولا ان شجعهم اسقف مدينة وشقة وزملاؤه ، ووضعوا تحت تصرفهم ذخائر الكنائس يشترون بها الاقوات .[١٩٨] وفي الوقت نفسه كان اهل سرقسطة يعانون من نقص في المؤن والاقوات ، لان سكانها لم يستطيعوا جني محاصيلهم بسبب تواجد الاسبان في احواز المدينة ، واضافة

١٩٦ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٩٣ ـ ٩٤ ـ نقلا عن البيان المغرب (اوراق مخطوطة في مكتبة جامع القرويين بفاس) .

١٩٧ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

١٩٨ـ مجلة الاندلس ، (عام ١٩٤٨) ، ص٨٠ .

الى عدم وصول الامدادات اليهم من مسلمي الاندلس ، لاحكام الاعداء الحصار[١٩٩] .

في الوقت الذي أمر علي بن يوسف الجيوش المرابطية بالسير صوب الثغر الاعلى لانقاذ سرقسطة من الخطر الاسباني تحت امرة اخيه الامير تميم ، استنجد مسلمو سرقسطة بالمرابطين من اجل انقاذهم من الخطر . وتتفق الروايات ان وجود الجيش المرابطي في احواز سرقسطة كان في شهر شعبان من عام ٥١٢هـ[٢٠٠] وقد جاء هذا الاستنجاد على شكل رسالة بعث بها اهل سرقسطة الى الامير تميم ومؤرخه في يوم الثلاثاء ١٧ شعبان ٥١٢هـ، اي بعد ستة اشهر ونصف من بدء الحصار وقبيل تسليم المدينة بثمانية عشر يوما فقط ، يتضرعون فيها الى الامير بان يسرع في انقاذ المدينة[٢٠١] وتشير الرسالة الى مقدم الامير تميم بجيوشه ، وتلومه على احجامه من لقاء الاسبان[٢٠٢] ، ثم تشير الرسالة الى اهمية سرقسطة الدفاعية ، وأنها ان سقطت بأيدي الاعداء ضاعت الاندلس ، ويتوجه اهل سرقسطة في ختام رسالتهم بالتوسل الى الامير تميم ان يسرع الى بلدهم قبل وقوع الكارثة .

ويبدو لنا ، ان الامير تميم قاد جيشا مرابطيا الى سرقسطة لانقاذها ، ووصل الى حصن (سانتا ماريا) الواقع على بعد ثمانية عشر كيلو مترا عن المدينة[٢٠٣] ، الا ان الامير تميم لم يحسن الدفاع عن المدينة[٢٠٤] .

١٩٩- ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٧ - ١١٨ - ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ .

٢٠٠- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٩٦ .

٢٠١- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٣٨ - ٥٤١ (باب الوثائق)

٢٠٢- ابن عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، جـ٥ ، ص٤٨٠ .

٢٠٣- مجلة الاندلس ، ٩١٤٨ ، ص٨٠ وبعدها .

٢٠٤- الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٢٨ .

لا أشارك عنان الى ماذهب اليه ، من ان الامير تميم تقاعس عن انقاذ سرقسطة بسبب عدم ولاء هذه المدينة للمرابطين[٢٠٥] ، لكن الـذي يبـدو تقديره لظروف المعركة ، التي ربما تكون غير مأمونة الجانب ، وربما ايضا كان ينتظر الامداد المرابطي الذي تحرك من عدوة المغرب الى الاندلس لايقاف هجمات الاسبان ، وبالذات عن سرقسطة ، ومن ثم القيام بعمل عسكري مشترك لانقاذ المدينة . وبالفعل وصل هذا الجيش الى الاندلس وقوامه عشرة آلاف فارس لاستنقاذ سرقسطة ، ولكن بعد فوات الاوان[٢٠٦] .

بقيت سرقسطة وحدها تعاني اهوال الحصار ، بعد رجوع الامير تميم الى بلنسية[٢٠٧] ، وبعد ان يأس اهلها من اجابة صريخهم ، وتلقى الانجاد من اي مكان ، خاطبوا الفونسو الاول المحارب ملك ارغون ان يمنحهم هـدنة مؤقتة (لم تذكر لنا الروايات مدتها) ، فأذا لم يأتهم الانجاد المنشودة تسلم اليه المدينة ، وتعاهدوا على ذلك[٢٠٨] ، ثم مضى هذا الاجل دون تلقي اهل سرقسطة اية معونة ، فاضطرت الى التسليم[٢٠٩] .

وجاء شروط التسليم ، ان يسلم اهل سرقسطة المدينة الى الفونسو المحارب ملك أرغون ، وهم بعد ذلك أحرار في الاقامة بالبلد فيدفعوا الجزية، او الرحيل عنها الى بلاد الاسلام ، وعلى ان يسكن الاسبان المدينة ، والمسلمون ربض الدباغين ، وان كل اسير يفلت من الاسبان ويلتحق بديار الاسلام فهو حر ولا سلطان لمالكه عليه[٢١٠] .

٢٠٥ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٠ .

٢٠٦ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ ـ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٥ .

٢٠٧ـ ايضا ، ص١٠٦ ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢، ص٦٠ .

٢٠٨ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٠ .

٢٠٩ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ ـ السلاوي : الاستقصا، جـ٢، ص٦٠ .

٢١٠ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٨ .

كان ربض الدباغين من احياء سرقسطة المتطرفة ، ويقع على ضفة نهر الابرو اليمنى ، وكانت سياسة الملوك الاسبان ، فيما يتعلق بمن بقي من السكان المسلمين في المدن المسيطر عليها ، هو ان يسمح لهم بالبقاء في منازلهم داخل المدينة لمدة سنة أو نحوها ، ثم يلزمون بعد ذلك بالانتقال الى الارباض، كما حصل في شروطهم تسليم سرقسطة ، وكذلك في عهود تطيلة وطرطوشة وغيرهما من قواعد الثغر الاعلى[٢١١] .

في يوم الاربعاء الثالث او الرابع من رمضان عام ٥١٢هـ/١٨ كانون الاول ١١١٨م دخل الفونسو المحارب وحلفاؤه المدينة[٢١٢] ، وسمح لاهلها المسلمين لفترة قصيرة باستبقاء قاضيهم (ابن حفصيل) ، وبالاحتكام الى شريعتهم[٢١٣]، ولكن في ٦ كانون الثاني ١١١٩م/نهاية رمضان ٥١٢هـ، حول الفونسو المحارب مسجد سرقسطة الجامع الى كنيسة وسلمه الى الرهبان (البرنارديين) وسميت بـ(كنيسة لاسيو Laseo)[٢١٤] ، وفي رواية ان مسجد سرقسطة الجامع لم يحول الى كنيسة الا بعد ذلك بثلاثة اعوام اي في تشرين الاول ١١٢١م/٥١٥هـ وسميت باسم (سان سالبادور)[٢١٥] ، وجعلت سرقسطة عاصمة مملكة أرغون الاسبانية ، وجعلت مركز اسقفية وعين الكونت (جاستون دي بيارن) سيدا للمدينة في ظل الفونسو المحارب ، وكوفيء سائر الفرسان الذين عاونوا الفونسو المحارب في هذه الحملة[٢١٦] .

٢١١- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٠ .

٢١٢- راجع : ابن الابار : التكملة ، جـ١، ص٢٠٠ و٣٠١ - ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٨ - القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، ص٥٤٣ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ١، ص٢١١ .

٢١٣- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠١ .

٢١٤- ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٢، ص١٢٧ .

٢١٥- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠١ .

٢١٦- التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي ، ص٣٢٦ - أشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٥ .

ويصف لنا ابن الكردبوس رحيل اهل سرقسطة المسلمين بعد استقرار الفونسو المحارب فيها ، وجعل عددهم خمسين الف نسمة ، ووجه معهم ملك الاسبان بعض رجاله حتى اوصلوهم الى اخر احواز سرقسطة ، بعد ان فرض ضريبة مثقال على كل رجل وامرأة وطفل(٢١٧) .

بعد سقوط سرقسطة بيد الفونسو الاول المحارب ، رأى ان أول عمل يجب ان يقوم به هو اقامة وحدة دينية تتولى اجلاء المسلمين من الاندلس ، فأنشأت الكنيسة فرقة (فرسان الداوية) الذي كان هدفهم مكافحة الاسلام، وان يحموا كل الحصون التي يسترجعها الاسبان من المسلمين ، ومن اشهر فرق فرسان الداوية ، فرسان القنطرة وفرسان قلعة رباح وفرسان القديس يوسف وغيرهم(٢١٨) .

مما ساعد الفونسو المحارب على اسقاط سرقسطة عام ٥١٢هـ، هو استيلاؤه على مدينة تطيلة عام ٥١١هـ/١١١٧م ، وبذلك انهار الخط الدفاعي لمدينة سرقسطة(٢١٩) . وبسقوط سرقسطة اصبحت قواعد الثغر الاعلى الاخرى مهددة امام زحف الفونسو المحارب الذي سيطر على مدينة روطة المنيعة في عام ٥١٣هـ/١١١٨م مباشرة بعد سقوط سرقسطة(٢٢٠) . وبسقوط روطة انهارت امارة بني هود ، حيث وضع عماد الدولة عبدالملك بن المستعين (٥٠٣ — ٥٢٤هـ) نفسه تحت حماية الفونسو المحارب ، ثم أصبح ابنه احمد بن عبدالملك (٥٢٤ — ٥٣٤هـ) من انصار الفونسو السابع ملك قشتالة ، وهو الذي استنزله من روطة وعوضه باقطاع في نواحي طليطلة(٢٢١) .

٢١٧— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٩ .

٢١٨— التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي ، ص٦٠٥ — ٦٠٦

٢١٩— عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢٠ .

٢٢٠— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٤٦ (ح٢) — ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٩ (ح٣) .

٢٢١— ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢٠٠ — ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٥٠ (ح١) .

وفي عام ٥١٣هـ/١١٢٠م سيطر الفونسو المحارب على مدينة طرسونة واعاد بها مركز الاسقفية القديمة[٢٢٢] ، ثم سار الى برجة واستولى عليها ، كما افتتح عدة حصون اخرى مثل (ألاجون ومالن ومجايون وأبيلا وغيرها) ، كما فرض سيطرته على مدينة قلعة أيوب وكانت من أمنع ما تبقى من معاقل الثغر الاعلى[٢٢٣] .

معـركة قتنـدة ٥١٤هـ :

كانت انباء سيطرة الفونسو الاول المحارب على قواعد الثغر الاعلى ، والمحن التي نزلت بأهله تتوالى الى أسماع علي بن يوسف ، فاهتم بهذا الامر وكتب الى اخيه (ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف) والي اشبيلية ، بتجهيـز الجيوش ، والمبادرة الى السير لقتال ملك أرغون ووضع حد لعدوانه ، وكتب في الوقت نفسه الى القادة بالاندلس ان ينهضوا بقواتهم مع اخيه ، وان يكونوا تحت امرته .

حشد الامير ابراهيم قواته، ووافته قوات قرطبة بقيادة واليها (ابـن زيادة) وقوات غرناطة بقيادة واليها (الامير بن تينغمر المتوني) ، وقـوات مرسية بقيادة (ابو يعقوب ينتان بن علي) ، وجماعة من الرؤساء وعدد كبير من المتطوعة[٢٢٤] .

سار الامير ابراهيم بهذه القوات صوب الشمال ، وكان الفونسو المحارب قد انتهى من السيطرة على قلعة أيوب ، وسار الى منطقة قتندة[٢٢٥] ، في حيز دروقة من عمل سرقسطة[٢٢٦] .

٢٢٢ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٥ .

٢٢٣ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس، ص١٠٦ ـ ارسلان : الحلل السندسية، جـ١، ص١٠٥ .

٢٢٤ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٣ .

٢٢٥ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٥٨٦ .

٢٢٦ـ ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢، ص١١٨ (ح٢) ـ اشبـاخ : تاريـخ الاندلس ، ص١٤٥ .

وقد اخبرنا ابن الاثير ، ان علياً بن يوسف كان في قرطبة لما أرسل هذه القـــوات الـــى الثغـــر الاعلـــى[٢٢٧] ، واشـــار الـــى ذلـــك مؤنس[٢٢٨] ويعني هذا ان علي بن يوسف عبر الى الاندلس عـــام ٥١٣هـ أو عام ٥١٤هـ .ولكن الذي يبدو لنا ان علي بن يوسف لم يعبر الى الاندلس الا في عام ٥١٥هـ لتأديب اهل قرطبة وهو الجواز الرابع والاخير[٢٢٩] .

ولما علم الفونسو المحارب بمسير القوات المرابطية هذه ، جمـــع قواته وسار الى منطقة قتندة ، وكان اللقاء بين الطرفين في يوم الخميس ٢٤ ربيع الاول عام ٥١٤هـ/أواخر حزيران ١١٢٠م[٢٣٠]، فانهزمت القوات المرابطية[٢٣١]، واستشهد من المسلمين الآلاف ومن بينهم العديد من الفقهاء والعلماء منهـــم القاضي (ابو علي الصدفي ٤٥٢ ــ ٥١٤هـ وهو حسين بن محمد بن فيره بـــن حيون ويعرف بابن سكرة الصدفي) وهو من أهل سرقسطة وسكن المرية[٢٣٢]، والقاضي (ابو عبدالله محمد بن يحيى بن عبدالله بن زكريا المعروف بابـــن الغراء)[٢٣٣] وهو قاضي المرية .

وقد زودتنا المصادر الاسلامية بمعلومات وافية عن مسير القاضي الصدفي الى معركة قتندة ، وكيف يمارس التدريس في كل الاماكن التي مر بها[٢٣٤]،

٢٢٧ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠، ص٥٨٦ .

٢٢٨ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٥ .

٢٢٩ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧٠ .

٢٣٠ــ ابن الابار : المعجم ، ص٧ (رقم٣) ــ الحجي : التاريـــخ الاندلســـي ، ص٤٢٩ .

٢٣١ــ ابن عبدالملك المراكشي : الذيل والتكملة ، جـ٦ ، ص٢١٩ (رقم : ٦٤٠) ــ المقري : نفح الطيب ، جـ٤، ص٤٦٠ ــ ٤٦١ .

٢٣٢ــ ابن بشكوال : الصلة، ص١٤٤ (رقم ٣٣٠) ــ ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص١١٨ .

٢٣٣ــ ابن الابار : المعجم ، ص٤ (رقم٣) ــ المقري : ازهار الرياض ، جـ٣، ص١٥٣ ــ ١٥٤ .

٢٣٤ــ ابن الابار : المعجم ، ص : ١١٦ ، ١٧٢، ١٩٦ ــ ١٩٧ ــ المقري : نفح الطيب، جـ٢ ، ص٢٢١ .

حيث مارس الجهاد العلمي قبل ممارسة الجهاد الحربي الذي استشهد فيــه (٢٣٥) .

ارتد الامير ابراهيم بن يوسف والبقية الباقية من جيشه الى بلنسية ، وكانت نكبة جديدة ساحقة للاندلس ولهيبة المرابطين العسكرية ، وعلى اثــر الموقعة استولى الفونسو الاول المحارب على قلعة دروقة ، وانشأ على مقربة منها قلعة حصينة باسم (مونريال) لتكون حاجزا لصد الجيوش الاسلامية التي تنساب من بلنسية ومرسية ، ولتكون هذه القلعة في نفس الوقت منــــزلا لجمعية دينية من الفرسان ، اسست لحماية دياناته(٢٣٦) .

وفي اوائل عام ٥١٥هـ/١١٢١م عبر علي بن يوسف الى الاندلس للمرة الرابعة والاخيرة في جيش ضخم من القبائل البربرية ، وقد اختلفت الروايات في بواعث هذا العبور بهذا الشكل الضخم ، فمنها يذكر : ان علي بن يوسف لما بلغه توالى النكبات على جيوشه في الاندلس ، وخاصة في معركة قتندة ، عبر الى الاندلس لتدارك الموقف والعمل على توطيد سمعة الجيوش المرابطية ، ولكي يأخذ بثأر الهزيمة (٢٣٧) . اما الروايات الاخرى فتذكر بواعث العبور هو اخماد ثورة اهل قرطبة على الوالي (ابو يحيى بن روادة) ، كما ذكرت لنا أسباب هذه الثورة (٢٣٨) .

وبعد ان اجرى بعض التغييرات الادارية في الاندلــس (٢٣٩) ، عبــر

٢٣٥– الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٣١ .

٢٣٦– اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٥ – عنان : عصر المرابطين والموحدين، ص١٠٤ .

٢٣٧– ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٠٦ – مؤنس : الثغر الاعلــى ، ص١١٦ .

٢٣٨– راجع : ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧٠ – ٧١ – ابــن الاثــير : الكامل جـ١٠، ص٥٨٦ . عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨٢ .

٢٣٩– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٦ – ٦٧ .

مسرعا الى عدوة المغرب أذ وافته انباء مزعجة في مراكش عن قيام محمد بن تومرت المهدي ببلاد السوس واستفحال امره[240] .

حملة الفونسو الاول المحارب عام ٥١٩ ـ ٥٢٠هـ المدمرة :

لما سقطت سرقسطة في ايدي الاسبان ، وتوالت انتصارات الفونسو المحارب ، وتوالت نكبات المسلمين في الثغر الاعلى ، وظهر التخاذل على الجيوش المرابطية ، اخذت طوائف الاسبان المعاهدون في التحفز لاحراج مركز المسلمين في الاندلس وذلك بتحالفها مع الفونسو المحارب ملك أرغون، وامداده بالمساعدات لتحقيق الاهداف المشتركة[241] .

لاينكر ان الاسبان المعاهدين نعموا بحسن المعاملة وسياسة العدل والانصاف في المجتمع الاسلامي وفي ظل حكمه[242] ، ولكن دعوة المعاهدين للفونسو المحارب هذه ، لم تكن الا مؤامرة كبرى دبرها الاسبان لضرب الاندلس المسلمة في الصميم .

استدعى الاسبان المعاهدون في غرناطة ملك أرغون للاستيلاء على المدينة وهي قاعدة الحكم المرابطي في الاندلس ، وذلك للانتقام لما نزل بهم من صنوف الاضطهاد الديني ، كما يزعمون ، مدللين على ذلك ، هدم مسلمي غرناطة كنيسة خارج غرناطة عام ٤٩٢ هـ ، وبموافقة يوسف بن تاشفين[243] .

بعث المعاهدون الى ملك أرغون زماما يشتمل على اسماء انجاد مقاتليهم ، وتهيؤهم لمعاونته ،ورغبوه بغرناطة وما تشتمل عليه من

٢٤٠ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٦٤ ، ٤٧ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٨٥ .

٢٤١ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٦ .

٢٤٢ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٣٣ .

٢٤٣ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١، ص١١٤ .

المحاصيل الكثيرة والانهار والعيون الغزيرة ، وما تمتاز به من حسن الموقع وروعة العمارة ، وكونها عاصمة الاندلس[٢٤٤] .

خرج الفونسو الاول المحارب بجيوشه من سرقسطة في اول شعبان عام ٥١٩هـ/أيلول ١١٢٥م وكان معه الكونت (جاستون دي بيارن) الذي اشترك في حملة سرقسطة ، وفي ركبه عدد من رجال الدين في مقدمتهم أسقفا سرقسطة ووشقة ، وقد تعاهدوا جميعا وتحالفوا بالانجيل على الا يفر احد منهم[٢٤٥] وهكذا طبعت هذه الحملة بالطابع الصليبي شأن سائر الغزوات والحملات الاسبانية ، منذ حصار سرقسطة . واتجه ملك أرغون شرقا حيث اخترق أراضي لاردة وافراغة ، وهو يعيث فيها فسادا ، ثم انحرف جنوبا ودخل اراضي بلنسية ، وهو يدمر ما وقع امامه ، فقاومه حامية بلنيسة المرابطية بقيادة (أبو محمد بدر بن ورقاء) ، وذلك في اواخر رمضان ، وكان من الصعب ان تجتمع القوات المرابطية للوقوف في وجهه ، لانه حرص على اخفاء وجهته الحقيقية ، ولبث طول الوقت متحركا في قواته[٢٤٦] .

وفي اثناء ذلك كانت جموع المعاهدين تهرع الى الانضمام اليه ، حتى اجتمعت له اعداد كبيرة ، وكانوا يدلونه على الطرق والمسالك ومواطن الضعف لدى المسلمين . ولما غادر بلنسية سار الى جزيرة شقر فقاتلها أياما ، ورحل بعد ذلك الى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر ، واستمر في سيره الى شاطبة وألش وأوريولة ، حتى وصل الى مرسية ، ثم اجتاز الى البيرة ، فالمنصورة، فبرشانة ، حيث توقف اياما ، ثم عرج الى وادي ناطلة ، ثم سار الى بسطة ، وحاول اقتحامها لسهولة موقعها وضعف تحصيناتها ، فغادرها الى وادي أش ونزل بقرية القصر القريبة منها ، واخذ ينازل منها وادي أش ويقاتلها اياما ،

٢٤٤- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٩ - ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص١٠٨ .

٢٤٥- أشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٤٨ .

٢٤٦- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٠٨ .

وذلك في اوائل شهر ذي القعدة ، واستمر في محاولته زهاء شهر ، فلم ينـل منها مأربا • ثم سار صوب غرناطة ، ولما اقترب منها تناجى المعاهدون فيهـا باستدعائه ، وهم أميرها باعتقالهم فلم يقدر على ذلك • وتسلل المعاهدون من كل صوب الى محلة الجيش الاسباني • وكان المشرف على شؤون الاندلس يومئذ الامير (ابو الطاهر تميم) وقاعدته غرناطة ، فحشد قواته ، وامده علي أبن يوسف بجيش كبير حينما سمع بأخبار حملة الفونسو المحارب وسيره الى الاندلس على وجه السرعة ،وتلاحقت به قوات مرسية واشبيلية ، واحاطت الجيوش المرابطية بمدينة غرناطة حتى صارت كالدائرة •

وتحرك الفونسو المحارب من وادي اش ونزل قرية (دجمة) غربي وادي اش ، فاشتد القلق بغرناطة ، وصلى الناس صلاة الخوف يوم عيد الاضحى واستعدوا بالسلاح • وفي ظهر اليوم التالي وصل جيش الاسبان الى مقربـة من شرقي المدينة ، ونشب القتال بينه وبين جيش المسلمين ، وتوقف القتال بضع عشرة ليلة بسبب الامطار والجليد ، والمعاهدون يمدون جيش ملك ارغـون بالمؤن • ثم غادر غرناطة لما لمسه من وفرة الجيوش المرابطية بها ، وذلك في ٢٦ ذي الحجة عام ٥١٩هـ ، ولام الفونسو المحارب المعاهدين وزعيمهم (ابـن القلاس) لتقاعسهم وعدم وفائهم بما التزموه ، فردوا اللوم اليه ،بتباطئه حتى تلاحقت الجيوش، وانهم قد اضحوا بذلك عرضة للهلاك على ايدي المسلمين •

سار ملك ارغون الى قرية مرسانة ، ثم الى (بيش) واتجه شمالا الـى قلعة (يحصب) ثم انحدر غربا الى قبرة واللسانة[٢٤٧] ، والجيوش الاسلامية تلاحقه وتصطدم معه في معارك صغيرة ، وكانت قوات اشبيلية قد تحركت عندئذ بقيادة واليها الامير (ابو بكر بن امير المسلمين) ، وانضمت الى باقي الجيوش المرابطية في مطاردة الاسبان • ثم اقام الفونسو المحـارب بقبـرة اياما ، وسار منها الى بلاى ، فاللسانة ، ثم انحدر جنوبا والمسلمون في اثـره

٢٤٧ـ راجع ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ١، ص٢١ ـ ٢٢ •

حتى قرية (شيجة) القريبة من غرناطة ، وهناك في فحص (الرنيسول) وقعت معركة بينه وبين المسلمين في منتصف شهر صفر عام ٥٢٠[٢٤٨] ، كان النصر في البداية للمسلمين ، ولكن في الغد وقعت الهزيمة بالمسلمين ، لخطأ عسكري وقع فيه الامير تميم •

سار ملك ارغون بعد ذلك في قواته نحو الجنوب الشرقي مخترقا جبال سيرا نفادا (جبل الثلج) ، وانحدر الى الشاطيء نحو وادي (شلوبانيه) العميق ويروى انه قال عند رؤيته : « اي قبر هذا لو ألفينا من يرد علينا التراب » ، ثم سار غربا نحو مدينة بلش مالقة وانشأ بها مركبا صغيرا صاد به حوتا ، أكل منه « كأنه نذر كان عليه وفى به ، او حديث اراد ان يخلد عنه »، ثم عبر جبل الثلج مرة اخرى عائدا الى غرناطة ، وعسكر بقرية (دلر) القريبة منها ، ثم انتقل الى قرية همدان الواقعة في جنوبها ، وهناك وقعت بينه وبين المسلمين معركة شديدة ، ثم انتقل بعد يومين الى (المرج Lavage)، وفرسان المسلمين في اثره تضيق عليه ، ثم نزل (بعين أطسة) والجيوش محدقة به ، وهو في نهاية من كمال التعبئة واخذ الحذر ، ثم سار الى (اللفوق) ومنها الى وادي أش ، وقد اصيب كثير من حاميته • وطوى المراحل الى الشرق فاجتاز الى مرسية ومنها الى جوف شاطبة ، والجيوش المرابطية تلاحقه حتى رجع الى بلاده ، بعد ان انفق في غزوته خمسة عشر شهرا (شعبان ٥١٩هـ/ رمضان ٥٢٠هـ) ، وهو مع ذلك يفخر بهذه الغزوة التي انتهك بها قواعد الاندلس الاسلامية الواقعة في الجنوب[٢٤٩] •

٢٤٨ـ النباهي : المرقبة العليا ، ص٩٩ ـ ميراندة : علي بن يوسف ، ص١٦٠ وبعدها ـ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، ٣٠ .

٢٤٩ـ راجع التفاصيل : ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٠٩ ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٢٤ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٩ ـ ٧٣ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ١ ، ص١٠٨ ـ ١١٤ ـ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٣٢ ـ ٤٣٦ .

لم يحقق ملك أرغون من جراء حملته هذه اية نتيجة عملية ، ولكنها مع ذلك كشفت عن ضعف نظم الدفاع في الاندلس ، وان خطط القيادة المرابطية منذ نكبة سرقسطة وقتندة لم تكن كفيلة بصد عدوان الممالك الاسبانية ، كما كشفت عن مبلغ خطر المعاهـدين الذيـن نعمـوا بالسلاح والامن في ظـل الحكومة الاسلامية بالاندلس(٢٥٠) .

على اثر هذه الغزوة ، عبر كبير الجماعة في قرطبة (القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد)(٢٥١) الى المغرب ، وقابل علي بن يوسف في مراكش وشرح له أحوال الاندلس ، وما اصابها من غزوة المحارب ، بسبب استدعاء المعاهدين له . وأفتى بتغريبهم واجلائهـم من اوطانهـم عقابـا لهـم علـى هذا التآمـر(٢٥٢) .

أخذ علي بن يوسف بهذه الفتوى ، وصدر عهده الى جميع بلاد الاندلس بتغريب النصارى المعاهدين الى عدوة المغرب ، فنفيت منهم جموع غفيرة في رمضان عام ٥٢١هـ وسيق الكثير منهم الى مكناسة ، وسلا وغيرها من بلاد العدوة ، وهلك منهم الكثير خلال العبور(٢٥٣) .

وقد ضم علي بن يوسف عددا منهم الى حرسه الخاص ، امتازوا فيما بعد بالاخلاص والشجاعة ، هذا مع العلم ان التغريب لم يكن شاملا ، فقـد بقيت في غرناطة وفي قرطبة وفي غيرهما من القواعد الاندلسية جماعات مـن المعاهدين ، نمت وتعددت مرة اخرى(٢٥٤) .

٢٥٠ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٣ .

٢٥١ـ ابن بشكوال : الصلة ، ق٢ ، ص٥٧٦ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص٢٧٨ ـ المقـري : ازهـار الريـاض ، ج٣ ، ص٥٩ ـ ابـن قنفـذ القسنطيني : كتاب الوفيات ، ص٢٧٠ ـ ٢٧١ .

٢٥٢ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ، ص٧٢ ـ ٧٣ .

٢٥٣ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج١ ص١١٤ ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٥٠ .

٢٥٤ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٤ .

وفي عام ٥٢٠هـ بنيت الاسوار حول مدينة مراكش بسبب ازدياد حركة محمد بن تومرت المهدي بالمغرب[٢٥٥] ، كما بنيت الاسوار حول الحواضر الاندلسية واصلح اسوار البعض الاخر وذلك لحماية سكانها من غزوات الاسبان[٢٥٦] .

تولى (ابو عمر ينالة اللمتوني)[٢٥٧] ولاية غرناطة ، واصلح أسوارها بأسرع وقت ممكن ، ويخبرنا ابن عذارى في حوادث عام ٥٢٠هـ عن معركة قامت بينه وبين الاسبان ، ولعلهم اسبـان أرغون ، وكانت الغلبة لقائـد المرابطـين[٢٥٨] .

بعد وفاة ابو طاهر تميم عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦ م شغر منصب قائد الجيوش المرابطية في الاندلس ومتولى شؤونها الى عام ٥٢٣هـ . وقد أصبح أولاد علي ابن يوسف واقربائه ولاة اشهر المدن الاندلسية . فالامير ابو بكر بن علي والي اشبيلية ، والامير ابو حفص عمر بن علي والي قرطبة ثم والي غرناطة ، والامير (ابو محمد بن ابي بكر بن سير اللمتوني وهو ابن اخت علي بـن يوسف) والملقب بابن قنونة باسم امه ، أشهر قواد المرابطين في شرقي الاندلس. كما كان الامير تاشفين بن علي يتردد الى الاندلس تباعا لتقوية الجبهة المرابطية فيها ، وغزو الاسبان في عقر دارهم حتى أصبح متولي شؤون الاندلس وقائد الجيوش المرابطية فيها في ٢٧ ذي الحجة عام ٥٢٣هـ، ويبدو ان هذا التعيين جاء عقب هزيمة المرابطين في معركة القلاعة في النصف الاول من عام ٥٢٣هـ ، كما سيأتي ذكرها .

٢٥٥ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٨٩ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٤ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٨٠ .

٢٥٦ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧٣ ـ ٧٤ .

٢٥٧ـ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١١ : يسميه يفالة .

٢٥٨ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧٧ .

ويخبرنا ابن عذاري عن حملة عسكرية قام بها الامير ابو بكر بن علي والي اشبيلية ، عام ٥٢٢هـ في شرقي الاندلس ، وحرر بعض الحصون التي سيطر عليها الاسبان عنوة ، ورجع غانما(٢٥٩) .

وما كاد الفونسو المحارب يعود من حملته الاندلسية ٥١٩ ــ ٥٢٠هـ حتى وجه انظاره لاحتلال منطقتي لاردة وافراغه وما وراءهما من المدن حتى مصب نهر الابرو ، وانتزاع ثغر طرطوشة . ففي عام ٥٢٣هـ/١١١٩م سار ملك ارغون بقواته صوب نهر (سنكا) في اتجاه افراغه ولاردة، ولكن لم يستطع مهاجمتها وذلك يعود الى قوة وكثرة الحاميات المرابطيـة في تلك القواعد، بالاضافة الى القوة المرابطية المتحركة ، والتي كانت تنساب بسرعة من شرقي الاندلس كلما هم الاسبان بالعدوان . فأراد الفونسو والمحارب ان يقضي على هذه القوة المتحركة حتى يتسنى له السيطرة بسهولة على منطقتي افراغه ولاردة ، فسار ، لتحقيق هذا الهدف ، بقواته صوب بلنسية ، فلما علم علي بن يوسف بانباء هذه الحملة الجديدة ، وخشي ان تكون كالحملة السابقة (٥١٩ ــ ٥٢٠هـ) ، امر في الحال بحشد قوات من السود تتكفل نفقاتها مختلف المدن ، كل حسب طاقتها ، ثم ارسلت هذا الحشود الى مرسية وواليها (بدر بن ورقا) تعزيزا للقوات المرابطية في شرقي الاندلس(٢٦٠) .

موقعـة القلاعـة :

وفي عام ٥٢٣هـ/١١٩٢م قامت معركة عنيفة بين قوات ملك ارغون الاسباني وقوات المرابطين بقيادة (ابن حجور) في موقع يعرف القليعـة أو القلاعة ، على مقربة من جزيرة شقر جنوبي بلنسيـة ، وقد منيت القـوات المرابطية بهزيمة فادحة ، وبلغت خسارتها نحو اثني عشر الفا بين قتيل واسير . وان الفونسو المحارب بعد ان احرز نصره هذا سار بقواته شمالا واقترب من

٢٥٩ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧٧ .

٢٦٠ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٧ .

مدينة بلنسية ورابط امامها اياما . ومن هناك خرجت قوة من الاسبان واغارت على (غليرة Cullera) الواقعة على البحر جنوبي بلنسية وعاثت فيها فسادا[٢٦١] . اما الرواية الاسبانية فتذكر : ان القلاعة (Alcolea هي بلدة صغيرة محصنة تقع على الضفة اليسرى لنهر سنكا ، على مقربة من افراغة ، ومعنى هذا ان المعركة بين الاسبان والمسلمين وقعت في منطقة الثغر الاعلى[٢٦٢] . ولكن نلاحظ ان الرواية الاسبانية تذكر ان الفونسو المحارب حاصر بلنسية في عام ٥٢٣هـ/أوائل ١١٢٩م ، وهذا ما يعزز قول الرواية الاسلامية ، التي حددت موقع القلاعة على مقربة من جزيرة شقر ، وانها وقعت في النصف الاول من عام ٥٢٣هـ ، اي قبل شهر شعبان ، وان المرابطين قد اصيبوا بهزيمة منكرة ، وكانوا بقيادة الامير (ابن قنونة) .

وهناك وثيقتان مرابطيتان تلقيان الضوء على هذه المعركة وهزيمة المرابطين فيها : فالوثيقة الاولى هي عبارة عن رسالة مؤرخة في ٧ شعبان عام ٥٢٣هـ ، كتبها علي بن يوسف الى الامير (ابن قنونة) من مراكش ، وذلك ردا على كتابه الذي ارسله الى أمير المسلمين ينبأه بخبر موقعة القلاعة . وقد كانت رسالة علي بن يوسف الى قائده ذات عبارات لاذعة يلومه فيها على التقصير والخذلان[٢٦٣] .

والوثيقة الثانية عبارة عن رسالة كتب بها ايضا امير المسلمين الى قادة الجيش المرابطي الذين هزموا في موقعة القلاعة ، مؤرخة في ١١ شعبان عام ٥٢٣هـ ردا على كتابهم في وصف المعركة ، ويلومهم على التقصير في هذه المعركة ، ووصفهم بابشع الاوصاف[٢٦٤] .

٢٦١ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٨٠ .
٢٦٢ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٨ .
٢٦٣ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٤١ ــ ٥٤٢ (باب الوثائق) .
٢٦٤ــ عنان عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٤١ ــ ٥٤٢ (باب الوثائق) .

عندما رابط الفونسو المحارب امام بلنسية ، وجه قاضي بلنسية (ابو الحسن) رسالة استغاثة الى علي بن يوسف ، فأجابه برسالة مؤرخة في ٧ شعبان عام ٥٢٣هـ ، وهو نفس تاريخ الرسالة التي بعث بها الى قائده (ابن قنونة) يطمئن بها أهل بلنسية ، ويؤكد لهم انه لن يتركهم للضياع ، وأنه قد كتب الى سائر ولاته بارسال الاقوات ، والاسراع بالانجاد ، وجاء فيها الدعاء لاهل بلنسية ان يشد الله أزرهم ويسد ثغرهم[٢٦٥] . والظاهر ان ملك ارغون لم يحاول مهاجمة بلنسية ذاتها ، بل اكتفى باعمال التخريب في أحوازها[٢٦٦] . ويبدو على اثر ذلك تعيين الامير تاشفين قائدا عاما للقوات المرابطية في الاندلس ، فاستلم مهام عمله ، في ٢٧ ذي الحجة عام ٥٢٣هـ ، فاهتم بتقوية الحصون ، واستكثر من الرماة ، وواصل مجاهدة الاسبان[٢٦٧] .

وفي عام ٥٢٤هـ / ١١٣٠م توفي (محمد بن يوسف بن يدر) والي بلنسية[٢٦٨] ، فتولى امرها (ينتان بن علي بن يوسف) وهو أصغر أولاده ، فخرج هذا الامير بقواته صوب مملكة ارغون ، فلقيه الاسبان بقيادة الكونت (جاستون دي بيارن) فانهزم الاسبان في المعركة ، وقتل جاستون ، وسيق رأسه الى غرناطة في شهر جمادي الاخرة وطيف بها على رمح[٢٦٩] ، ثم حملت الى أمير المسلمين بمراكش فطيف بها هناك أيضا[٢٧٠] ، وقد قيلت الأشعار بهذه المناسبة تمدح الامير تاشفين قائد القوات المرابطية في الاندلس :

بسعدك شبت في الاعادي لظى الحرب   فجاءك ماتهوى من الشرق والغرب
فقد انجز الرحمن بالنصر وعده   وسهل امرا كان في غاية الصعب

٢٦٥ـ عنان ، المرجع نفسه ، ص٥٤٣ .
٢٦٦ـ عنان ، المرجع نفسه ، ١٢٠ .
٢٦٧ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨٠ ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، ص٤٥٦ ـ ٤٥٧ .
٢٦٨ـ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص٨٢ .
٢٦٩ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨١ .
٢٧٠ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٨١ .

فخيلك قد ألفت بايلان بركها وامضت على غشون بالطعن والضرب
وجاءك منها رأس غشون مخبرا على جسد للرمح كفا على ...[271]

معركة افراغة عام ٥٢٨ هـ :

شغل الفونسو المحارب ملك أرغون والنافار ، عقب غزوته الكبرى (٥١٩ — ٥٢٠) بالحرب مع منافسه ملك قشتالة الفونسو السابع السليطين ولد زوجته اوراكة (الزواج من عام ٥٠٢هـ الى عام ٥٠٧هـ)[272] وقد انتهت هذه الحرب بعقد هدنة بين قشتالة وارغون عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م[273] . وفي الوقت نفسه ، سيطر الفونسو المحارب على مدينة (بيونة) الواقعة وراء البرت غربي فرنسة عام ٥٢٥هـ / ١١٣١م ، وذلك من اجل تقوية بعض اتباعه من الفرنج الذين تجاور أراضيهم بلاد النافار[274] .

بعد ذلك وجه نشاطه العدواني صوب مدن الثغر الاعلى ، وخاصة مدن لاردة وافرغة ومكناسة[257] وثغر طرطوشة . وكان ثغر طرطوشة هدف ملك أرغون لان الاستيلاء عليه يحقق له الاستيلاء على ما بقي من مجرى نهر الابرو ويضمن له سلامة الملاحة في هذا النهر ، ويصل مابين مملكته وبين البحر[276] .

أعد ملك ارغون حملة كبيرة واشترك فيها الكثير من الفرسان الفرنسيين، وكان هدفه الاستيلاء على لاردة وافراغة ومكناسة أولا ، ثم الاستيلاء على ثغر طرطوشة ثانيا . فبدأ زحفه على مدينة مكناسة وهاجمها بشدة ، فاضطرت

٢٧١— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨١ .
٢٧٢— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٩ (ح) .
٢٧٣— اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٦٠ — ١٦٢ .
٢٧٤— ايضا ، ص١٦٣ .
٢٧٥— مكناسة : احدى مدن اقليم الزيتون ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى قبيلة مكناسة البربرية . الزهري : كتاب الجغرافية ، ص٢٢٥ — ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص٣٢٢ .
٢٧٦— عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢١ .

الى التسليم بعد مقاومة عنيفة ، وذلك في أواخر عام ٥٢٧هـ/حزيران ١١٣٣م[٢٧٧] . وزحف بعد ذلك الى مدينتي افراغة ولاردة ، وبدأ بالزحف على مدينة افراغة ، ولم يكن الاستيلاء عليها بالامر السهل ، لموقعها الحصين ، ومن جهة اخرى ، فقد شعر المرابطون بعنف هجمات ملك ارغون ومدى عبثه في منطقة الثغر الاعلى وسائر الاندلس ، فقد رأوا من باب الحيطة والاستعداد، ان يعقدوا السلم مع ملك برشلونة (رامون برنجيز الثالث) وذلك خشية ان ينتهز الفرصة فيهاجم من جانبه فيضطر المرابطون الى القتال في جبهتين ، فاتفقوا على ان يؤدوا له جزية سنوية قدرها (١٢ ألف دينار)، فغضب لذلك ملك أرغون واقسم بانه سوف ينتزع تلك البلاد التي تؤدى عنها الجزية ،ويقطع بذلك منفعتها عن الطرفين المتخاصمين[٢٧٨] .

بعد سقوط مكناسة ، بادر المرابطون في الثغر الاعلى ، وفي وسط وشرقي الاندلس ، الى التأهب للدفاع عن افراغة ولاردة ، فهرع الزبير بن عمرو اللمتوني من قرطبة الى الثغر الاعلى في ألفي فارس ومعه مقادير وفيرة من المؤن ، وهرع اليه ايضا الامير ابو زكريا يحيى بن غانية والي بلنسية ومرسية[٢٧٩]، في قوة تقدرها الرواية بخمسمائة فارس ، وكذلك حشد عبدالله بن غياض والي لاردة قواته[٢٨٠] ، ولما نفدت موارد اهل افراغة بسبب شدة الحصار كتبوا الى يحيى بن غانية يطلبون النجدة قبل ان يخضعهم ملك أرغون ، فسارع اليهم مع بقية القادة قبل ان تدهمها الجيوش الاسبانية[٢٨١] .

٢٧٧ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢١ .

٢٧٨ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢٠٧ ، ٢١٨ ــ ٢٢٣ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢٢ . مع تحفظي حول هذه الرواية .

٢٧٩ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٠٥ ــ مؤنس : الثغر الاعلى، ص١١٩

٢٨٠ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١١ ، ص٣٣ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين، ص١٢٢ .

٢٨١ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٨ ــ ٢٢٣ .

شدد ملك ارغون الحصار حول مدينة افراغة ، فقاومته حاميتها واهلها بقيادة واليها (سعد بن محمد بن مردنيش) أشد مقاومة ، واضطر ان يرفع الحصار اكثر من مرة ثم يعود اليه • وازاء هذه المقاومة ضاعف الفونسو المحارب جهوده في التضييق على المدينة ، واقسم تحت اسوار المدينة ان يفتحها او يموت دونها ، واقسم معه عشرون من رجاله ، وامر الفونسو المحارب ان تأتي رفات القديسين الى المعسكر اذكاء لحماسة الجند ، وان يتولى الاساقفة والرهبان قيادة الصفوف اسوة بالكونتات قاد الجيش[٢٨٢] •

نشبت بين المرابطين وبين الاسبان تحت اسوار افراغه ، معركة من اعنف المعارك في منطقة الثغر الاعلى ، وقد قدرت الروايات الجيش الاسلامي بعشرة الاف فارس ، والجيش الاسباني بأثني عشر ألف فارس[٢٨٣] ، ووقع بين الفريقين قتال مروع ، وأبدى المسلمون بقيادة ابن غانية ضروبا رائعة من البطولة ، قابلهم الاسبان بنفس البطولة بقيادة ملك أرغون[٢٨٤] واثناء اشتداد المعركة خرج اهل افراغة فهاجموا المعسكر الاسباني من الخلف ، فاشتد الامر على الاسبان وكثر القتل فيهم وهلك الكثير من القادة واصيبوا بهزيمة منكرة لم يصبهم مثلها منذ موقعتي الزلاقة واقليش[٢٨٥] ، وغنم المسلمون عتادهم وسلاحهم وذلك في ٢٣ رمضان عام ٥٢٨هـ/١٧ تموز ١١٣٤م[٢٨٦] •

٢٨٢ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٦٤ ــ ١٦٥ ــ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٩ •

٢٨٣ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١١، ص١٣ ، ٣٤ ــ اشباخ : تاريخ الاندلس، ص١٦٥ •

٢٨٤ـ مؤنس : الثغر الاعلى ، ص١١٩ •

٢٨٥ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢٠٧ ، ٢١٨ ــ ٢٢٣ ــ الحميري : الروض المعطار ، ص٢٤ •

٢٨٦ـ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٠٥ (رقم ٢٠٥) ، ص٤١٩ (رقم ١٢٠٦) ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٤ ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١١ ص٣٤ •

وتذكر لنا الروايات ان الفونسو المحارب انهزم في المعركة ، ولجأ الى دير القديس (فوان دي لابنيا) في سرقسطة ، وهناك توفي غما لثمانية ايام فقط من المعركة ، وذلك في ٢٥ تموز عام ١١٣٤م[٢٨٧] ، وهذا ما اشارت اليه الرواية الاسلامية مع خلاف بسيط[٢٨٩] .

وقد كان لنصر المسلمين في افراغة صدى عميق في سائر ارجاء الاندلس، وفي اسبانيا بنوع خاص ، وعادت سمعة المرابطين العسكرية الى سابق مكانتها في الاندلس ، وذاع صيت يحيى بن غانية قائد المرابطين في ذلك اليوم المشهود[٢٨٩] .

ومن الجدير بالذكر ، ان المرابطين لم يستفيدوا من هذا النصر العسكري فيزحفوا الى سرقسطة ويعيدوها الى حظيرة الاسلام ، بالضبط كما حصل عقب النصر في الزلاقة حيث لم يزحفوا الى طليطلة ويعيدوها الى دولة الاسلام. ولا ينكر ان القوات المرابطية في هذه السنة (٥٢٨هـ) كانت من القوة بحيث انه في الوقت الذي اضطرمت فيه معركة افراغة ، كانت قوات مرابطية بقيادة الامير تاشفين تهاجم اراضي قشتالة « الا ان احجام المرابطين في السير نحو سرقسطة ، واستغلال نصر افراغة ، قد ارتكبوا خطأ عسكريا ، كما ارتكبوه من قبل في الزلاقة ، وكانت له في الحالتين نتائج بعيدة المدى »[٢٩٠] .

مات الفونسو المحارب عام ٥٢٨هـ[٢٩١]، وبذلك تخلصت الاندلس عامة ، والثغر الاعلى خاصة ، من غزواته المدمرة ، وقد كان هذا الملك من أشد ملوك الاسبان بأسا ، واكثرهم تجردا لحرب المسلمين[٢٩٢] ، وبذلك زال الخطر مدى حين عن الاندلس الاسلامية .

٢٨٧ـ اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص١٦٥ .
٢٨٨ـ ابن القطان : نظم الجمان، ص٢٢٣ ، الحميري : الروض المعطار، ص٢٥ .
٢٨٩ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٥ .
٢٩٠ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢٦ .
٢٩١ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩١ .
٢٩٢ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١١ ، ص١٣ .

وتخبرنا الرواية الاسلامية عن المهادنة التي تمت بين (أبى بكر يحيى بن علي بن غانية) عامل بلنسية ومرسية وبين ردمير الراهب ملك ارغون الجديد من عام ٥٢٨هـ والى عام ٥٣٠هـ[٢٩٣] ، الا أن هذه المهادنة قد انتهت بمهاجمة يحيى بن غانية مدينة مكناسة والتي دخلت ضمن املاك ارغون منذ عام ٥٢٧هـ ، فافتتح الكثير من الحصون المجاورة لها[٢٩٤] .

الحقيقة لاتعرفه بواعث هذه المهادنة ، علما بان القوات المرابطية خلال هذه الفترة (٥٢٨ ــ ٥٣٠هـ) كانت من القوة بحيث كانت قوات الامير تاشفين تهاجم اراضي قشتالة وبخاصة في معركة البكار في اواخر ذي الحجة في عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م[٢٩٥] اي بعد ثلاثة اشهر من موقعة افراغة ، وكذلك انتصاراته عام ٥٣٠هـ في فحص عطية وجبل القصر . هذا مع العلم ان ردمير الراهب ملك أرغون الجديد كان من الضعف بحيث وضع نفسه تحت حماية الفونسو السابع السليطيين ملك قشتالة .

بعد دخول القوات المرابطية سرقسطة عام ٥٠٣هـ خرج منها عماد الدولة ابن هود ، وأقام له امارة صغيرة في حصن روطة المنيع وما جاوره من الحصون مثل حصن برجة وغيره ، وحكم هذه الامارة من ٥٠٣هـ الى ٥٢٤هـ[٢٩٦] ، ولكن لما سيطر ملك ارغون الفونسو المحارب على حصن روطة عام ٥١٢هـ وضع عماد الدولة بن هود نفسه تحت حماية هذا الملك[٢٩٧] .

٢٩٣ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩١ ــ ٩٢ .
٢٩٤ــ ايضا ، جـ٤، ص٩٥ ــ ٩٦ .
٢٩٥ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢١٥ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام، جـ٣ ، ص٢٥٩ .
٢٩٦ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ٢٤٨ ــ ٢٤٩ .
٢٩٧ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١١٩ .
٢٩٨ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

وبعد وفاته عام ٥٢٤هـ تولى الامارة ولده (أبو جعفر احمد بن هود) الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله وكذلك المستعين بالله . اما تاريخ تنازله عن هذه الامارة الى الفونسو السابع ملك قشتالة ، فتضاربت فيه الروايات الاسلامية فابن الابار يجعل هذا التاريخ عام ٥٣٤هـ[٢٩٨] ، وابن الاثير يجعله عام ٥٢٩[٢٩٩] ، ويرجح الدكتور مؤنس عام ٥٢٤هـ تاريخ التنازل ، ويبين ان الفونسو المحارب ملك ارغون تزوج من اوراكة بنت الفونسو السادس عام ٥٠٢هـ/١١١٤م ، وتم الاتفاق بعد حروب طويلة ، على ان يكون الفونسو المحارب ملكا على ارغون وقشتالة ، وتكون اوراكة على ليون وجليقية — وعندما ماتت اوراكة عام ٥٢٠هـ/١١٢٦ خلفها ابنها الفونسو السابع في حكم ليون وجليقية ، وقد اصبحت روطة ضمن اراضي مملكته حيث ورثها عن امه . فاستنزل احمد بن عماد الدولة بن هود من ورطة وعوضه باقطاع من ناحية طليطلة[٣٠٠] ، وهناك رواية اسبانية تذكر ان سيف الدولة (سفادZafadolay زار ملك قشتالة في طليطلة واعلن ولاءه له ونزل عن روطة اليهود[٣٠١] .

اما ابن الكردبوس فينفرد في رواية مفادها : ان السليطين هو الذي راسل المستنصر بن هود وعرض عليه ان يتخلى له عن روطة ويعوضه عنها بقشتالة ما هو احسن وأفيد ، بحيث يصبح قريبا من غربي الاندلس ، وانه اي السليطين سيعاونه في اقناع سكان الاراضي المسلمة المجاورة لقشتالة على الدخول في طاعة المستنصر ، باعتباره الباقي الوحيد من ابناء ملوك الطوائف في الاندلس ، وذلك نكاية بالمرابطين ، وهكذا تخلى المستنصر بن هود عن روطة الى ملك قشتالة وعوضه بمجموعة من القرى والمزارع في بلاده ، ولما خرج معه الى غربي الاندلس في قوات كبيرة لم يستجب لمشروع السليطين احد ، فرجع المستنصر بخفي حنين[٣٠٢] .

٢٩٩— ابن الاثير : الكامل : جـ١١ ، ص٣٣ .

٣٠٠— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٥٠ (ح١) .

٣٠١— عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٢٨ — ١٢٩ .

٣٠٢— ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٢٠ — ١٢١ .

ويبدو من ذلك ان ملك قشتالة كان يرمي الى استخدام المستنصر بن هود في انشاء امارة متاخمة لقشتالة من ناحية الجنوب الغربي ، وذلك لكي يجعل منها قاعدة امامية لعدوانه على اراضي المسلمين ووسيلة للضرب والتفريق بين المسلمين في تلك المنطقة بيد انه فشل في مشروعه واقتصر سيطرة المستنصر على الاماكن التي منحت له في قشتالة(٣٠٣) .

ويذكر لنا ابن الخطيب رواية مغايرة عما سبق ، وهي ان المستنصر بن هود لجأ الى حماية الفونسو الاول المحارب ملك ارغون ، وليس الى حماية ملك قشتالة ، وان ملك ارغون عوضه عن روطة باماكن من اعمال مدينة تطلية، فانتقل اليها بأهله وامواله(٣٠٤) ، وبقي المستنصر بن هود في محلـه الجديد سواء في قشتالة أم أرغون ، الى ان بدء التصدع في دولة المرابطين ، فاشترك في احداث الاندلس ، وستكون لنا عودة الى امره في الوقت المناسب .

وختاما ، فان بقية المدن المهمة في الثغر سقطت بايدي الاسبان مثـل مدينة لاردة وافراغة ومكناسة واقليش وغيرها وذلك في أواخر عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م(٣٠٥) .

من خلال استعراض جهاد المرابطين للممالك الاسبانيـة نلاحظ مايلي :

١ ــ تزعم الفونسو السادس ملك قشتالة جبهة الاسبان ضد المرابطين الى وفاته عام ٥٠١هـ ، ثم تزعمها بعده الفونسو الاول المحارب ملك ارغون، وبعد وفاته عام ٥٢٨هـ تزعمها الفونسو السابع ملك قشتالة ، اي وجود الملك الاسباني القوي حسب مقتضيات الامور .

٣٠٣ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص١٣٠ .

٣٠٤ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص١٧٦ .

٣٠٥ــ راجع : ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص٧٦ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٥٩ وبعدها ــ المراكشي : المعجب ، ص٢٧٧ .

٢ـ اتسمت المعارك المتبادلة بين الجانبين المرابطي والاسباني بعنفها وقوتها ، وقد عزز كل جانب معاركه بروح دينية عالية يتزعمها رجال الدين من الطرفين من اجل احراز النصر وكسب المعركة .

٣ـ على الرغم من الروح الجهادية العالية التي تمتع بها الجيش المرابطي في الاندلس ، وانتصاراته في معارك مهمة ضد الاسبان ، الا أن هذا الجيش لم يستطع استرجاع اية مدينة اندلسية مهمة سيطر عليها الاسبان خلال مراحل الصراع ، ابتداء من مدينة طليطلة ومرورا بغربي الاندلس والى منطقة الثغر الاعلى :

٤ـ اثقلت الحروب الجهادية هذه كاهل الجيوش المرابطية في الاندلس، وفقدت خيرة قادتها في معارك الجهاد ، مما اضعف هذه الجيوش فيما بعد والتي انشغلت في مقاومة ثورة اهل الاندلس وثورة المهدي في عدوة المغرب مما شجع الاسبان على مواصلة توسعهم على حساب الاراضي الاسلامية والسيطرة تباعا على اهم قواعد الاندلس .

الفصـــل الرابع

ثورة اهل الاندلس على المرابطين ، وانتهاء عهدهم فيها

عين تاشفين بن علي ، الامير يحيى بن غانية واليا على قرطبة ، ومشرفا على شؤون الاندلس ، وقائدا عاما للجيش المرابطـي فيهـا وذلك في عام ٥٣٨هـ / ١١٤٣م[1] ، وبقي ابن غانية يقود الاعمـال الحربية ضـد الاسبان وضـد الثورات القومية الاندلسية حتى وفاته عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م[2] .

تكاثرت ثغرات الضعف في نهاية حكم علي بن يوسف . فأثر ذلك علـى احوال الجيوش المرابطية في الانـدلس ، ممـا شجـع الممالك الاسبانيـة في تشديد ضرباتها من اجل استرداد المدن والحصون الاندلسية المجاورة لاراضيها[3] .

ولقد مر علينا في سياق البحث تمرد قرطبة عام ٥١٥ هـ ، والذي لم يكن الا اول تمرد علني ضد الحكم المرابطي ، وقـد قدر علي بن يوسف مـدى خطورته ، فعبر الى الاندلس لاصلاح الامور .

وكان الاندلسيون المتعطشون الى الثورة على المرابطين ، يرقبون الصراع القائم بين عبد المؤمن وبين الدولة المرابطية بعين يقظة ويتحمسون لانتصار

---

١ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣١١ .

٢ ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٤١ .

٣ ــ المراكشي : المعجب ، ص٢٧٧ ، ص٢٤١ .

الموحدين لاحبابهم ، ولكن رغبة في زوال الحكم المرابطي[٤] . وعندما لقى تاشفين بن علي مصرعه في وهران يوم ٢٧ رمضان عام ٥٣٩ هـ[٥] ، **اشتعلت نار** الثورة في الاندلس .

١ ـ ثورة اهل الاندلس في الجنوب المغربي :

ثار على المرابطين في منطقة شلب جنوبي البرتغال (الحسين بن قسى المتصوف)[٦] وقد ادعى المهدية وتلقب بالامام وذلك في عام ٥٣٩ هـ ، وسمى اتباعه (بالمريدين) ، وقد أطلق المورخون على ثورته اسم ثورة المريدين[٧] ودخل في طاعته كثير من زعماء غربى الاندلس مثل : (ابن القابلة محمد بن يحيى الشلطيشى)[٨] الذي هاجم حصن ميرتلة ، وهو من أمنع حصون غربى الاندلس[٩] وانتزعه من الحامية المرابطية في صفر من عام ٥٣٩ هـ[١٠] . وقد فشل المرابطون في استعادة هذا الحصن ، وأصاب بعض القرى الامنة ضرر من تحركات الجيش المرابطى ، مما حفز الناس على قبول دعوة المريديـــن بحماس[١١] .

وفي ربيع الأول من عام ٥٣٩ هـ استقبل (ابن القابلة) امامه (ابن قسى) في ميرتلة وسط مظاهر التهليل والتكبير ، وايده الكثير من العلماء والاعيان امثال الفقيه (محمد بن عمر بن المنذر)زعيم شلب ، والزعيم (سدارى بـــن

---

٤ ـ المراكشي : المعجب ، ص٢٨١ ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٤٦ .
٥ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٩٨ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٠٤ .
٦ ـ ابن الابار : المرجع نفسه ، جـ٢، ص١٩٧ .
٧ ـ علام : الدوالة الموحدية ، ص١٤٨ .
٨ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٩٨ .
٩ ـ الادريسي : صفة الاندلس والمغرب ، ص١٧٥ ، ص١٧٥ ، ١٧٩ .
١٠ ـ المراكشي : المعجب ، ص٢٨١ .
١١ ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٤٨ .

وزير) رائد المريدين في يابرة ، وقد استطاع ابن الوزير ان يطرد المرابطين من مدينة يابرة ويستولي على زمام الامور فيها • اما الفقيه محمد بن المنذر فهاجم الحامية المرابطية بحصن (مرجيق ـ منشيق) ، واستولى عليه ، ولما علـــم المرابطون بمدينة باجة بما حدث لاخوانهم في هذا الحصن فروا الى مدينة اشبيلية ، فسار ابن المنذر الى باجة واستولى عليها بمعاونة ســداري بــن وزير[١٢] •

ان انتصارات الموحدين في عدوة المغرب وتطلعهم الى ولاية الاندلس جعلت ابن قس يوطد علاقته مع عبدالمؤمن عاهل الموحدين ، الا أن هذه العلاقة لم تجد نفعا لاطماع ابن قسى في الزعامة[١٣] ، كما ان هذه العلامة حفزت عاهل الموحدين ان يســرع في البت في مصــير الاندلس قبــل ان يزداد امــر ابن قسي[١٤] •

وفي الوقت نفسه شرع جيش المريدين في اعمال التوسع ، فاستولى علــى مدينة (ولبة) ومدينة (لبلة) ، وتهيأ للاستيلاء على مدينة اشبيلية ، الا أن القائد يحيى بن غانية هاجم (ابن المنذر) قبل ان يدخل اشبيلية وفتك بكثير من جيش المريدين ، ففر ابن المنذر الى شلب مقر امارته[١٥] ، وقد منعت ثورة (ابن حمدين) في قرطبة القائد ابن غانية من متابعة فلول المريدين •

وتطلع ابن قسي الى قرطبة ، الا ان اهلها استدعو سيف الدولة بن هود ليكون اميرا عليهم ، وبذلك فشلت مساعي ابن قسي ، اضافة الى حصول الخلاف بين ابن قسي وتابعة سداري بن وزير حاكم باجة الذي ازداد نفوذه ، فاستولى على شلب وحصن ميرتله ، وخلع دعوة ابن قسي ودعا للقاضي ابن

١٢ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٣ •

١٣ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص٢٣١ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص٢٥١ •

١٤ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٥٠ •

١٥ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ •

حمدين زعيم ثورة قرطبة[١٦] ، فاضطر ابن قسي الى الفرار وترامى في احضان عاهل الموحدين الذي غفر له ما ادعاه سابقا وذلك في عام ٥٤٠[١٧] ،

ويبدو ان (ابن قسي) استطاع اقناع عاهل الموحدين بضرورة الاسراع في ارسال الجيوش لفتح الاندلس ، اذ ان فوضى الثورة بالاندلس ، قد استغلها الاسبان على اوسع مدى مما ينذر بسقوط الحكم الاسلامي ، وبالفعل سارت الحملة الموحدية الى الاندلس في محرم عام ٥٤١هـ وابن قسي مرشد الحملة في مسيرها[١٨] ،وقد اعاده الموحدين الى ولاية شلب ، ولكن اراد استغلال الفرصة مرة ثانية للتمرد واستعان بملك البرتغال (ابن الرنك)، فأنكر ذلك عليه اهل شلب وفتكوا به في (قصر الشراجب) وعينوا مكانه (ابن المنذر الاعمى) على طاعة الموحدين وذلك في جمادي الاول من عام ٥٤٦هـ[١٩] ،

٢ ـ ثورة اهل الاندلس في الوسط والجنوب :

استغل اهل قرطبة وجود ابن غانية في غربي الاندلس لاخماد ثورة المريدين فخلعوه ، كما خلعوا الوالي المرابطي (ابو عمر اللمتوني)واجمعوا امرهم على تولية الفقيه (حمدين بن محمد بن علي الملقب بابن حمدين)[٢٠]، وقد لقبوه بأمير المسلمين وناصر الدين[٢١] ،

١٦ـ النباهي : المرقبة العليا ، ص١٠٣ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ص٢٧٢ .

١٧ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص١٩٩ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص٢٣٥ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٥١ .

١٨ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٨١ .

١٩ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٠ ،

٢٠ـ ابن الابار : التكملة ، ص٣٨ (رقم ١١٩) ـ الضبي : بغية الملتمس، ص٣٨٥ .

٢١ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٥٤ . وهذا هو لقب امراء المرابطين ،

ولما علم القائد ابن غانية بأمر ثورة قرطبة ترك غربي الاندلس ورجع الى اشبيلية والتي ثارت هي الاخرى عليه ، مما اضطر الى الاحتماء بحصن (مرجانة) بالقرب منها[٢٢] .

الا ان اهل قرطبة استدعوا سيف الدولة بن هود ليحل محل (ابن حمدين) في امارة قرطبة لعراقة اسرته في شؤون الحكم والسيادة ، ولم يستطع ابن حمدين العيش في ظل سيف الدولة فلاذ بالفرار الى حصن (فرنجولش)[٢٣] ، وثارت العامة بعد ذلك على ابن هود وقتلوا وزيره (ابن شماخ) واستدعوا ابن حمدين ليحكم المدينة[٢٤] .

استمر ابن حمدين سنة في حكم قرطبة ، ودخل في طاعته (ابو الغمر بن عزون) صاحب (شويش) و(ابو جعفر بن ابي جعفر) صاحب مرسية[٢٥] ، الا ان أعداءه اتصلوا بالقائد ابن غانية واقنعوه بسرعة دخول قرطبة ، فلبى الدعوة ودخل المدينة في جمادي الآخر عام ٥٤٠هـ بعد معركة حامية[٢٦] ، وفر ابن حمدين الى بطليوس ثم تسلل الى حصن (اندوجر شرقي قرطبة ، ومن هناك دفعته نفسه الى الارتماء في احضان الاسبان فاستنصر بالفونسو السابع ملك قشتالة وطلب عونه على ابن غانية[٢٧] ، الذي ارسل له فرقة من قوات الاسبان بقيادة (فرناند وخوانس) لتحقيق اهدافه[٢٨] .

٢٢ــ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ٢، ص٣٠٦ .

٢٣ــ فرنجولش : بلدة صغيرة تقع على تل قرب قرطبة ، الحميري : الروض المعطار ص١٤٣ .

٢٤ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٠٧ .

٢٥ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص٢٣٤ ــ علام : الدولة الموحدية، ص١٥٦ .

٢٦ــ النباهي : المرقبة العليا ، ص١٠٣ .

٢٧ــ علام : الدولة الموحدية ، ص١٥٦ .

٢٨ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣١٤ .

لم يستطع القائد ابن غانية مدافعة الاسبـان ، ولذا احتمى في قرطبـة واستمر يجاهد الاسبان في صبر وشجاعة ، الا انهم دخلوا وحليفهم مدينة قرطبة في العاشر من ذي الحجة عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، وحاصروا ابن غانية في شرقي المدينة فعاثوا فيها الفساد ، واستباحوا المسجد الجامع واخذوا ما كان فيه من النواقيس التي كانت رؤوساء للثريات ، ومزقوا المصاحف واحرقوا الاسواق ، كل ذلك وابن غانية صامد يدافع عن القصبة بمنتهى البسالة[٢٩] .

وفي الوقت نفسه ، تواترت الاخبار بقدوم عبدالمؤمن الى الاندلس ، فدب الفزع والرعب في قلوب الاسبان ، وكفوا عن الاذى ، وهكذا تفرض الاحداث حلولا ليست في الحسبان ، فيتفاوض ملك قشتالة مع ابن غانية وهو صاغرا ، تاركا مدينة قرطبة للمرابطين ، قانعا من الغنيمة بالاياب[٣٠]، كما اجتمع بطائفة من اهل قرطبة ودعاهم الى طاعة ابن غانية[٣١] ، واستمر ابن غانية على تهادنه مع الاسبان نحو عام آخر[٣٢] . اما ابن حمدين فلم يستطع الاقامة في قرطبة وذهب مع الفونسو السابع ، واستنزلـه ملك الاسبان في حصـن (فرنجولش) وبعدها عبر البحر الى عدوة المغرب ، وقابل عبدالمؤمن بن علي عام ٥٤١هـ وهو على حصار مراكش ، فأحسن استقباله ، ثم غادر المغرب الى الاندلس ونزل في مدينة مالقة عند صديقه (ابن حسون) الثائر بها ، ثم حاول استرجاع مكانته في قرطبة دون جدوى ، فاستقر في مالقة بقية حياته حتى توفى في رجب عام ٥٤٦هـ/١١٥١م[٣٣] .

٢٩ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ٢، ص٩٨ ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ص٣١٤ ـ ٣١٥ .

٣٠ـ علام ، الدولة الموحدية ، ص١٥٧ .

٣١ـ ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ٢، ص٩٨ .

٣٢ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣١٥ .

٣٣ـ النباهي : المرقبة العليا ، ص١٠٣ ـ ابن الابار / التكملة ، ص١٩١ ـ الضبي بغية الملتمس ، ص٢٦١ .

اما ثورة مدينة غرناطة ، فقامت في نفس السنة التي اندلعت بهـا ثورة عام ٥٣٩هـ بزعامة القاضي (ابو الحسن علي بن عمر بن اضحى الهمداني)، وكان ابن حمدين يطمع في الاستيلاء على غرناطة بعد جلاء المرابطين عنها ، اذ أوعز الى (ابن اضحى) زعيم الثوار بها ، بأن يدعو له ويتبعه موهما اياه ان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لنجاح الثورة[٣٤] .

اشتبكت قوات ابن اضحى مع قوات المرابطين داخل غرناطـة ، وكان القائد المرابطي فيها (علي بن ابي بكر المعروف بابن فنو ـ ابن اخت علي بن يوسف)[٣٥] ، الذي هزم الثوار وشتت شملهم فأستنجد ابن اضحى (بابن حمدين) و(بابن جزى) قاضي مدينة جيان ، الا ان هذه النجدة لم تغير من ثفوق المرابطين ، ولذا لجأ الثوار الى الاستنجاد بسيف الدولة بن هود الذي تغلب على جيان وغيرها بعد فراره من قرطبة ، وقد اثار هذا الاستدعاء غضب ابن حمدين حيث كان يطمح الى الاستيلاء على غرناطة[٣٦] .

تقدم ابن هود الـى غرناطة في جيش يضم جنود الاسبان ، وتعاهـد (ابن أضحى) وابن هود على مقاومة المرابطين ، وقد انهزم الثوار امام القوات المرابطية في ١٩ ذي الحجة من عام ٥٣٩هـ ، وتبع الهزيمة موت (ابن اضحى) حتف انفه ، وتولى ابنه محمد الامر مع ابن هود[٣٧] ، وفي هذه الهزيمة اصيب الامير عماد الدولة بن سيف الدولة بن هود بجرح خطير اودى بحياته ، مما فت في عضد سيف الدولة وزهده في قيام الثورة ، ثم حمله على الفرار ، وبعدها

٣٤ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢١١ ـ ٢١٢ .

٣٥ـ ايضا ، جـ٢ ، ص٢١٢ .

٣٦ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣١٦ ـ علام : الدولة الموحدية ، ص١٥٩ .

٣٧ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢١٣ .

تقدم ثوار غرناطة طاعتهم للقائد المرابطي (ميمون بن بدر بن ورقاء) الذي خلف علي بن فنو[٣٨] . وهكذا استعاد المرابطون سيطرتهم على غرناطة .

وفي مدينة مالقة ثار قاضيها (ابو الحكم بن حسون) على المرابطين ودعا لنفسه ، وحاصر المرابطين في القصبة ولبث في منازلتهم ستة اشهر حتى اخرجهم منها ، وملك القصبة ، ولكن المرابطين في حصن (انتقيرة)[٣٩] وغيرها من الحصون المجاورة استمروا في مهاجمته حتى اضطر أخيرا هذا الثائر ان يستعين بالمرتزقة الاسبان ، واضطر من اجل دفع اجورهم ان يرهق اهـل المدينـة بالمطالب والمغارم ، فنقموا عليه واتفقوا على التخلص منه ، فهاجموا قصره مما دعاه الى الانتحار ليتخلص من نقمة اهل المدينة ، وذلك في ربيع الاول عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م فصلبت جثته واحتز رأسه وارسل الى مراكش[٤٠] .

وفي الوقت الذي ثارت فيه قرطبة وغرناطة ، ثار في (وادي أش) شمال شرقي غرناطة (احمد بن محمد بن ملحان الطائي) ودعا لنفسه ، وقهر قـوة المرابطين واستولى على قصبة المدينة وتلقب (بالمتأيد بالله) وبقي مستقلا في امارته هذه حتى هاجمها (ابن مردنيش) زعيم ثورة شرقي الاندلس، وحليف الاسبان ، وضمها الى مملكته عام ٥٤٦هـ / ١١٥١م ، فعبر (ابن ملحان) الى عدوة المغرب ودخل في خدمة الموحدين الى ان مات عام ٥٤٨هـ[٤١] .

وثار في مدينة جيان قاضيها (يوسف بن عبدالرحمن بن جزي) وانشأ بها حكومة مستقلة ولكن رئاسته لم تطل ، لأن سيف الدولة بن هود استطاع التغلب على اجيان قبيل سيره الى قرطبة في اواخر عام ٥٣٩هـ/١١٤٥م[٤٢] .

٣٨ــ ايضا ، ص٢١٥ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣١٨ .

٣٩ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، خارطة رقم ٢ .

٤٠ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٢٥٥ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ص٣١٩ ــ ٣٢٠ .

٤١ــ ابن الخطيب : الاحاطة، جـ٢، ص٨٩ ــ علام : الدولة الموحدية، ص١٦١ .

٤٢ــ ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص٢٥٩ ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ص٣٢١ .

وتزعم ثورة رندة الاديب (اخيل بن ادريس الرندي) الذي استطاع ان يطرد المرابطين وينشيء حكومة مستقلة • الا ان صاحب شريش (ابو الغمر السائب ابن عزون) استطاع ان يستولي على رندة ، ففر ثائرها الى مالقة ومنها ابحر الى المغرب ودخل في خدمة الموحدين(٤٣) •

اما شريش :

فقد ثار بها (ابو الغمر بن السائب بن عزون)(٤٤) ، الذي خلع طاعة المرابطين وانشأ حكومة مستقلة ، وبسط نفوذه على رندة • ولما سيطر عبدالمؤمن بن علي على مراكش رأي (ابن عزون) بثاقب بصره ان يتصل بعاهل الموحدين ليؤمن على نفسه وملكه ويجنب بلاده ويلات الحرب • ففي عام ٥٤١هـ عبر البحر الى المغرب وقدم طاعته لعاهل الموحدين • ولما عبر الموحدون الى الاندلس دخل امير شريش وجنده تحت لوائهم فكانت شريش اول قاعدة اندلسية دخلت في طاعة الموحدين صلحا ، لهذا سمى الموحدون اهل شريش بالسابقين الاولين(٤٥) •

وثار في قادس

(علي بن عيسى بن ميمون) قائد عام الاسطول المرابطي ووالي المدينة وخلع طاعة المرابطين عام ٥٤٠هـ، وعبر البحر الى المغرب وقابل عبدالمؤمن بن علي ودخل في طاعته ، ثم عاد الى قادس ، واقام بها الخطبة للموحدين • ثم كان بعد ذلك ممن ثاروا على الموحدين وخلعوا طاعتهم(٤٦) •

٤٣ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٤١ ــ ٢٤٢ •

٤٤ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٣٢ يسميه (ابا القمر) •

٤٥ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٤٢ ــ ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٣٤ ــ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص١٣٥ ــ ١٣٦ •

٤٦ــ المراكشي : المعجب ، ص٢٧٩ ــ علام : الدولة الموحدية ، ص١٦٢ ــ

٣ ـ ثورة اهل الاندلس في الشرق :

لما نشبت الثورة في قرطبة بعد نشوبها في غربي الاندلس ، طافت ريح الثورة الى شرق الاندلس ، من المرية الى بلنسية ـ وقد كانت العوامل الجغرافية والعسكرية قد شدت من ازر هذه الثورة وضاعفت مقدرتها على المقامة ، وذلك لاتصالها بالبحر الذي يمدها بوسائل وموارد خاصة ، ولوقوعها على مقربة من الممالك الاسبانية مما دعاها الى طلب العون منهم عند حراجة الموقف[٤٧] .

قامت الثورة في بلنسية وما جاورها من المدن ضد المرابطين ، الا ان واليها المرابطي (عبدالله بن محمد بن غانية) وقاضيها (أبا عبدالملك مروان بن عبدالعزيز) تفاهما على التعاون من اجل حفظ النظام وضبط المدينة ، وفي اواسط رمضان سنة ٥٣٩هـ خطبا بالناس في مسجد بلنسية الجامع وذكروهم بجهاد المرابطين ضد الاسبان ، ونصرهم لقضية الاندلس وتحريرهم لبلنسية من ايدي القشتاليين[٤٨] ، ولكن لما ازداد لهيب الثورة فيها هرب واليها الى مدينة شاطبة ، فأجمع الثوار على اختيار القاضي (ابي عبدالملك مروان بن عبدالعزيز) رئيسا للثوار ، ولكنه عف عن الرئاسة ، فألح عليه (عبدالله بن مردنيش) و(عبدالله بن عياض الثغري) قائد جيوش الثغور في قبول زعامة الثورة ، فقبلها مكرها في شوال من عام ٥٣٩[٤٩] .

تجمعت القوات المرابطية في شاطبة لمنازلة زعيم الثورة ، بقيادة (عبدالله ابن غانية) ، الا انه لم يستطع الصمود امام قوات الثورة ، ففر من شاطبة الى المرية ومنها الى الجزائر الشرقية[٥٠] ، فاستولى (ابن عبدالعزيز) على

٤٧ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٥٤ .

٤٨ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢١٨ .
١٦٣ .

٤٩ـ ايضا ، جـ٢ ، ص٢١٩ ـ علام ـ الدولة الموحدية ، ص١٦٦ .

٥٠ـ عبدالمجيد ، ابن الابار حياته وكتبه ، ص٦٥ .

مدينة شاطبة صلحا ،وجدد له الثوار البيعة في صفر من عام ٥٤٠هـ، الا انه لم يفلح في الرئاسة ، فعمل رؤساء الجيش على استقدام (عبدالله بن عياض) قائد الثغر لتولي الامر، مما أدى الى هروب (ابن عبدالعزيز) ايضا الى المرية، فقبض عليه (محمد بن ميمون) قائد الاسطول ودفعه الى (عبدالله بن محمد المسوفي ـ ابن اخي يحيى بن غانية) وحمله عبدالله مصفدا الى ميورقة(٥١) • وقدم ثوار بلنسية عليهم بعد فرار (ابن عبدالعزيز) و(عبدالله بن سعد بن مردنيش) (ابن عياض) واسكنوه القصر نائبا عنه(٥٢) •

وفي عام ٥٣٩هـ قامت الثورة في مدينة مرسية منادية باسقاط المرابطين وكانت بزعامة (أبي محمد بن الحاج اللورقي) الذي دعا في ثورته (لابـن حمدين) صاحب ثورة قرطبة فأعلن بهذا عن ضعف شخصيته مما اطمع سيف الدولة بن هود في مرسية ، اذ ارسل اليها قائده (عبدالله بن فتوح الثغري) الذي استطاع ان يطرد (ابن الحاج) في شوال من عام ٥٣٩هـ، ودعا لابن هود • ولكن الثوار اجبروه على الفرار من مرسية وقدموا لزعامتهم الفقيه (محمد بن عبدالله بن ابي جعفر الخشني) ، الذي قبل الزعامة مكرها(٥٣) •

قدم هذا الزعيم الجديد المساعدات الى ثوار بلنسية ، والى ثوار غرناطة ضد المرابطين ، ولكنه قتل في احدى المعارك التي دارت بين ثوار غرناطة وقوات المرابطين(٥٤) • فقدم اهالي مرسية (ابا عبدالرحمن بن طاهر) وذلك في ربيع الاول عام ٥٤٠هـ ، ودعا لابن هود • ولكن امواج الدسائس اغرقته ، فخاطب ثوار مرسية القاضي (ابن عياض) صاحب بلنسية في ان يقدم عليهم ليتولـى امر مرسية فاستجاب لهم وانتزع امارة مرسية من (ابن طاهر) دون اراقـة

٥١ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ص٣٥٦ •

٥٢ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٥٦ •

٥٣ـ ابن الابار : التكملة ، جـ١ ، ص١٨٠ (رقم : ٦٣٤) •

٥٤ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٣٠ •

الدماء ، وذلك في جمادي الاولى عام ٥٤٠هـ[٥٥] . وبهذا اصبح (ابن عياض) واليا على مرسية وبلنسيه واتخذ مرسيه دار اقامة له ، وجعل صهره (عبدالله بن مردنيش) واليا على بلنسيه[٥٦] ، وجعل الدعوة للامير سيف الدولة بن هود في كلتا المدينتين وذلك وفق سياسة حكيمة ، لكي يتخلص من دسائس ابن هود اولا ، ولكي يتقي شر الاسبان حلفائه ثانيا[٥٧] .

رأى الاسبان ان الوقت قد حان لجني ثمار دسائسهم في اشعال الثورة ضد الحكم المرابطي ، فأخذوا يعتدون على احواز مدينة شاطبة ، فأثار هذا الاعتداء الشعور الديني في (عبدالله بن مردنيش) والي بلنسيه ، الذي بادر الى نجدة اهل شاطبة ، ثم لحقه (ابـن عياض) والي مرسيـة ، ورأى سيف الدولة بن هود انه من العار ان يتخلف عن المعركة ، في الوقت الذي تدعو فيه مرسيه وبلنسية له ، ولاسيما ان الاسبان هم البادئون بالعدوان وانهم لم يرعوا حرمة صداقتهم اياه[٥٨] .

التقى المسلمون والاسبان في موضع (اللج) في ظاهـر بلـدة البسيط على مقربة من (جنجالة) في يوم الجمعة ٢٠ شعبان عام ٥٤٠ هـ / شباط ١١٤٦م فوقعت الهزيمة على المسلمين وقتل في الموقعة (عبدالله بن سعد بن مردنيش) ولقب بصاحب البسيط[٥٩] ، وقتل ايضا سيف الدولة بن هود ، ونجا (ابن عياض) وكانت ضربة شديدة للمسلمين في شرقي الاندلس[٦٠] . وقدمت لنا الرواية الاسبانية معلومات وافية عن هذه المعركة وسبب قيامها[٦١] .

٥٥- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٣١ - علام : الدولة الموحدية، ص١٦٧ .
٥٦- المراكشي : المعجب ، ص٢٧٨ .
٥٧- علام : الدولة الموحدية ، ص١٦٨ .
٥٨- عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٦١ - علام : الدولة الموحدية، ص١٦٩ .
٥٩- ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص٢٢٣ .
٦٠- الضبي : بغية الملتمس ، ص٣٣ - ابن الابار : الحلة السيـراء ، جـ٢، ص٢٥١ - ٢٥٢ .
٦١- اشباخ : تاريخ الاندلس ، ص٢١٦ .

علي اثر هذه المعركة اصبح عبدالرحمن بن عياض حاكم شرقي الاندلس ، فجعل على مرسيه (محمد بن سعد بن مردنيش) كما عهد الى (عبدالله الثغرى) بأن يكون سفيره الى الفونسو السابع ملك قشتالة ليعقد معه السلم والتحالف ضد امير برشلونة ، فعاد عبدالله الثغرى من سفارته ، وزعم ان الفونسو السابع قد منحه امارة مرسيه ، فدخلها وعند ذلك فر (محمد بن سعد بن مردنيش) الى ثغر (لقنت) في اوائل ذي الحجة عام ٥٤٠ هـ ، الا ان (ابن عياض) زحف الى مرسيه وخلصها من (عبدالله الثغري) الذي قتل في ٧ رجب عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م • اما عبدالرحمن بن عياض فقد لقى مصرعه في بعض معاركه مع الاسبان وذلك في ٢٣ ربيع الاول من عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، واصبح (محمد بن سعد بن مردنيش) حاكم شرقى الاندلس بعد وفاة (ابن عياض)[٦٢] •

يتبين لنا من ذلك ، ان ولاية الاندلس المرابطية اشتعلت بالثورة خلال الفترة من عام٥٣٩هـ الىعام ٥٤١هـ،وهي سنةعبور الموحدين الىالاندلس• ومن الملاحظ ان اكثر ثوار الاندلس ضد المرابطين هم من الفقهاء والقضاة واعلام الادب ، وهذا يعود الى المركز والنفوذ الذي تمتعوا به في ظل دولة المرابطين حتى تركزت فيهم عناصر الزعامة المحلية ـ فلما بدأ سلطان المرابطين بالافول قام هؤلاء الفقهاء والعلماء بزعامة مدنهم من اجل استرداد سلطانهم القومي الا أن معظم الثورات تم القضاء عليها اما بواسطة القوات المرابطية المتواجدة في ولاية الاندلس ، او بانضواء قادتها تحت لواء الدولة الموحدية الجديدة[٦٣] •

٦٢ـ المراكشي : المعجب ، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ابن الابار : الحلة السيراء جـ٢ ، ص٢٢٣ •

٦٣ـ عنان : عصر الطوائف والموحدين ، ص٣١٨ ـ احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، ص٣٩ •

نلاحظ ان بعض العلماء والفقهاء فروا من الاندلس الى المشرق تخلصا من هذه الفتنة امثال عبدالغفور بن اسماعيل بن خلف السكوني من اهل لبلة ، راجع ، ابن الزبير ، كتاب صلة الصلة ، ص٣٧ •

وبذلك لما رأى الاندلسيون بداية افول نجم دولة المرابطين ، بسبب ما عانته من مشاكل ، سواء ضد الاسبان او في عدوة المغرب ، استقل كل عالم او حاكم صغير في منطقته ، وجمع له شلة من الانصار وتلقب بالامارة، واصبح في الاندلس من الحكام بعدد مافيها من المدن كما قيل[٦٤] ، الا انهم جميعا اختفوا عند قيام دولة الموحدين وعبورهم الاندلس ، فدخلت الاندلس في عهد جديد .

٦٤- لين بول : العرب في اسبانيا ، ص١٧١ .

الباب الثالث

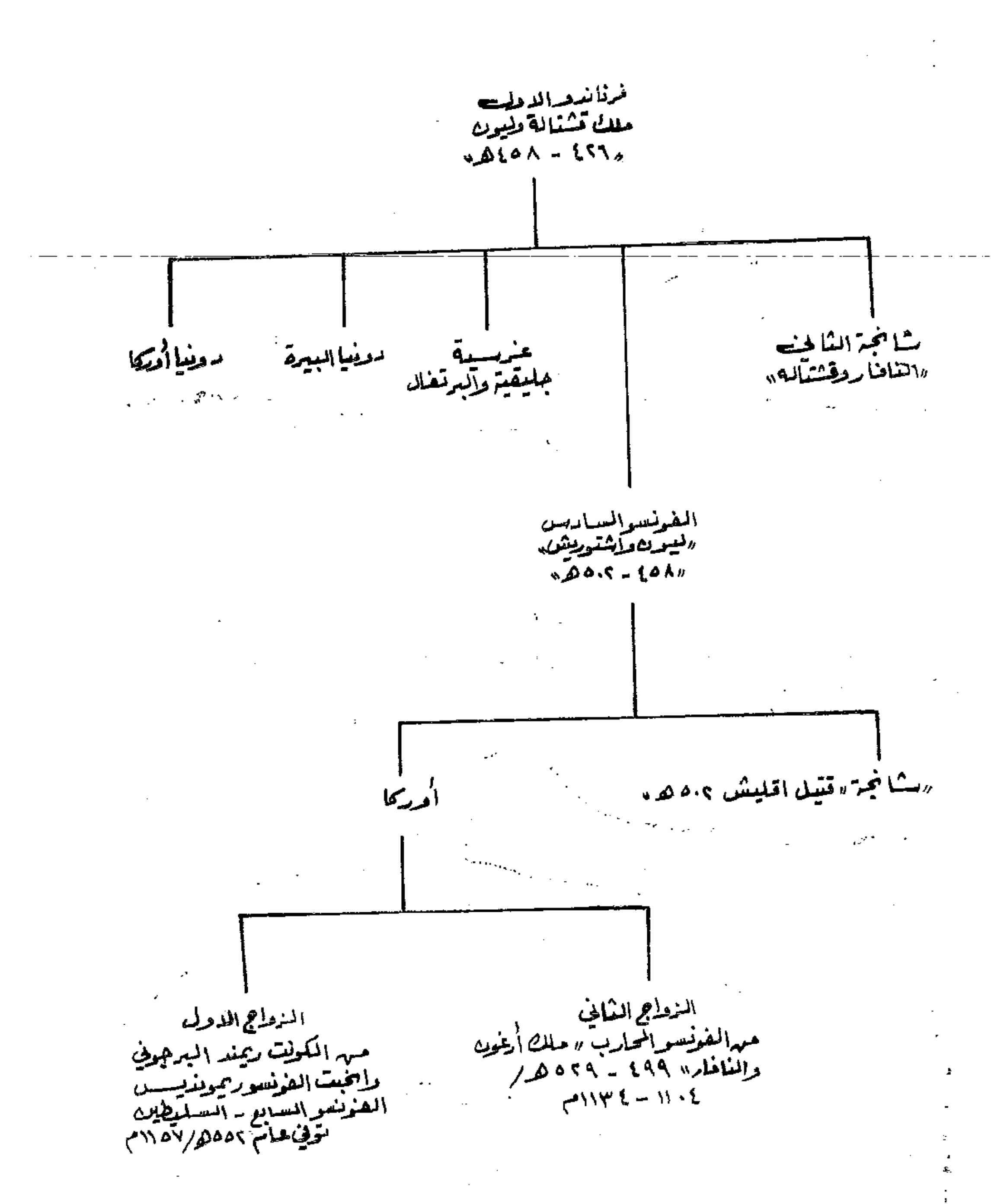
العلاقات السّياسيّة بين المرابطين والدّول الاسلاميّة

الفصل الاول : علاقات المرابطين مع امارات المغرب الاقصى .

الفصل الثاني : علاقات المرابطين مع دولة بني منـاد .

الفصل الثالث : علاقات المرابطين مع الخلافة العباسية .

الفصل الرابع : علاقات المرابطين مع الدولة الفاطمية في مصـر .



فرناندو الأول
ملك قشتالة وليون
«٤٢٦ - ٤٥٨هـ»
شانجة الثاني
«النافار وقشتالة»
غرسية
جليقية والبرتغال
دونيا البيرة
دونيا أوركا
الفونسو السادس
«ليون واشتوريش»
«٤٥٨ - ٥٠٢هـ»
«شانجة» قتيل اقليش ٥٠٢هـ»
أوركا
الزواج الثاني
من الفونسو المحارب «ملك أرغون
والنافار» ٤٩٩ - ٥٢٩هـ/
١١٠٤ - ١١٣٤م
الزواج الأول
من الكونت ريمند البرجوني
وأنجبت الفونسو ريموندس
الفونسو السابع - السليطين
توفي عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م

الفصـــل الأول

علاقات المرابطين مع امارات المغرب الأقصى

قامت دولة الادارسة في شمالي افريقية (١٧٢ ــ ٣٧٥هـ / ٧٨٨ ــ ٩٨٥م) ، وهي اول دولة علوية في التاريخ [١] ، وكانت تشمل مراكشــ الحالية والجزء الغربي من الجزائر [٢] . وعندما انحل سلطان الادارســة اصبحت السيادة للقبائل المختلفة هناك واحيانا في يد افراد من اسرة الادارسة تزعموا الحركات الانفصالية . وفي خلال هذا التفكك ظهـر الفاطميون في المغرب (٢٩٧ ــ ٣٦٢هـ/٩٠٩ ــ ٩٧٢م) ، الا ان نفوذهم كان محصـورا بالساحل ولم يتجه نحو قلب القارة ، وبهذا ظلت الحياة القبليــة مسيطرة في الجنوب وازدهرت عند انتقال الفاطميين الــى مصـر عام ٣٦٢هـ[٣] ، وظلت الاحوال كذلك حتى جاء المرابطون فانهوا الحكم القبلي واصبح لهـــم السلطان في الساحل والداخل [٤] . وبذلك كانت الحالة في المغرب الاقصى

---

١ ــ زامباور : معجم الانسـاب ، جـ١، ص١٠٣ ــ عبدالعواد ، دولة الادارسة، ص١٠١ .

٢ ــ شلبي : التاريخ الاسلامي ، جـ٤، ص١٧٨ .

٣ ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص٦٧ ــ ٦٨ .

٤ ــ شلبي : التاريخ الاسلامي ، جـ٤، ص١٨٠ .

اشبه بحالة الاندلس من حيث ان كلا البلدين قد تحكمت فيه دويلات مختلفة ومتعددة [٥] .

اما تونس والجزائر ، فقد عهد الفاطميون بأدارتهما الى (يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي) وبذلك قامت دولة بني مناد[٦] ، وقد ظهرت بفرعيها فيما بعد .

يعود المرابطون الى قبائل لمتونة [٧] التي سكنت بلاد القبلة [٨] ، منذ عصور بعيدة قبل الاسلام وتكيفوا لحياة الصحراء [٩] ، واتخذوا اللثام ميزة لهم حتى سموا بالملثمين [١٠] ، وسيتزعم المرابطون توحيد المغرب الاقصى والقضاء على الامارات المتنازعة فيه .

كان المغرب الاقصى تتقاسمه الدويلات المختلفة ويمكن ارجاعها الى اربع قوى وهي : —

١ — قبائل غمارة في الشمال :

والتي كانت تسكن جبال الريف في سبتة وطنجة غربا الى وادي نكور شرقا ، وتمتد مساكنهم جنوبا الى غرب مدينة فاس ، وقبائل غمارة التي هي فرع من قبائل مصمودة ، قد انحرفت عن الاسلام في القرن

---

٥ — ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٠ .

٦ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ١ ، ص٩٣ .

٧ — قبائل لمتونة : بطن من بطون صنهاجة ، اعظم القبائل البربرية ، وصنهاجة فرع من فروع قبيلة البرانس ، — العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص١٧ — ١٨ .

٨ — بلاد القبلة : هي المناطق الجنوبية من المغرب الاقصى والتي تسمى باقليم موريتانية ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص١٣٧ — عنان : دول الطوائف ، ص٢٩٩ .

٩ — ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧ — ابن ابي دينار المؤنس ، ص١٠٤ .

١٠ — البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٧٠ — ابن خلدون : العبر : جـ٦ ، ص١٨١ .

الرابع الهجري وظهر فيها بعض المتنبئين الذين نشروا بعض التعاليم المخالفة لمبادىء الاسلام [11] واستمر وجود مثل هذه المبادىء حتى مجيء المرابطين في القرن الخامس الهجري [12] .

٢ ـ امارة برغواطة :

ظهرت هذه الامارة في اقليم تامسنا[13] الممتد من منطقة الرباط الى الدار البيضاء ، واتخذت من مدينة (شالة) عاصمة لها [14] . ومؤسس هذه الامارة (صالح بن طريف البرغواطي) الذي جاء بتعاليم مخالفة لمبادىء الدين الاسلامي [15] ، وكان لدولة الادارسة والفاطميين والامويين في الاندلس دور جهادي في مقاومة هذه الامارة [16] ، الى ان ظهر امر المرابطين وكان اميرالبرغواطيين (اليسع بن عمر بن معاذ بن يونس بن الياس بن صالح بن طريف) وذلك في عام ٤٥٢هـ ، فجاهدوهم حتى اسلموا اسلاما صحيحا [17] .

١١ـ مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الامطار ، ص١٩٠ ـ مؤلف مجهول مفاخر البربر ، ص٧٧ .

١٢ـ البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٠٠ ـ ١٠١ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٢١٦ .

١٣ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٢٤ ـ السلاوي : الاستقصا جـ٣ ، ص١٤ ، وتامسنا ، كلمة بربرية معناه البسيط الخالي ، ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ص٨٠ (ح٢) .

١٤ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص١٨٤ . وشالة مدينة قديمة مندرسة ، لازالت آثارها باقية خارج اسوار مدينة الرباط ، المقري : نفح الطيب ، جـ٨ ، ص٣٢٢ .

١٥ـ البكري : المغرب ، ص١٣٤ وما بعدها ـ احمد امين : ضحى الاسلام، جـ٣ ، ص٩٨ .

١٦ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ٤٨ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص١٣٢ .

١٧ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ،جـ٣، ص١٨٧ ـ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣٠٥ .

والى الشمال من هذه المنطقة توجد امارة (سقوت البرغواطي) في سبته وطنجة الذي استبد في هذه المناطق على اثر ضعف دولة بني حمود[18]، فعاث في الارض فسادا[19] الى ان ظهرت دولة المرابطين التي واصلت زحفها شمالا حتى سيطرت على مدينة سبتة عام ٤٧٦هـ [20] .

٣ ـ الدول الزناتية :

وهي قبائل مكناسة ومغراوة وبني يفرن وبني توالي (بني يخفش) وغيرها ،وقدكانت هذه الدولة الزناتية في نظر بعض المؤرخين ، ولاسيما بعد زوال امر الادارسة ، هي الشرعية الحاكمة في المغرب الاقصى على اعتبار انها دولة مسلمة[21] ، وأهم هذه الامارات هي :ـ

أ ـ امارة بني خزرون المغراويون في درعة وسجلماسة ، وقد سيطر عليها المرابطون في عام ٤٤٥هـ [22] .

ب ـ امارة بني زيري بن عطيه الزناتي في فاس ، وقد سيطر عليها المرابطون بعد عام ٤٦٠هـ [23] .

جـ ـ امارة بني يفرن في سلاوتادلا ، وقد سيطر عليها المرابطون في عام ٤٦٢هـ [24] .

١٨ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص٢٢١ .

١٩ـ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص٥٥ ـ ٥٦ .

٢٠ـ ابن بسام : الذخيرة : جـ٢ مخ ، ٤٠٧ ـ ٤١٢ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥١ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١٦٠ .

٢١ـ العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣٠٩ .

٢٢ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص١٥١ ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٧٦ .

٢٣ـ راجع : مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ٢٢ ومابعدها ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص١٦٠ ومابعدها ـ ولد داده ، مفهوم الملك في المغرب ص٨٠ وبعدها .

٢٤ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص١٦٥ ـ ١٦٦ .

د ـ امارة بني توالي (بني يخفش) الزناتيون ، والتي تقع امارتهم في بلاد فازاز في منطقة الاطلس المتوسط ، وقد عاصر مهدي بن توالي (٤١٢ ـ ٤٥١ هـ) احداث المرابطين في المنطقة (٢٥) .

كان موقع هذه الامارات الزناتية يشكل نطاقا حول برغواطة بصورة خاصة ، وكان لها دور مشرف في جهاد هذه القبائل المارقة (٢٦) ، الا ان هذه الامارات كانت عاجزة في القضاء على برغواطة ، وصار الامر يتطلب قوة جديدة لتتحمل شرف الجهاد ، فكان الامر للمرابطين .

٤ ـ البجليون والوثنيون :

وهم اقليات متناثرة في اقصى جنوب المغرب في منطقة السوس . فالبجليون (بنو بجلة من القبائل العدنانية)(٢٧) وتنسبهم بعض الروايات التاريخية تارة الى الاسماعيلية (امامة اسماعيل بن جعفر الصادق) والى الموسوية (اخيه موسى الكاظم) تارة اخرى (٢٨) ، وقد رماهم ابن حزم بالكفر والالحاد (٢٩) .

اما العناصر الوثنية فقد كانت تقيم في جبل وعر بنواحي الاطلسي الكبير وكانوا يعبدون الكبش ويتسترون عند دخول الاسواق (٣٠) .

٢٥ـ ايضا ، جـ٣ ، ص١٦٨ ـ ١٧٠ .
٢٦ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ١ ، ص١٧١ ـ ١٧٢ ـ السلاوي : الاستقصاء جـ١ ، ص٢٢١ .
٢٧ـ القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، ص١٧١ .
٢٨ـ ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٢١ ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ص٥٦ ومابعدها .
٢٩ـ ابن حزم : الملل والنحل ، جـ٤ ، ص١٨٣ .
٣٠ـ البكري : المغرب ، ص١٦١ ـ وعبادة الكبش من العبادات المصرية الفرعونية : العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣١٣ .

يتبين لنا من كل ذلك : ان المغرب الاقصى كان يعاني من منازعات دينية وسياسية كبيرة ، وانه كان بحاجة الى قوة تنقذه من هذا الموقف العصيب وهنا يأتي دور المرابطين .

انتشر الاسلام بين القبائل البربرية عقب فتح الاندلس ، وكان لدولة الادارسة دور مشرف في نشر الدعوة الاسلامية في ربوع المغرب الاقصى خاصة [٣١] ويبدو لنا من المناقشة التي تمت بين الفقيه (ابو عمران الفاسي) و (يحيى بن ابراهيم الجدالي) عند لقائهما في مدينة القيروان عام ٤٢٧هـ او عام ٤٢٩هـ [٣٢] ان قبائل بلاد القبلة كانت بحاجة الى علماء وفقهاء يبصرون باحكام الشريعة الاسلامية [٣٣] .

ولما وقع الاختيار على الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي تلميذ (ابو محمد واجاج بن زلوا اللمطي)[٣٤] ، رحبت بمقدمه قبيلة لمتونة وجدالة واستقبلوه بمنتهى الحفاوة والتكريم [٣٥] . ولكن مهمة الداعية عبدالله ابن ياسين لم تكن سهلة في مثل هذا الوسط الصحراوي المنقطع ،حيث اعتاد اهله على تقاليد وعادات اجتماعية — على الرغم من اسلامهم — من الصعوبة بمكان تركها بسهولة لمجرد اطلاق الداعية توجيهاته أو مواعظه[٣٦] .

٣١— الجمل : امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ص٣١ .

٣٢— راجع : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧ — ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٥٨ — القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١٨٩ .

٣٣— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧ — ٨ — ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٩ — ابن ابي دينار : المؤنس ، ص١٠٥ .

٣٤— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٢٧ — كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٦٣ .

٣٥— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٨ — ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٩٢ .

٣٦— كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٦٤ .

وشأنه شأن سائر المصلحين والداعين الى الحق والفضيلة ، اصطدمت تعاليمه بجهل وعناد سكان الصحراء مما حداه الى العزلة في رباط السنغال من اجل تهذيب اخلاق اتباعه وتلقينهم مبادىء الدين الحنيف الصافية ، وقد كانت مهمة هذا الداعية شاقة الى درجة جعلته في عداد المصلحين الكبار لأن أمامه مهمتين رئيسيتين :

الاولى : البدء بتكوين جماعة يعرفون احكام الدين الاسلامي كما جاء به القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذه الجماعة تقع مسؤولية نشر الدعوة والتعاليم الاسلامية الصافية ، وتطهير بلاد القبلة من كل الانحرافات والسير به الى طريق الحق والصواب ، (المبدأ الديني) •

والثانية : الدعوة الى توحيد بلاد المغرب الاقصى والقضاء على الفرقة الضاربة اطنابها بين الامارات الصغيرة المختلفة ، وقد رأى بأم عينيه الحروب القبلية الشرسة بينها ، (المبدأ السياسي) •

عاصر الفقيه عبدالله بن ياسين الانقسامات السياسية والمذهبية في منطقة المغرب الاقصى كما عاصر سبعة اعوام الانقسامات السياسية في الاندلس[٣٧] فكان امامه دور المعلم لمبادىء الاسلام ، ودور الداعية الى توحيد البلاد •

فبعد ان اصلح النفوس وهذبها بأحكام الدين الاسلامي ، هيأ اتباعه للجهاد في سبيل الدعوة ، فدربهم على القتال واختار لقيادة اتباعه (يحيى بن ابراهيم الجدالي)[٣٨] الذي حارب بهم جدالة وانتصر عليهم فأحسنوا اسلامهم[٣٩] ثم حارب لمتونة ومسوفة وقبائل صنهاجة حتى أذعن الجميع

٣٧ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤، ص١٠ •

٣٨ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص٢٢٦ •

٣٩ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص٢٢٨ •

للطاعة ، وبذلك دخلت كل بلاد الصحراء في طاعته [٤٠] . ولما توفى الامير يحيى بن ابراهيم عام ٤٤٠هـ ندب الفقيه عبدالله مكانه للرئاسة الامير يحيى ابن تلاكاكين اللمتوني ، وبذلك ظهرت قبيلة لمتونة على مسرح الاحداث ، حيث تولى احد ابنائها وهو يحيى بن عمر القيادة العسكرية [٤١] .

وفي عام ٤٤٤هـ بعث فقهاء درعة وسلجماسة بكتبهم الى عبدالله بن ياسين والامير يحيى بن عمر يشكون مما يقع في بلادهم من ضروب الظلم والخروج على احكام الدين ويطلبون منهم القدوم لاشاعة العدل [٤٢] . وبعد ان اختبر عبدالله بن ياسين قوة لمتونة قرأ رسالة الفقهاء درعة وسجلماسة على اشياخها ورغبهم في الجهاد [٤٣] ، فخرجوا في عام ٤٤٥هـ الى مدينة درعة وقتلوا اميرها (مسعود بن محمد بن مسعود بن وانودين ٤١٧ — ٤٤٥هـ) [٤٤] ، وتقدم المرابطون وراء فلول الزناتين متجهين نحو سجلماسة والتي فتحوها بسهولة ، وكان ذلك بداية الفتح المرابطي لمنطقة المغرب الاقصى [٤٥] .

وفي سنة ٤٤٨هـ توفى الامير يحيى بن عمر ، فعين عبدالله بن ياسين مكانه للقيادة اخاه (ابو بكر بن عمر)[٤٦] ، الذين ساروا الى بلاد السوس واستولوا على قاعدتها (تارودانت) ، وقضوا على الوثنيين

٤٠— ابن ابي دينار : المؤنس ، ص١٠٦ .

٤١— ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص٨٠ — النويري : نهاية الارب ، جـ٢٢ ، ص١٧٤ .

٤٢— ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٩٠ — ابن ابي دينار : المؤنس ، ١٠٦ .

٤٣— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٣ — ابن ابي زرع : روض القرطاس ص٨١ .

٤٤— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص١٥١ .

٤٥— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٣ — حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص١٩٤ .

٤٦— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

كما قاتلوا اليهود المنتشرين في تلك النواحي فأعادوا بذلك هذه المناطق الى مبادىء الاسلام الصحيحة[٤٧] .

وعبر المرابطون بعد ذلك جبال الاطلس وقصدوا بلاد المصامدة وتوغلوا في جبال درن وأخضعوا القبائل هناك ، ثم ساءوا الى مدينة اغمات ، وقاومهم اميرها (لقوط بن يوسف بن علي المغراوي) الذي انهزم اخيرا الى بني يفرن امراء تادلا ، فدخل المرابطون مدينة اغمات عام ٤٤٩هـ واقام بها الجند اكثر من شهرين للراحة [٤٨] .

ثم سارت الجيوش المرابطية الى بلاد بني يفرن وهاجمت قاعدتهم (تادلا) وافتتحتها ، وذلك في عام ٤٤٩هـ ، وفي تادلا قبض على لقوط المغراوي وقتل، وتزوج الامير ابو بكر بن عمر ارملته زينب التفزاوية التي اشاد المؤرخون بجمالها وذكائها [٤٩] . ونظرا لاهمية اغمات كمدينة متحضرة من جهة ولقربها من الصحراء من جهة اخرى ، فقد اختارها المرابطون عاصمة مؤقتة لهم الى أن تم بناء عاصمتهم الجديدة مراكش عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م [٥٠] .

سارت القوات المرابطية بعد سيطرتها على اغمات الى برغواطة وغمارة فاتجه عبدالله بن ياسين وابو بكر بن عمر اللتموني نحو برغواطة[٥١] ، بينما اتجه القائد يوسف بن تاشفين الى غمارة . ويبدو من العمليات العسكرية التي قام بها المرابطون ان المعارك قد دارت في الشمال والغرب

٤٧- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ٢، ص٢١ وبعدها - ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٣ .

٤٨- ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٦ - مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص٥٢ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

٤٩- مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص٥٢ - القلقشندي : صبح الاعشى جـ٥، ص١٨٩ .

٥٠- العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣١٦ .

٥١- ابن خلدون : العبر : جـ٦، ص٢٠٩ - ٢١٠ - ابن ابي دينار ، المؤنس ص١٠٧ .

بصورة خاصة ، فبالقرب من مدينة الرباط الحالية دارت معركة عنيفة بين المرابطين والبرغواطيين ، استشهد فيها عبدالله بن ياسين في ٢٤ جمادي الاولى عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م ، ودفن بموضع مرتفع يطل على وادي (كريفلة) احد فروع وادي (ابي الرقراق) (٥٢) وقد واصل الامير ابو بكر محاربة قبائل برغواطة حتى اخضعها للاسلام (٥٣) .

عاد الامير ابو بكر الى مدينة اغمات واقام بها الى شهر صفر من عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، ثم غادرها في قوات ضخمة ، ففتتح بلاد فازاز ومكناسة وسائر اراضي زناتة ، ثم سار الى مدينة لواته وانتزعها من ايدي بني يفرن وذلك في ربيع الثاني من عام ٤٥٢هـ ثم عاد الى اغمات (٥٤) .

اما القوات المرابطية التي قادها يوسف بن تاشفين الى بلاد غمارة ، فقد تحاشى هذا القائد الاصطدام بالقوات الزناتية ، وانه دخل مدينة فاس صلحا عام ٤٥٠هـ وترك فيها حامية صغيرة حيث واصل سيره الى الشمال نحو بلاده غمارة فعمل على بناء بعض الحصون والقلاع لاتخاذها مراكز للهجوم مثل حصن (تاودا) وحصن (امرجو) (٥٥) ، فتمكن من بلادهم وأخضعها لسيطرة المرابطين ، الا أن الزناتيين في فاس تكتلوا ضده وهاجموا المدينة وقتلوا الحامية المرابطية مما دفع هذا الامر فيما بعد يوسف بن تاشفين السير صوب فاس واعاد فتحها وذلك في عام ٤٦٢هـ(٥٦) .

٥٢ـ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ٥٢ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٦ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٣٠ . ولايزال قبر عبدالله بن ياسين في هذا المكان ويسميه الاهالي (سيدي عبدالله مول الغارة) : العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣١٧ .

٥٣ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٧ ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام، جـ٣ ، ص٢٣١ ـ ولد داده ، مفهوم الملك في المغرب ، ص٧٣ ـ ٧٤ .

٥٤ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص١٦٩ ـ ١٧٠ ، ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ عنان : دول الطوائف ، ص٣٠٨ .

٥٥ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص١٩٠ .

٥٦ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ٢ ص٢٧ .

وبعد ان ازدحمت مدينة اغمات بأهلها بسبب كثرة الوافدين عليها من الصحراء ، فكر الامير ابو بكر ببناء عاصمة جديدة له فوقع اختياره على موضع مراكش فأسس فيه المدينة وذلك في عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م فافتتح الامير ابو بكر عملية الانشاء والتعمير ببناء قصر الحجر (دار الحجر)(٥٧) .

ثم واصل يوسف بن تاشفين افتتاح بقية اقطار المغرب الاقصى ، واعتمد على اربعة من خيرة قواده وهم (سير بن ابي بكراللمتوني) و (محمد بن تميم الجدالي) (و عمر بن سليمان المسوفي) و (مزدلي التلكاني) (٥٨) الذي بعث بهمالى مختلف انحاء المغرب الاقصى ، وبدأت قواتهم تحارب قبائل مغراوة وزناتة وبني يفرن (٥٩) .

وبعد سير القائد يوسف بن تاشفين الى بلاد غمارة وافتتاح اكثر اراضيها ، ثار الزناتيون في فاس واستولوا عليها وقتلوا عامل يوسف عليها واكثر افراد الحماية المرابطية ، مما دفع الامر بيوسف بن تاشفين ان يعجل العودة بجيش ضخم صوب مدينة فاس ويحاصرها ، ففتحها عنوة وقتل بها كثيرا من مغراوة وبني يفرن وذلك في اوائل عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م (٦٠) .

٥٧- ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٥ - ٦ . وهناك آراء كثيرة حول تاريخ بناء المدينة ، راجع : ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ٢، ص٩ - ٤٠ - ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، جـ٣، ص١٢٥١ - السلاوي ، الاستقصا ،جـ٢ ، ص٢٢ ، وبعدها .

٥٨- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٣٤ - حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٢٣ .

٥٩- ايضا ، جـ٣، ص٢٣٤ - عنان : دول الطوائف ، ص٣٠ ٣٠٩ .

٦٠- ايضا ، جـ٣ ، ص١٦٣ - وهناك روايات تاريخية تختلف حول عام دخول المرابطين مدينة فاس ، راجع : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٨ -ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٤١ - ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص١٨٥ .

كما دخلت القوات المرابطية منطقة سلا مقر ادارة بني يفرن وكانت نهاية هذه الامارة عام ٤٦٢هـ (٦١) .

بعد ان وطد الامير ابو بكر نفوذ المرابطين في المغرب ، وبنى لهم مدينة مراكش (٦٢) ، ترك الامر لابن عمه يوسف بن تاشفين وسار جنوبا عبر الصحراء لمجاهدة مملكة غانا الوثنية (٦٣) ، التي كانت تثير المنازعات مع قبائل صنهاجة ، (٦٤) وقد أفلح هذا الامير في نشر الاسلام في ربوع هذه المملكة ، وافتتح اكثر مدنها ، الى ان استشهد في احدى معارك الجهاد معها عام ٤٨٠هـ /١٠٨٧م (٦٥) .

وعمل يوسف بن تاشفين من خلال حكمه كنائب للامير أبو بكر على اتمام فتح مناطق المغرب الاقصى الشمالية وخاصة القضاء على امارة سقوت البرغواطية في عام ٤٧٦هـ وبذلك دخلت سبتة وطنجة في حوزة المرابطين (٦٦) .

وبعد ان اخضع يوسف بن تاشفين منطقة سبتة وطنجة ، اخضع المنطقة الممتدة من سبتة الى مليليه (منطقة الريف) (٦٧) ثم واصل زحفه

٦١- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص١٦٦ - راجع : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤، ص٢٦ (يجعل التاريخ عام ٤٦٦هـ) .

٦٢- ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، جـ٣ ، ص١٢٥١ .

٦٣- راجع ، حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الافريقية وغربها ، ص٥٤ وبعدها .

٦٤- العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣٢٥ . .

٦٥- ابن ابي زرع : روض القرطاس ، جـ٢، ص٣٥ - ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧ .

٦٦- ابن بسام : الذخيرة ، جـ٢، ص٤٠٧ وبعدها - ابن الابار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص٥١ - عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٣ .

٦٧- راجع ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ١، ١٩٣ .

لاخضاع منطقة المغرب الاوسط (الجزائر) ففتح مدينة (وجدة)و(تلمسان)[٦٨] و (وهران) وبذلك توغل في أرض الجزائر ، وستكون له علاقــة مــع دولة بني مناد .

وبذلك أفلح المرابطون في توحيد منطقة المغرب الاقصى ، بعد ان كانت تعج بالامارات المتنازعة والقبائل المتناحرة ، كمــا وحــدوا لاول مرة بــين اقليم السودان (غانة) والمغرب الاقصى ، وبذلك نجد ان سقوط مملكــة غانة وانتشار الاسلام بين اهلها ، ثم قيام مملكة مالي الاسلامية على أنقاضها كان ثمرة من ثمرات جهاد المرابطين في هذه الجهات [٦٩] .

٦٨ـ اسس يوسف بن تاشفين بجوارها مدينة عسكرية اسماها (تاكرارت) ثم لم تلبث المدينتان ان اندمجتا في مدينة واحدة . ـ ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص٢٢٠ (ح١) .

٦٩ـ العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣٢٧ ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٧ .

٦٩ـ العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٣٢٧ ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٧ .

الفصـــل الثاني

عــلاقة المرابطين مع دولــة بني منــاد

قامت الدولة الفاطمية في شمالي افريقية (٢٩٦ ــ ٣٦٢هـ) ولــم تستطع بسط نفوذها على هذه المنطقة القلقة [١] ، فعندما ازمع الخليفــة الفاطمي (المعز لدين‌الله ٣٤١ ــ ٣٦٥هـ / ٩٥٢ ــ ٩٧٥م) الرحيل الــى مصر ، عهد ادارة تونس والجزائر الى (بلكين بن زيري بن مناد) زعيــم قبيلة صنهاجة وسماه يوسف ، وكناه (ابو الفتوح) ولقبــه (سيف العزيز باللــه) [٢] وقد استثنى من امارته ولاية طرابلس وبرقة [٣] ، وجزيرة صقلية التي كان يحكمها اسرة الكلبيين (٣٣٦ ــ ٤٤٤هـ / ٩٤٨ ــ ١٠٥٢م) والتي كانت تابعة اسميا للدولة الفاطمية [٤] .

استقر يوسف بلكين في مدينة المهدية ، عاصمة الفاطميين في شمــــال افريقية ، وعين ابنه المنصور اميرا على المغرب الاوسط (الجزائر) ، فلما مات يوسف بلكين وتولى ابنه المنصور الحكم من بعده ، عهد هذا لاخيه حماد بن يوسف بلكين بولاية الجزائر وقد آل امر حماد الى الاستقلال بالجزائـــر

١ ــ العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣١٥ .

٢ ــ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص٦٥ ــ ابن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان ، جـ١ ، ص١٢٨ .

٣ ــ شلبي : التاريخ الاسلامي ، جـ٤ ، ص٣٣٣ .

٤ ــ راجع : العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٣٧ .

وتكوين امارة بني حماد (٥) ، وبذلك انقسمت دولة بني مناد الى قسمين : امارة آل زيري في تونس ، وامارة بني حماد في الجزائر • ويعتبر عام ٣٩٥هـ/١٠٠٦٥م الميلاد الرسمي لقوة بني حماد ، وذلك ان قبيلة زناتة جددت هجومها على الجزائر وبات المغرب كله في فوضى داهمة ، فعهد باديس بن المنصور الى عمه حماد بن يوسف بلكين مهمة القضاء على تلك الحركات المعادية ، فانتهز حماد الفرصة وطلب من باديس ان يتولى حكم المغرب الاوسط (الجزائر) بعد قضائه على قبيلة زناتة ، وأن يكون له الحرية في اختيار مقر الامارة ، وكان ذلك بداية الانفصال (٦) •

---

٥ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٥٨ ــ ابن ابي دينار : المؤنس ، ص٨٠ العدوى ، المجتمع المغربي ، ص٢٦٨ ــ ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ــ ولد داده مفهوم الملك في المغرب ، ص٩٠ •

٦ ــ العدوى : المجتمع المغربي ، ص٢٧١ • وقد كان امراء آل زيري في تونس كالآتـي :

١ ــ يوسف بلكين ٣٦٢ ــ ٣٧٣هـ/٩٧٢ ــ ٩٨٣م
٢ ــ المنصور بن يوسف ٣٧٣ ــ ٣٨٦هـ / ٩٨٣ ــ ٩٩٦ م
٣ ــ باديس بن المنصور ٣٨٦ ــ ٤٠٨هـ/٩٩٦ ــ ١٠١٧م
٤ ــ المعز بن باديس ٤٠٨ ــ ٤٥٣هـ/١٠٦١ ــ ١١٠٧م
٥ ــ تميم بن المعز ٤٥٣ ــ ٥٠١هـ/١٠٦١ ــ ١١٠٧م
٦ ــ يحيى بن تميم ٥٠١ ــ ٥٠٩هـ/١١٠٧ ــ ١١١٥م
٧ ــ علي بن يحيى ٥٠٩ ــ ٥١٥هـ/١١١٥ ــ ١١٢١م
٨ ــ الحسن بن علي ٥١٥ ــ ٥٤٣هـ/١١٢١ ــ ١١٤٨م

اما امراء بني حماد في الجزائر فهم :

١ ــ حماد بن يوسف بلكين ٣٩٨ ــ ٤١٩هـ/١٠٠٧ ــ ١٠٢٨م
٢ ــ القائد بن حما ٤١٩ ــ ٤٤٦هـ/١٠٢٨ ــ ــ ١٠٥٤م
٣ ــ محسن بن القائد ٤٦٦ ــ ٤٤٧هـ/١٠٥٤ ــ ١٠٥٥م
٤ ــ بلكين بن محسن ٤٤٧ ــ ٤٥٤هـ / ١٠٥٥ ــ ١٠٦٢ م
٥ ــ الناصر بن علناس بن حماد ٤٥٤ ــ ٤٨١هـ/١٠٦٢ ــ ١٨٨٠م
٦ ــ المنصور بن الناصر ٤٨١ ــ ٤٩٨هـ/١٠٨٨ ــ ١١٠٤م

ويبدو لنا من تتبع الحوادث بين فرعي هذه الدولة ، ان النـزاع كان مستمرا بينهما وخاصة بعد ان قوى نفوذ حمـاد بن يوسف بلكـين ٣٩٨ ــ ٤١٩هـ) في المغرب الاوسط ، ففسدت الامور بينه وبين باديس بن المنصور (٣٨٦ ــ ٤٠٨هـ) وقد اعلن حماد اعتناق المذهب السني كوسيلة من وسائل العداء مع امارة بني زيري في تونس عام ٤٠٥هـ ، وقامت حروب بين فرعـي آل زيري ، وقد مات باديس في اثنائها فثبت سلطان حماد وبدأت امارتـه الوراثية . وقد تم نوع من الوفاق بين آل حماد وآل باديس علـى ان يعود آل حماد للمذهب الامامي وان يبقى لهم السلطان في الجزائر والمغرب[٧] .

الا انه يبدو ان هذا الاتفاق كان مؤقتا ، فقد نبذ ، والـى الاخـير ، حماد المذهب الامامي وحمل لواء الوعي السني على المذهب المالكي عـام ٤٢٣هـ ، كما ان اواصر الزواج كثيرا ما كانت تخفف من ادوار النـزاع بين ابناء الاسرة الواحدة[٨] ، وفي عام ٤٤٣/هـ١٠٥١م[٩] انفصـل المعز بن

---

٧ ــ باديس بن المنصور ٤٩٨ ــ ٥٠٠هـ/١١٠٤ ــ ١١٠٦م

٨ ــ العزيز بن المنصور ٥٠٠ ــ ٥١٥هـ/١١٠٦ ــ ١١٢١م

٩ ــ يحيى بن العزيز ٥١٥ ــ ٥٤٧هـ/١١٢١ ــ ١١٥٢م

وقد قضت دولة الموحدين على هاتين الامارتـين ، راجـع : ابـن الخطيب : اعمال الاعلام جـ٣ ، ص٦٦ ــ ٨٤ ، ٨٥ ــ ١٠٠ ــ زامباور ، معجم الانساب جـ١ ، ص١٠٩ ــ ١١٠ ــ ستانلي لين بول ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، جـ١ ، ص٤٨ .

٧ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٧١ ــ ١٧٢ ــ شلبي : التاريخ الاسلامي جـ٤ ، ص٢٠٧ .

٨ ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣٠٠ ــ ابن ابي دينار ، المؤنس ص٨٥ ــ العدوي : المجتمع المغربي ، ص٢٨٠ .

٩ ــ هناك روايات مختلفة حول تاريخ الانفصال هذا ، راجع : ابن الاثـير : الكامل جـ٩ ، ص٢١٧ ــ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٥١ ــ مبارك الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، جـ٢ ، ص١٩٠ ــ حسن حسني عبدالوهاب ، ورقات من الحضارة المغربية ، جـ١ ، ص٤٤٤ .

باديس (٤٠٨ ـ ٤٥٣هـ) نهائيا عن الدولة الفاطمية وقطع الخطبة لخليفة مصر المستنصر بالله ، واحرق اعلامه الخضراء وأزال اسمه من الطراز والرايات ثم دعا لخليفة بغداد القائم بأمر الله العباسي [١٠] الذي بعث اليه الخلعة والتقليد والالوية السوداء العباسية عن طريق القسطنطينيــة [١١] .

وفي ضوء هذا الانفصال الذي وقع في دولة بني منــاد ، سنشير الــى علاقات المرابطين السياسية مع كل امارة على انفراد .

١ ـ علاقات المرابطين السياسية مع امارة بني حماد في الجزائر :

عندما بدأ المرابطون يظهرون على مسرح الاحداث بعد خروجهـــم من الصحراء ، كان المغرب الاوسط والادنى يتعرضان لغزو قبائل بني هلال[١٢] التي ارسلهــا الخليفــة الفاطمــي المستنصــر باشــارة وزيــره ابــو محمد

١٠ـ ابن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان ، جـ١ ، ص١٣٨ ـ راجع ، حسن احمد محمود « محنة الشيعة بافريقيــة في القرن الخامس الهجــري » مجلة كلية الآداب مج١٢ ، جـ٢، ١٩٥٠ ، ص٩٨ ـ ٩٩ .

١١ـ اعترض وصول الخلع والالوية العباسية الى القيروان عقبات كثيرة ، فعندما اظهر المعز بن باديس الخلاف على المستنصر ، وسير رسولا الى بغداد ليقيم الدعوة العباسية ، واستدعى منهم الخلع فاجيب الى ذلك ، وجهزت الخلع على يد رسول يقال له (ابو غالب الشيرازي) ومعه العهد واللواء الاسود فمر ببلاد الروم ليمدي منها الى افريقية ، فقبض عليــه صاحب الروم وبلغ ذلك المعز بن باديس فارسل الى قسطنطين ملك الروم في امره ، فلم يجبه رعاية لحق المستنصر واتفق قدوم رسول المستنصر اليه بهدية كبيرة ، فبعث معه رسول الخليفة العباسي ، ودخل الى القاهرة على جمل فاحرق العهد واللواء والهدية راجع العبادي : « سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس » ص٢١٨ وبعدها ـ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ص٣٢٤ .

١٢ـ بنو هلال وسليم من مضر ، نزحوا الى افريقية منذ اوائل القرن الخامس الهجري وكانت احياء بني سليم بالحجاز على مقربة من المدينة ، واحياء بني هلال في جبل غزوان عند الطائف ، ومنهــم (جشــم وزغبــة ورياح وربيعة وعدي وغيرهم) وكانوا يزحفون احيانا الى اطراف العراق والشام

الحسن بن علي اليازوري [١٣] ، فقد اجتاحت هذه القبائل العربية بلاد برقة وطرابلس وتونس عام ٤٤٣هـ وذلك ردا على سياسة المعز بن باديس الذي قطع الولاء لخليفة مصر الفاطمي • وقد عاثت هذه القبائل فسادا في اراضي تونس وانتصرت علـى قوات المعـز في موقعة حيدران عام ٤٤٤هـ[١٤] ثم واصلت هجومها الى ان سيطرت على القيروان ودمرتها في عام ٤٤٩ [١٥] •

اقتسم العرب بلاد افريقية ، فاستقرت زغبة ورياح في برقة وطرابلس كما استقر بنو هلال وبنو سليم في منطقة تونس ومايليها غربا ، اما المعـز ابن باديس فقد فر بعد هزيمته مختفيا في زي امـرأة الى مدينـة المهديـة ، وهناك ثار عليه اقرباؤه وأولاد عمه من بني حماد ، فتضاءل بذلك نفوذه الى أن توفى عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ ، وبعد ذلك استمر سلطان الامارة الزيريـة

ويقطعون الطرق واحيانا كان بنو سليم يعتدون على الحاج في الموسم • ولما ظهر القرامطة بالبحرين في اوائل القرن الرابع الهجري لحق بهـم بنو سليم ، وبنو هلال وكثير من بطون ربيعة ، ولما تغلب القرامطة على الشام واخذوا يهددون مصر وظفر الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦هـ/٩٧٥ – ٩٩٦) بهم ونقل اشياعهم من بني هلال وسليم فانزلهم بالصعيد وفي العدوة الشرقية من نهر النيل : راجع : ابن الابار ، الحلة السيراء ج٢، ص٢١ ابن عذاري : البيان المغرب جـ١ ، ص٢٨٨ وبعدها – ابن خلدون العبر ، جـ٦ ، ص١٣ •

١٣– ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢، ، ٢١ « ح ورد باسم الجرجرائي او البطائحي ولكن اليازوري تولى الوزارة بعد ابو القاسم علـي بن احمـد الجرجرائي الذي توفى عام ٤٣٦هـ/١٠٤٥م راجع الوزير السراج ، الحلل السندسية جـ١ ، ق٤ ص٩٤٣ – الزركلي ، الاعلام ، جـ٥ ، ص٥٨ •

١٤– الوزير السراج، الحلل السندسية، جـ١ ، ق٤ ، ص٩٩٤٤ – عبدالوهاب، حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربيـة بافريقيـة التونسيـة ، ص٤٤٨ – ٤٤٩ – سالم ، المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٦٧٠ •

١٥– راجع : ابن ابي الضياف ، اتحاف اهل الزمان ، جـ١، ص١٣٩ – احمد بن عامر ، تونس عبر التاريخ ، ص١٥٨ – العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٢٦ •

محدودا جدا في المنطقة الساحلية المحيطة بالعاصمة المهدية ، الى أن سقطت المهدية بيد النورمان عام ٥٤٣/١١٤٨م [١٦] .

كانت امارة بني حماد في موقف لاتحسد عليه ، حيث وقعت بين زحفين يتصفان بالقوة والاكتساح والشراسة ، واذا كان الزيريون يعانون من هجمات الاعراب فان المرابطين يحتلون مكانة العدو الاول بالنسبة للحمادين[١٧] .

خلال السنوات التي تعرضت فيها شمال افريقية الى عبث بني هلال (٤٤٣ ـ ٤٤٩هـ) وصلت طلائع المرابطين الى منطقة السوس ، واستطاعوا دخول مدينة اغمات عام ٤٤٩هـ [١٨] ، وبعد ذلك انتصر المرابطون على قبائل بني يفرن ، ودخلوا مدن فازاز ، ولواته ، ، ومكناسة[١٩] ، وبعد ان ذاع صدى هذه الانتصارات المرابطية في قبائل المغرب ، ذكرت لنا الروايات التاريخية ان الامير الحمادي بلكين بن محسن (٤٤٧ ـ ٤٤٤هـ) سار بقواته الى المغرب الاقصى ليمد يد العون لبني عمومته الملثمين ابناء صنهاجة الجنوب في هذه المعركة الدائرة الرحى[٢٠] ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مبلغ الاحساس الوثيق بالقرابة بين صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب ، واعتقادهما انهما يقاتلان عدوا مشتركا [٢١] ، ولكن هذه العلاقات بين الطرفين اصبحت تتراوح بين السلب والايجاب حسب متطلبات الظروف المرحلية .

١٦ـ راجع : العبادي « سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس » ص٢٢٠ .
١٧ـ عبدالحليم عبدالفتاح محمد عويس ، دولة بني حماد في الجزائر ، اطروحة ماجستير ، كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٣ ـ ص٢٤٥ .
١٨ـ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص٥٢ ، القلقشندي ، صبح الاعشى، جـ٥، ص١٨٩ .
١٩ـ ابن ابي زرع ،روض القرطاس ، ص٨٢ .
٢٠ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦، ص١٧٢ ـ ١٧٣ .
٢١ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٠٠ .

ولما كان ضرر الزحف الهلالي بالجزائر اقل من ضرره على طرابلس وتونس ، لأن الجزائر لم تكن المقصود بهذه الحملة ولم تطل بها مدة الحرب فقد اهتم آل حماد بالزحف المرابطي الذي بدأ يقترب من الساحل المغربي ففي صفر من عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م عندما وصلت اخبار يوسف ابن تاشفين ببلاد المصامدة الى مسامع بلقين بن محمد بن حماد الذي كان والية على بلدة (افريون) (٢٢) ، سار بلقين بقواته الى مدينة فاس فدخلها وعاث فيها فسادا وما جاورها من الاراضي كمحاولة من اجل مقاومة الزحف المرابطي (٢٣) .

لقد كان لدى المرابطين اكثر من حجة يتذرعون بها للانقضاض على المغرب الاوسط ، فبعض البطون الزناتية قد لجأت اليه ، لاسيما بعد استيلاء المرابطين الأخير على فاس (٢٤) ، كما أن القبائل العربية التي كانت تعيث في بلدان المغرب الفساد ، كانت بدورها حجة بقيت في ايديهم لان المغرب الاوسط ــ بالنسبة للمرابطين ــ له اهمية كبيرة لأنه يحرس المغرب الاقصى ، ويوقف بني حماد وحلفاءهم عند حدهم ، ويرد كيدهم عن المغرب الاقصى ، اضافة الى كل هذا شخصية يوسف بن تاشفين القوية التي بقيت على مسرح الاحداث قرابة نصف قرن بكل ما تمثله شخصيته من رغبة في التوسع والتوحيد(٢٥) .

وقد برزت مطامع المرابطين نحو الجزائر الحمادية ، بعد سيطرة المرابطين على طنجة وسبتة والقضاء على امارة سقوت البرغواطي ، حيث زحفت القوات المرابطية صوب الجزائر بقيادة الامير (مزدلي اللمتوني ابن عم يوسف)

٢٢ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ٩، ص٢٥٠ .
٢٣ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣، ص٨٨ ، راجع ابن خلدون ، العبر، جـ٦، ص١٧٢ .
٢٤ـ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٠٥ .
٢٥ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٥ .

وسار الى مدينة تلمسان ومعه كتاب يوسف بن تاشفين بالعفو عن حاكمها (العباس بن يحيى) ان هو ترك المدينة بدون قتال ، وبعد ان حاصرت القوات المرابطية مدينة تلمسان قبل حاكمها بالصلح وسلم نفسه الى مزدلي الذي اخذه مكرما الى سيده ، بعد ان عين ابنه (يحيى بن مزدلي) واليا على تلمسان ، ويبدو ذلك بعد عام ٤٧٦هـ (٣٦) .

وبالطبع لم يقف الحماديون مكتوفي الايدي امام هذا الزحف المرابطي بل قاوموا المرابطين بكل قواهم ، واستعانوا بكل القوى التي يمكن الاستعانة بها ، ولم يتورعوا من استخدام القبائل العربية بل وقبائل زناتة ضدهم ، واستطاعوا ان يحرسوا اكثر ملكهم من زحف المرابطين (٢٧) ، ونجحوا في ذلك لدرجة جعلت يوسف بن تاشفين يتراجع عن مطامعه(٢٨) ، ولما وحد يوسف بن تاشفين بلاد المغرب الاقصى ، كان الناصر بن علناس ابن حماد (٤٥٤ – ٤٨١هـ) اميرا على القلعة وهو الذي نقل مقر امارة بني حماد من القلعة الى مدينة بجاية وسماها بالناصرية وبنى بها قصر اللؤلؤة (٢٩) كما وسع ملكه حتى بايعه اهل القيروان عام ٤٦٠هـ (٣٠) وقد بدأت العلاقات السيئة بين هذه الامارة ودولة المرابطين على عهده وذلك بعد سيطرة المرابطين على مدينة تلمسان .

اتفقت امارة بني حماد مع جموع بني هلال على مهاجمة اراضي المرابطين خاصة عندما كان يوسف بن تاشفين وجموع قواته تجاهد الاسبان في

٣٦– هناك تواريخ مختلفة حول سير هذه الحملة ، راجع : ابن عذاري البيان المغرب جـ٤ ، ص٢٩ – ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٧٥ .

٢٧– حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٤٢٥ – شلبي : التاريخ الاسلامي ، جـ٤، ص٢٤٤ .

٢٨– محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٦ .

٢٩– ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص٩٥ – ٩٦ – ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص١٧٤ – ١٧٥ .

٣٠– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٢٩٩ – ٣٠٠ .

معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ • ويبدو ان هذا التحالف ، مع اسباب اخرى[٣١] ، ادى الـى اسـراع يوسف بن تاشفين بالرجوع الى المغـرب مباشرة بعـد انتهاء معارك الزلاقة ، حيث ترك ميدان المعركة دون ان يتعقب العدو المهزوم، ويجهز عليه ، قبل ان يسترد قوته ويلم شعثه [٣٢] •

وقد اشارت بعض الروايات الى رسالة بعث بها يوسف بن تاشفـين الى الامير الحمادي (الناصر بن علناس ٤٥٤ — ٤٨١هـ) يعاتبه على الاستعانة بعرب بني هلال في الوقت الذي يجب ان تتضافر فيه الجهود لمدافعة الاسبان ورد عدوانهم [٣٣] الا أن يوسف بن تاشفين وقف لهم بالمرصاد ، وشحـن المغرب الأقصى والأوسط بالمقاتلة ، وفوت على الامارة الحمادية واعوانهـا الفرصة ، وحال دون العبث بالمغرب الأقصى [٣٤] •

ويبدو لنا من تتبع الحوادث ، ان عرب بني هلال دخلوا اراضي دولة المرابطين ، وانصهروا في المجتمع الجديد ، وحولت قابلياتهم العدوانية الـى حماسة وشجاعة للمشاركة في الحروب الجهادية التي خاضتها دولة المرابطين في الاندلس ، فقد اشتركت قبائل العرب هذه في معركة كنشرة (كنسويجرا) من اعمال طليطلة [٣٥] ، وذلك في عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م ، والتي احرزت فيها القوات المرابطية النصرعلى قوات الفونسو السادس ، وقتل فيها احد ابنـاء القمبيطور والمدعو (ديجو Diego) [٣٦] • كما شارك هؤلاء العرب في معركة اقليش عام ٥٠١هـ / ١١٠٨م ، وقد ابلى بعض فرسان العرب بـلاء

٣١— راجع ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص٩٨ — حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٨٦ — ٢٨٧ •

٣٢— حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٢٨٦ •

٣٣— الذخيرة ، جـ٢ ، ص١٠٦ — راجع : الفتح بن خاقان ، قـلائد العقيـان ص١١٩ •

٣٤— حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٤٢٥ •

٣٥— الحميري ، الروض المعطار ، ص١٣٤ •

٣٦— ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١٠٧ — ١٠٨ •

عظيما في تلك الموقعة ، والتي قتل فيها شانجة بن الفونسو السادس [٣٧] .

ويشير صاحب القلائد ايضا الى اشتراك عرب بني هلال في معارك الجهاد الاندلسية [٣٨] ، واشتركت كذلك بطون العرب في معارك أخرى ، فتشير بعض الروايات التاريخية الى اعتماد الامير علي بن يوسف علـى العـرب في معركة جبل القصر عام ٥٣٠هـ [٣٩] .

وسار المنصور بن الناصر بن علناس (٤٨١ ــ ٤٩٨هـ) على سياسـة ابيه اتجاه المرابطين ، وقد اورد لنا الفتح بن خاقان نص رسالة كتبها عـن يوسف بن تاشفين كاتبه (ابو بكر بن القصيرة) موجهة الى امير قلعـة حماد ولو ان هذه الرسالة لـم تشر الى اسم الامير ، لكن ترجـح أنهـا ارسلت الى المنصور بن الناصر[٤٠] ، وتوضح هذه الرسالة الصراع السياسي الذي كان دائرا بين الطرفين لأنها كانت ردا على رسالة بعث بها صاحب القلعة ومن اسلوبها نرى بأن العلاقة بين الطرفين لم تكن طيبة ، كما تشير الى الحرب الباردة بين الطرفين [٤١] ، وهي رسالة وافية تستعرض جانبا كبيرا من سياسة الحماديين تجاه المرابطين وتبرز الملامح العامـة لهذه السياسـة ، ويبـدو ان

٣٧ــ ابن القطان ، نظم الجمان ، جـ٦ ، ص٩ ــ ١٠ (ح١) ــ مؤنس ، الثغـر الاعلى الاندلسي ، ص١٢٩ (ح٢) .

٣٨ــ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٦٥ .

٣٩ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٩٤ ــ ابن الخطيب ، الحلل الموشية ص١٠١ .

٤٠ــ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٦ .

٤١ــ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، ص١٠٥ ــ ١٠٦ ، وطبعة اخرى ، ص١١٩ وفيما يلي نبذة من هذه الرسالة :

وصل كتابك الذي انفذته من وادي منى ، صادرا عن الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك ... فوقعنا على معانيه ، وعرفنا المصرح به والمشار اليه فيه ، ووجدناك تجعل سيئتك حسنا ، ونكرك معروفا ، وخلافك صوابا ، وتقضي لنفسك بفلج الخصام ، وتوليها الحجة البالغة في جميع الاحكام ، ولم نتأول ان وراء كل حجة ادليت بها ما يدحضها ،

ماأشارت اليه الرسالة من نزغ الشيطان ، انما يقصد به ثورة (ابي يكني ؟) على المنصور واستنجاده بالمرابطين الذين منعتهم ظروفهم في الاندلس وظروفهم الداخلية في المغرب الاقصى من التدخل ، كما تشير الرسالة الى موقف الحماديين بقوة في وجه المرابطين واستغلالهم العرب في صراعهم معهم [٤٢].

ومما يدلك على سوء العلاقات بين امارة بني حماد والمرابطين ، ان المنصور بن الناصر سار بقواته لاسترجاع تلمسان من ايدي المرابطين وذلك في شوال من عام ٤٩٦هـ وحاصرها الا أنه رجع عنها صلحا [٤٣] . كما اصبحت هذه الامارة ملجأ للفارين من امراء الطوائف في الاندلس بعد ان بدأ المرابطون في السيطرة على اماراتهم . فتذكر لنا الروايات ان المعتصم بن صمادح حاكم المرية عندما حضرته الوفاة ، اوصى ابنه معز الدولة احمد وولي عهده [٤٤] بالهرب الى بني حماد حال سقوط اشبيلية وخلع ملكها المعتمد . وبالفعل هرب معز الدولة من المرية في رمضان من عام ٤٨٤هـ قبل

وازاء كل دعوى ابرمتها ماينقضها ، وتلقاء كل شكوى صححتها مايمرضها . ولولا استنكاف الجدال واجتناب ترديد القيل والقال لقصصنا فصول كتابك اولا فأولا ... واضفنا الى كل فصل ما يبطله ، ... ألم تكن عندما نزغ الشيطان بينك وبين فلان ، وتفاقم الشنأن .. ولم نمد الجهة حق امدادها ، ولاكثرنا وفق ما كان يلزم من جماهير اعدادها ، ولاعنانا غير جهاد المشركين ، ولا اقبلنا الا على ما يحوط حريم المسلمين ، رجاء ان يشوب استبصار ، او يقع اقصار ، وانت خلال ذلك تجفل وتحشد ، وتقوم وتقعد ، وتبرق غيظا وترعد ، وتستدعي ذؤابات العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب ، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا ، وتنفق عليهم ماكنزه اولئك اسرافا ، .. كل ذلك لتعتضد بهم ، وتعتمد على تعصبهم ، وتعتقد انهم جنتك من المحاذير وحماتك من المقادير ، وتذهل عما في الغيب من احكام العزيز القدير » .

٤٢ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٨ .

٤٣ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ص٩٧ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٧٥ .

٤٤ـ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٨٩ .

الناصر [٤٥] ، الذي اكرم وفادته واقطعه بلدة تدلس [٤٦] التي ازدهرت وعمرت فيما بعد بفضل هذه الجالية الاندلسية المهاجرة [٤٧] . كما فر الى هذه الامارة علي بن مجاهد العامري ملك دانية ، والتجأ عند اميرها المنصور أبن الناصر الذي احسن اليه واكرمه[٤٨] ، الى أن مات هناك كما اشارت بعض الروايات [٤٩] .

وعلى هذا الاساس اصبحت امارة بني حماد ملجأ للفارين من حكام الاندلس عندما بدأ المرابطون السيطرة على بلادهم وحولوها الى ولاية مرابطية ، وذلك تعبيرا عن سوء العلاقة بين الطرفين .

ومع ذلك فان آل حماد لم يغلقوا ابواب التفاهم مع المرابطين ، بل حاولوا تهدئة الصراع بوسائل مختلفة ، فقد صاهر المنصور بن الناصر المرابطين كما عفا عن تلمسان خضوعا لصلات القربى [٥٠] . ولكن المرابطين الذين تمركزوا في تلمسان ، وهي جزء من المغرب الاوسط ، كانوا يناوئون آل حماد كلما اتيحت لهم الفرصة ، وعمل الحماديون من جانبهم على اتخاذ سياسة اكثر حزما لاتعدو ان تكون مجرد دفاع عن النفس [٥١] ، ولم يكن من

٤٥ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١ ، ص١٩٢ ــ ١٩٣ ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٧٦ .

٤٦ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٩٧ ــ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٦٩ ــ عبدالرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، جـ١ ، ص٣٢٠ .

٤٧ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ص٩٠ ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ص١٠٥ ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١٦٨ .

٤٨ــ ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص١٠٢

٤٩ــ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٦ ــ ١٨٧ وقد اشارت بعض المصادر ان علي بن مجاهد العامري مات في سرقسطة عام ٤٧٤هـ عندما اسره المقتدر بن هود ، راجع : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٤٨ ــ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٣٢٢ .

٥٠ــ عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ص٢٧٣ .

٥١ــ حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٤٢٥ .

المقبول عقلا ان يستسلم الحماديون امامهم لمجرد القرابة ، والا لكان الزيريون اولى بهذا الكرم الذي لاوجود له ، غالبا ، في السياسة [٥٢] . لقد تحكمت في علاقة المرابطين بالحماديين ، المصالح وظروف الامتداد المرابطي ، وقد كانت سياسة آل حماد تجاه المرابطين متميزة بفهم عميق للتوسع المرابطي ، وبالتالي بحذر منه ووقوف ضده ولكن لما بدأ المرابطون بعد موت يوسف بن تاشفين على رأس المائة الخامسة للهجرة يحدون من مطامحهم ، ووجد آل حماد أن المرابطين لم يعودوا خطرا كبيرا عليهم ، فضلا عن شعورهم المشترك بخطر الانبعاث الموحدي الذي بدأ يظهر مع مطلع العقد الثاني للقرن السادس الهجري ، تحسنت العلاقات بين الطرفين [٥٣] .

خلال الفترة من عام ٥١٧هـ الى عام ٥٤٣هـ كان المرابطون في وضع حرج بسبب قيام دعوة الموحدين ضدهم التي تزعمها المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ ــ ٥٢٤هـ) ومن بعده عبدالمؤمن بن علي [٥٤] ، كما أن أخبار الموحدين قد انتشرت بين قبائل الجزائر ولاسيما بطون (كوميه) و (زناته) التي ينتمي اليها عبدالمؤمن [٥٥] ، وقد عزز عبد المؤمن هذا التأييد بارسال جيش موحدي بقيادة (عبدالرحمن بن زجو) الى مدينة (مليلة) فسيطر عليها ، ثم سار نحو الشرق متوغلا في ارض الجزائر حتى وصل الى منطقة (تاجرا) الواقعة على البحر شرق مليلة [٥٦] ، ومن هذه المنطقة خرجت الجيوش الموحدية الى مواطن القبائل الجزائرية التي اعلنت بدورها الولاء للموحدين [٥٧] .

٥٢ــ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٩ .

٥٣ــ ايضا .

٥٤ــ ابن قنفذ القسنطيني ، كتاب الوفيات ، ص٢٧٣ ــ ٢٧٤ ــ المراكشي ــ المعجب ، ص٢٦٠ ــ ٢٦٢ .

٥٥ــ علام ، الدولة الموحدية ، ص٨١ .

٥٦ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٠٠ ــ علام ، الدولة الموحدية ص١٢٣ .

٥٧ــ البيذق ، اخبار المهدي ، ص٩٤ ــ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٢٤١ .

ومن الملاحظ في هذا الوقت ان المرابطين استنجدوا بامارة بني حماد لصد هجمات الموحدين والقضاء عليهم ، فقد استنجد تاشفين بن علي (٥٣٧هـ ــ ٥٣٩هـ) بحليفه الحمادي صاحب بجاية يحيى بن العزيز (٥١٥ ــ ٥٤٧هـ) عندما اشتد خطر عبدالمؤمن بن علي الموحدي [٥٨] .

ففي عام ٥٣٩هـ استولى عبد المؤمن بن علي على جبال غمارة ومنها سار الى محاصرة تلمسان ، وكان يحكمها (ابو بكر بن مزدلي ــ القائد المرابطي الكبير) ونزل الجيش الموحدي عند الجبل المعروف (مابين الصخرتين) ، ومن هذا المرتفع كان عبدالمؤمن يراقب جيوش الأمير المرابطي تاشفين بن علي الذي استنجد بقوات حليفه يحيى بن العزيز الحمادي ، الذي امده بقوة يقودها (طاهر بن لباب) ، كما قدمت اليه جيوش سجلماسة ، والجيوش الاندلسية بقيادة الامير ابراهيم بن تاشفين ، فاجتمعت هذه الجيوش في ظاهر تلمسان ، وقد كانت آخر حشود يحتفل بها المرابطون[٥٩] .

في ضوء ما سبق ، عسكرت القوات الموحدية ما بين الصخرتين ، وعسكرت القوات المرابطية في محلة (سطفسيف) في ظاهر تلمسان وكانت المعارك دائرة بين الطرفين على مدى شهرين [٦٠] ، ولما وصلت حشود الاندلس والجزائر الى الامير تاشفين ، اشتبكت قواته مع الموحدين في معركة عنيفة ، انهزمت فيها قوات آل حماد ، وبعث قائدها (طاهر بن لباب) سرا ولاءه الى عبد المؤمن [٦١] .

٥٨ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٠٣ .

٥٩ــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٣ ــ ابن الخطيب : الموشيه ص١٠٧ ــ علام ، الدولة الموحدية ، ص١٢٧ .

٦٠ــ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٢٤٩ .

٦١ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٣ ــ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٠٣ ــ البيذق ، اخبار المهدي ، ٩٧ .

ارتحل الامير تاشفين بعد ذلك الى مدينة وهران ، وكانت نهايته هناك في ٢٧ رمضان من عام ٥٣٩هـ / ٢٢ شباط ١١٤٥م (٦٢) ، وبموته قاربت دولة المرابطين وامارة آل حماد على نهايتهما .

وصفوة القول ، عملت ظروف المنطقة على تحسين العلاقات السياسية بين دولة المرابطين وامارة بني حماد في الجزائر وكان ذلك بسبب درء خطر قبائل بني هلال العربية من جهة(٦٣) ، ودرء خطر الموحدين من جهة اخرى ، الا أن قوة الموحدين الفتية كانت اكبر من هذه الجهود المشتركة والتي اتسمت بالضعف والخيانة احيانا ، ولهذا بدأ دور الموحدين السياسي في المنطقة وارثاً ممتلكات المرابطين ودولة بني مناد .

٢ ـ علاقات المرابطين السياسية مع امارة آل زيرى في تونس :

يبدو لنا من خلال المرحلة الاولى للعلاقات السيئة بين دولة المرابطين وامارة بني حماد ، ان العلاقة السياسية بين هذه الدولة وامارة بني زيري في تونس كانت حسنة ، وخاصة على عهد الامير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٣ ــ ٥٠١هـ) وتستدل على ذلك من الرسالة التي بعث بها امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى امير المهدية هذا بعد انتصاره في معركة الزلاقة في الاندلس عام ٤٧٩هـ حيث ذكر فيها اولا : توحيده لبلاد المغرب الاقصى بعد انتصاره على قبائل زناتة وبرغواطة ، وبعد ذلك يصف له وضعا دقيقا وشاملا لتحركات الجيش المرابطي في بلد الاندلس ، مع الاشارة الى خصال المعتمد ، ابتداء من العبور الى دحر الاسبان في موقعة الزلاقة ، ثانيا (٦٤) .

٦٢ـ ابن الخطيب ، جـ١ ، ص٤٦٢ ، المراكشي ، المعجب ، ص٢٧١ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص١٣٥ ـ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٠٦ .

٦٣ـ ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٦٨ ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٩ .

٦٤ـ راجع نص الرسالة ، عنان ، دول الطوائف ، ص٤٤٦ ـ ٤٥٠ ـ كنون النبوغ المغربي ، جـ٢ ، ص٩٧ ـ ٩٩ .

وعلى الرغم من دلالة حسن العلاقات بين دولة المرابطين وامـارة آل زيري في تونس في ضوء هذه الرسالة ، الا أنه يمكن ان تقرر : ان ارسال مثل هذه الرسالة الى امير المهدية ربما كانت من باب تعريف هذه الامـارة والمسلمين في شمال افريقية بانتصارات يوسف في الاندلس ضـد الاسبـان ولعلها محاولة اولية على طريق وحدة المغرب العربي ، هذا اذا علمنا ان دولـة بني مناد هي ذات أصل بربري (تعود الى قبيلة صنهاجة) كما تشارك دولـة المرابطين اعتناقها المذهب الديني (المذهب المالكي) .

وقد استمرت مثل هذه العلاقة الحسنة بين امارة بني زيري ودولـة المرابطين على عهد امير المسلمين علي بن يوسف ، وخاصة عندما تعرضت السواحل التونسية الى غزو نورمان صقلية .

دخلت صقلية ضمـن الحكم الاسلامـي بين عامـي ٢١٢ ـ ٤٨٣[٦٥] ، حيث استرجعها النورمان بعد ذلك واتخذوها قاعدة بحرية لمهاجمة سواحل شمالي افريقية ، مما اضعف قوة بني مناد هناك .

كانت الاحوال السياسية في تونس والجزائر (افريقية والمغـرب الاوسط) منذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي مواتية للتوسع النورماندي واستقراره في جزيرة صقلية، وذلك بسبب انقسام دولة بني مناد الصنهاجية الى امارتين متنازعتين . وقد حاول امير المهدية تميم بن المعز (٤٥٣ ـ ٥٠١هـ) انجاد مسلمي صقلية بارساله اسطولا بحريا ، لكن هـذا الاسطول تحطم بسبب عاصفة عاتية وتبع هذه الكارثة تدهور الاحـوال في المهدية ، مما ادى في النهاية الى عقد هدنة بين امير المهدية والنورمان فـي صقلية ، انتظاراً لما تسفر عنه الاوضاع المقبلة[٦٦] ، وذهب ابن عذاري الـى

٦٥ـ البكري : جغرافية الاندلس واوربه ، ص٢١٩ ـ ابن عذاري : البيان المغرب جـ٣ ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ .

٦٦ـ العدوي ، المجتمع المغربي ، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

اكثر من ذلك ،فقد ذكر في حوادث عام ٤٨٠هـ دخول الـروم مدينة المهدية ومدينة زويلة وعاثوا فيهما فسادا [٦٧] .

وعلى اثر ذلك ، انتقل عبء الجهاد ضد النورمان الى عاتق امارة بني حماد ، وتبلورت خطة هذه الامارة للدفاع عن المغرب العربي على عهـد اميرها الناصر بن علناس الذي بنى مدينـة بجايـة[٦٨] ، لتكـون قاعـدة بحرية تسهم في حماية ديار الاسلام ضد غارات النورمـان .

ارهبت هذه الاستعدادات الجزائريـة حكام النورمان في صقلية ، وحالت بينهم وبين القيام بأي عمل عدائي ضد المغرب العربي طيلة حكـم امير المهدية تميم بن المعز (٤٥٣ — ٥٠١هـ) وصهره امير بجاية الناصر بن علناس الذي توفي عام ٤٨١هـ / ١٠٨٨م تاركا لابنه الامير المنصور ساسـة واضحة المعالم من أجل الدفاع عن المغرب العربي [٦٩] .

صار واضحا لدى امراء المهدية في تونس ان التمسك بسياسة آل حماد هو السبيل للأمن والسلامة ، ولكن امير المهديـة علي بن يحيى (٥٠٩ — ٥١٥هـ) عمد على استفزاز النورمان دون ان يتابع سياسة دعم اسبـاب التحالف بينه وبين عمومته من امراء آل حماد ، وكان النورمان يرحبون بمثل هذا التطور على عهد (روجر الثاني) الذي ارسل أسطوله البحـري عـام ٥١١ / ١١١٧م لمساعدة (رافع) ، عامل الامير علي بن محيي على مدينـة قابس [٧٠] ، والمنافس للأمير علي ، فاستطاع اسطول امير المهدية من هزيمة الاسطول النورماني [٧١] .

٦٧ـ البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣٠١ .
٦٨ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٩٥ — ٩٦
٦٩ـ العدوي : المجتمع المغربي ، ص٢٨٠ — ٢٨١ .
٧٠ـ ابى ابى دينار ، المؤنس ، ص٩١ .
٧١ـ العدوي ، المجتمع المغربي ، ص٢٨٣ .

وفي ضوء ذلك عمد امير المهدية على تقوية اسطوله البحري وهيأه لملاقاة العدو ، وكاتب المرابطين في مراكش من اجل وضع الخطط المشتركة لفتح صقلية (٧٢) . وفي خلال الفترة من عام ٥١١هـ الى عام ٥١٧هـ توثقت عرى العلاقات بين امراء المهدية ودولة المرابطين من اجل توحيد الجهود لدرء الخطر النورماني ، فنرى في الوقت الذي كتب فيه امير المهدية علي أبن يحيى رسالة الى رجار (روجر) ملك صقلية يهدده فيها بادخال الملثمين والعرب الى صقلية ، هاجم الاسطول المرابطي بقيادة (ابو عبدالله محمد بن ميمون) مدينة قوطرة(٧٣) ، في جزيرة صقلية ففتحها وسبى نساءها واطفالها ، فرأى ملك النورمان نفسه امام امر خطير ، فاستنفز اهل اوربه ، وهيأ الجيوش والاساطيل ، ومنع الاتصال بسواحل المسلمين(٧٤) .

ويحدثنا ابن الاثير ان امير المهدية (علي بن يحيى) كتب لأمير المسلمين علي بن يوسف لوضع الخطط من اجل مهاجمة صقلية ، الا ان عليا توفي عام ٥١٥هـ ، وخلفه ابنه الحسن (٥١٥ – ٥٤٣هـ) ، فأرسل امير المرابطين الحسن بن علي اسطوله عام ٥١٦هـ ففتح تقوطرة بساحل قلورية (Calabria) مما جعل (رجار) يهيىء اساطيله الكثيرة البالغة حوالي (٣٠٠) سفينة ويرسلها الى مهاجمة سواحل افريقية وذلك في عام ٥١٧هـ الا أن الأعاصير وجهود الاساطيل الاسلامية دمرت الاساطيل النورمانية ورجعت فاشلة الى بلادها (٧٦) .

٧٢– ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٥٣٠ .

٧٣– اماري ، المكتبة الصقلية ، ص٢٨٢ . وقد وردت ايضا باسم (بقوطرة) – سالم والعبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص٢٤٥ – ٢٤٦ .

٧٤– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٧ – ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص١٦١ – ابى ابى دينار ، المؤنس ، ص٩١ .

٧٥– الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٢٣ ، ٢٦٠ – اماري : الكتبة الصقلية ، ص٢٨٢ – ٢٨٣ .

٧٦– ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٦٨ – ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص٩٢ .

ازاء الخطر النورماني على سواحل تونس ، شكل اهل المهدية وفدا في عام ٥٢١هـ لمقابلة حاكم بجاية من آل حماد وهو (يحيى بن العزيز ٥١٥ـ ٥٧٨هـ) وطلب منه الوفد المساعدة لطرد النورمان وصد غاراتهم الوحشية ، وبادر الامير الحمادي الى اعداد جيش كبير اعطى قيادته الى (مطرف بن علي بن حمدون)لانقاذ المهدية وسائر بلاد المغرب العربي ، وقد خرج هذا الجيش من بجاية عام ٥٢٢هـ / ١١٢٩م للجهاد ضد النورمان ، الا ان مهمته قد فشلت لأن امير المهدية رفض الانضمام الى هذا الجيش واعتصم بالمهدية ، فرجع الجيش الحمادي الى بجاية [٧٧] .

ويبدو لنا من مجريات الحوادث ان دولة المرابطين اصبحت في هذا الوقت عاجزة عن تقديم مساعداتها الى امراء المهدية ، وأمراء آل حماد لانشغالها بالخطر الموحدي الذي اخذ يهدد كيانها ، وكان نتيجة ذلك ان تعرضت السواحل الجزائرية والتونسية الى هجمات متكررة من قبل الاسطول النورماني الذي توج هجماته بالسيطرة على جزيرة جربة عام ٥٣٠هـ [٨٧] ، وعلى مدينة المهدية في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م[٧٩] ، فلجأ امير المهدية الحسن بن علي الى امارة بني حماد حيث نزل في مدينة الجزائر [٨٠] ، وقد بقيت المهدية بيد النورمان حتى استرجعها الموحدون في عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٨١] .

وصفوة القول ، ان الملك روجار الثاني ، كثيرا ماكان يعمل حسابا لقوة المرابطين فيعدل عن خططه العدوانية ضد الزيرين ، ولذا نرى ان استيلاء روجار الثاني على المهدية لم يتم الا في عام ٥٤٣هـ ، اي بعد سقوط دولة المرابطين بقليل [٨٢] .

٧٧ـ العدوي ، المجتمع المغربي ، ص٢٨٣ .

٧٨ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣١٢ ـ ابن ابى دينار ، المؤنس ص٩٣ .

٧٩ـ ايضا ، جـ١ ، ص٣١٣ ـ ٣١٤ ـ العدوي ، المجتمع المغربي ، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

٨٠ـ ابن ابى دينار المؤنس ، ص٢٨٥ ـ العدوي ايضا ، ص٢٨٥ .

٨١ـ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٢٦ .

٨٢ـ سالم والعبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص٢٤٦ .

الفصل الثالث

علاقة المرابطين مع الخلافة العباسية

وقعت الخلافة العباسية تحت السيطرة السلجوقية في عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م أذ بدأ عهد جديد يسمى عصر النفوذ السلجوقي[1] ، يبدو لنا من استعراض الروايات التاريخية ان علاقات المرابطين مع الخلافة العباسية ذات ثلاثة اتجاهات :

الأول :

اعتراف دولة المرابطين بالسيادة الشرعية العباسية على دولتهم ، والالتزام بها لحصول عهود التولية ، مع ذكر اسم الخليفة العباسي على النقود والمنابر في المغرب والاندلس .

الثاني :

مساهمات فردية على شكل وعظ وارشاد او مشاركة في بعض حروب الجهاد ضد الصليبيين الذين هاجموا بلاد الشام ومصر ، علما بأن

---

١ ـ الاصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، ص١٥ ـ ١٧ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ١ ، ص٦١ ـ ٦٢ .. وخلفاء العباسيين الذين عاصروا قيام وسقوط دولة المرابطين هم :
القائم ٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ ، المقتدى ٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ ، المستظهر ٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ المسترشد ٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ ، الراشد ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ، المقتفى ٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ .
راجع ، شلبي : التاريخ الاسلامي ، جـ٤ ، ص٦٠ .

حروب الجهاد التي قام بها المرابطون في الاندلس اثرت على حركة الصليبيين في المشرق ، ولو ان دولة المرابطين لم تسمح لها ظروفها ان ترسل الامدادات العسكرية الى المشرق الاسلامي :

الثالث :

موقف دولة المرابطين المعادي للدولة الفاطمية ، عدوة الدولة العباسية من الناحية السياسية والمذهبية ، وقد فشلت كثير من المساعي للصلح بين الدولة الفاطمية ودولة المرابطين •

في هذا الفصل تتناول الكلام عن الاتجاه الاول والاتجاه الثاني ، اما الاتجاه الثالث ، فسيكون مبحث الفصل الرابع ، بعون الله •

الاتجاه الاول :

كان الجهاد الركن الاول الذي قامت عليه دولة المرابطين ، وبه انقذت الاسلام في المغرب والاندلس مما وصل اليه من ضعف ووهن ، وأصبح المسلمون يلهجون حمدا باسم يوسف بن تاشفين وانتصاراته الرائعة ، وخاصة مواقفه البطولية في بلد الاندلس ، الذي اوقف الزحف الصليبي على القواعد الاندلسية ، ورد كيد الاسبان في معارك مشهودة بالبطولة والفداء واصبح الناس في المشرق الاسلامي يرقبون في شغف واهتمام ذلك النصر والتوفيق الذي اقترن باسمه [٢] ، على مستوى العلماء والفقهاء [٣] ، او على مستوى رجال السياسة ، فقد سرت الخلافة العباسية بهذا الجهاد الموفق ، فاعترفت بيوسف بن تاشفين اميرا يحكم من قبل الخليفة العباسي [٤] ، بعد وفاة (ابو بكر بن عمر) ، وكتب يوسف الى الخليفة العباسي ينوه بالدور الذي اضطلع به في معركة الجهاد ، ويبين مدى ما أصاب من نجاح ، وماتحمل

---

٢ ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٣ •

٣ ـ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص٤ •

٤ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٢ ، ص٣٧٠ •

من جهد [٥] ، وتردد اسم يوسف مقترنا باسم الخليفة العباسي على منابر المغرب والاندلس ، ومقرونا مع اسمه على السكة ، وبذلك تكون دولة المرابطين قد قامت واقعيا ونظريا بعد اعتراف الخلافة العباسية بها[٦] .

كان يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت يتألق مجدا وتزداد سمعته الجهادية رفعة في الوقت الذي كان فيه الوهن والضعف يدب في جسم الخلافة العباسية نتيجة خضوعها لسيطرة بني بويه ، ومن بعدهم السلاجقة ، فلو تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المؤمنين ما عابه أحد ، ولما اعترض عليه معترض كما حصل الامر بالنسبة الى الموحدين الذي ادعى امامهم بالمهدوية[٧]، ومن ثم اقاموا خلافة مغربية واتخذوا لقب امير المؤمنين[٨] ، وبذلك انقطعت الدعوة لبني العباس في المغرب بعد زوال دولة المرابطين[٩] .

ولكن يوسف بن تاشفين بادراكه الواسع وتفهمه لمبادىء الاسلام ، رأى أن يكون هناك رمز يجتمع حوله المسلمون عنوان الوحدة الاسلامية التي ينبغي للمسلمين ان يعملوا على تقويتها ودعمها ، فكما انها قبلة واحدة ، فهي ايضا وحدة اسلامية واحدة ، فلا ينبغي ان يكون هناك خلافتان ، انما هي خلافة واحدة وعلى المسلمين ان يسيروا في ركابها حتى تكون وحدة شاملة[١٠] ولعل هذا ما وعاه يوسف بن تاشفين وقصده من عدم رضائه ان يتسمى

---

٥ ـ النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، ص١٨٥ .

٦ ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٣ .

٧ ـ ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص٧٨ ـ فيليب حتى ، تاريخ العرب (مطول) جـ٢ ، ص٦٤٩ .

٨ ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٦ .

٩ ـ المراكشي ، المعجب ، ص٢٧٢ .

١٠ـ الاصل النظري للخلافة السنية، بأن الخلافة واحدة لاتتجزأ ولاتتعدد وان الخروج عنها عصيان ، وان الخليفة الشرعي هو حامي حمى الحرمين الشريفين اي المسيطر على الحجاز اصل العرب والملة ، وهو الخليفة العباسي في ذلك الوقت ، العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص١٨١ .

بأمير المؤمنين [11] . والا كان في وسع امير المرابطين عدم الاعتراف والولاء للخليفة العباسي ، وآلاف الاميال وبحور كبيرة فاصلة بينهمـا ، اضافـة الى ضعف الخليفة العباسي في هذا العصر حيث كان اسير سلاطين السلاجقة[12] .

وبذلك وضح للمسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، ان دولـة جديدة قامت بالمغرب الاقصى تحي مجد الاسلام وتقهر اعـداءه وتوحـد بين المسلمين وتشد ازرهم ، ولولا الجهاد في الاندلس وبعض من جهادهم في المشرق الاسلامي ، لكان من الممكن الا يختلف تاريخ المرابطين عن تاريخ تلك الدويلات التي قامت بالمغرب الأقصى ، وهي الامارات الزناتية [13] ، وانتهت دون ان تثير اهتمام الناس [14] .

يبدو لنا من تتبع النصوص والروايات التاريخية ، ان علاقات المرابطين السياسية مع الخلافة العباسية تضاربت فيها الأقوال . وأول مشكلة ظهرت حول العملة المرابطية التي تعود الى عهد (ابي بكر بن عمر ٤٤٧ ــ ٤٨٠هـ)[15] والتي ضربت في مدينة سجلماسة ، وقد جاء في وجه العملة لااله الا الله ، محمد رسول الله ، الامير ابو بكر بن عمر ، وفي ظهر العملة ، الامام عبدالله امير المؤمنين . وجاء في اطار الوجه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وفي اطار الظهر : ضـرب هـذا الدينـار بسجلماسة سنة احدى وخمسين واربعمائة [16] .

١١ــ الجمل ، امير المسلمين ، ص٧٨ .

١٢ــ راجع ، السلاوي ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص٥٨ .

١٣ــ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٥ .

١٤ــ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٣ .

١٥ــ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص٨٦ ــ السلاوي ، الاستقصاء ، جـ١ ، ص١٠٦ .

١٦ــ ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص١٠٩ ــ مؤنس ، سبع وثائق جديدة ، ص٦٥ .

فالاختلاف دار حول الكتابة الواردة في ظهر العملة (الامام عبدالله امير المؤمنين) ، فمن هو هذا ؟ هل هو الفقيه عبدالله بن ياسين ، ام هذا هو لقب الخليفة العباسي ؟ ومعنى هذا ولاء المرابطين المبكر لخلافة العباسية .

من خلال استعراض قيام دولة المرابطين نرى مايلي : ــ

١ ــ خلال المراحل الاولى لقيام هذه الدولة والى عام ٤٥١هـ ، وهو عام استشهاد عبدالله بن ياسين [١٧] ، كان هناك الزعيم الديني لهذه الدولة وهو عبدالله بن ياسين ، وهناك الزعيم السياسي والعسكري وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي الذي توفي عام ٤٤٠ هـ فنقل عبدالله ابن ياسين السلطة العسكرية من قبيلة جدالة الى قبيلة لمتونة وذلك حين اختار يحيى بن تلاكاكين اللمتوني [١٨] وبذلك ظهرت قبيلة لمتونة على مسرح الاحداث ، حين تولى احد ابنائها وهو يحيى بن عمر القيادة العسكرية والذي توفي عام ٤٤٨هـ ، فعين عبدالله بن ياسين مكانه اخاه (ابو بكر بن عمر) [١٩] ، والذي استشهد في معارك الجهاد جنوبي الصحراء عام ٤٨٠هـ [٢٠] . ومعنى هذا انه بعد استشهاد عبدالله بن ياسين عام ٤٥١هـ لم يرد ذكر لزعيم ديني في دولة المرابطين .

٢ ــ من استعراض الروايات التاريخية نرى ان لقب عبدالله بن ياسين ورد باسم الفقيه[٢١] والشيخ[٢٢] والامام[٢٣] .

١٧ــ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص٥٢ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٦ .

١٨ــ اكنسوس ، الجيش العرمرم الخماسي ، لوحة ، ٢٧ .

١٩ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

٢٠ــ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٣٥ .

٢١ــ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص١٧ ــ ١٨ .

٢٢ــ ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص١٠ ــ ١١ .

٢٣ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٢ ، ص١٤ ، ص١٥ ، ص١٦ ــ ولد داده ، مفهوم الملك في المغرب ، ص١٠٥ ــ ١٠٦ .

٣ ــ في المراحل الاولى من قيام دولة المرابطين ، اطلق عبدالله بن ياسين لقب امير المسلمين على ابي بكر بن عمر الذي تولى الامر خلفا ليحيى ابن عمر[٢٤] ، وقد اشار النويري الى ذلك بقوله « فأتوا ــ اي عبدالله ابن ياسين ومن معه ــ ابا بكر بن عمر فأجاب وعقدوا له راية وبايعوه بيعة الاسلام وتبعه زمرة من قومه وسماه عبدالله بن ياسين امير المسلمين[٢٥] ، ومعنى هذا ان لقب ولاة الامر من المرابطين قبل يوسف بن تاشفين هو الامير وأمير المسلمين .

فالمتفق عليه عموما ان عبدالله بن ياسين لقب بالامام ، ولكن الاختلاف يدور حول لقب امير المؤمنين فمن صاحب هذا اللقب هل هو عبدالله ابن ياسين ام عبدالله لقب الخليفة العباسي .

من استعراض الروايات التاريخية نستنتج مايلي : ــ

١ ــ ان عبدالله بن ياسين لم يجعل من نفسه اماما للمرابطين فقط ، بل كانت له سيطرة حتى على امراء المرابطين ، وكان يتصرف عموما بالامور السياسية ايضا الى ان مات عام ٤٥١هـ [٢٦] .

٢ ــ كانت قوة المرابطين منذ بداية خروجها من رباط السنغال الى سنة وفاة عبدالله بن ياسين ٤٥١هـ في صراع مرير مع امارات المغرب الاقصى وتبادلوا النصر والهزيمة حتى ان عبدالله بن ياسين استشهد خلال هذه المعارك ومعنى ذلك ان هذه القوة لم يكن لها كيان سياسي واضح المعالم لحد الآن الى ان وصلت الى سبتة وطنجة عام ٤٧٦هـ .

٢٤ــ الصفاقسي ، نزهة الانظار ، جـ١ ، ص١٦٨ .
٢٥ــ النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، مج ٢ ، ص٧٧ .
٢٦ــ راجع عنان ، دول الطوائف ، ص٣٠٣ .

٣ ــ النقود المرابطية التي ضربت في عهد يوسف ، جاء فيها صراحة لقب (امير المؤمنين عبدالله العباسي) ، أما اللقب مثار الخلاف هو (الامام عبدالله امير المؤمنين) •

من كل ذلك ربما يمكن القول : ان عبدالله بن ياسين الذي كان اماما للمرابطين ، لقب ايضا (محليا) بأمير المؤمنين من المرابطين الذين تبعوا دعوته وساروا وراء قيادته ، امراء ورعية •

ولكن من الجانب الآخر تدفعنا الروايات التاريخية الى توضيح بعض الامور ومنها :

١ ــ قطعت مملكة بني مناد الدعوة للدولة الفاطمية ، وبايع امير المهدية المعز بن باديس (٤٠٨ ــ ٤٥٣هـ) الخليفة العباسي القائم (٤٢٢ ــ ٤٦٧هـ) وخاطبه ودعا له على منابره [٢٧] ، وذلك خلال الفترة من عام ٤٠٧هـ والى عام ٤٤٣هـ [٢٨] وبعث بالبيعة الى بغداد [٢٩] ، مما ادى الى غزو بني هلال لشمالي افريقية • ونفس الحال قام به حماد بن بلكين امير القلعة بين عام ٤٠٥ هـ والى عام ٤٢٣[٣٠] ، ومعنى هذا ان منطقة المغرب الاوسط والأدنى ، المجاورة لتحركات المرابطين في المغرب الاقصى ، اعترفت بالخلافة العباسية بوقت سابق لتاريخ ضرب العملة المرابطية (عام ٤٥١هـ) •

٢٧ــ الوزير السراج ، الحلل السندسية ، جـ١ ، ق٤ ، ص٩٤٠ •

٢٨ــ راجع ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص٢١٧ ــ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٥ ، ص٥١ •

٢٩ــ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص١٤ •

٣٠ــ الميلي ، تاريخ الجزائر ، جـ٢ ، ص١٩٠ ــ الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، جـ١ ص٣٤٠ •

٢ ــ أن القاب حكام المرابطين ، هي : الامير ، وامير المغرب [٣١] ، وامير المسلمين ، وأمير المؤمنين [٣٢] ، كما اشارت الى ذلك صراحة الروايات التاريخية ، اما عبدالله بن ياسين فلم يلقب الا بالامام والشيخ والفقيه .

٣ ــ لما كانت مذاهب السنة تنادي بأن الامامة لقريش [٣٣] يجتمع حولها المسلمون [٣٤] ، ولما كانت رسالة المرابطين هي احياء السنة ، كان من الطبيعي ان تعترف بامامة قريش ، وتعتقد بايمان انه لن يعتبر ملكها مشروعا الا اذا باركته الامامة القرشية ، ولما كانت الخلافة الاموية في الاندلس قد سقطت نهائيا عام ٤٢٢هـ ولم يعد يمثل الخلافة القرشية في ذلك الوقت الا بنو العباس في بغداد ، وكان طبيعيا ان تتجه دولة المرابطين صوب العباسيين تلتمس التأييد وتطلب الاعتراف الرسمي بسلطانها [٣٥] ، ومن الجانب الآخر لم يعترف المرابطون بامامة الفاطميين في مصر فقد رموهم بالزندقة والالحاد[٣٦] ، اضافة الى ولاء منطقة المغرب الأدنى والأوسط للخلافة العباسية .

وتقرر بعض الروايات الحديثة أن المرابطين اعطوا ولاءهم المبكر للخلافة العباسية وأن المقصود بالامام عبدالله امير المؤمنين هو لقب الخليفة العباسي [٣٧] ولكننا على العموم نميل الى ترجيح الرأي الأول .

٣١ــ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٩٨ .

٣٢ــ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٠٩ .

٣٣ــ ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص١٠٩ .
ص٩ .

٣٤ــ ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٢ ، ق٢ ، ص١٤٨ .

٣٥ــ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣٢ .

٣٦ــ لم يورد لهم السيوطى اية تفاصيل باعتبار امامتهم غير صحيحة وانهم من غير قريش راجع : تاريخ الخلفاء ، ص٤ ــ ٥ ــ عياض ، ترتيب المدارك ، جـ٤ ، ص١٥٧ ، ص٥١٣ .

٣٧ــ ولد داده ، هيئة الملك في المغرب ، ص٢١٦ ، (ح ٣١٠) .

وقد تمثل ايمان المرابطين بأحقية بني العباس في الامامة والخلافة ، في مانسب الى يوسف بن تاشفين حين طالبه قومه بأن يتخذ لقب امير المؤمنين وخاصة لما كثرت فتوحه وترامت أطراف مملكته ، حيث اعترض بإباء على هذا اللقب واعتبره من حق خلفاء بني العباس لانهم من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحماة مكة والمدينة وانه تابع لهم (٣٨) ، فاكتفى بلقب امير المسلمين (٣٩) ، وهو المعروف لدى اسلافه .

الا ان بعض الروايات التاريخية تذهب الى ان : يوسف بن تاشفين اتخذ لقب (امير المسلمين وناصر الدين) في عام ٤٦٦هـ ، وخطب له بذلك على منابر المغرب ، وخرج بذلك كتابه الى سائر انحاء دولة المرابطين (٤٠) . وقد ذكرت بعض هذه الروايات ان علي بن يوسف بن تاشفين تلقب بلقب امير المؤمنين (٤١) ومن الجانب الآخر اشارت بعض الروايات الى ان يوسف بن تاشفين اختار لنفسه هذا اللقب (امير المسلمين وناصر الدين) بعد ان جاز الى الاندلس وكسب معركة الزلاقة ضد الاسبان عام ٤٧٩هـ(٤٢) .

نستنتج من كل ماسبق ، ان يوسف بن تاشفين اتخذ لقب امير المسلمين في عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، أي بعد تنازل ابي بكر بن عمر سنة ٤٦٥هـ له عن رئاسة المرابطين ، لأن هذا اللقب اطلق على سلفه هذا ، واضافة على اصرار يوسف على هذا اللقب بعد عام ٤٦٥هـ ، وعدم تلقبه بلقب امير

٣٨- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٧ - ٢٨ - ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ص١٧ .

٣٩- عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٣٩ - ولد داده ، المرجع نفسه ص١١١ .

٤٠- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٧ - ٢٨ - ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص ١٦ - ١٧ .

٤١- ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص١٠٩ .

٤٢- راجع ، ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ، ص٣٤٣ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام جـ٣ ، ص٢٥١ .

المؤمنين ، وخاصة بعد الانتصار في معركة الزلاقة ووفاة الامير ابي بكر[٤٣]، ولكن لم يكن هناك ما يمنع من اتخاذ لقب يشعر بعظم مكانة يوسف ، ثم دعم هذا اللقب بانتصاراته العظيمة في الاندلس ، ثم اتصاله بالخلافة العباسية ورضاها عن اعماله وموافقتها على لقبه [٤٤] .

وعندما تولى يوسف بن تاشفين مقاليد الامور أصدر عملة مدورة الشكل وقد كتب عليها اسمه ، وكان في سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م [٤٥] ، وقد اشار ابن المؤقت الى هذه العملة وذكر انه نقش فيها : لااله الا الله ، محمد رسول الله ، وتحت ذلك امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب في الدائرة : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، وكتب في الصفحة الاخرى امير المؤمنين عبد الله العباسي[٤٦] .

ومن المعلوم ان الخلفاء العباسيين المعاصرين لقيام دولة المرابطين كنيتهم عبدالله ، (ابو جعفر عبدالله القائم) و (ابو القاسم عبدالله المقتدي) و (عبدالله العباسي المستظهر)[٤٧] .

كانت دولة المرابطين تبدي اهتماما باخبار الدولة العباسية[٤٨] ، كما ان اعتراف يوسف بن تاشفين بطاعة الخليفة العباسي مسألة تتفق عليها معظم

٤٣ــ هذا الموقف يمثل صورة واضحة للعقلية الاسلامية في العصور الوسطى فقد كان الناس لايفهمون حكما لايعترف به خليفة ، وكل من يشذ عن ذلك يعتبر خارجا عن راى الجماعة : محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣٣ .

٤٤ــ Brelvi, Islam in Africa, p.134-Arnold, The Caliphate, p: 83.

٤٥ــ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٧٦ ــ السلاوي ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص٣٢ .

٤٦ــ السعادة الابدية ، جـ٢ ، ص٩٠ ــ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٤٦ ــ ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص١٠٩ .

٤٧ــ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣٥ ــ ٣٣٦ .

٤٨ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٨ .

الروايات التاريخية ،كما ان اغلب هذه الروايات تشير الــى اتصال يوسف بالخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧ ــ ٥١٢هـ[٤٩] .

ولكن يبدو لنا ان هذه الاتصال سابق لعصر هذا الخليفة ، حيث ارسل يوسف بن تاشفين سفيرا الى بغداد ، وهو (ابو بكر عتيق بن عمران بن محمد بن عبدالله الربيعي)قاضي مدينة سبتة[٥٠]، فقدم هذا السفير الى بغداد وأقام بها سنتين يطلب العلم ، ولما رجع الى بلاده قتله امير الجيوش بدر الجمالــي عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م بالاسكندرية ، لانه وجد معه كتبا من الخليفة المقتدي بامر الله العباسي (٤٦٧ ــ ٤٨٧هـ) الى يوسف بن تاشفين[٥١] ، وقد لمحت بعض الروايات التاريخية الى علاقة يوسف بن تاشفين بالمقتدي بامر الله العباسي ، والذي كان معاصراً لمعركة الزلاقة في الاندلس عام ٤٧٩هـ[٥٢] .

ولكن بعد وفاة الخليفة المقتدي عام ٤٨٧ هـ ومبايعة الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ ــ ٥١٢ هـ)، جدد يوسف بن تاشفين الاتصال بخليفة بغداد الجديد ورشح لهذه المهمة القاضي المعافري وولده القاضي ابا بكر ، فقد كان التقليد يتجدد كلما مات خليفة وخلفه آخر .

ذكرت المصادر التاريخية السفارة التي ارسلها يوسف بن تاشفين الــى بغداد برئاسة عبدالله بن محمد بن العربي المعافري وولده القاضي ابو بكر

٤٩ــ راجع ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٠ ، ص٤١٧ ــ القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ص٢٥٨ ــ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٥٢ ــ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص٣٨٦ .

٥٠ــ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص١١٧ .

٥١ــ عصمت هانم ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا ، ص١٩٨ (ح ٢) .

٥٢ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٢٨ ــ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣٤ .

(٤٨٥ ــ ٤٩٣هـ / ١٠٩٢ ــ ١٠٩٩ م)[٥٢] ، وقد كانت اثر مقتل السفير الاول ، في مصر عام ٤٨٤هـ (القاضي عتيق بن عمران) ــ ويبدو ان الامير سير بن ابي بكر والي اشبيلية المرابطي هو الذي رشح هذا الفقيه للقيام بهذه المهمة ووافق عليه الامير يوسف بن تاشفين ، وقد وافق ابن العربي للقيام بهذه السفارة بسبب ماكان يعانيه من ضيق نتيجة تعاون المعتمد بن عباد مع الاسبان ، وقد ذكر ابن العربي هذا الامر للامام الغزالي ، اضافة الى مارآه من اخلاص المرابطين في الجهاد وحسن معاملتهم[٥٤] .

وقد كان القصد من هذه السفارة ، احضار تفويض الخلافة العباسية بصحة ولاية يوسف بن تاشفين ، ووجوب طاعته ، واحضار فتوى من الامام الغزالي بهذا المعنى[٥٥] .

ان الفقيه المعافري وابنه قد رحلا الى المشرق سفيرين ليوسف بن تاشفين الى الخليفة العباسي في مستهل ربيع الاول عام ٤٨٥هـ ، وقد اتخذت هـذه السفارة طابع الرحلة في طلب العلم بجانب طابعها الدبلوماسي[٥٦] . وكان هذا شأن العالم والفقيه في ذلك الوقت ، حيث لم يترك وقته يذهب سدى من اجل التعلم والتعليم ، مهما كلف من المهمات ، حتى ولو كان ذاهبا الى الحرب ، كما ذكرنا ذلك عن الفقيه (ابو علي الصفدي) شهيد قتندة في الاندلس عام ٥١٤هـ[٥٧] ، كان ارسال هذه السفارة بعد جـوازه الثالث الـى الاندلس

٥٣ــ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٦٠ ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق١ ، ص٢٨٨ .

٥٤ــ عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص١٩٧ ــ ١٩٨ .

٥٥ــ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص٣٨٦ ــ عصمت هانم دور المرابطين ، ص١٩٩ ، راجع ، الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٣٥٧ .

٥٦ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٩٠ ــ النباهي ، المرقبة العليا ، ص١٠٥ ــ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٦٠ .

٥٧ــ الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص٤٢٩ ــ ٤٣٠ .

عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م وعزمه على جعل الاندلس ولاية مرابطية بعد ان يخلع ملوكها ، واخذ يستولي عليها تباعا[٥٨] ، وكان يهمه الى جانب الحصول على المرسوم الخلافي ، ان يحصل على سند شرعي يبرر تصرفه نحو اولئك الامراء .

ويبدو لنا ان الفقيه المعافري وابنه كانا يبثان دعاية واسعة ، للاشادة بحكم يوسف بن تاشفين ومواقفه البطولية في الاندلس ، وذلك خلال وجودهما في الحجاز او العراق .

خلال وجود السفير المرابطي وابنه في بلاد الشام ، حملا معهما رسائل بالتوصية والاكرام من والي دمشق[٥٩] ، وجماعة من رؤسائها ، ومن قاضيها (الشهرستاني) لتسهيل مهمتهم في بغداد لمقابلة الخليفة العباسي ، ولكننا نجد ان السفير المرابطي لم يقابل الخليفة الا في عام ٤٩١هـ / ١٠٩٧م وهي السنة التي حصل فيها على التقليد ، وقد ذلل لهما صعوبة الاتصال بالخليفة احد اصدقاء ابن العربي ، وهو التاجر ابو الحسن بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب[٦٠] وكان هذا التاجر قد زار الاندلس عام ٤٨٣ هـ فانزله المعتمد ابن عباد عند ابن العربي الذي اكرمه وتخلى له عن مناظرته بالمسجد، فعمل هذا التاجر على توصيلهما للوزير محمد بن محمد بن جهير ، وزير الخليفة المستظهر ، فرفع امرهما الى الخليفة .

وعندما تأخر ابن العربى ، ارسل يوسف بن تاشفين رسولا آخر وهو (القاضى ابن القاسم ؟) ليحث ابن العربى على الاسراع بالعودة ، ولكن برغم هذه الصعوبات فقد نجحت سفارة ابن العربي[٦١] .

٥٨ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٨٧ وما بعدها .

٥٩ـ سيطر السلطان السلجوقي الب ارسلان على الشام بعد عام ٤٦٣هـ ، وسار ابنه ملكشاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥) على سياسة ابيه ، والذي عين اخاه تتش ملكا على بلاد الشام فقامت بذلك دولة سلاجقة الشام ، راجع العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٥٧ .

٦٠ـ ابن الابار ، المعجم ، ص٢٢ .

٦١ـ عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .

وجه القاضي ابن العربي رسالة الى الخليفة المستظهر العباسي ، يزكي الامير يوسف بن تاشفين على بلاد الذهب (مما يلي غانة) والمغرب والاندلس للخلافة العباسية وسيرته في الناس ، وطلب في اثر ذلك من الخليفة استصدار تقليد من الخلافة العباسية لاقرار سيادة ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين الامير يوسف بن تاشفين على بلاد الذهب (مما يلي غانه) والمغرب والاندلس حتى يقيم امره ، ويؤيد سلطانه كما طلب توصية من الخليفة له ولابنه محمد . وجاء رد الخليفة المستظهر على ظهر الخطاب في صورة توقيع في سبعة وثلاثين سطرا مؤرخا في رجب عام ٤٩١ هـ/ ١٠٩٧ م ، وكان التوقيع تمجيدا للخلافة وحثا على الطاعة ، وتقديرا لما يبذله يوسف بن تاشفين وفي الخاتمة توصية بابن العربى وولده[٦٢] .

وحصل السفير على رسالة من وزير الخليفة العباسي محمد بن محمد بن جهير الصاحب شرف الدين عميد الدولة (ت عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٣ م)[٦٣] ، موجهة الى يوسف بن تاشفين كتبت في ١٢ من رجب عام ٤٩١ هـ وفيها تقدير لما قام به امير المسلمين ، وثناء على حسن رأيه ، وفي آخرها ايضا توصيـــــة بالسفير المرابطي وابنه[٦٤] .

ولقي السفير المرابطى الامام أبا حامد الغزالى ، قطب فقهاء المشرق يومئذ في بغداد ، وشرح له احوال الاندلس وتخاذل ملوكها عن المشاركة في الجهاد ومجاملة الاسبان ، وبين له مواقف يوسف بن تاشفين الجهادية ، وما اضطلع به من جليل الاعمال .

٦٢ـ عصمت هانم دور المرابطين ، ص١٩١ ـ مخ ، ٢٠٣ وبعدهـا ، 215 وبعدها .

٦٣ـ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٦٥ ـ زمباور ـ معجم الانساب والاسر الحاكمة ، جـ١ ، ص٩ .

٦٤ـ عصمت هانم ، دور المرابطين ـ مخ ص٢١٧ وبعدها .

وقد حصل السفير المرابطي من الامام الغزالي على فتـوى تبرر موقف يوسف بن تاشفين من ملوك الطوائف ، وحقه في قتال هؤلاء الملوك والظفـر بأموالهم(٦٥) .

ولفتوى الغزالي اهمية كبيرة ، اذ أظهرت حق يوسف بن تاشفين في جهاد ملوك الطوائف ، وافتى بشرعية حكم يوسف ، حتى ولو تأخر وصول تقليد الخلافة ، وطلب الغزالى من الخليفة سرعة ارسال التقليد(٦٦) .

واما الرسالة التي وجهها الامام الغزالى الى يوسف ، وان كانت غير مؤرخة ولكن يبدو انها صدرت قبل رسالة الخليفة بقليل ، فيقص فيها ما سمعه من الفقيه ابن العربى عن جهود يوسف في جهاد الممالك النصرانية في اسبانيا ، وتبجيله لاهل العلم واكرامهم ، ثم هو يوصى يوسف خيرا بالسفير المرابطى وابنه ، ويشير الى جدهما في طلب العلم(٦٧) .

وقد اعجب الامام الغزالى ، بخلال يوسف بن تاشفين ، ورأى فيه الامام الامثل ، وروى انه اراد ان يذهب بنفسه الى المغرب ليرى ما حققه يوسف من انتصارات ولكن قيل انه كاذ يبلغ ثغر الاسكندرية حتى علم بوفاة يوسف، فعاد من حيث اتى(٦٨) .

٦٥ـ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ١ ، ص٤٢ ـ ٤٣ ـ النباهي ، المرقبة العليا ص١٠٥ ـ ١٠٦ ذكر رحلة المعافرى وابنه دون ذكـــر السفارة .

٦٦ـ عصمت هانم ، دور المرابطين ـ مخ ، ص٢٢٩ وبعدها .

٦٧ـ عصمت هانم ، دور المرابطين ـ مخ ، ص٢٢٣ وبعدها ـ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ١ ، ص٥٣٠ ـ ٥٣٣ .

٦٨ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٦ ، ص١٢٤ ـ حسـن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٢٣ .

توفي السفير المرابطي بثغر الاسكندرية في فاتحة عام ٤٩٣ هـ[٦٩] ، وهو في طريق العودة الى المغرب[٧٠] ، ويبدو ان رسالة الامام ابي بكر الطرطوشي ، مـــن اقطاب الفقهاء المالكيين[٧١] ، الموجهة الى يوسف بن تاشفين قد كتبت بعد وفاة السفير ، اذ انها لاتتضمن الا توصية بالابن وحده[٧٢] .

وجاءت رسالة الطرطوشي هذا مليئة بالوعظ والارشاد مؤيدة بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والروايات عن الصالحين واهل الخير ، ونرى فيها ايضا انه يخاطب يوسف بن تاشفين بلقب الامير ابي يعقوب ، كما يتهمه بلبس الناعم من الثياب والانغماس في ملذات الحياة[٧٣] .

عاد ابو بكر محمد بن العربي الى المغرب وهو يحمل مرسوم الخليفة الى عاهل المرابطين ، مع رسائل الغزالي والطرطوشي[٧٤] ، واصبح الفقيه ابو بكر ، في ضوء هذه الرحلة من الفقهاء المشهود لهم بغزارة العلم فقصـــده طـــلاب العلم من جميع انحاء الاندلس ، وقد عاش الى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م[٧٥] .

واستمر ولاء امراء المرابطين للخلافة العباسية بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ ، كما استمرت المراسلات بين الخليفة العباسي وامير المرابطين ، كما حدث في عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين ، وقد اشار صاحب الحلل الموشيه الى هذه الرسالة والمؤرخة في عام ٥١٢ هـ .

٦٩ــ النباهي ، المرقبة العليا ، ص١٠٦ ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق١ ، ص٢٨٩ .

٧٠ــ ابن خير ، الفهرسة ، ص٢٢٩ .

٧١ــ عنان ، تراجم اسلامية ، ص٢٩٧ .

٧٢ــ عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص١٩٣ .

٧٣ــ عصمت هانم ، دور المرابطين ، مخ ، ٢٣٧ وبعدها .

٧٤ــ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ١ ، ص٤٤ .

٧٥ــ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٨٢ ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٩٠ .

تبدأ هذه الرسالة بديباجة مألوفة طويلـة ، ولقب علـي بن يوسف :
(مقيم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية) اي لم يلقبه الخليفة العباسي بأمير المسلمين وناصر الدين ، ويظهر ان هذا اللقب محلي[٧٦] ، ويبدو من قراءة الرسالة انها رد على رسالة بعث بها الامير على بن يوسف الى الخليفة العباسي يوضح فيها ولاءه للخلافة العباسية ومساعيه في مجاهدة الاسبان ، وتشير الرسالة من بعيد الى تحذير الخليفة لامير المرابطين من العصيان وخلع طاعة العباسيين ، ويطلب منه أخيراً التهيؤ ومواصلة الجهاد، والدعاء للخليفة العباسي على منابر المغرب والأندلس[٧٧] .

من المألوف ان ارسال مثل هذه الرسائل يكون بمناسبة ، مثل مبايعـة خليفة جديد ، او تولي امير جديد حكم منطقة تابعة للدولة . فمن الملاحظ ان الخليفة العباسي المستظهر توفي عام ٥١٢ هـ ، فليس من المحتمل ارسال كتاب الى امير المرابطين بهذه السنة بدون مناسبة ، ولكن لعل الامر يشير الى ان هذا الكتاب قد ارسل من قبل الخليفة الجديد (المسترشد ٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ) او لعل صاحب الحلل الموشية قد أخطأ في التاريخ .

ولكن يبدو لنا انه عندما تولى علي بن يوسف امارة دولة المرابطين بعث برسالة ولاء الى الخليفة العباسي سيرا على سياسة ابيه[٧٨] ، فكان رد الخليفة المستظهر على هذه الرسالة ، لأننا اذا لاحظنا النص التالي : « فأما ما أنهيته من توفرك على الجهاد ، ومن في جملتك من الاجناد ، ودفع أدناس الكفرة عما يليك من البلاد ، ...) لعل في ذلك اشارة الى ان مثل هذه المراسلات قـد تمت بعد عام (٥٠٠هـ) بفترة قصـيرة أو لعلنا نستدل على ذلك مـن بعض

٧٦ــ مؤنس ، سبع وثائق جديدة عن دولـة المرابطين وايامهم في الانـدلس ، ص٦٦ .
٧٧ــ ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص٧١ ــ ٧٣ .
٧٨ــ محمد عثمان المراكشي ، الجامعة اليوسفية ، ص٩٥ ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٢٠١ ــ ٢٠٢ .

الروايات ، التي ذكرت اعادة مملكة بني مناد ، الفرع الشرقي (آل زيرى في تونس) الطاعة للدولة الفاطمية بعد عام ٥٠٠ هـ مباشرة ، وذلك في عهد يحيى أبن تميم (٥٠١ ـ ٥٠٩هـ) وابنه علي (٥٠٩ ـ ٥١٥هـ)[٧٩]، وقد اشار ابن عذارى ايضا الى هذا الاتصال في عام ٥٠٥ هـ ، وعام ٥١١ هـ[٨٠] .

ويخيل لنا انالخليفة العباسى المستظهر تخوف من هذا التطور الجديد في العلاقات بين مملكة بني مناد والدولة الفاطمية ، فأرسل الى امير المرابطين هذه الرسالة ، وفيها تحذير من بعيد لامير المرابطين من خلع طاعة العباسيين « ... واذ علا بك الانبساط فطامن جناحك ، واردد من طماحك ، واعط من نفسك ما تريد ان يعطيك من فوقك . »[٨١] ، او على الاقل عدم الاعتراف بطاعة الدولة الفاطمية في مصر ، علما بان العلاقات كانت جد حسنة بين امير المرابطين وامراء بنى زيري في تونس في هذه الفترة ، التي زاد فيها اعتداء النورمان على سواحل افريقية .

وبعد ذلك تسكت الروايات عن ذكر مثل هذه المراسلات ، وخاصة بعد عهد الخليفة المستظهر العباسي ، وبعد عهد امير المرابطين علي بن يوسف، (٥٠٠ ـ ٥٣٧هـ) حيث اعقب الخليفة المستظهر في حكم الدولة العباسية ، الخليفة المسترشد الذي صرف وقته في محاربة السلاجقة وذهب ضحية لمؤامراتهم[٨٢] . كما ان امراء المرابطين بعد الامير علي بن يوسف كانوا من الضعف لم تذكر لهم الروايات التاريخية اية تفاصيل كعهدها عند ذكر يوسف

٧٩ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١٢٥ .
٨٠ـ البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣٠٥ ، ٣٠٧ .
٨١ـ مؤنس ، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس ، ص٦٧ .
٨٢ـ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، جـ١٢ ، ورقة ١٨٤ (مخ) ـ الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٢٢١ ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص٤٨ .

وابنه علي ويبدو وقوع تطور في العلاقات بين المرابطين والعباسيين في السنوات الاخيرة من عهد الدولة ، حيث جاء في الدينار المرابطي رقم (٥٥٣) والذي ضرب في مدينة تلمسان عام ٥٣٤هـ مايلي : « ضرب هذا الدينار بتلمسان سنة ٥٣٤هـ ، لا اله الا الله • محمد رسول الله • امير المسلمين علي بن يوسف ، ولي عهده الامير تاشفين • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين حيث لم يرد فيه لقب الخليفة العباسي[٨٣] •

رجحنا اعتراف الدولة المرابطية بالخلافة العباسية في عهد يوسف الى جانب ارسال السفارات التي رجعت بالتقليد من الخليفة العباسي • وبجانب ذلك نرى أن المرابطين اتخذوا السواد شعارا لهم في ملابسهم واعلامهم ، اقتداء بزي بني العباس[٨٤] • كما كان شعارهم الاسود عندما دخلوا الاندلس، فيروى أن المعتصم ابن صمادح صاحب المرية اراد التقرب من المرابطين، فارتدى ثوبا مرابطيا اسود[٨٥] • ولو ان بعض الروايات الاخرى تشير الى ان السواد كان شعار المرابطين قبل ان يدعوا للعباسيين على منابر بلادهم[٨٦] •

وعلى اية حال ، فقد بقي المرابطون يدعون للعباسيين حتى دالت دولتهم فانتهت بذلك السيادة العباسية في بلاد المغرب[٨٧] •

الاتجاه الثاني :

استطاعت دولة المرابطين ان تقضي على السياسة التي سارت عليها البابوية لاثارة حرب صليبية في الاندلس ، بل لعبت دورا في غاية الاهمية في تاريخ المعركة الصليبية لتي اضطرمت نارها في المشرق ، وذلك بأسلوب مباشر وغير مباشر •

٨٣ـ ولد داده ، هيئة الملك في المغرب ، ص١١٣ ، ص٢١٦ ــ ٢١٧ (ح٣١٣).

٨٤ـ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص١٠٠ .

٨٥ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص٩١ .

٨٦ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣٦ ــ ٣٣٧ .

٨٧ـ المراكشي ، المعجب ، ص٢٧٢ .

فالتأثير غير المباشر ، فقد كان نجاح دولة المرابطين في الحيلولة بين ممالك اسبانيا النصرانية وبين المساهمة في الحملات الصليبية التي نظمت للاستيلاء على بيت المقدس ، ووقوف المرابطين لهم بالمرصاد اذ كانوا يجاهدونهم يهددون ممالكهم • ويبدو انه لولا قيام المرابطين في ذلك الوقت بالذات ، لكان النجاح الذي احرزته الحملات الصليبية في المشرق أبعد أثر ولا ستطاعت القوى الاوربية كلها ان تنصرف الى معركة المشرق • ولعل قيام دولة المرابطين ونجاحها في المعركة الصليبية الدائرة في الاندلس، قد احيا الآمال وهز مشاعر المسلمين في المشرق الاسلامي ، فأدركوا ان المغرب الاسلامي قوة ناشئة استطاعت — حين وحدت القوى المتنافرة — ان تحرر ذلك النصر الرائع ، وان تذيق اعداءها البأس والشدة(٨٨) •

والتأثير المباشر ، فقد اهتم المرابطون بالجهاد في المشرق الاسلامي اهتماما ملحوظا ، ولو كان على مستوى فردي ، الا أنه يمثل مبدأ عاما سار عليه المرابطون — فكان يحز نفوسهم ان يروا اخوانهم في الدين قد تفرقوا واصبحوا شيعاً واحزابا ، تأكلهم وتهددهم الفرقة والتمزق •

على العموم ، حدد بعض المؤرخين تاريخ الحروب الصليبية بين ١٠٩٦ — ١٢٩١م ، وهو المرحلة الحاسمة من هذا التاريخ(٨٩) ففي الوقت الذي بدأت فيه جحافل الصليبية تسير الى المشرق الاسلامي ، كانت حواضر الاندلس المهمة مثل طليطلة وبلنسية وغيرها قد سقطت بيد الاسبان ، وفي صقلية كان وضع المسلمين حرجا ويعمل النورمان على طرد هم ، وكانت اساطيل ايطالية تهاجم سواحل شمالي افريقية والسواحل الاندلسية(٩٠) •

٨٨— حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ٣٣٠ •

٨٩— سعيد عبدالفتاح عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص٤٣٧ •

٩٠— عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٨٥ وبعدها •

ويبدو لنا من استعراض الحوادث ان حكم دولة المرابطين في المغرب الاسلامي عاصر احداث الصليبية الاولى ابتداء من عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦ ، والى بداية احداث الحملة الصليبية الثانية (٥٤١ـ ٥٤٤هـ / ١١٤٧ ـ ١١٤٩م) .

كانت نتيجة الحملة الصليبية الاولى في عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٦ م التي تزعمها صليبيو فرنسة[٩١] ، ظهور اولى الامارات الصليبية في المشرق في عام ٤٩٢هـ / ١٩٠٨ م في مدينة الرها وقونية ، وبعدها بقليل ظهرت الامارة الصليبية الثانية في انطاكية[٩٢] ومن ثم ظهور الامارة الصليبية الثالثة بعد سقوط بيت المقدس عام ٤٩٣ / ١٠٩٩م[٩٣] . ثم اعقب ذلك سقوط مدن الشام تباعا عام ٤٩٥هـ والى عام ٥١٨ هـ ، فقامت الامارة الصليبية الرابعة[٩٤] .

كانت الدولة الاسلامية ، في وقت سيطرة الصليبيين على بلاد الشام ، في حالةمن التفكك والتمزق ، فكانت بحاجة الى جبهة قوية موحدة تواجه الصليبيين ، فالخلافة العباسية تعيش الصراع بين حكامها وسلاطين السلاجقة ، بالاضافة الى العداء السياسي والمذهبي مع الدولة الفاطمية في مصر وبلاد الشام .

الا أن ظهور بعض الامارات الاسلامية قرب امارات الصليبيين في بلاد الشام ، والتي كان ظهورها قائما على نظام الفروسية ، المرتكز على عامل الجهاد في سبيل الله عاملا مهما في دحر الصليبيين وانتزاع ممتلكاتهم[٩٥] .

٩١ـ The Cambridge Medieval history, 5, p.274.
حتى تاريخ العرب ، ص٧٢٦ ـ عاشور ، اوربة العصور الوسطى ، جـ١ ، ص٤٤٣ .

٩٢ـ The Cambridge, op.cit, 5pp: 285,292.

٩٣ـ عاشور ، اوربة العصور الوسطى ، جـ١ ، ص٤٤٩ .

٩٤ـ عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص٢٧٥ ـ حتى ، تاريخ العرب ، ص٧٣٠ .

٩٥ـ عمارة ، الدكتور محمد عمارة ، « بالفروسية كسر العرب شوكة الصليبيين » مجلة العربي العدد ٢١٧ ، (الكويت : ١٩٧٦)، ص٢٥ ـ ٢٦ . ص٢٥ ـ ٢٦ .

ومن مؤسسات الفروسية الاسلامية هذه ، نشأت الدولة الزنكية التي اسسها في الموصل الاتابك[96] عماد الدين زنكي (٥٢١ ـ ٥٤٠هـ / ١١٢٧ ـ ١١٤٦ م) الذي ضم اليه حلب ، ثم انتزع الرها من الصليبيين في عام ٥٣٨هـ / ١١٤٤م[97] ، ولم تستطع الخلافة العباسية ان تقدم له مساعدات الا في نطاق محدود ، عندما قام بواجب الجهاد في سبيل الله[98] .

وقد اثار استرجاع المسلمين لمدينة الرها فزع العالم الاوربي ، فبدأ الاستعدادات لحملة صليبية ثانية ، ولكن الفشل حالف الحملة الثانية (٥٤١ ـ ٥٤٤هـ)[99] .

ان الخلفاء العباسيين الذين عاصروا احداث الحملة الصليبية الاولى وهم المستظهر (٤٨٧ ـ ٥١٢هـ) ، والمسترشد (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ) وقد كانت لهم علاقات حسنة مع دولة المرابطين في المغرب ، كما بينا ، على عهد الامير يوسف أبن تاشفين وابنه علي . ولكن من خلال استعراض الحوادث ، يتبين لنا ان الدولة المرابطية كانت مشغولة في عهد الحملة الصليبية الاولى ، بمقارعة الاسبان في الاندلس، وقد جندت كل امكاناتها العسكرية لهذا الغرض ، خاصة منذ ان اصبح القمبيطور سيد بلنسية وحاكمها المطلق ابتداء من عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٣م ، والتي لم تحرر من السيطرة القشتالية الا في عام ٤٩٥هـ / ١١٠٢ م ، فكانت القوات المرابطة وجموع المجاهدين الاندلسيين تقارع القوات الاسبانية بحروب عاتية ، لاتقل شدتها عن معارك الجهاد في المشرق الاسلامي ، والتي ادت الى سقوط بيت المقدس عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م ،

٩٦ـ الاتابك ، لفظة تركية مؤلفة من اتا : اب ، بك : الامير ، راجع : ابو شامة الروضتين في اخبار الدولتين ، جـ١ ، ص٢٤ .

٩٧ـ حتى ، تاريخ العرب ، ص٧٣٤ ـ عاشور ، اوربة العصور الوسطى، جـ١ ، ص٤٥٢ .

٩٨ـ ايضا ، ص٥٥٧ .

٩٩ـ The Cambridge, 5, pp : 366-367.
حتى ، تاريخ العرب ، ص٧٣٤ .

وبذلك وافق سيطرة القمبيطور على مدينة بلنسية (٤٨٧ ــ ٤٩٥هـ) تاريخ اول حملة صليبية الى المشرق الاسلامي[١٠٠] .

لم تكن ظروف المرابطين مواتية لارسال النجدات الى المشرق الاسلامي، وبخاصة ان الدولة الفاطمية تشكل حاجزا كبيرا بين اراضى دولة المرابطين وأراضى الدولة العباسية ، اضافة الى حراجـة مركزها في الاندلس والمغرب . ولم يكـن امام المرابطين ، كما تذكر بعض الروايـات ، سـوى مساهمات فردية ، حيث رحل بعض الفقهاء ــ عقب الحملة الصليبية الاولى ــ الى المشرق الاسلامي ، وبخاصة الى بغداد وخطبوا في الناس يستنهضون الهمم ، ويلهبون الحماس في النفوس ، ويدعون الى الجهاد في المشرق كما دعو اليه في المغرب، وكان ذلك في عام ٤٩٩ هـ[١٠١] .

وقد شارك بعض المرابطين ــ الفقيه المرابطي الذي وعظ في بغداد ــ في حروب الفاطميين الجهادية ضد الصليبيين ، وقد استشهد في بعضها وسنوضح ذلك فيما بعد ، بعون الله .

وعلى اية حال ، مثلما قاومت الدولة الفاطمية ، والامارة الزنكية القوات الصليبية في المشرق الاسلامي ، قامت دولة المرابطين في المغرب الاسلامي ، بنفس الدور ، حيث تصدت لقوات النصرانية الاسبانية والاوربيـة التي وفدت على شكل حملات متعاقبة الى الاندلس عند حراجة نصارى اسبانية ، واوقفت خطرها الى حين وقللت من خطر الحملات الصليبية الذاهبة الى المشرق الاسلامي .

١٠٠ــ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١١ .

١٠١ــ ابن الاثير ، الكامل ، جـ١ ص٤١٤ ــ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٣٣١ .

الفصل الرابع

علاقات المرابطين مع الدولة الفاطمية في مصر

قامت الدولة الفاطمية في شمالي افريقية أولا ، ابتداء من عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩ م[1] ، بعد مبايعة (عبيدالله المهدي) ، اول خليفة لهذه الدولة ، في مدينة سجلماسة ، ثم انتقل الى مدينة (رقادة) حيث تسلم مخلفات بني الاغلب، وبويع عقب ذلك بيعة عامة بالقيروان[2] . وامتد نفوذ هذه الدولة الى الجزائر، واسقطوا ملك آل رستم الخوارج ، وسيطروا على مراكش حيث قضوا على بقايا الادارسة ، ودان لهم الشمال الافريقي كله ، وبنى عبيدالله المهدي مدينة المهدية[3] ، واتخذها عاصمة لدولته ، كما اتخذ لنفسه لقب امير المؤمنين وخليفة المسلمين وامام الملة [4] .

استمر حكم الفاطميين في شمالى افريقية الى عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، حيث انتقل المعز لدين الله (٣٤١ ــ ٣٦٥ هـ) الى مصر لتبدأ هناك الدولة الفاطمية[5] ، والتي سيمتد نفوذها الى بلاد الشام ايضا[6] .

---

١ ــ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص٩٢ .
٢ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ١ ، ص٢٢٧ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٨ ،
٣ ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ١ ، ص٢٢٧ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص٢٠ ــ ٢١ .
٤ ــ ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص٣١ ، وبعدها ــ شلبي ، التاريخ الاسلامي، جـ٤ ، ص٣٢٥ .
٥ ــ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٢٥٩ .
٦ ــ راجع ، محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦١ .

بعد انتقال المعز لدين الله الى مصر في عام ٣٦٢ هـ عهد بأدارة افريقية الى بلكين بن زيرى الصنهاجى ، وأوصاه بعدة امور[٧] ، فقامت على اثر ذلك دولة بني مناد بفرعيها .

لكن المغرب العربي شهد عام ٤٠٥ هـ اول خروج رسمى علنى ضد زعامة الخلافة الفاطمية ، وكان بطل هذا الخروج حماد بن بلكين[٨] ، فانفتح بذلك باب الخروج عليهم وانقطع ذلك الخيط الرفيع الذي كان يمنحهم هيبة رمزية[٩] .

ولم يحل عام ٤٠٧هـ الا وكان المعز بن باديس يحذو حذو حماد ـ على الرغم من اختلافهما السياسي، ويسمح بقتل اتباع الفاطميين، كما فرض المذهب المالكي وأخرج ماعداه من المذاهب من المغرب[١٠] . وقد كان الفاطميون يحرصون على ابقاء هذا الخيط ويتغاضون عن كثير من مظاهر الخروج ، بل كانوا يقابلونها بارسال مزيد من الهدايا ، ولعل ذلك هو الذي ارجأ الخروج الرسمي عليهم من جانب المعز بن باديس في عام ٤٤٣هـ ، اي بعد اكثر من ثلاثين سنة من بعد خروجه الاول[١١] .

ويبدو ان الخروج على الفاطميين كان الشعار الذي يرفعه كل ثائر في المغربين الادنى والاوسط ، يريد لنفسه استقطاب الجماهير والحصول على ولائها ، وذلك لأن هذا الخروج يرضى المغاربة ويتمشى مع ميولهم[١٢] ،

٧ ـ الوزير السراج ، الحلل السندسية ، جـ١ ، ق ٤ ، ص٩٣٧ ـ الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب ، جـ٢ ، ص١٩٨ .

٨ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ٣٥٠ ـ الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، جـ٢ ، ص١٩٠ .

٩ ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٢٨ .

١٠ـ الوزير السراج ، الحلل السندسية ، جـ١ ، ق٤ ، ص٩٤٠ .

١١ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٢٩ .

١٢ـ حسن حسني عبدالوهاب ، ورقات من الحضارة المغربية ، جـ١ ، ص٤٤٤ .

وبذلك مالت دولة مناد الى الخلافة العباسية ، وقطعت الدعوة للخلافة الفاطمية، وبايعت الخليفة العباسي القائم (٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ) ودعت له على المنابر ؛ وبعث المعز بن باديس البيعة الى بغداد[١٣] .

وبذلك اصبحت منطقة شمالى افريقية (دولة المرابطين ودولة بنى مناد) تعتنق المذهب المالكى ، وترى ان المذهب الفاطمي خـروج على اصول الدين ومقومات الشريعة الاسلامية[١٤] ، كما اعطت هذه الدول ولاءها السياسي الى الخلافة العباسية ، عدوة الدولة الفاطمية .

عندما قامت دولة المرابطين وثبتت اركانها في منطقة المغرب الاقصى كانت الدولة الفاطمية قد دخلت عصرها الثاني وهو عصر الوزراء ، وخاصة ظهور نفوذ بدر الجمالي ، الارمني الاصل ، والذي استأثر بالسلطة ، في عهد الخليفة الفاطمي المستظهر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ) بعد ان قضى على الاتراك من عام ٤٤٦هـ الى وفاته في عام ٤٨٧ هـ[١٥] ، وقد حاول هذا الوزير كسب ود المغاربة ، بما فيهم المرابطون، وقد كان هؤلاء المغاربة يعدلون عن مصر اذا ارادوا الذهاب الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ، الا أنه فشل في هذه المهمة ، اذا لم يستجب له احد ، فأمر بقتل من ظفرمنهم . الا ان ابنه الافضل (٤٨٧ ـ ٥١٥ هـ)[١٦]، أحسن اليهم وكسب ودهم واستعان ببعض المرابطين في حربه مع الصليبيين . وقد اتهم الافضل هذا بتغيير مذهبه ، وهذا مما ادى الى مقتله[١٧] . او ربما هذه السياسة تعود الى اعادة يحيى بن تميم (٥٠١ ـ

١٣ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١٢٥ ـ الوزير السراج ، الحلل السندسية جـ١ ، ق٤ ، ص٩٤٠ .

١٤ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤١٤ .

١٥ـ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٨١ ، سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص١٠٧ وبعدها .

١٦ـ العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٠٦ .

١٧ـ سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص١١٨ ـ ١١٩ .

٥٠٩هـ) امير تونس وابنه علي (٥٠٩ ــ ٥١٥هـ) الطاعة الى الخلافة الفاطمية[١٨] ، كما نقرأ عن مركب فاطمي رحل من الاسكندرية ببضائع عظيمة وهدية الى صاحب بجاية عام (٥٣٢هـ)[١٩] ، وذلك على عهد اميرها يحيى بن العزيز (٥١٥ ــ ٥٤٧ هـ) .

على العموم كانت العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والدولة الفاطمية عدائية ، ولعل في استعراض الحوادث التاريخية التالية تتوضح طبيعة هذه العلاقة :

يذكر لنا ابن الاثير في حوادث ٤٩٩ هـ خبر الرجل المرابطي وصاحبه الفقيه (دون ذكر الاسماء) الذي كان يعظ الناس في بغداد ، ويبين لنا سبب مجيئه الى بغداد ، وذلك لانه بقي في مصر فترة على عهد الوزير الافضل بن بدر الجمالي ، وشارك في الحياة العامة ، وبعدها خاف الرجوع الى بلاده ، فذهب الى بغداد ومنها الى دمشق ، وشارك في الحروب الصليبية حتى استشهد في احدى المعارك[٢٠] .

١٨ــ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ١ ، ص٣٠٥ ، ص٣٠٧ .

١٩ــ ابن القطان ، نظم الجمان ، جـ٦ ، ص٢٣٣ ــ ٢٣٤ .

٢٠ــ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤١٤ : « .. ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين ، اصحاب مصر ، الاعتقاد القبيح ، فكانوا ، اذا ارادوا الحج ، يعدلون عن مصر ، وكان امير الجيوش بدر والد الافضل اراد اصلاحهم ، فلم يميلوا اليه ولا قاربوه ، فأمر بقتل من ظفر به منهم ، فلما ولي ابنه الافضل احسن اليهم ، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج ، وكان هذا من جملة من قاتل معه ، فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده ، فقدم بغداد ، ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها ، فقتل مع بعضها شهيدا ، وكان شجاعا فتاكاً مقداما » .

في ضوء هذا الخبر الذي اورده ابن الاثير يتبين لنا : ان مصـر كانت منطقة مرور لقوافل الحجاج المغربية الذاهبة الى الديار المقدسة ، الا أن قيام الدولة الفاطمية فيها ، ادى الى تجنب المغاربة المرور فيها . ويبدو ايضا ان الدول السياسية في الشمال الافريقي (دولة المرابطين ومملكة بني مناد) تحذر رعاياها من دخول مصر والاختلاط بأهلها ، ماعدا المرور بثغر الاسكندرية باب الولوج الى المغرب(٢١) . اما مشاركة المرابطين في معارك الحروب الصليبية الدائرة في المشرق الاسلامي ، فيبدو انها كانت فردية ، مدفوعة برغبة بعض العلماء والفقهاء في المشاركة بمثل هذه الحروب ، والاستشهاد في سبيل الله ، كما بينا سابقا .

وجاء في الوثائق التاريخية الجديدة عن عصر المرابطين ، انه عندما خلع يوسف بن تاشفين المعتمد وغيره من ملوك الطوائف اصابت الكاتب ابن القصيرة (توفي عام ٥٧٦ هـ)(٢٢) ، نكبة اقصته عـن رتبته واخملته مدة ثلاث سنوات حتى تذكره يوسف بن تاشفين بسبب كتاب ورد اليه من مصر ، فأراد الجواب عليه فاستدعاه لساعته(٢٣) .

فاذا حددنا تاريخ خلع المعتمد ملك اشبيلية في عام ٤٨٤ هـ وما جرى بعدها من حوادث والى عام ٤٨٧ هـ فان ذلك معاصر لعهد الوزير بدر الجمالي

٢١ــ تتبع رحلة السفير المعافرى وابنه (٤٨٥ ــ ٤٩٣ هـ) ومرورهم بثغر الاسكندرية ووفاة السفير فيها ، وكان ذلك في عهد الوزير الافضل الذي اتهم بالميل الى اهل السنة اولا ، والى المصالحـة مع المرابطين ثانيـا ــ راجع ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، جـ١ ، ص ٤٤ .

٢٢ــ المقرى ، ازهار الرياض ، جـ٣ ، ص١٥ .

٢٣ــ « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » نشر : الدكتور محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات في مدريد ، مج ٧ ــ ٨ ، (مدريد : ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠) ص ١١٥ .

وبداية عهد الافضل • أما ما هي طبيعة هذا الكتاب الذي ورد الى يوسف بن تاشفين من مصر (دون تحديد جهته)، فلم تشر الوثائق الى ذلك ، ومن الذي ارسله ؟ ، ولكن الاحتمال ، ربما انه ارسل من الخليفة الفاطمى او وزيره لانه معنون الى امير المرابطين يوسف بن بن تاشفين ، وربما كان الامر في بداية عصر الافضل الذي مال الى التفاهم مع دول المغرب العربي •

اما السفير المرابطى ابو بكر عتيق بن عمر ان بن محمد بن عبدالله الربيعي، الذي ارسله يوسف بن تاشفين الى بغداد ، واقام بها سنتين يتفقه فقد قتله امير الجيوش بدر الجمالي عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م بالاسكندرية، لأنه وجد معه كتبا من المقتدى بأمر الله العباسي الى يوسف بن تاشفين[٢٤] ، وهذا اوضح دليل على العلاقات السياسية العدائية بين المرابطين والدولة الفاطمية ، وربما هنالك أدلة ، لم تكشف عنها البحوث بعد •

٢٤ـ عصمت هانم ، دور المرابطين ، ص١٩٨ (حاشية رقم ٢) •

الباب الرابع

علاقات المرابطين الحضارية مع الممالك الاسبانية والدول الاسلامية

الفصل الاول : العلاقات العلمية والادبية والفلسفية (العلاقات الفكرية) :

١ ـ العلاقات بين المغرب والاندلس زمن المرابطين .
٢ ـ العلاقات بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية .
٣ ـ العلاقات بين دولة المرابطين والدول الاسلامية .

الفصل الثاني : العلاقات الاجتماعية :

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين .
٢ ـ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية .
٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية

الفصل الثالث : العلاقات الاقتصادية :

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين .
٢ ـ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية .
٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية :

الفصل الرابع : المؤثرات الحضارية في زمن العمارة الاسلامية :

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين .
٢ ـ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية .
٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية .

الفصــل الاول

العلاقات العلمية والادبية والفلسفية

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين :

ان عوامل ازدهار الحركة الفكرية في ظل دولة المرابطين تعود الى :

١) استقرار الاوضاع السياسية في منطقة المغرب الاقصى بعد ان خضعت لسطان المرابطين ، وقد صحب هذا الاستقرار امتداد نفـوذ المرابطين على أيام علي بن يوسف من سلجماسة في الجنوب الى شمالـي بـلاد الاندلس[1] .

٢) تشجيع ولاة الامر للعلم والعلماء ، فقد كان يوسف بن تاشفين تلميذا لعبد الله بن ياسين ، اضافة الى خضوع امراء المرابطين لسلطـان الفقهاء[2] .

٣) الصلة الوثيقة بين المغرب والاندلس ، فقد عادت هذه الصلة بـين البلدين منذ ان اصبح الاندلس اقليمـا تابعا لدولـة المرابطـين ، واتاح ذلك لامراء المرابطين وقادتهم للاطلاع على الحركة الفكرية المزدهرة في الاندلس والاستفادة منها ، كما رحبوا بالعلماء والادباء الاندلسيين

---

١ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٧٨ ـ ٧٩ .

٢ ـ المراكشي ، المعجب ، ص١٦٣ ، ص١٧١ .

الوافدين الى المغرب والذين هاجروا فرارا من المعارك التي شهدتهم الاندلس خلال عصر المرابطين ضد الاسبان لينعموا بالاستقرار والطمأنينة . فنتج عن ذلك الانفتاح الفكري للاندلس على المغرب، حيث تدفقت الثقافات الاندلسية المتنوعة على المغرب ، كما انتقل ابناء المغرب من قادة ورعية لينهلوا من علوم الاندلس دون حرج على حركتهم ، وقد نتج عن كل هذا ثورة ثقافية بالمغرب الاقصى أحدثتها تلك الصلة الوثيقة بالاندلس[٣] .

٤) رغبة الكثير من ابناء المغرب في طلب العلم ، فكانت الرحلة في طلب العلم الى المشرق والى الاندلس ، مع وجود عامل التشجيع والحث للسفر وطلب العلم[٤] .

هذا ونلاحظ ان يوسف بن تاشفين الذي رحب بالعلماء في عاصمته مراكش ، كانت ثقافته دينية مستمدة من المذهب المالكي الذي درسه في رباط عبدالله بن ياسين .

كما ان ميله الى الزهد وابتعاده عن مظاهر الترف التي كانت سائدة في الاندلس فضلا عن قضائه شطرا كبيرا من حياته في الجهاد بالمغرب والاندلس فقد جعله بمعزل عن التيارات الثقافية المختلفة بالاندلس . ولكن على العكس نرى ابنه علي ، الذي عاش فترة كبيرة من حياته بالاندلس واليا عليها من قبل ابيه[٥] ، قد استهوته الثقافة الاندلسية فنهل منها ، اضافة الى تكريمه للعلماء وترحيبه بهم في عاصمته ، مما أسهم في تكوين شخصيته العلمية ، التي استمدت اصولها من كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، مع دراسة الاحكام الدينية وتفرعاتها على مذهب مالك ، يضاف الى كل ذلك علوم العربية

---

٣ ــ عبدالعواد ، الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، ص٥٠٥ .

٤ ــ كنون : النبوغ المغربي ، ج٣ ، ص ١٤٩ .

٥ ــ عبدالعزيز بنعبد الله ، تاريخ المغرب ، ج١ ، ص١٠٨ .

المختلفة[٦] ، كما اشتهر وزراء الدولة المرابطية ، وكان معظمهم من ابناء الاندلس ، بالعلم والادب[٧] ، مثل مالك بن وهيب وزير على بن يوسف الذي وصف بالكمال العلمي ومعرفته لدقائق الامور ، والذي توفي بمراكش عام ٥٢٥ هـ[٨] ، وهناك كثيرون سنشير اليهم فيما بعد •

لم يطل عهد المرابطين بالاندلس اكثر من نصف قرن ، انفق معظمه في مجاهدة الشمال الاسباني • ولكن رغم كل ذلك لم يهمل المرابطون رعاية العلوم والاداب ، كما فتحوا ابواب مدنهم على مصراعيها لاستقبال رجال الفكر الاندلسيين •

وعلى الرغم من اشارة بعض الروايات الى ضمور الحركة الفكرية الاندلسية في ظل دولة المرابطين ، عما كانت عليه ايام ملوك الطوائف[٩] ، الا ان الحركة العلمية والادبية بالاندلس ، لبثت خلال العهد المرابطي ، تحتفظ بكثير مما كان لها ايام الطوائف من قوة وحيوية • فقد حفل النصف الاول من القرن السادس الهجري ، بجمهرة كبيرة من رجال العلم والادب البارزين ، اضافة الى ان اكثر عمال المرابطين في الاندلس درسوا على أيدي أشهر العلماء[١٠] •

فقد بدأ البلاط المرابطي في استخدام الكتاب الاندلسيين، منذ عهد يوسف أبن تاشفين ، فكان كاتبه قبل ان يعبر الى الاندلس ، أديب اندلسي من اهل المرية ، وهو عبدالرحمن بن أسباط ، الذي أشار على يوسف بن تاشفين

٦ ــ عبدالعواد ، الحياة الادارية والاقتصادية ، ص٥٦٦ .

٧ ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٢٠٥ .

٨ ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ٦٢١ ــ محمد عثمان المراكشي ، الجامعة اليوسفية ، ص١٧٤ ــ ١٧٥ .

٩ ــ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٧٤ .

١٠ ــ راجع على سبيل المثال ، ابن الابار ، المعجم ، ص٨ ، ص١٥ ، ص٢٠ ، ٢٨١ وغير ذلك .

بالحصول على الجزيرة الخضراء ، عندما ورده كتاب المعتمد بن عباد يطلب فيه الاستنجاد[11] ، فعمل باشارته ولم يعبر الى الاندلس حتى أسلم اليه المعتمد الجزيرة الخضراء فشحنها بالعتاد والرجال[12] .

ولما توفى عبدالرحمن بن اسباط عام ٤٨٧ هـ ، وكان يوسف بن تاشفين قد افتتح معظم ممالك الطوائف ، استخدم محمد بن سليمان الكلاعـــي الاشبيلي[13] ، ويكنى ابا بكر ويعرف بابن القصيرة[14] ، فكان استخدامه في البلاط المرابطي بداية لاحتشاد اعلام الكتابة الاندلسيين للخدمة فيه[15] . وكان ابو بكر بن القصيرة ممن خدموا الامارة العبادية في الاندلس ، واصبحت له مكانة مميزة في عهد المعتمد بن عباد الذي ارسله ضمن سفراء الأندلس الى المغرب لطلب النجدة من يوسف بن تاشفين ، وقد اعتزل ابن القصيرة وقتا بعد القضاء على الامارة العبادية ، حتى استدعاه يوسف بن تاشفين ، وكتب له رسائل مختلفة[16] ، وهو الذي أجاب عن كتاب الفونسو السادس الــذي ارسله الى يوسف بن تاشفين عند عبوره الى الاندلس ، وكان الفونسو يحاول ان يصرف يوسف عما عزم عليه من نصرة اهل الاندلس فاغلظ له في القول ، فكان رد ابن القصيرة بليغا وباسهاب ، فلما قرىء على يوسف قال : هذا كتاب طويل ، واكتفى بالرد على ظهر كتاب الفونسو : « الجواب ما ترى لا مـــا تسمع »[17] وتوفى ابن القصيرة في جمادى الأخرة عام ٥٠٨هـ/١١١٤م[18] .

١١ــ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ٣٢ ــ ٣٣ .
١٢ــ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٨٦ .
١٣ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٦٩ .
١٤ــ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٥ ، ص١٠٤ وما بعدها .
١٥ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٤٤٠ .
١٦ــ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص١٠٤ وبعدها .
١٧ــ المقري ، نفح الطيب ، جـ٤ ، ص٣٦١ ــ محمد بن تاويــت ، الادب المغربي ، ص١٤٣ .
١٨ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٦٩ ــ الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٠٤ ــ ١٠٦ .

واحتشد في البلاط المرابطي الى جانب ابن القصيرة ، عدة من اعلام الكتاب وأئمة البلاغة في ذلك العصر ، ومنهم وزير بني الافطس امراء بطليوس وصاحب المرثية الشهيرة ، ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ، والمتوفى عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م[١٩] ، الذي كتب ليوسف بن تاشفين وقيل لابنه علي[٢٠] اضافة الى الكاتب ابي عبيدالله محمد بن مسعود بن ابي الخصال الذي كتب لعلي بن يوسف ، والذي يبدو انه لم يكن مخلصا في خدمة البلاط المرابطي ، حيث صدرت عنه بأمر علي بن يوسف رسالة موجهة الى الجند المرابطين ببلنسية ، لانهزامهم أمام الفونسو الاول ملك اركون ، يلومهم فيها على التخاذل امام العدو ، فجاءت بالسباب والطعن[٢١] ، وكانت سببا لعزله عن الكتابة الى ان توفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م[٢٢] .

ونرى من خلال دراسة تراجم هؤلاء الكتاب وغيرهم ، انهم كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في البلاط المرابطي ويحملون لقب (ذو الوزارتين) امثال ابي بكر بن القصيرة ، ابي عبيدة الله محمد بن مسعود بن ابى الخصال الغافقي[٢٣] .

١٩ـ كانت مرثيته تعتبر من اروع المراثى الاندلسية ، ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر × فما البكاء على الاشباح والصور ....

٢٠ـ راجع ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٣٥ وبعدها ـ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ص٨٧ .

٢١ـ راجع المراكشي ، المعجب ، ص٩٨ ـ مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، ص١١٦ ـ ١١٨ .

٢٢ـ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٧٥ ـ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ص٥٨٨ ـ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٨٨ ـ بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص١٢٣ .

٢٣ـ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص٥ ، ص١٧٥ ـ ابن بشكوال ، الصلة ق٢ ، ص٥٨٨ ـ ٥٨٩ .

ولانسى خدمات الفتح بن خاقان الاشبيلي الذي قدم أولا في قصور امراء الطوائف ثم التحق بخدمة ابي اسحق ابراهيم بـن يوسف بن تاشفين أخ علي بن يوسف ، والذي انتقل اخر ايامه الى مراكش وعاش فيهـا خليعـا ، منحرف السلوك الى ان قتل بالفندق الذي كان يسكنه في عام ٥٢٩ هـ[٢٤] وقيل عام ٥٣٥ هـ ، واتهم بقتله علي بن يوسف لانه ألف لاخيه أبي اسحق ابراهيم كتاب قلائد العقيان[٢٥] .

لقد كان اجتماع هذه الصفوة الجيدة من كتاب الاندلس في البلاط المرابطي ، ظاهرة تدل على ان المرابطين لم يهملوا القيم العلمية والادبيـة ، والاساليب البليغة العالية ، في شرح مراسم الدولة وتبيان جوانبها ، بيد ان هذه الرعاية كانت محدودة المدى ومقصورة على الجانب الرسمي[٢٦] .

وخلال العصر المرابطي ظهر في الاندلس الكثير من اعلام المحدثين والفقهاء ، فقسم منهم تعاون مع ولاة المرابطين في الاندلس ، وقسم اخر ذهب الى مراكش ودخل في خدمة المرابطين هناك ، ومن اشهرهم : ابو العباس احمد أبن عبدالرحمن بن‌محمد بن الصقر الانصاري اصلـه من سرقسطة وولـد بالمرية علم ٥٠٢ هـ ، وكتب لقاضي مراكش ابي عبدالله بن حسون في اواخـر عهد الدولة المرابطية ، واخيرا انحاز الى دولة الموحدين الى ان توفي بمراكش عام٥٥٩ هـ/١١٦٤م[٢٧] . ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الحق بن غالب عبد الرحمن المحاربي (٤٨١ ـ ٥٤٢)[٢٨] من أهل غرناطة ، ويبدو انه تعاون مع المرابطين في الاندلس وقال في مدحهم شعرا :ـ

٢٤ـ ابن الابار ، المعجم ، ص٣١٣ .

٢٥ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ١ ، ص٥١٥ .

٢٦ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٤٤٤ .

٢٧ـ ابـن الابار : التكملة ، رقم ٢٠١ ـ ابـن الخطيب ، الاحاطـة ، جـ١ ، ص١٨٩ .

٢٨ـ الضبي ، بغية الملتمس ، رقم ١١٠٣ ، ص٣٨٩ .

اذا لثموا بالريط خلت وجوههم أزاهر تبدو من فتوق كمائم
وان لثموا بالسابرية أظهروا عيون الافاعي من جلود الاراقم[٢٩]

وهذا المدح للمرابطين من الامور النادرة في الشعر الاندلسي ، حيث يمتدح المرابطون بصورة عامة دون الاقتصار على أمير منهم[٣٠] .

ومنهم الفقيه عبدالله بن محمد بن عبدالله النفري المعروف بالمرسي ، الذي ولد بمرسية عام ٤٥٣هـ ودرس بها ، انتقل الى مدينة سبتة وتولى الخطابة بجامعها مدة وكان متوفقا في علم الحديث وكتب عدة مؤلفات ، وتوفى بقرطبة عام ٥٣٨هـ[٣١] .

كما نبغ في العصر المرابطي الكثير من أئمة اللغة ، ومنهم احمد بن عبدالجليل عبدالله المعروف بالتدميرى نشأ بالمرية ، وسكن بجباية في ظل بني حماد ، ثم توفى بمدينة فاس عام ٥٥٥هـ[٣٢] .

واما عن العلوم ، فقد حظي العصر المرابطى بنهضة علمية زاهرة ، والتي كانت امتداداً للنهضة الفكرية التي ظهرت في عصر الطوائف . وكان في مقدمة العلماء الاندلسيين الذين خدموا الامراء المرابطين في الاندلس ، ثم رحلوا الى المغرب وشاركوا في بناء صرح الحضارة هناك ، أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التجيبى المعروف بان باجة . فقد رحل الى المغرب عام ٥١٢ هـ ١١١٨ بعد سقوط سرقسطة في أيدي الاسبان ، وبقى بالمغرب الى ان توفى عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م[٣٣] . وقد احتلت اسرة بنى زهر مكانة مرموقة في ميدان

٢٩ــ ابن دحية المطرب من اشعار اهل المغرب ، ص٩١ .
٣٠ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٤٥٩ .
٣١ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٢٩٦ .
٣٢ــ ابن الابار ، التكملة ، رقم ١٧٥ .
٣٣ــ القفطي ، اخبار العلماء ، ص٢٦٥ ــ بنعبد الله ، الطب والاطباء ، ص٣٠ .

الطب والعلوم الطبيعية والكيمائية في عصر الطوائف ، والمرابطين • وممن اتصل منهم بالمرابطين أبو العلاء زهر بن عبدالملك بن زهر الايادي ، الذي برع في الطب وذاع صيته في الاندلس والمغرب وصنف للامير ابي اسحاق ابن يوسف بن تاشفين كتابه المسمى (الاقتصار في صلاح الاجساد) ، على ان أعظم مؤلفات ابن زهر كتابه المعروف بـ (التيسير) وهو اهم مرجع في الطب في العصورالوسطى • وقد وشى به الى علي بن يوسف ، فاستدعى الى مراكش وسجن بها مدة ثم افرج عنه ، فعاد الى اشبيلية وتوفى بها عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م [٣٤] ، كما دخل في خدمتهم الطبيب ابراهيم بن ابي الفضل ابن صواب المجري من اهل شاطبة الذي اقام في طنجة وفاس الى ان مات عام ٥٠٦هـ [٣٥] •

كما اشتهر الوزير ابو بكر محمد بن باجة ، (ابن الصائغ ت : ٥٣٣هـ)[٣٦] بالدراسات الفلكية ، وكان مقيما في سرقسطة ، ولما سقطت بيد الاسبان توجه الى المغرب ، فلما وصل الى شاطبة حجزه الامير ابو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين فاعتقله هناك ثم اطلق سراحه[٣٧] •

اما فيمجال الرحلة الى طلب العلم ، وذهاب الكثير من علماء المغرب الى الاندلس والانتهال من منابع العلوم هناك خلال العصر المرابطي فاليك بعض النماذج :

ففي مقدمة علماء المغرب الذين رحلوا الى الاندلس ودرسوا في معاهدها ياتي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي[٣٨] (ولد بمدينة

٣٤ــ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢ ، مج١ ، ص١٨٧ ــ ١٨٨ ــ ابن ابى اصيبعة ، عيون الانباء ، ص٥١٧ •
٣٥ــ ابن الابار ، التكملة ، ص١٧٢ •
٣٦ــ ابن خفاجه ، الديوان ، ص١٠٥ ، ص٤٣٩ ــ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٥٧ •
٣٧ــ راجع ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٣٠٠ وما بعدها •
٣٨ــ محمود مصطفى ، اعجام الاعلام ، ص١٦١ •

سبتة عام ٤٧٦ هـ وتوفي بمراكش عام ٥٤٤ هـ)[٣٩] في المقدمة الذي عبر الى الاندلس في أوائل عام ٥٠٧ هـ ودرس في قرطبة ثم في مرسية[٤٠] • وعاد الى سبتة بعد ان قضى بالاندلس نحو عام ونصف ، وجلس للدرس والمناظـرة ، وولى القضاء عام ٥١٥ وهو لايزال شابا ، ثم ولى قضـاء غرناطة عام ٥٣١هـ ، وكان اعتماده الحق في احكامه سببا في ابعاده عن قضاء غرناطة من قبل اميرها تاشفين بن علي ، فعاد الى سبتة عام ٥٣٢هـ وعكف بها على التدريس والفتيا، ثم ولى قضاء سبتة عام ٥٣٩ هـ مرة أخرى ، ولما ظهر أمر الموحدين بـادر بالدخول في طاعتهم[٤١] •

وشارك القاضى عياض في الرحلة الى طلب العلم الفقيه ابو عبدالله محمد بن عيسى بن حنين التميمي ، الذي ولد بفاس عام ٤٢٩ هـ وانتقل مع ابيه الى سبتة ، ومنها رحل الى الاندلس ثلاث مرات وخاصة في عامي ٤٨٠ هـ ، ٤٨٨هـ وبرع في القضاء وتقلد احكامه في سبتة وفاس وكان مشهورا بالورع والتقوى وتوفي عام ٥٠٥هـ، وكذلك ابراهيم بن أحمد المعروف بابن فرتون من اهل فاس[٤٢] • وهنـاك نماذج كثـيرة لامثال هـؤلاء العلماء في بعض كتب التراجم[٤٣] •

اما النهضة الادبية في الاندلس فقد ارتفعت فوق مستوى الانحلال الذي شهده عصر الطوائف ، فقد كانت القصور المترفة والحياة الاجتماعية المرحة

٣٩ـ محمد بن تاويت : الادب المغربى ، ص١٤٥ •

٤٠ـ ابن الابار : المعجم ، ص٣٠٦ •

٤١ـ راجع : ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٤٥٣ ـ ابن خاقان ، قلائـد العقيان ، ص٢٢٢ وبعدها ـ ابن خلكـان : وفيات الاعيـان ، جـ١ ، ص٤٦٩ •

٤٢ـ ابن الابار ، المعجم ، ص١٠١ •

٤٣ـ راجع ، ابن الزبير ، كتاب صلة الصلة ، ص٣١ ، ص٤٦ ، ص٥٢ـ٥٣ ، ص١٤٥ ، ص١٤٦ ـ راجع احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، ص٧١ وبعدها •

اكبر مبعث لهذه النهضة ، وقد امتدت النهضة الادبية هذه الى عصر المرابطين .

ولا جدال في ان دولة المرابطين اعتمدت الدين في كثير من أمورها وانها وجهت نشاطها الى محاربة أهل الشمال الاسباني ، وكذلك مرت الاندلس بفترة من الجد وتركت الحياة التي اعتادت عليها في ايام الطوائف ، مما ادى الى تغير نوعي في مستوى الحياة الاندلسية ، وبخاصة الادبية منها ، فلم نر ذلك التحرر والانطلاق في نظم الشعر الذي يمثل التغزل بالطبيعة وجمالها ووصف جمال المرأة وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية الماجنة(٤٤) .

وعلى هذا الاساس وجهت الاتهامات الى المرابطين بعدم الذوق الادبي، وكسوف شمس الادب في عهدهم ، بل غولي بالامر الى حد اتهامهم بعدم معرفة اللسان العربي ، وعدم فهم قول الشعراء عند القاء قصائدهم(٤٥) .

ان مثل هذا الاتهام يمثل بعض وجوه العصبية الاندلسية لتبيان حالة اهل المغرب بانهم أقل حضارة وأقل نصيبا في تقدير الشعر من أهل الاندلس ، فالامر لايعدو اكثر من نقمة الاندلسيين على المرابطين باكثر مما يدل على تغير في حال الادباء والشعراء ، فالشعراء الذين كانوا في ظلال امراء الطوائف اكثرهم أدرك عصر المرابطين وعاش الكثير من احداثه . وبذلك يمكن نفي مثل هذا الاتهام ، والجزم بان الشعر الاندلسي لم يمت في عصر المرابطين ، وان كل ماحدث أن الشعر كيف نفسه بما يلائم الظروف الجديدة التي حاطت به (٤٦) .

٤٤- راجع ، حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٣٩٤ - الطاهر احمد مكي دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص٤٨ وما بعدها .

٤٥- محمد عبدالمنعم خفاجه ، قصة الادب في الاندلس ، جـ٢ ، ص٣٣٨ .

٤٦- احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، ص٧٩ . . .

لقد كان قدوم المرابطين الى الاندلس بداية عهد جديد يؤذن بتواري العاهل الاندلسي وقيام عاهل مرابطي لكل منهما ذوقه الادبي ، وموقفه من الشعر والشعراء . فلا ينكر ان طبقة الشعراء اصبحت في الظل على عهد المرابطين وأن طبقة الفقهاء والعلماء تقدمت عليها[٤٧] .

كما نرى فريقا من الشعراء يمثلهم ابن خفاجة (٥٣٣هـ) [٤٨] وابن اخته يحيى بن عطية بن الزقاق (٥٢٩هـ) ، لم يتأثر كثيرا بمقدم المرابطين كما انه لم يرتبط بملوك الطوائف بروابط وثيقة ، فله فيما رزق الله من غنى وثروة ، غناء من هؤلاء وهؤلاء ، هذا الفريق من الشعراء استطاع ان يحيى رافدا من الروافد الادبية ظل يتدفق منذ عصر الطوائف ، حتى دخول المرابطين الاندلس واستقرارهم فيها ، فهنا بقي الطابع العام لشعر هؤلاء كما كان عليه من قبل [٤٩] .

واستحثت الغيرة بعض ادباء الاندلس فنهضوا يجمعون تراثهم الادبي حفاظا عليه من الضياع ، فصنفوا مختارات عظيمة من الذخائر الادبية منها : (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ) و (قلائد العقيان ومطمح الانفس) لابي نصر الفتح بن خاقان (٥٣٥هـ) وغيرهم [٥٠] ، وقد اشار بعضهم وخاصة ابن بسام ،الى ان الكساد أصاب الشعر بعد انقراض ايام ملوك الطوائف في الاندلس [٥١] . كما نلاحظ أن الكثير من شعراء الاندلس في هذا الوقت تركوا بلادهم وجابوا الامصار

٤٧ــ سعد اسماعيل شلبي دراسات ادبية في الشعر الاندلسي ، ص١٥٣ .

٤٨ــ راجع ، ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٢٣١ .

٤٩ــ راجع ، محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٤٣٥ ــ ٤٣٦ ــ سعد شلبي ، دراسات أدبية ، ص١٥٤ .

٥٠ــ عنان : دول الطوائف ، ص٤٣٧ .

٥١ــ الذخيرة ، مجلد ١ ، ق٤ ، ص١٩٢ ــ راجع ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، جـ١١ ، ق١ ، لوحة ٢٧٧ (مخ) .

واستقروا في شمال افريقية (تونس والجزائر) وفي الجزائر الشرقية (البليار) بعيدا من سلطان المرابطين امثال ابن اللبانة ، وابن حمدس الصقلي وغيرهم[٥٢] .

وعندما وجد فريق من الشعراء نفسه مرغما على البقاء في الاندلس اضطر الى المداهنة والى توجيه اشعاره الى الفقهاء والكتاب الاندلسيين الذين تولوا مناصب الوزارة والكتابة للمرابطين . ونظرا لان هؤلاء لم يكونوا في ثراء ملوك الطوائف او في هيبتهم . فقد هبط الشعر الرسمي عن مستواه ، وصار سلسا الى درجة تقرب من الضعف كما كثر فيه الاستعطاف ،والترحيب بالسادة الجدد ، والتندر بعيوب ملوك الطوائف [٥٣] .

ومن الملاحظ في هذا العصر ، ان الكثير من القضاة والعلماء قرضوا الشعر ، فقد عد صاحب القلائد ثلاثة عشر قاضيا ، غير الذين ذكرهم في اعداد الاعيان ، امثال عبدالله بن ابي الخصال[٥٤] ، وابي عبدالله بن عائشة[٥٥] ، وكلاهما من تولى الكتابة ليوسف بن تاشفين [٥٦] ، ولذلك هبط المستوى الادبي في بداية هذا العصر [٥٧] .

ووجد كثير من الشعراء الفحول أنفسهم مضطرين الى نظم الموشحات امثال ابن بقى ، والاعمى التطيلي ، وغيرهم ، لانهم ألفوا أنفسهم موجودين في مجتمع يميل الى كل ما هو شعبي خال من الحشمة والتوقر ، وقد كانت هذه النزعة ، أشبه بثورة على القوالب المتكلفة ، وكانت في نفس الوقت دليلا على غلبة ذوق العوام ، وأدى ذلك الى تهاون في استعمال اللغة العربية

٥٢- سعد اسماعيل شلبي ، دراسات أدبية ، ص١٥٥ - ١٥٦ .

٥٣- راجع : ابن خفاجة الاندلسي ، ديوان ابن خفاجه ، ص١١٦ ، ص١٩٨ .

٥٤- ديوان الاعمى التطيلي ، تح ، احسان عباس ، ص٩٠ .

٥٥- ابن سعيد الاندلسي ، رايات المبرزين ، ص٧٥ .

٥٦- الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٧٥ .

٥٧- سعد شلبي ، دراسات ادبية ، ص١٥٨ .

الفصحى والى ظهور الزجل الذي اشتهر فيه محمد بن عبدالملك بن قزمان[٥٨] ، وبذلك كان انتشار الموشحات والازجال مظهرا من مظاهر ضعف اللغة العربية الفصيحة وفقد سلطانها الكامل على الشعراء [٥٩] .

ولاينكر احداً ان يوسف بن تاشفين قضى معظم حياته في المغرب الاقصى في تثبيت اركان دولة المرابطين ، ومجاهدة الاسبان في رد اعتداءاتهم عن بلد الاندلس ، ولذلك لم يتهيأ له الوقت الكافي للاهتمام بالادب ، كما حصل في عهد اخلافه ، ولكن كل هذا لم يمنع من تذوق يوسف للادب والاعتناء بأهله ، والاعتماد على خيرة أدباء الاندلس وكتابها في تدابير امور دولته [٦٠] .

وممن كتب لعلي بن يوسف من ادباء الاندلس باستدعاء منه الوزير ابو القاسم بن الجد المعروف بابن الاحدب ، وابو بكر بن محمد المعروف بابن القبطرنة[٦١] ، ولقد لقي هؤلاء وغيرهم من الادباء الاندلس الرعاية التامة من امراء المرابطين .

٥٨ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٧٠ ــ كامل كيلاني ، نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٣٤٢ ، ص٢٨٨ .

٥٩ــ سعد شلبي ، دراسات ادبية ، ص١٠٧ ــ محمد عبد المنعم خفاجة ، قصة الأدب في الاندلس ، جـ١ ، ٢٣٢ ــ ٤٣٣ ومن نماذج الزجل :

منا اعجب حديثي	اش هذا الجنون
طلب وندبر	امرا الا يكون
وكم ذا نهون	امرا الا يهون
واش مقدار ما نصبر	لبعد الحبيب
رب اجمعني معو	عاجلا قريب

راجع : كيلاني ، المرجع السابق ، ص٢٨٩ .

٦٠ــ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩٠ ــ عبد العواد ، الحياة الادارية والاقتصادية ، ص٥٦٥ .

٦١ــ ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٠٩ ــ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص٣٦٧ ــ ٣٦٨ .

وممن التحق بخدمة الإداء المرابطين من ادباء الاندلس ولقوا منهم كل بر ورعاية ، الاديب الفيلسوف ابو بكر بن باجة الذي كتب للامير ابو بكـــر ابراهيم المعروف بابن تافلويت امير سرقسطة[٦٢] حظــي عنده حظوة كبيرة ، واشتهر بموشحه المعروف بمطلعه :

جـــرر الذيـــل ايمــا جـر   وصـــل السكـر منـك بالسكر

فطرب ابن تافلويت لهذا الموشح الذي ختم بقولـه :

عقـــد اللـــه رايـة النصـــر   لامـــير العـــلا أبـي بكـــر

وله قصة معروفة مع هذا الاديب [٦٣] .

كما التحق الفتح بن خاقـان صاحب كتابي القلائد والمطمح في خدمة الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، واشاد في مقدمة كتابه القلائد بمحاسن هذا الامير الذي أحيا رسم الادب بعد دروسه [٦٤] ، كما مدح هذا الامـير مجموعة اخرى من الادباء [٦٥] .

ويطول بنا الامر لو اردنا تتبع كل من هرع الى ظل دولة المرابطين من رجال الادب فشملوه برعايتهم ، وهذا يدل على التشجيع المنقطع النظير للحركـة الادبية والذي ظهر في المؤلفات العديدة امثال ، قلائد الفتح بن خاقان وذخيرة ابن بسام ، وكتاب المسهب في فضائل المغرب لابي محمد عبدالله بن ابـراهيم

٦٢ــ كنون ، امراؤنا الشعراء ، ص١٧ .

٦٣ــ راجع ، كنون ، النبوغ المغربي ، جـ٢ ، ص٣٢٠ ــ ٣٢١ ، واشهر نموذج للموشح ابن الخطيب :

جادك الغيث اذا الغيث همـــى   يـا زمـان الوصـل بالانـــدلس
لم يكـــن وصلـك الا حلمـــا   في الكـرى او خلســـة المختلس

راجع ، كامل كيلاني ، المرجع السابق ، ص٢٨٩ .

٦٤ــ راجع ، ابـن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٣ ــ ٤ .

٦٥ــ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩٢ .

الحجاري ، وكتاب الصلة لأبن بشكوال ، وابو بكر بن قزمان امير الزجل الاندلسي ، [٦٦] ، وكتاب المغرب في حلى المغرب لاسرة بني سعيد امراء قلعة يحصب التابعة لغرناطة ، ومؤلفات القاضي الاديب ابو الحسن بن أضحى (٥٣٩هـ) [٦٧] ، وغيرهم كثير .

ولم يقتصر البر بالادب واهله في هذا العصر على امراء المرابطين بل تعدى الامر الى غيرهم من الولاة الذين شجعوا الادب واظهروا المزيد من العناية باهله ، وخير دليل على ذلك ، ابو الحسن بن عشرة (٥٠٢) من اهل مدينة سلا ، كان من اهل العلم والادب قصده الادباء والشعراء من كل صوب ، وخصوصا من الاندلس ، الذين لقوا عنده كل رعاية وبر[٦٨] .

ومثله ايضا ، ابو عبدالملك مروان بن سمجون الطنجي الذي رعى الادب والشعر ، وكانت له حظوة عند يوسف بن تاشفين حتى انه ليعد نائبه في شمالي المغرب والقطر الاندلسي باجمعه ، فقصده الشعراء من كل ناحية ومدحوه بابلغ الاشعار [٦٩] .

تلاحظ من كل ذلك ، هذه الرعاية التي كان يحظى بها الادباء الاندلسيون من الامراء المرابطين ، فقد اثرت في الادب الاندلسي تأثيرا محسوسا فظهر بمظهر القوة واختفت منه عناصر الضعف، التي كانت سائدة عليه أيام ملوك الطوائف ، فانتحى الشعراء في شعرهم مناحى الجد والتوقر بدل ما كانوا منغمسين فيه من البطالة والمجون ، وذلك نتيجة ارتفاع معنويات لهل الاندلس عموما بما احرزوه من نصر على اعدائهم بفضل جهود

٦٦ـ الحجى ، التاريخ الاندلسي ، ص٤٥١ .

٦٧ـ ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢١١ ـ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، جـ٢ ، ص١٠٨ .

٦٨ـ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩١ .

٦٩ـ كنون ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢١٠٠ ، ص١٠٠ .

المرابطين بعد ما كانوا اذلة امام هجمات الاسبان ومؤامراتهم[٧٠] ونختم هذا الجانب بأبيات من قصيدة للوزير ابو عامر بن أرقم مادحا الامير عبدالله مزدلي : —

سريت والليل من سراك في وهل | مبرا العزم من أين ومن كسل
وسرت في جحفل يهدي فوارسه | سناك تحت الدجى والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر انجمه | اغاب عن سرر ام غاب عن خجل
هوت اعاديك من سار يؤرقه | ركض الجواد وحمل اللامة الفضل
اذ الملوك نيام في مضاجعهم | مستحسنون بهاء الحلي والحلل
لله صومك برا يسوم فطرهم | وما توخيت من درجة ومن عمل [٧١]

***

وكانت الفلسفة قد دخلت الاندلس في ايام عبدالرحمن الاوسط سنة ٢٣٨هـ / ٧٥٢م ، ثم جلب الحكم بن الناصر (٣٥٠ — ٣٦٦هـ / ٩٦١ — ٩٧٦م) كتب الفلاسفة من المشرق فتداولها الناس[٧٢] ،ولكنهم لم ينبغوا فيها الابعد دخول رسائل اخوان الصفا على يد أبي الحكم الكرماني (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) فوجدت في شبه الجزيرة اقبالا كبيرا [٧٣] وكان فيلسوف الاندلس، بدون منازع ، في ايام الطوائف (ابو محمد علي بن حزم الظاهري ٤٥٧هـ / ١٠٦٤ م) الذي تلقى دروس المنطق على (ابن الكناني القرطبي)[٧٤] ، وقد احدث ابن حزم في الاندلس دويا علميا هائلا بمذهبه الظاهري ومناظرته الفقهاء واهل الاديان[٧٥] ، وكان كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه[٧٦] .

٧٠— كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩٢ .
٧١— ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٣٢ — ١٣٣ .
٧٢— جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ٣ ، ص٢٠٠ — ٢٠١ .
٧٣— بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص١٧ .
٧٤— ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص١٤ — ١٥ .
٧٥— ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ ، مج ١ ، ص١٤٣ .
٧٦— ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ، جـ١٢ ، ص٩٢ .

الا ان علم الفلسفة كان من العلوم المقوتة في الاندلس علـى ايـام الطوائف ، ولايستطيع صاحب هذا العلم من اظهاره [٧٧] ، وقد احرق المعتضد ملك اشبيلية كتب ابن حزم الظاهري ارضاء للمالكية وعلى رأسهم أبو الوليد الباجي [٧٨] . وكان لابن حزم تلاميذ عاشوا بعده وورثوا بعض علمه ومنـه الفلسفة ، ومن اشهرهم ولده (أبا رافع الفضل) الذي اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو اربعمائة مجلد [٧٩] . ويبدو من هذه الرواية ان المعتضد لـم يحرق كتب ابن حزم كلها لأن (أبا رافع) هذا كان من رجال ولده المعتمد واستشهد في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ م[٨٠] ، وان اضطهاد المعتضد لهذا الفيلسوف لم يكن في اغلب الظن علميا بقدر ما هو اضطهاد سياسي[٨١] .

وممن لازم ابن حزم واكثر الاخذ ، دون ان يتظاهر بذلك ، ابو عبـد الله محمد بن ابي نصر الحميدي (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) صـاحب (جـذوة المقتبس)[٨٢] ، ومن تلاميذه ايضا الراضي بن المعتمد الذي اشرف على المذهب الظاهري ومهر في الاصول ووقف على الطبيعات[٨٣] .

ويبدو ان الفتن التي عصفت في ملوك الطوائف شغلت ملوك قرطبـة من تعقب الفلاسفة ومحاكمتهم ، ومع ذلك فقد بيعت المكتبات العامة والخاصة التي كانت تزين قصور قرطبة بابخس الاثمان وتناولها الناس وقرأوا منهـا

٧٧- المقري ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص١٦٨ .

٧٨- سعد اسماعيل شلبي ، البيئة الاندلسية واثرها في الشعر ، عصر ملوك الطوائف ، ص٤٧ (ح : ٨) .

٧٩- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص١٣ .

٨٠- ابن لطف الله الحسيني ، التاج المكلل ، ص٨٩ .

٨١- راجع : ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، جـ٢ ، ص٢٥٠ - سعد شلبي : البيئة الاندلسية ، ص٤٨ .

٨٢- معجم الادباء ، جـ١٨ ، ص٢٨٢ وما بعدها .

٨٣- ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٧١ .

الكثير من بحوث الفلسفة التي نجت بعض مؤلفاتها من عسف المنصور بن أبي عامر . ولما أمن الناس أظهروا مالديهم في الفلسفة من كتب ، واخذوا يهتمون بالعلم الرياضي وصناعة المنطق(٨٤) ، وكان المعتمد نفسه يصدق بالتنجيم (٨٥) .

ويظهر ان ولاية سرقسطة بالذات كانت مأوى وحاميا للفلسفة والفلاسفة في عهد المقتدر بن هود (٤٣٨ ــ ٤٧٣هـ / ١٠٤٧ ــ ١٠٨١م) وابنه يوسف المؤتمن (٤٧٣ ــ ٤٧٧هـ / ١٠٨١ ــ ١٠٨٥م) (٨٦) والى ولايتهما لجأ (ابو الحكم الكرماني) وبها استقر المقام بالجرجاني الفيلسوف وابن باجة ولقيت رسائل اخوان الصفا اقبالا عظيما من اهلها (٨٧) .

وفي عهد المرابطين لقيت علوم الفلسفة مقاومة شديدة ، فاختفى الفلاسفة وسكتت مباحث الفلسفة ، وانقطع الناس عن هذه الابحاث والمجادلة فيها ، الى ان ضعفت دولة المرابطين . وفي عهد الموحدين استمرت مقاومة الفلسفة حتى عهد يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ ــ ٥٨٠هـ) الذي اطلق حرية الفلاسفة والمفكرين(٨٨) .

ومن المعروف ان دولة المرابطين جعلت من المذهب المالكي أساسا لدعوتها الدينية وانها اتخذته قاعدة لاحكامها المختلفة . كما وقفت هذه الدولة موقفا شديدا من الفلاسفة ومبادئهم ومن المشتغلين في علم الكلام(٨٩) ، باعتبار ان المرابطين كانوا يتخذون طريق السلف منهجا وسلوكا وبالتالي فانهم لم يميلوا الى الخوض في علم الكلام ، فضلا عن تشجيع دراستها ،

٨٤ـ محمد عبدالمنعم خفاجه ، قصة الادب في الاندلس ،جـ١ ، ص١٥٩ــ١٦٠ .
٨٦ـ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٤٥٤ .
٨٥ـ عبدالوهاب عزام ، المعتمد بن عباد ، ص٢٧٧ .
٨٧ـ سعد شلبي ، البيئة الاندلسية ، ص٤٩ .
٨٨ـ محمد عبدالمنعم خفاجه ، قصة الادب في الاندلس ، جـ١ ، ص١٧٠ .
٨٩ـ فيليب متي وآخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ٢، ص٦٤٥ .

وكانوا يتهمون كل من يخوض في هذا العلم بالكفر ، وقد قرر الفقهاء عند ولاة الامر من المرابطين تقبيح علم الكلام وانه بدعة في الدين ، ومن ثم امروا الناس في كل مكان نبذ الخوض فيه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه (٩٠) .

الا انه بالرغم من ذلك ، وجد من درس هذا العلم وهو (ابو بكر محمد بن الحسن الخضرمي المعروف بالمرادي ، ت : ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) وهو أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الاقصى ، وقد درس على يديه (ابو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير) وأصله من سرقسطة ثم سكن مراكش وبها توفي عام ٥٢٠هـ / ١١٢٥ م(٩١) .

كما لم تزدهر الفلسفة في ظل دولة المرابطين باعتبار أن مجتمع المرابطين كان مجتمع الفقهاء والعلماء الذين يلتزمون باحكام الدين . الا انه وجد في هذا العصر من دروس الفلسفة ، الا انه لم يظهرها كالوزير مالك بن وهيب وزير علي بن يوسف(٩٢) ، وانما أظهر مايتفق مع ذلك الزمان(٩٣) ، كما قدم في البلاط المرابطي الفيلسوف ابو بكر بن باجة وهو أندلسي الاصل نشأ في البيئة الاندلسية التي تسمح له ولغيره دراسة شتى العلوم والمعارف .

وفي هذا المجال ، تظهر قضية احراق كتاب الاحياء للامام الغزالي في ايام علي بن يوسف . فان هذا الكتاب لما وصل الى المغرب ، ونعني بذلك الاندلس والمغربين الاوسط والاقصى ، نظر فيه رجال الفقه والدين فرأوه محشوا بما لاعهد لهم به من اراء المتكلمين ومذاهب الصوفية ، وقد تداولته

٩٠- المراكشي ، المعجب ، ص١٧٢ .

٩١- ابن المؤقت ، السعادة الابدية ، جـ٢ ، ص١٢١ .

٩٢- ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٦٢١ - ابن الابار : المعجم ، ص١٩٥ .

٩٣- المراكشي ، المعجب ، ص١٨٥ .

الايدي من خاصة الناس وعامتهم ، فقرروا مجافاته لظاهر الشريعة وساذج العقيدة ، وحذروا الناس من مطالعته والنظر فيه ، فما كـان مـن رجـال الدولة الا ان أمروا بجمعه واحراقه ، ولم يقدروا موالاة الغزالي لدولتهم ولا نظروا الى المودة التي كانت بين يوسف بن تاشفين وبينه ، والمكاتبات التـي جرت بينهما والثناء الذي كان يثنيه الغزالي على يوسف ودولته ، حتى لقـد هم بزيارته وقصد البحر ليركب اليه فبلغه موته فرجع (٩٤) .

ففي عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م صدرت اوامر علي بن يوسف بحرق كتـاب الاحياء في كافة مدن المغرب والاندلس ، (٩٥) وفي رواية المراكشي ان الاحراق كان بالنسبة لكتب الغزالي أي جميع مؤلفاته ، (٩٦) وقد تم الاحراق في افنية المساجد الكبيرة بكل من قرطبة ومراكش وغيرها من مدن المغرب(٩٧) .

يقول ان القطان : « في اول عام ثلاثة وخمسمائة عزم علي بن يوسـف عن اجماع قاضي قرطبة ابي عبدالله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها علـى احراق كتاب ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بالاحياء، فاحرق فيرحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته بجلود ، بعد اشباعه زيتا وحضر لذلك جماعة من اعيان الناس ، ونفذت كتبه الى جميع بلاده ، امرا باحراقه واخذت منه نسخ منايدي أصحابها » (٩٨) .

واستمرت الدولة في سياستها بالنسبة لمؤلفات الغزالي ومتابعتها بالمصادرة والحرق طيلة عهدها ، وقد أكد هذه السياسة تلك الرسالة الصـادرة مـن تاشفين بن علي بن يوسف عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م اثناء مقامه بـ (كرنطـة) ،

٩٤ـ حتى ، تاريخ العرب ، ص٦٤٥ ـ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٧٦ .

٩٥ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٤ ـ ١٥ .

٩٦ـ المعجب ،ص١٧٣ ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٥٣ .

٩٧ـ السلاوي ، الاستقصا ، جـ٢ ، ص٥٧ ـ الكتاني : الغزالي والمغرب ، ص٧٠٧ .

٩٨ـ نظم الجمان ، ص١٤ ـ ١٥ .

وهو جبل صغير في سلسلة المرتفعات بين تلمسان وسبته ، وموجهة الى اهل بلنسية بالاندلس يحدد لهم فيها مناط الفتيا ومصدر الاحكام وهو مذهب مالك ، ومحاربة البدع وكتبها واصحابها وخاصة كتب الغزالي (٩٩) .

وقد استند الفقهاء في تبرير ذلك الى احتوائه على علم الكلام والفلسفة وكراهية المالكية لهذه العلوم ومن ثم طالبوا ولاة الامر بمصادرة واحراق كتبه (١٠٠) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الدولة حقيقة كانت خاضعة لرأي الفقهاء ، ويدل بالتالي على ان المذهب المالكي كانت له السيطرة على الجميع (١٠١) . وربما كان ذلك بسبب ما وجد في كتاب الاحياء من هجوم على طبقة العلماء والفقهاء الذين يتخذون من العلم والدين مطية لتحقيق اطماع دنيوية من ثراء وجاه (١٠٢) .

ولا جدال في ان بعض فقهاء المغرب تواطأ مع فقهاء الاندلس على رأيهم في الاحياء ،ومع ذلك نجد (أبا الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالنحوي ، الذي اقام في سجلماسة وفاس وتوفي عام ٥١٣هـ/١١١٩)(١٠٣) يعلن رأيه ببطلان فتوي احراق كتب الغزالي(١٠٤) وكان ابو الفضل قد انتسخ الاحياء في ثلاثين جزءاً فاذا دخل رمضان قرأ في كل يوم جزءاً منه(١٠٥) .

٩٩ـ مؤنس ، نصوص سياسية ، مجلة المعهد المصري ، مج١ ، عدد ٣ (مدريد : ١٩٥٥) ص١٠٩ .

١٠٠ـ ابن زيدان ، اتحاف اعلام الناس ، ج١ ، ص٨٨ .

١٠١ـ كنون : النبوغ المغربي ، ج١ ، ص٧٦ ـ ولد داده ، المرجع نفسه ، ص١١٩ .

١٠٢ـ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج١ ، ص٥٨ ـ ٥٩ .

١٠٣ـ ابن مريم ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلسان ، ص٣٠١ ـ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

١٠٤ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص١٥٥ .

١٠٥ـ ابن مريم ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء ، ص٣٠١ ـ النادلسي ، التشوف ، ص٧٣ .

كذلك العالم (ابو محمد عبدالله المليجي) من أغمات وريكة والمتوفى قبل عام ٥٤٦هـ / ١١٤٥ م ، فقد عارض ايضا احراق كتب الغـزالي[١٠٦] . وشاركه في هذا الموقف قاضي المرية ابو الحسن البرجي ، وأوجب تأديب ابن حمدين محرق الاحياء وتضمينه قيمتها لانها مال مسلم . وكان (علي بن اسماعيل بن محمد بن عبدالله بن حرزهم) ، من كبار فقهاء فاس ، قد أحكم كتاب الاحياء للغزالي وضبط مسائله فكان يستحسنه ويثني عليه ، وقد وافق أولا على فتيا الاحراق ثم تراجع عن ذلك . [١٠٧] .

وهكذا نلاحظ ان هذه الفتنة اندلسية الاصل ، وان رجال الدولة انما اخذوا فيها برأي الاغلبية من رجال الفقه والرسميين منهم بالخصوص كابن حمدين الذي كان قاضيا بعاصمة الاندلس . غير أن السلطات لم تتابع وتلاحق الفقهاء والقضاة الذين لم يلتزموا بهذه الفتـوى [١٠٨] .

***

وصفوة القول ، عمل يوسف بن تاشفين على توحيد العدوتين وجعلهما وطنا واحدا يتبادل سكانه المصالح والمنافع ، وقد زالت بينهم الفـوارق السياسية ، فسكن بعضهم الى بعض ، وتقاربوا واتصلوا . فأصبح المغـرب يبذل حمايته للاندلس ويدافع عنها ويرد كيد الاسبان ، والاندلس تبـذل ثقافتها ومعارفها للمغرب ، فرجالها في خدمـة الدولـة وكتابهـا وشعرائهـا يؤمون بلاط مراكش ، وقد فعل هذا الامر الافاعيل في تقدم الحياة الفكريـة بالمغرب ونهضة العلوم والاداب . وكما كانت الاندلس مهاجر من لـم تساعده الحال من ابنـاء المغـرب في العصر السابق ، صار المغرب مهاجـر

١٠٦ـ ابن المؤقت ، السعادة الابدية ، جـ١ ، ص ٦٣ .
١٠٧ـ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٧٧ ، ص٩٨ ـ ٩٩ .
١٠٨ـ كنون ، المرجع نفسه ، جـ١ ، ص٧٨ .

الاندلسيين في هذا العصر ، واصبحت مراكش حاضرة المغرب يومئذ وكرسي مملكته ، مهوى افئدة العلماء والادباء حتى شبهت بحضرة بني العباس في صدر دولتهم ، واجتمع ليوسف بن تاشفين ولاولاده من بعده من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور (١٠٩) • كما ان ابنه علي بن يوسف أسس الجامعة اليوسفية عام ٥١٤هـ ، ليجاري الاندلس والحركة الثقافية العامة ، وليستقل عن الاندلس في اخراج الاطار الفني الثقافي الذي تحتاج اليه البلاد (١١٠) •

ونظرة فاحصة لكتاب ابن الابار المشهور بالمعجم ، الذي يترجم فيه لاصحاب القاضي الامام ابي علي الصفدي شهيد قتندة ، ندرك مدى تقدم الحركة العلمية في الاندلس خلال العصر المرابطي •

٢ ـ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية :

لاتنكر منزلة الاندلس الثقافية في عصر الطوائف لدى الاوربيين ، واقبالهم على الوفود الى مدنها والدراسة فيها وبخاصة المدن الكبرى التي كانت عواصم لامارات الطوائف ، ومراكز العلم ، وحواضر للفن ، مما جعلها مصدرا للاشعاع الفكري ومؤثرا في تطور الحضارة الاوربية(١١١) •

وقد ازدهر عصر الطوائف بالدراسات العلمية ، ونبوغ طائفة من أكابر العلماء ، الذين كان بعضهم منهلا عذبا لاقتباس الغربيين وعلى رأسهم (الفونسو العالم) الذي أفاد من نتاجات هؤلاء العلماء الذين سبقوه بنحو قرنين • وكانت الحواضر الاندلسية مثل سرقسطة وطليطلة وقرطبة واشبيلية في القرن الحادي عشر الميلادي ، من اعظم الحواضر العلمية في

١٠٩ـ المراكشي : المعجب ، ص١٦٣ ـ كنون ، النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٧٨ •

١١٠ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص١٢٩ • والمقصود بالجامعة المسجد الكبير الذي يجري فيه التدريس في ذلك العصر •

١١١ـ سعد اسماعيل شلبي ، البيئة الاندلسية ، ص٥٠ •

العالم[١١٢] . وبذلك كانت جسرا اوصل حضارة العرب المزدهرة الى اوربا فشعت انوارها هناك وعملت على ارساء أسس حضارتهم [١١٣] . وبذلك كان مسلمو الاندلس اصل ينبوع كل معرفة في الطب والفلسفة ، والفلك والتعاليم التي ظهرت في اوربا منذ القرن العاشر الميلادي فصاعدا [١١٤] . ولم يصل اشعاع الثقافة الاندلسية على الاراضي الاسبانية اقصى مدى اندفاعه في القرن العاشر لكي يأخذ بالتلاشي بعد ذلك ، فقد امتد ، على العكس حتى القرن الخامس عشر باسطا خيوطه على جميع اجزاء شبه الجزيرة ، ونلاحظ كذلك ان ملوك الاسبان شجعوا هذا الاشعاع واقتبسوا في مجالات حياتهم المختلفة شتى المبتكرات المستقاة من الحضارة المجاورة مباشرة ، فنراهم يضربون عملات ذات وجهين عربي وقشتالي على نطاق واسع [١١٥] . كما ان القمبيطور حاكم بلنسية في اواخر عصر الطوائف وبداية عصر المرابطين في الاندلس قد استعرب الى درجة كبيرة . اضافة الى ان ملوك الاسبان على الرغم من جهودهم في استرداد اراضيهم من مسلمي الجزيرة ، الا اننا نراهم لايقلون عن غيرهم اعجابا بحضارة الاندلس ، وكانوا يعترفون بكل ما كانت بلادهم ذاتها تدين به الى ثقافة مسلمي الاندلس ، الذين كانوا يبتغون اجلاءهم من أرضهم[١١٦] . وفي المدن الكبرى كطليطلة بقيت اللغة العربية يعول عليها القوم ويستعملونها في القضاء والتجارة زهاء قرنين بعد رجوعها الى النصرانية على يد الفونسو السادس ، وسلك الفونسو على غرار اسلافه فكتب بالعربية على النقود التي سكها ، وكان بيدرو الاول المتوفي عام ١١٠٤م على ملك أرغونة لا يحسن الا العربية كتابة [١١٧] .

١١٢ـ عنان : دول الطوائف ، ص٤٣٥ .

١١٣ـ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ٣ ، ص٣٢٩ .

١١٤ـ Stanly Lanpool and Arthur gilman, The Moors in Spain, p;144.

١١٥ـ حتى ، تاريخ العرب ، جـ٢ ، ص٦٤٥ .

١١٦ـ بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ص٨٦ .

١١٧ـ حتى ، تاريخ العرب ، جـ٢ ، ص٦٤٧ .

لقد اعتمدت دولة المرابطين الجهاد في سبيل الله وجعلته في المقـــام الاول سواء في جهة المغرب الاقصى او في جهة الاندلس ، وعندما أصبحت الانـدلس ولايـة مرابطيـة أصبح المرابطـون وجها لوجـه مـع الممالك الاسبانية . ومن خلال استعراضنا للحوادث السابقة ، شغل هذا العهد بحروب جهادية عنيفـة قام بها المرابطـون ضـد الاسبـان ، وخسـروا في هـذه الحروب خيرة قوادهم وشبابهم ، وبذلك عملوا على تثبيت الحكم العـربي الاســلامي في الاندلس لعدة قـرون .

وخلال حروب الجهاد حصل احتكاك حضاري بين الاندلس ، الولاية المرابطية ، وبين ممالك الاسبان في الشمال ، وهو بالحقيقة استمرار للاتصال الحضاري في العصر السابق ، عصـر ملوك الطوائف . فمثلما كان للعلماء والفقهاء دور بارز في الهاب حماس محاربي المسلمين ضد الاسبان ، وهو ما أشرنا اليه في معارك الجهاد المقدسة ، فقد اتخذ ملوك الاسبان من رجـال دينهم في بلادهم حافزا لالهاب حماس المقاتلين من اجـل استرداد الاراضي الاسبانية من يد (الاعداء) .

وخلال معارك الجهاد الاندلسية في هذا العصر مر علينا دور رجـال الديـن مـن رهبـان وقساوسـة في الهاب حماس الاسبـان واشتراكهـم في معظم المعارك ابتداء من معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ الى آخر معركـة في الاندلس في هذا العصر[١١٨] . فقد اخذ هـذا الامر مجالـه الفكـري المبني على تعاليم المسيحية المتمثل في تنصير المدن الاندلسية المستردة والمتمثل في تأسيس جمعيات دينية مـن اجـل حمايـة المدن الاندلسية والحفاظ علـى تعاليم المسيحية ومبادئها .

١١٨ـ راجع على سبيل المثال : ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص٦٧ ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٤٨ .

وقد ظهرت جماعة الفرسان الدينية في المشرق على اثر اضطرام الحروب الصليبية وسقوط بيت المقدس [119] ، كما ظهرت طلائعها في اسبانيـة ، في عصر الفونسو المحارب : وكانت اول جماعة قامت في مملكة أرغونة هـي جمعية الفرسان الدينية التي أنشأها الفونسو المحارب عام ٥١٤هـ / ١١٢٠م على اثر موقعة كتندة ، كما ظهرت جمعية فرسان الداوية [120] او فرسان المعبد بعد ذلك فيامارة برشلونة وقد شجعهم اميرها الكونت راموند برنجـير الثالث ومنحهم (حصن جرانيينا) قرب مدينة لاردة ليكون مقرا لهم ، ثـم انتظم في سلكهم قبيل وفاته عام ١١٣١م [121] ، كما اتخذت قلعة (مونريال) قرب مدينة لاردة منزلا لجمعية دينية لتكون حاجزا لصد الجيوش الاسلامية التي تنساب عن طريق مرسية وبلنسية [122] .

ولما توفي الفونسو المحارب خص فرسان المعبد في وصيته بثلث مملكته ، باعتبارهم حماة النصرانية في بيت المقدس ، كما خص فرسان الاسبتارية [123] كذلك بنصيب آخر من مملكته ، وقد اعفيت هذه الجمعيات من الخضوع لقضاء الملك ، واعطيت نصيبا معينا من المدن التي انتزعت مثل وشقـة وبربشتر وسرقسطة وقلعة أيوب وغيرها ، وذلك مقابل تعهد هؤلاء الفرسان بان يكرسوا حياتهم لحماية النصرانية في تلك الانحاء ، وقد تم هـذا الاتفاق في اجتماع عقد في مدينة جيرندة (Gerona) عام ١١٤٣م وشهده مندوب عن البابا ، وكثير من اسقافـة ارغونة وقطلونية [124] .

١١٩ــ راجع ، مقامي ، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام ، ص١٢ ، ص١٥

١٢٠ــ وردت ايضا باسم الديوية ، راجع ، النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٩ ، ص٢٧ (مخ) .

١٢١ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٥١٨ ـ عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٠١ .

١٢٢ــ راجع ، التواني ، مأساة انهيار الوجود العربي ، ص٣٢٦ ــ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٤٥ .

١٢٣ــ وتسمى ايضا فرسان المستشفى ، راجع ، مقامي ، المرجع السابق ، ص١٢ .

١٢٤ــ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٥١٨ ــ ٥١٩ .

وقد حصل التاثير الفكري بين المرابطين وممالك الاسبان عن طريق ولاية الاندلس المرابطية ، التي وصلت في هذه الفترة الى اعلى درجات التقدم الفكري ، وقد كان اولئك الاسبان جيرانا للمسلمين الاندلسيين ربطتهم بهم الاسباب المتصلة زمانا بعد زمان ، ولم تقتصر العلاقات بينهما على الحرب بل قامت بينهما صلات سليمة ايضا . وعن طريق هذه العلاقات عرف نصارى الشمال ما كان للمسلمين في الجنوب من نظم سياسية وادارية ودينية وقدرات علمية ، وتنبهوا الى اهميتها ، وكان من الطبيعي ان يميلوا الى الاستفادة منها والسير على منوالها[١٢٥] .

وعندما كتب للاسبان التوفيق في حربهم الطويلة مع المسلمين ، وتمكنوا من احتلال مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م والمدن الاندلسية الاخرى ، اخذ ملوك الاسبان يعملون على رفع مستوى الثقافة بين شعبهم ، وذلك عن طريق نقل كنوز الثقافة الاسلامية الى لغاتهم ، ومن ثم ظهرت في طليطلة مدرسة المترجمين المشهورة ، التي نقلت العلوم الاغريقية وما اضافه العرب اليها من شروح وتعليقات الى المدارس الاوربية . وقد كان دافع الاسبان الى تدارس كتب العرب في بعض الاحيان هو الدفاع عن دينهم ، اي الرغبة في معرفة اراء المسلمين لكي يستطيعوا الرد عليها واظهار فضل عقيدتهم عليها[١٢٦] ، وفي احيان اخرى ، نجد أثر العرب عند كتاب الاسبان أعمق واوسع مدى : فنجد في كتاباتهم طابع الفكر العربي وروحه ، دون ان نستطيع ان نتعرف اسلوبهم في المحاكاة على نحو واضح ملموس[١٢٧] .

وكان أول ما ذاع في ممالك الاسبان اثناء العصور الوسطى من القصص المستقاة من أصول عربية ، هو كتاب (تعليم رجال الدين) الذي الفه بيدرو الفونسو وهو يهودي من اهل وشقة ثم تنصر عام ١١٠٦م ، وتبناه الفونسو

١٢٥ـ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٢٧ .

١٢٦ـ راجع ، رينو ، غزوات العرب ، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

١٢٧ـ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٢٧ .

الاول المحارب ملك ارغونة[١٢٨] ، وتشير الدلائل على انه كتب كتابه هذا اول الامر باللغة العربية ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية . ويورد في هذا الكتاب ثلاثا وثلاثين اقصوصة شرقية . وقد نقل بيدرو الفونسو هذه الحكايات عن حنين ابن اسحق وكتاب كليلة ودمنة والسندباد ، وهو يقرر صراحة انه صنف كتابه هذا من أمثال فلاسفة العـرب وحكمهم ، واستعمل فيه الخرافات والاشعار والامثال من حكايات الحيوان والطير[١٢٩] .

كما قام الاسقف فون رودريغو في كتابه (التاريخ) بجمع الاهازيـج التي أوحت بها مأساة (معركة اقليش) في قشتالة ، حيث اشاد بشجاعة القواد القشتاليين في محاورات شعرية لطيفة[١٣٠] .

ونجد في الشعر القصصي الاسباني ، في هذا العصر ، مايسمى بالشعر القصصي الثغري ، وذلك لان مناطق الثغور كانت مسرحا لمعارك الجهاد بين الاسبـان ومسلمي الاندلس . فمثـلا ملحمة السيـد (القمبيطور) ذات طابع ثغري ، وهي عبارة عن قصيدة شعرية طويلة ، تدور احداثها حـول اندلسـي مغامـر نصـف عربـي ونصـف اسبانـي ، عاش في القـرن الحادي عشـر ، وتوفي في مدينـة بلنسيـة عـام ١٠٦٩ م ، واصبحـت بطولته ومغامراته غذاء المشاعر عند عامة الناس ، وقد كانت مادة هذه الملحمة الحرب والنزال والشجاعة والابطال[١٣١] . ويغلب الظـن ان واضـع هـذه الملحمة ، رجل مستعرب من بلدة مدينة سالم ، وقد فرغ منها عام ١١٤٠م أي بعد وفاة القمبيطور باربعين عاما[١٣٢] .

١٢٩ـ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٥٧٩ ـ لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٢٥ .

١٣٠ـ بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص١٥٧ .

١٣١ـ الطاهر أحمد مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص٣٤٢ ـ حتى ، تاريخ العرب ،جـ٢ ، ص٦٤٨ .

١٣٢ـ مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص٨٠ .

اما شعر التروبير (Trouberes) أو شعر التروبادور[133] ، أو شعر الشعراء المنشدين ، فيعود الى أصل عربى ، وذلك لوجود أوجه شبه لفظية موسيقية بين ما شاع باوربا ، وبين ما عرف عن الزجل الاندلسي[134] ، وكذلك من حيث المضمون ، حيث شاع في هذا النوع من الشعر بعض مضامين الشعر العربي وهي التي يطلق عليها (حب المروءة)[135] الذي شاع في اوربا وانتشر في اسبانية بفضل ابن حزم عن طريق كتابه (طوق الحمامة)[136] .

ويرى جب (Gibb) ان شعراء جنوبي فرنسة في القرن الحادي عشر الميلادي انتفعوا بالشعر العربي في الاندلس وان هناك شبها شديدا بين طائفة التربادور ، لانهم اتوا بشيء جديد لاتعرفه فرنسة أو الشعر الفرنسي وان هناك شبها بين روادهم الاوائل وابن قزمان الشاعر الاندلسي ، وبذلك فقد تأثر شعراء جنوبي فرنسة في هذا القرن بالشعر الاندلسي[137] .

واما سبب ظهور النوع من الشعر في فرنسة قبل اسبانية ، فيعـود الى ان جيوم التاسع احد رواد التربادور تعلم العربية عندما اشترك في حملة صليبية بالمشرق عام ٤٩٥ ــ ٤٩٦ هـ / ١١٠١ ــ ١١٠٢ م ، واقام بالشام مدة، كما اشترك مع الفونسو المحارب في معركة كتندة عام ٥١٤هـ/١٠٨٥م في الاندلس ، كما أن جيوم التاسع تزوج من ابنة راميرو الراهب ملك أرغون الاسباني ، فضلا عن ان سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ ، هيأ لكثير من الفرنسيين الاتصال بالمسلمين الاندلسيين والتأثر بهم ، كما لم ينقطع في الوقت نفسه تدفق البعوث الدينية وقوافل التجار بين طليطلة

١٣٣ــ يروى بان التروبادور من معنى ابتدع ، ويرجع اصلها (دور طرب) راجع ، احمد امين ، ظهر الاسلام ، جـ٣ ، ص٣٠٩ .

١٣٤ــ بروفسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ .

١٣٥ــ حيدر بامات ، مجالي الاسلام ، ص٣٠٤ .

١٣٦ــ سعد شلبي ، دراسات ادبية ، ص١١٥ .

١٣٧ــ The Legacy of Islam, p.130.

والمقاطعات الفرنسية ، كل هذه الاسباب جعلت التربادور والفرنسى أسبق ظهورا من قرينه الاسباني[138] .

ولا ننسى دور المستعربين ، وهم عنصر فعال في الحياة الاندلسية ، في نقل الحضارة العربية الى اسبانيا المسيحية فالعصور الوسطى الاسبانية لم تكن تعرف الانفصال الجغرافي ولا العنصري بين المسلمين والنصارى ، والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة كانوا اداة اتصال بين شطرى اسبانية ، وهم منذ الفتح لم ينقطعوا عن الهجرة الى الاراضي المسيحية ، وقد كثر ذلك على عهد المرابطين والموحدين ، فقد هاجر سكان بلنسية منها الى قشتالة في عام ١١٠٢ ، وخرجت طائفة كبيرة من غرناطة مع جيش الفونسو الاول المحارب ملك أرغونة عام ١١٢٥م ، كما خرجت طائفة اخرى من اشبيلية الى قشتالة عام ١١٤٦م ، وقد كان من شأن هذه الهجرات وامثالها انتشار الثقافة الاسلامية والعربية بين نصارى الشمال الاسباني[139] .

ولاننسى استفادة الممالك الاسبانية من التراث العلمي والادبي الذي بقي في المدن الاندلسية التي دخلها الاسبان خلال عصر المرابطين ، فقد استغلوا رجال الفكر على اختلاف انواعهم في بلورة ثقافتهم وتطويرها في ظل السيادة الجديدة ، فكان لهذا اكبر الاثر على تقدم العلوم والمعارف في ممالك الاسبان في هذه الفترة ، وتاريخ طليطلة بعد سقوطها في يد الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ شاهد على ذلك . ومن المعروف ان الفونسو السادس اقام زمنا في مدينة طليطلة وأن ذلك أثر في نفسه تأثيرا كبيرا ، فكان للثقافة العربية عنده منزلة تتمثل في الحاشية التي اعتمد عليها ، اذ كان من بين افرادها نفر من المسلمين اختصوا به دون سواه ، وكان له كتاب يحررون الرسائل

١٣٨ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٠٦ ، ٢٠٢ ـ سعد شلبي : دراسات ادبية ، ص١١٨ .

١٣٩ـ لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص٣٠ ـ ٣١ .

بالعربية . وكتب التراجم تتضمن اخبارا عن بعض العلماء من المدجنين في طليطلة وما جاورها ، ومن امثال هؤلاء محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن جماهر الحجرى ، من اهل طليطلة ، وكانت له رحلة الى المشرق ، وتوفى بطليطلة عام بين ٤٨٨ هـ[١٤٠] . ومعنى هذا انه عاصر سقوط طليطلة بيـد الاسبان ٤٧٨ هـ ، عشر سنوات ، كما كان في طليطلة شبه مدرسة ظلت قائمـة طوال القرن الحادي عشر والقرن الذي يليه[١٤١] ، كما ظلت الثقافة الاسلامية مزدهرة بين المدجنين من اهل أقليش ووادى الحجارة وطلبيرة وغيرها من المدن الاندلسية التي دخلها الاسبان خلال هذا العصر .

ونظرا الان الاتصال كان وثيقا بن شطري الاندلس الاسلامي والاسباني ، فقد قام بينهما تجاوب فكري . فاعتبارا من القرن العاشر الميلادي نهض في مقاطعة قطلونية فريق من النقلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية . ومن ألمع الاسماء في هذه الحقبة الراهب جريرة الذي تعلم من كتب مترجمة مـن العربية .

وجاء بعد ذلك دور طليطلة ابتداء من القرن الثاني عشر ، فنشطت حركة الترجمة التي نقل فيها كثير من كتب الرياضة والفلك والطب والكيمياء والمنطق والاخـلاق ، كمـا نقلت معهـا شـرح الفلاسفـة العـرب علـى كتب ارسطو وغيرهـا ، وممـن اشتهروا من النقلـة في تلك الحركـة دمنجـو جنثالث الذي يعرف باسم (دمنيكوس جند يسالفى أو جنـد يساليفاس) و (خوان هسبالنسى) وكان احدهما يترجم النصوص الى اللغة الرومانسية التي ينقلها الاخر الى الاتينية المعروفة في مكاتب العصور الوسطى . كمـا هرع الكثير من علماء ايطاليا وانجلترا الى طليطلة وواصلوا العمل في ترجمة النصوص العربية لعدة سنوات[١٤٢] .

١٤٠- ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٦١ - ٥٦٢ .

١٤١- عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٦٨ .

١٤٢- لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٥٢ - ١٥٣ .

وفي أوائل عهد المرابطين بالاندلس ظهرت مقامات الحريري بالمشرق ، ثم لم تلبث ان انتشرت بالمغرب انتشارا كبيرا ، وعنى بها علماء الاندلس[١٤٣] على ان موضع الاهمية هنا ، هو ان فن المقامات لم يؤثر في الادب الاندلسي العربي فحسب ، بل اثر ايضا في الادب الاسباني العبري وربما المسيحي أيضا . فمن المعروف ان كتاب اليهود الاسبان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ترجموا الى العبرية مقامات الحريري ، كما عارضوها بمقامات شبيهة بها تماما تخللها أبيات من الشعر ذات طابع ديني او اخلاقي أحيانا ، وقد ازدهر هذا اللون من الادب العبري في اسبانية ولاسيما في مقاطعة قطلونية . ونذكر من كتاب اليهود الاسبان الذين برزوا في هذا الميدان (يوسف بن مائر بن سابرا) الذي ألف بمدينة برشلونة قبيل عام ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م كتابه المشهور (التعاليم المفرحة) وهو عبارة عن مقامات تشف عن مقدرة صاحبها وقوة محصولة الادبي والعلمي. وعلي أيــة حــال ، فان تأثير فن المقامات في الادب الاسباني سواء أكــان عربيا أم مسيحيا أم عبريا أمر لاشك فيه ، وان كان لايزال في حاجة الى دراسة مستفيضة[١٤٤] .

واشتهر (يهودا بن ليفى الطليطلي ٤٧٧ ــ ٥٣٧ هـ ويكنى بابى الحسن) بانه كان يكتب بالعربية ، ولسنا متأكدين ان كان هذا الشاعر اليهودي عاش في رقعة الدولة المرابطية ، أم انه اقام في طليطلة التي سقطت بيد الاسبان عام ٤٧٨ هـ[١٤٥] وتغنى (موسى بن عزرا) المتوفى عام ٥٣٢ هـ في ديوان شعره بذكر الخمر والهوى والمسره على طريقة شعراء العرب[١٤٦] .

١٤٣ــ ابن الابار ، التكملة ، جـ١ ، ص١٦ (رقم ٣٥) .

١٤٤ــ العبادي ، « مقامة العيد » صحيفة المعهد المصري ، مج ٢ ، العدد ١ــ٢ ، (مدريد : ١٩٥٤) ، ص١٦٤ ، ص١٦٧ ــ راجع : الطاهر احمد مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص٣٥٣ .

١٤٥ــ السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص٥٦ .

١٤٦ــ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٤٩٨ ــ ٤٩٩ .

٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية :

قامت الدعوة المرابطية على كتاب الله وسنة رسوله ، متخذة مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية والجهاد في سبيل الله وسيلة ، واستمدت الدولة المرابطية بعد قيامها الاحكام من مذهب الامام مالك الذي انتشر في المغرب في ظل دولة الادارسة[١٤٧] ، ثم في ظل دولة المرابطين . وصارت المدن المغربية مركزاً لدراسة هذا المذهب ، وانجبت البلاد الكثير من علماء المالكية وفي مقدمتهم (القاضى عياض بن موسى اليحصبى السبتى المالكى) الذي كان امام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله[١٤٨] ، وقد برز دوره واضحا حين رفع لواء المعارضة ضد المؤمن بن علي والموحدين ، ومنتصرا للمرابطين وهو في الواقع مدافع عن المذهب المالكي ضد الدعوة الموحدية[١٤٩] .

وقد استمدت الحركة الفكرية في دولة المرابطين علومها ومباحثها من مصدرين اساسيين هما : **الحياة الدينية التي اتخذت من مذهب مالك** اساسا لها ، والحياة الادبية والعلمية ، وقد ساعد على بلورة هذه الحركة هجرة العلماء من المشرق والاندلس الى حاضرة دولة المرابطين ، فساعدت هذه الهجرة على بلورة وتطوير الحركة العلمية في ظل هذه الدولة ، اضافة الى هجرة علماء المغرب الاقصى الى مصر والحجاز وبغداد الذين نهلوا العلوم والمعرفة من هذه المراكز المتقدمة ، فرجعوا بها الى بلادهم وأسهموا في تقدم الحركة العلمية والادبية لدولة المرابطين .

١٤٧ـ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٥٣ .

١٤٨ـ ابن المؤقت ، السعادة الابدية ، جـ١ ، ص٧٧ .

١٤٩ـ رأى ابن تومرت مدى تعلق الناس بمذهب مالك فألف (موطأ) جمع فيه الاحاديث النبوية التي وردت في موطأ مالك بعد حذف الاسناد منها للاختصار ، وهي محاولة منه في صرف الناس عن مؤلفات المالكية . راجع : علام ، الدعوة الموحدية بالمغرب ، ص٣٠٤ .

فقد رحب يوسف بن تاشفين بالعلماء في عاصمته مراكش ، التي أخـذت تضاهي مدينة بغداد في ازدهار العلوم وكثرة العلماء . كما اشتهرت مدينة فاس وجامعها المشهور جامع القرويين بخيرة العلماء المحليين والوافدين[١٥٠] ، وقد يمم العلماء الوافدون صوب مدينة فاس بعد اضطراب امر قرطبة بعد سقوط الخلافة الاموية ، وبعد ان اجتاحت قبائل بني هلال مدينة القيروان[١٥١] ، وقد اكمل علي بن يوسف الخط الذي سار عليه ابوه في ترحيبه بالعلماء وتشجيع الحركة العلمية وتنشيطها[١٥٢] وسنكتفي ببعض الامثلة للتدليل على مانقول : ففضلا عن العلماء والادباء الاندلسيين الذين وفدوا الى المغرب ، فقد وفـد الى مدينة مراكش عبدالله بن يونس (لانعرف موطنه) والذي استطاع بمهارته ان يوفر الماء لسقي البساتين وذلك بموجب طريقة هندسية رائعة[١٥٣] .

وكانت مدينة (تمبكت) من اهم المراكز الثقافيـة والتجارية في غربي افريقية على عهد المرابطين حيث أسست عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[١٥٤] ، وكانـت مركزا للحياة الفكرية اجتمع فيها العلماء من جميع الاجناس ، ووفد اليها علماء وفقهاء من بلاد الاندلس والمغرب ومصر والحجاز وكافة بلاد السودان ، حيث يجد بها العلماء والطلاب كل وسائل التشجيع والرعايـة[١٥٥] .

كما ان الكثير من علماء المشرق وافريقية وفدوا الى الاندلس واستقروا بها فمنهم من عاصر الفتح المرابطي للاندلس ومات بها ، ومنهم من عبر الـى

١٥٠ــ التازي ، احد عشر قرنا في جامعة القرويين ، ص١٤ ــ اعلام : الدعوة الموحدية بالمغرب ، ص١٦ ، ص٢٧٤ .

١٥١ــ راجع : ابن بشكوال ، الصلة ، ق١ ، ص١٣٠ ــ المراكشي ، المعجب ، ص٣٥٧ ــ ٣٥٨ .

١٥٢ــ عبدالعواد ، الحياة الادارية ... ، ص٥٦٦ .

١٥٣ــ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٧ ــ ٦٨ .

١٥٤ــ حسن احمد محمود ، « دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقية ، ص٨٣ .

١٥٥ــ عصمت هانم : دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقية ، ص١٨٢ .

المغرب وعاش في ظل دولة المرابطين ، ومن امثال هؤلاء : علي بن احمد بن علي بن عبدالله الربيعي المقدسي الشافعي التاجر (دون تحديد موطنه) ، سكن المرية وتوفي عام ٥٣١ هـ ومحمد بن سعدون بن علي بن بلال من القيروان ، رحل الى الاندلس واستقر في اغمات وبهامات عام ٤٨٥ هـ[١٥٦] وفي كتب التراجم اشارات كثيرة الى امثال هؤلاء العلماء .

وقد كانت ثقافة الشعب في ظل هذه الدولة تعتمد على العلوم الوافدة وبخاصة من المشرق الاسلامي الى منطقة المغرب الاقصى ، اضافة الى الرحلات في طلب العلم التي قام بها الكثير من علماء المغرب الاقصى الى مصر والشام والحجاز والعراق .

ففي المكتب كان الطالب يحفظ القرآن مع الالمام بالقراءة والكتابة[١٥٧] ، وفي الربط يدرس تفسير القرآن والحديث وشعر المواعظ والاناشيد الدينية[١٥٨] ، وفي المسجد كان المذهب المالكي وكتبه محور الدراسة في العهد المرابطي بجانب العلوم الدينية الاخرى[١٥٩] ، ففي التفسير كان تفسير الطبري هو المعول به لاشتهاره بين المغاربة . وفي الحديث اعتمد موطأ مالك وصحيح مسلم وشرح أبي الفضل عياض اليحصبي صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ومشارق الانوار[١٦٠] وفي الفقه والاصول يدرس المذهب المالكي وكتب ابي الوليد الباجي ، وأما في النحو واللغة فالمعول به على كتاب سيبويه والايضاح للفارسي والمخصص والمحكم لابن سيده وغير ذلك[١٦١] .

١٥٦ـ ابن بشكوال ، الصلة ق٢ ، ص٤٣٣ ، ص٦٠٢ – ٦٠٣ ، ص٦٠٦ .
١٥٧ـ المنوفي : العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين ، ص٢٢ .
١٥٨ـ عثمان الكعاك ، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب ، ص٤٤ .
١٥٩ـ التازي : احد عشر قرنا في جامعة القرويين ، ص١٤ – ١٥ .
١٦٠ـ محمد بن تاويت : الادب المغربي ، ص١٣٠ .
١٦١ـ عثمان الكعاك : محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب ، ص٤٨ – ٤٩ .

ولاننسى في هذا المجال اهتمام دولة المرابطين بجامع القرويين وتعزيز مركزه كمعهد عال للدراسة ، اضافة الى بناء المدارس التي تدرس فيها العلوم التي لايناسب تدريسها في المسجد بسبب ماتقتضيه من اجراء بعض التجارب واستعمال بعض الالات . فقد كان في مدينة فاس مدرسة من بناء يوسف بن تاشفين تعرف بمدرسة الصابرين[١٦٢] ، ومن الجائز ان يكون هناك غيرها . والغريب هو ان يتوافق المغرب والمشرق في وقت انشاء المدارس ، لان في هذه الفترة يبدأ الوزير السلجوقي نظام الملك ببناء مدرسته العلمية في بغداد والمعرفة بالمدرسة النظامية[١٦٣] .

وقد سارت الحركة الادبية سيرا بطيئا في عهد دولة المرابطين ، وذلك لاهتمامهم بامور الدين وسيطرة الفقهاء على امور البلاد ، واما الطابع العام والمميز لهذا الادب ، فلا شك ان المذهب المالكي وعلماءه ابعدوه عن بعض الاغراض التي تناولها ادباء المشرق كالخمريات والغزل بالمذكر وغيرذلك مما يتنافى مع الجو الديني الذي ساد البلاد في هذه الفترة[١٦٤] .

وفي عهد دولة المرابطين ظهرت مقامات الحريري بالمشرق ، ثم لم تلبث ان انتشرت بالمغرب انتشارا كبيرا ، وعني بها علماء الاندلس بصورة خاصة[١٦٥] . ولم يكتف علماء الاندلس بدرس هذه المقامات بل تناولوها بالشرح والمعارضة بطريقة اثبتت مقدرتهم في هذا اللون من الادب[١٦٦] . فهناك (كتاب الخمسين مقامة اللزومية) وهي المعروفة بالمقامات السرقسطية تأليف الاديب (أبى الطاهر محمد التميمي السرقسطى) ، المتوفي بقرطبة عام ٥٣٨هـ / ١١٤٣م والتي عارض

١٦٢ــ غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص٤٣ .

١٦٣ــ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٨٢ ــ ٨٣ .

١٦٤ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٣٩٤ ــ راجع ، السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، رسالة دكتوراه (كلية دار العلوم ١٩٧٤) .

١٦٥ــ ابن الابار ، جـ١ ، ص١٦ ، جـ٢ ، ص٧٣٢ .

١٦٦ــ ــ العبادي : مقامة العيد ، ص١٦١ .

بها مقامات الحريري الخمسين ولزم في نثرها مالايلزم ، ولعله تأثر بالمعري في لزومياته[١٦٧] • كما يشير ابن الابار الى ان الاديب محارب بن محمد الوادي اشي (عاش ٥٥٣ هـ) وضع مقامة في مدح القاضي عياض بن موسى السبتي ، وان الاديب ابا عبدالله محمد القرطبي وضع مقامة اخرى في نفس الغرض سماها (المقامة العياضية الغزليـــة)[١٦٨] •

وفي هذه الفترة (القرن الخامس الهجري) اغارت على المغرب الادنى والاوسط موجة من عرب بني هلال وبني سليم ، وقد اشاع هؤلاء العرب الجدد اللغة العربية ، في شكلها الدارج حيثما حلوا ، أي في البادية نفسها ، وبذلك تغلغلت العربية في تونس وهضاب اقليم وهران وسهوله وتسربت من ممر تازة الى سهول المحيط الاطلسي ، أي في مجموع البلاد التي تسودها السلالة الزناتية • ومعنى هذا ان العامل اللغوي اضيف الى العامل الجنسي لتكوين وبناء الوحدة بين اقطار المغرب العربي[١٦٩] •

وكانت افواج هؤلاء الاعراب التي قطعت المسافة بين صعيد مصر وتونس وكلها صحراء لاتتعدى مائتى الف نسمة على اكبر تقدير[١٧٠] ، وعلى الرغم من انها كانت تعتبر فئة صغيرة قياسا الى سكان المغرب آنذاك ، فقد عملت على تعمير الصحراء الشمالية من سفوح الاطلس الى بحـــر الظلمـــات (المحيط الاطلس) ، ثم عمرت بعد ذلك سهول تامسنا ودكالة • ومما يدل على تسرب العربية عن طريقهم الى الصحراء ان بعض التصانيف النحوية التي اندثرت في المغرب توجد الان في الصحراء[١٧١] •

١٦٧ــ ابن خير ، الفهرسة ، جـ١ ، ص٣٨٦ ، ص٤٥٠ •
١٦٨ــ ابــن الابار ، التكملة ، ص٢٣٣ ، ص٤٠٧ •
١٦٩ــ راجع ، حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص٣٠٧ •
١٧٠ــ راجع ، العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، ص٢١٩ ــ ٢٢٠ •
١٧١ــ عبدالعزيز بنعبد الله ، وحدة المغرب العربي ، ص٥٩ •

ومعنى هذا ان انتشار اللغة العربية في منطقة المغرب الاقصى ، يعود الى اهتمام دولة المرابطين بالقرآن والحديث والدراسات الفقهيـة واللغويـة من جانب ، ويعود الى اثر العرب الهلالية الذين ارسلتهم حكومة مصر الفاطمية الى شمالي افريقية لاسباب سياسية ، فكان أثرها على التعريب اللغوي لهذه المنطقة وعلى التعريب الجنسي ، من جانب آخر[١٧٢] .

وكما شبهت مراكش حاضرة دولة المرابطين بحاضرة بني العباس في صدر دولتهم لانها أصبحت محط انظار العلماء من كل مكان وكعبة القصاد[١٧٣] ، فاننا نلاحظ في هذه الفترة نشاط الرحلة في طلب العلم من قبل علماء وفقهاء دولة المرابطين ، وسنكتفي ببعض الامثلة للتدليل على ذلك :

ويأتي في المقدمة الامير ميمون بن ياسين الذي عني بالرواية وسماع العلم ، وله رحلة حج فيها وسمع بمكة من ابى عبدالله الطبري صحيح مسلم في عام ٤٩٧ هـ ، وسمع بها من ابى مكتوم بن ابى ذر الهروى صحيح البخاري ، وابتاعه منه بمال جزيل فأوصله الى المغرب[١٧٤] وقد توفى هذا الامير عام ٥٣٠هـ / ١١٠٦ م[١٧٥] .

هذا وسبق ان أشرنا الى سفارة الفقيه ابن العربي وولده أبى بكر الى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، والتي أخذت طابع الرحلة في طلب العلم (٤٨٥ ــ ٤٩٣ هـ) ، حيث فضل الابن (ابو بكر) البقاء في مدينة القدس لطلب العلم فترة من الزمن[١٧٦] .

١٧٢ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٣٠٧ ــ عبدالعواد الحياة الادارية . . . ص٥٥٤ .

١٧٣ــ المراكشى ، المعجب ، ص١٦٤ .

١٧٤ــ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٨١ .

١٧٥ــ ابن الابار ، التكملة ، ص٧١٨ .

١٧٦ــ عصمت هانم ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقية، ص٢٠٠ .

اما رحلة محمد بن تومرت ، فتعد مثالا جيدا لهذه الناحية ، حيث رحل الى المشرق في عام ٥٠١هـ[١٧٧] ، بعد ان اكمل دراسته في المغرب ، ودرس في معاهد القاهرة وبغداد والحجاز ، ثم عاد الى المغرب ونزل في مدينة المهدية في عام ٥١٤هـ[١٧٨] . وقد اتخذ مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اساسا لدعوته ، التي كانت بداية النهاية لدولة المرابطين[١٧٩] .

كما اشتهر الفقيه ابو القاسم عبدالرحمن بن محمد المعافري مـن اهل سبته بالرحلة في طلب العلم حيث زار الاندلس ، وتونس ومصر والحجاز ولقى الفقيه ابو محمد عبدالحق بن محمد بن هارون السهمي ، في مكة ، والامام ابو المعالي الجويني وابـن صاحب الخميس بصقلية ، وغيرهم ، وبذلك أصبح حجة في العلم فشدت اليه الرحال عندما تولى قضاء مدينة سبتة وغيرها ، وقد توفي في محرم من عام ٥٠٢هـ[١٨٠] ، وكذلك رحلة الحسن بن عمر الهوزنـي من اهل اشبيلية الى المهدية والاسكندرية والحجاز ، والذي توفى عام ٥١٢هـ ، ورحلة الغرناطي غالب بن عبدالرحمن الى المهدية والحجاز والمتوفى عـام ٥١٨ هـ[١٨١] .

هذا ومن المعروف ان ولاء المرابطين السياسي للخلافـة العباسيـة ، واتخاذهم المذهب المالكي اساسا لاحكامهم ، جعلهم في عداء سياسي ومذهبي مع الدولة الفاطمية في مصر ولكن هذا العداء السياسي المذهبي لم يمنع العلماء الاندلسيين والمغاربة من الرحلة الى مصر ، والحجاز طلبا للعلم ، فهذا الشيخ

١٧٧ـ المراكشي ، المعجب ، ص١٧٨ ـ الوزير السراج ، الحلل السندسية ، جـ١ ، ق٤ ، ص٩٧٧ .

١٧٨ـ راجع عن هذه الرحلة ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٠١ ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٦٦ ـ الذهبي ، العبر ، جـ٤ ص٥٨ .

١٧٩ـ راجع : علام ، الدعوة الموحدوية بالمغرب ، ص٩٢ وبعدها ـ محمد بن تاويت ، الادب المغربي ، ص١٣٣ .

١٨٠ـ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩٩ ـ ١٠٠ .

١٨١ـ ابن بشكوال : الصلة ، ق١ ، ص١٣٩ ، ق٢ ، ص٤٥٨ .

(المقرئ ابو العباس احمد بن عبدالله بن احمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي الفاسي ٤٧٨ ــ ٥٦٠ هـ) يرحل الى مصر ويقرأ على ابن الفحام ، وقد عرض عليه هناك القضاء ايام الدولة الفاطمية ، فاشترط ان لايقضي بمذهب الدولة فرفض الفاطميون قبول هذا الاقتراح[١٨٢] . كما دخل مصر غيره من العلماء الاندلسيين والمغاربة ودرسوا في معاهدها وتتلمذوا على أيدي كبـــار علمائها[١٨٣] .

وخلال رحلة محمد بن تومرت الى مكة ، التي كانت خاضعـــة انذاك للحكم الفاطمي ، هاجم الفاطميين ، منتقدا معتقداتهم ، مما دفـــع السلطـات الفاطمية الى طرده من مكة ، فخرج من الحجاز اكثر سخطا على الفاطميين ، ومشددا في دعايته ضد حكمهم[١٨٤] .

والامر نفسه بين الفاطميين ومملكة بني مناد في تونس والجزائر بعد قطع الخطبة والولاء لدولة مصر ، والاعتراف بالسيادة العباسية ونشر المذهب المالكي هناك[١٨٥] ، فقد ارسلت لهم الدولة الفاطمية عرب بني هـــلال الذين عاثوا في شمالي افريقية فسادا[١٨٦] ، وأدى ذلك الى حصول نوع من التقارب الفكري بين دولة المرابطين ومملكة بني مناد ، وبخاصة بعد ان زالت أسباب النزاع بين دولة المرابطين وامارة بني حماد في الجزائر ، وكان هذا التقارب قد اخذ طابع الرحلة في طلب العلم بين تونس وبجايـــة وبـــين مراكش وفاس

١٨٢ــ كنون : النبوغ المغربي ، جـ١ ، ص٩٨ .

١٨٣ــ راجع : ابن الابار ، المعجم ، ص١٨٣ ، ص٣٢٠ .

١٨٤ــ وفيات الاعيان : ابن خلكان ، جـ٤ ، ص١٣٨ ــ ١٣٩ ــ علام : الدعوة الموحدية بالمغرب ، ص٨٢ .

١٨٥ــ راجع ، الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، جـ١ ، ص٣٤٠ ــ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٣٢٤ .

١٨٦ــ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٢٩ ــ احمد بن عامر ، تونس عبر التاريخ ، ص١٥٧ .

والاندلس[١٨٧] ، اضافة الى نشر مبادىء المذهب المالكي واصوله . ولكن هذا لم يمنع من ان يكون هناك اختلاف في وجهات النظر بين الدولتين حول بعض القضايا والعلمية ، وبخاصة حول قضية حرق كتب الامام الغزالي ، ففي الوقت الذي تؤكد الدولة المرابطية على مذهب مالك أساس الفتيا في بلاد المغرب والاندلس ، كما احرقت كتب الغزالى[١٨٨] ، كان العالم أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف النحوي الذي عاش في ظل امارة بني حماد بالجزائر ، بمثابة مدرسة لها اتجاهها في النظر الى الامور الدينية ، ونجح في ايجاد تلاميذ ينشرون اتجاهه في المغرب ، وكان اتجاهه امتدادا للامام الغزالي الذي كانت كتبه تحرق في دولة المرابطين . فقد ركز هذا العالم على علوم العقيدة والتصوف اكثر من التركيز على الفروع ، الذي كان اتجاه المرابطين الرسمي ، وكان كثير المدح والاطراء لكتاب الاحياء[١٨٩] . وكذلك العالم محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمانة تلميذ النحوي فقد كان محبا للامام الغزالي كأستاذه[١٩٠] .

كما هرب بعض العلماء من دولة المرابطين وعاشوا في حماية امارة بني حماد ، امثال محمد بن الحسين الانصارى المعروف بالميورقى (ت: ٥٣٧ هـ) الذي لجأ الى بجاية واستوطنها هاربا من صاحب المغرب ابن تاشفين ، وكان هذا العالم محدثا في مدينة بجاية وله بها تلاميذ يأخذون عنه[١٩١] .

١٨٧ـ ابن الابار المعجم ، ص٢٢٧ ـ مما يذكر في هذا المجال رحلة العالم الجزائري (يوسف الورجلاني ، نسبة الى مدينة ورجلة والذي ولد عام ٥٠٠ هـ) الى قرطبة بالاندلس التي كانت ولاية مرابطية وهناك اشتهر بأدبه حتى لقبه الاندلسيون بالجاحظ ، راجع : العدوى ، المجتمع المغربي ، ص٣٠٥ .

١٨٨ـ مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ص١٠٩ .

١٨٩ـ ابن مريم : البستان في ذكر الاولياء ، ص٢٩٩ وبعدها ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٣٣١ ـ ٣٣٢ .

١٩٠ـ ابن الابار ، التكملة ، جـ٢ ، ص٦٧٦ .

١٩١ـ ابن الابار ، المعجم ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٣٣٥ ، ص٣٥٤ .

كما سكن بعض علماء افريقية في الاندلس وفي مدن المغرب الاقصى ودرس الناس عليهم الفقه امثال عبدالعزيز التونسي الزاهد تلميذ ابى عمران الفاسي ، والمتوفي عام ٤٨٦هـ[١٩٢] .

وقد اتخذ اعتراف المرابطين بالخلافة العباسية عدة مظاهر تؤيد تلك التبعية الروحية للخلافة العباسية ، وذلك حين دعا المرابطون على منابرهم لبني العباس[١٩٣] فأصبحت بلاد المغرب الاقصى بعد هذا الولاء مستقرا لكثير من العلماء الذين هاجروا الى مدنها ، اضافة الى الرحلات العلمية التي قام بها اهل الاندلس والمغرب الى المشرق الاسلامي[١٩٤] وبخاصة الى الشام والعراق من أجل الحصول على المزيد من المعرفة . فكما عملت دولة المرابطين الى ايجاد نوع من الوحدة السياسية ، عملت ايضا على ايجاد الوحدة الفكرية التي تعزز بها الوحدة السياسية ، فكان الولاء للخلافة العباسية ، وكان انتشار علوم المشرق في بلاد المغرب والاندلس وهجرة علماء المشرق الى المدن المغربية أو في الاقل تأييد العلماء والفقهاء في المشرق للسياسة الحكيمة التي تنتهجها دولة المرابطين في مجال السياسة والفكر . وأصدق مثال على ذلك هجرة بعض علماء المشرق الى الاندلس والمغرب لنشر علومهم هناك ، اضافة الى مشاركة المرابطين في الجهاد ، ويأتي في الطليعة موسى بن عبدالله بن الحسين العلوى الكوفى الذي دخل صقلية ومنها ذهب الى الاندلس للجهاد ، ونشر علومه في جزيرة ميورقة ، ثم استقر في بلاد بني حماد حيث مات عام ٤٨٦هـ[١٩٥] .

١٩٢ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٣٧٦ .

١٩٣ــ العيني ، عقد الجمان ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٥٩٩ .

١٩٤ــ راجع : عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٤٦٤ ــ سعد شلبي ، دراسات ادبية في الشعر الاندلسي ، ص١٢٠ .

١٩٥ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٦١٣ .

الفصـــل الثاني

العلاقات الاجتماعية

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين :

من المعروف ان العهد المرابطي لم يطل بالاندلس اكثر من اربعـين عاما وأنه قد بدأ بالمغرب قبل ذلك بنحو عشرين عاما . كما أن الدولة المرابطيـة عاشت في حالة استقرار وانتظام في عصر يوسف بن تاشفين وولده علي ، الا أنها بدأت تتعرض للاضطراب في عام ٥١٥ هـ منذ ظهور حركة محمد بن تومرت في عهد علي بن يوسف ، والى نهاية عهد الدولة المرابطية[١] .

وفي فترة الاستقرار والهدوء هذه ، اقبل الناس على الاعمال السلمية ، فعم الرخاء الاجتماعي . وكان هذا الرخاء نتيجة ازدهار الحياة الاقتصادية ، وبخاصة التجارية منها ، فعلى سبيل المثال كان أهل اغمات في ظـل دولـة المرابطـين مـن كبـار التجـار ، وكانـوا يسفـرون القـوافل الكبـيرة ، وكانوا يضعون علامات على ابواب منازلهم تدل على مقدار اموالهم[٢] ، وشاركهم تجار سجلماسة هذا الثراء[٣] ، وكذلك تجار سبتة[٤] هذا بجانب ازدهار الناحية الزراعية والصناعية في ظل دولة المرابطين[٥] .

---

١ ـ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص٤٣٥ .
٢ ـ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٦ ـ حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى ، س٩٨ .
٣ ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١٦٤ .
٤ ـ ابن سعيد المغربي ، بسط الارض ، ص٧٣ .
٥ ـ راجع ، ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص١٠٨ ـ كنون ، مدخل الـى تاريخ المغرب ص٤٤ ـ ٤٥ .

وقد تمتعت الاندلس ايضا ، منذ انضوائها تحت سيادة المرابطين ، بمثل هذا الرخاء ، حيث تحررت في ظل العهد المرابطي ، او في الاقل في عهد يوسف وابنه علي ، من كثير من المكوس والمغارم الظالمة التي فرضها ملوك الطوائف لارضاء جشع ملوك الاسبان من جان ، وللاتفاق على قصورهم المترفة التي شهدت انواع البذخ والاسراف[٦] . وقد شعر عامة الشعب الاندلسي في العهد المرابطي بنوع من التحسن المادي في حياته لانهم انصرفوا الى الاعمال السلمية ، والى تحصيل ارزاقهم واقواتهم في هدوء وسلام بينما حمل المرابطون مسؤولية الجهاد ومدافعة الاسبان عن الاراضي الاندلسية ، وبذلك عم الرخاء والعيش الرغد بلد الاندلس في عهد يوسف وابنه علي[٧] .

وكانت المرأة تتمتع بوضع متميز في قبيلة صنهاجة ، حيث كانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارك في الامور المهمة[٨] ، حتى ان الكثير من قادة المرابطين كانوا يلقبون باسماء امهاتهم تقديرا لدور المرأة في مجتمع المرابطين ، مثل ابن عائشة (ابا عبدالله محمد بن يوسف بن تاشفين)[٩] ، وعبدالله بن فاطمة ، ومحمد ويحيى ابنا غانية[١٠] ، وغيرهم[١١] .

وقد رأينا دور زينب النفزاوية في تثبيت حكم يوسف بن تاشفين الأمر الذي جعلها محل تقديره واعجابه . كما اطلق الناس عليها لقب الساحرة لفرط ذكائها[١٢] .

---

٦ — راجع : جورجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ٥ ص١٥٩ — ١٦١ سعد شبلي ، البيئة الاندلسية ، ص٥٤ — ٥٥ .
٧ — ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص٥٩ .
٨ — التادلي ، التشوف ص٢٧٢ — ٢٧٣ .
٩ — ابن القطان ، نظم الجمان ، جـ٦ ، ص٨ (ح) .
١٠ — ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٢٠٥ (ح) — النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، مج ٢ ، ص٨٠ .
١١ — ابن الابار ، المعجم ، ص٥٤ .
١٢ — راجع ، ابن العذري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٣٠ — ابن ابي زرع ، روض القرطاس جـ٢ ، ص٣٢ — النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، مج ٢ ، ص٨٠ .

كما كان للاميرات المرابطيات دور كبير في الحياة العامة ، فظهر منهن في مجال الادب والشعر امثال (تميمة بنت يوسف بن تاشفين)[13] ، وحواء بنت تاشفين (ابنة اخ يوسف لان اباها تاشفين كان أخا ليوسف لامه)[14] . و (فانـو بنت عمر بنت ينتيان) التي برزت في المجال الحربي ، وظلت تقاتـل الموحدين ، على هيئة رجل ، على اسوار مراكش حتى قتلت[15] .

أما المرأة الاندلسية فقد احتلت مكانة محترمة في عصر الطوائف ، وألف فيها الاندلسيون الكتب مثل كتاب (طوق الحمامة في الالفة والآلاف) لابن حزم[16] ، كما نالت نصيبها الوافر من العلوم والفنون والآداب[17] ، كولادة بنت الخليفة المستكفي[18] مثلا .

وقد اشار الامير عبدالله بن بلكين آخر ملوك غرناطة في عهد الطوائف في مذكراته الى طغيان النساء وطمعهن في ولاية من ربين من ابناء السلطان[19] ، كما كان لانتشار الفروسية بالاندلس اثر كبير في تكريم المرأة وكانت السيدات المسلمات يؤلفن عنصرا بارزا بين المشاهدين في الميادين التي كانت تقـام بالعاصمة ، ويزيد حضورهن الاحتفالات هيبة وجمالا[20] .

١٣ـ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

١٤ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٧ ـ ديوان ابن خفاجة ، ص٩٦ . ص٩٦ .

١٥ـ البيذق : اخبار المهدي ، ص١٠٣ .

١٦ـ راجع ، ابو زهرة : ابن حزم ، ص٢٧ ـ الطاهر المكي ، دراسات من ابن حزم ص٢٢٤ وبعدها .

١٧ـ سعد شبلي ، البيئة الاندلسية ، ص٥٨ .

١٨ـ ابن بسام ، الذخيرة ، م١ ، ق١ ، ص٣٧٦ وما بعدها ـ المقري ، نفح الطيب جـ٥ ، ص٣٣٦ وما بعدها .

١٩ـ كتاب التبيان ، ص٤١ .

٢٠ـ سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ص٢٠٠ ـ ٢٠١ .

وليس من السهل بمكان تصور المكانة الاجتماعية للمراة الاندلسية في العصر المرابطى ، اذ ان الروايات التي اشارت لهذا الموضوع اهتمت فقط بمنزلة المرأة المصمودية في مراكش التي تمتعت بنصيب كبير من الحرية سمح لها بالتدخل في مناحي الحياة المختلفة[٢١] ، حتى بلغ من امرها في عهد علي بن يوسف من الاسراف والتدخل في الامور السياسية حدا كبيرا اعتبر سببا فى اختلال ملكه وسقوطه[٢٢] .

وليس في هذه الروايات ما يوضح مقدار انعكاس ذلك على المـــرأة الاندلسية فانتقال التقاليد والقيم الاجتماعية لايتم بصورة سريعة ، وانما يتطلب وقتا طويلا لتقبل تلك الامور واستساغتها[٢٣] . لكن يمكننا ان نستنتج من هذه الروايات منزلة المرأة وقيمتها الاجتماعية في الاندلس خلال حكم المرابطين ، فالقصائد المدبجة بمدحهن او رثائهن تشير بلاشك الى مايكنه الرجل تجاهن من احترام وتدل على ماكان لهـن من سلطـة واسعة في الحيـاة الادارية[٢٤] .

ثم نحس بارتفاع صوتها الادبي وحريتها في التعبير عن مشاعرها بصراحة في مجالس تعقدها مع شعراء العصر كالمجالس التي ذكرتها المصادر للشاعرة (نزهون الكلاعى) مع الشاعر الاعمى المخزومى[٢٥] .

وكان الاندلسيون يحترمون المرأة ويقدرونها ، سواء كانت زوجـــة أم جارية ، فنستدل من تشددهم في بيع الجواري ، بحيث يتطلب شراؤهـــن حضور كاتب العقود وتبيان الاسباب المقنعة التي تطلب الجارية من اجلها بكل

٢١ـ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٩٩ .

٢٢ـ المراكشي ، المعجب ، ص٢٤١ .

٢٣ـ السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص٥٠ .

٢٤ـ احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، ص٣١ .

٢٥ـ راجع ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ١ ، ص٤٣٢ ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص١٩٠ .

دقة[٢٦] ، مدى تقديرهم للمرأة ، وقد قوى المرابطون في الاندلس الشعور باحترام المرأة ربة الدار ومحاربة الكثير من وسائل اللهو والمجون التي سادت في عصر الطوائف[٢٧] ، وذلك طبقا لما يقتضيه المثل الاعلى البربري الذي ظل متعلقا بنظام اجتماعي اولى يقوم على الامومة[٢٨] اولا ، وتشدد المرابطين في تطبيق مبادىء الاسلام ثانيا .

وعندما صارت الاندلس اقليما تابعا للمغرب ، زاد سكان المنطقتين اتصالا وبخاصة بعد المعارك المتصلة ، ومجيء كثير من الاسرى من اهـــل الاندلس مسيحيين او يهودا الى المغرب ، كما ان بعض الاحداث السياسية دفعت يوسف بن تاشفين ان يتبع سياسة التشدد ضد يهود الاندلس ، وبخاصة يهود اليسانة[٢٩]، ولكن لم يمنع هذا الامر في استخدام اليهود في اعمال الكتابة في الاندلس ، فتشير بعض المصادر الى ان والي غرناطة المرابطي (ابا عمر ينالة المتوني) من قبل علي بن يوسف كان له كاتب يهـــودي[٣٠] ، كما وجـدت طائفة من اليهود في المغرب تزاول اعمالها نهارا في المدن المغربية ، وقد حرم عليهم علي بن يوسف المبيت ليلا فيها ، وذلك كاجراء وقائي من خطر اليهــود[٣١] ، وهو خشية التجسس الذي يمكن ان يقوم به اليهود ، او القيام بعمليات تخريب

٢٦ــ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ٤ ، ص٦٤٣ .

٢٧ــ شهدت كثير من مدن الاندلس في عصر الطوائف ضروبا من وسائل المجون والمتعـة وخاصـة في قرطبـة وقـد اشـار ابـن عبدون الى بعض هذه الظواهر الاجتماعية الشاذة ــ راجع ، ابن عبدون في القضاء والحسبة ، ص٤٧ ، ص٥١ ــ خلاف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قرطبة في القرن الخامس الهجري ، ص٣٤١ ــ ٣٤٢ .

٢٨ــ بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٩٩ ــ السعيد فالشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص٥٠ ــ ٥١ .

٢٩ــ اشباخ ، تاريخ الاندلس، ص٤٨٢ ــ حتي، تاريخ العرب ، جـ٢، ص٦٤٦ . ص٦٤٦ .

٣٠ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٧٧ .

٣١ــ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٩ ــ عبدالعواد ، الحياة الادارية ص٤١٤ .

في عهده ، خاصة وان عهده شهد معارك متعددة في اكثر من جهة في الاندلس ضد الاسبان ، وفي المغرب ضد الموحدين ، كما ان الفترة الزمنية هذه كانت تشهد حربا صليبية في المشرق الاسلامي[٣٢] .

كما شهدت منطقة المغرب الاقصى في ظل المرابطين وفود طائفة جديدة من الاسبان المعاهدين الذين هربوا من الاندلس ، عام ٥٢٠هـ ، وذلك نتيجة تعاون هؤلاء مع الفونسو الاول المحارب ملك ارغونة اثناء قيادة حملتــه المدمرة على الاندلس عام ٥١٩هـ/١١٢٥م ، وقد افتى قاضي الجماعة الفقيه ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد (٤٥٠ ــ ٥٢٠هـ)[٣٣] بتغريبهم ونفيهم الى المغرب[٣٤] .

ولاينكر ان هذا التغريب لم يشمل جميع النصارى المعاهدين ، كما أن امراء المرابطين حرصوا على حسن الرعاية لهؤلاء النصارى سواء في الاندلس أم المغرب ، فقد حصل ان معاهدى غرناطة رفعوا عريضه الى علي بن يوسف ضد عاملها المرابطى (ابي عمر عينغلو ــ حفيد يوسف بن تاشفين) يحتجون فيها على سوء سيرته معهم ، فاستدعاه علي بن تاشفين الى مراكش وأحاله الى جلسة تحقيقية انتهت بالحكم عليه بالسجن[٣٥] .

ازاء هذه الاحداث ، اشارت بعض المراجع ، الى ان اهل الذمة عاشوا في اضطهاد في دولة المرابطين[٣٦] ، ولكن الامر لايعدو ، وكما بينا اعلاه ،

٣٢ــ عبدالعواد ، الحياة الادارية ، ص٤١٦ .

٣٣ــ ابن بشكوال ، الصلة ، ق٢ ، ص٥٧٦ .

٣٤ــ ابن الابار ، المعجم ، ص١٦٠ ــ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، جـ١ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٥ .

٣٥ــ ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٣٤ ــ ميرانده ، « علــي بن يوسف واعماله في الاندلس » ، ص١٧٤ ــ ١٧٥ .

٣٦ــ راجــع ، حتي ، تاريخ العرب ، جـ٢ ، ص٦٤٦ ــ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية جـ٢ ، ص١٨٨ ــ لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص٣٤ ــ ٣٥ .

احتياطات ضرورية للأمن ، اضافة الى ان اليهود والمعاهدين عملوا في جباية الاموال في ظل دولة المرابطين[٣٧] ، وقد برع اليهود بصورة خاصة في صناعة الحلي والقناديل في مدينة فاس ، وفي حرفة البناء في مدينة سجلماسة[٣٨] .

وقد حرص داعية المرابطين عبدالله بن ياسين على القضاء على وسائل اللهو وحرق متاجر الخمور ، كما حدث في مدينة سجلماسة[٣٩] ، متبعا في ذلك التعاليم الدينية التي يدعو اليها ، الا أن هذه الشدة في بدء قيام دولة المرابطين ، اخذت تخف بعد ذلك ، وصارت هناك بعض الجواري اللائي يحسن الغناء ، مما مكن يوسف بن تاشفين من اهداء المعتمد بن عباد جارية مغنية[٤٠] .

ثم مال المرابطون الى الوان الترف بعد احتكاكهم بالاندلسيين واطلاعهم على اساليب الحياة في المدن الاندلسية ، خاصة وأن عهد الطوائف عرف صورا كثيرة من المجون والخلاعة[٤١] ، مما جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية والمتعة ، التي كان يحياها ابناء الاندلس[٤٢] ، وأصبحت ادوات اللهو والغناء متوفرة في المدن المغربية مما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين تهاونهم في محاربتها وأخذ على عاتقه تكسيرها ، فحين دخل مدينة فاس وجد زقاقا بـه حوانيت امتلأت بالانواع المختلفة من ادوات الموسيقى والغناء فكسرها هو واصحابه[٤٣] .

---

٣٧ ـ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، جـ٢ ، ص٢٣٨ .
٣٨ـ البكري ، المغرب ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ .
٣٩ـ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٢٠ .
٤٠ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص١٢ .
٤١ـ احمد ضيف ، بلاغة العرب في الاندلس ، ص٤٣ .
٤٢ـ حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
٤٣ـ البيذق ، اخبار المهدي ، ص٦٤ ـ ٦٥ .

ونلاحظ اختلاط المرأة بالرجال في المجتمع المرابطي ، مما جعل تومرت عند عودته من رحلته المشرقية يستنكر هذا الموضع في اكثر من مكان[٤٤] ونهى عن اجتماع الرجال والنساء في حلقات اللهو واللعب ، كما حصل عند وصوله الى مدينة مكناسه حيث شهد اجتماع الرجال والنساء تحت شجرة لوز ، فقام بتفريقهم[٤٥] .

وكمبدأ عام غلب طابع الخشونة على ملابس المرابطين اول امرهم[٤٦] ، كما ميز رجال المرابطين باللثام دون النساء[٤٧] ، وقد أصبح اللثام يشير الى وضع اجتماعي متميز ، اذ انه علامة لولاة الامر وكبار رجال الدولة وابناء القبائل المرابطية . فتشير بعض الروايات انه عندما عزم (ابو اسحاق باران بن يحيى المسوفي ـ وهو من زعماء المرابطين) على اتخاذ التصوف طريقا له في الحياة امره الشيوخ بأن ينزع اللثام وان يذهب الى السوق ويأتي حاملا طبقا على رأسه دليل الانكسار والخضوع ، وقد نفذ ذلك وصار من عداد المتصوفين[٤٨] .

وقد اتخذ بعض العامة ، بخاصة في الاندلس ، اللثام زيا لهم تطاولا على الناس وترفعا[٤٩] ، ومن هنا ختم ابن عبدون بأن اللثام لابد ان يكون خاصا

٤٤ـ مؤلف مجهول ، نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى ، ص٣٦ ـ ٣٧ .

٤٥ـ البيذق ، اخبار المهدي ، ص٦١ وما بعدها .

٤٦ـ راجع ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص٢٣٤ .

٤٧ـ راجع الاراء عن اللثام ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٩٩ ـ النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، مج ٢ ، ص٧٩ .

٤٨ـ التادلي ، التشوف ، ص٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٤٩ـ احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، ص٤٦ .

٥٠ـ احمد التجيبي (من رجال القرن الخامس الهجري) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب ، ص٢٨ .

بالصنهاجي او اللمتوني او اللمطي بالاندلس[٥٠] ، وقد اتخذ ابن تومرت من اللثام مادة لمهاجمة المرابطين والتقليل من شأنهم[٥١] .

ولاينكر اشتهار الاندلسيين بالاناقة والنظافة[٥٢] ، ولعل ذلك اثر على جميع الوافدين الى بلادهم ، مما جعل الاندلس كما يقول بروفنسال : اشبه شيء بمعهد لاداب السلوك والذوق الحسن[٥٣] ، وقد انعكس ذلك على امراء المرابطين وعمالهم وجنودهم الذين عاشوا في الاندلس الولاية المرابطية ، وانعكس ايضا على حياة القصور في اهم المدن المراكشية بعد عهد يوسف بن تاشفين[٥٤] .

٢ ــ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية :

ان التأثير الاجتماعي بين مسلمي الاندلس ونصارى الشمال الاسباني وجد خلال العصور الاسلامية الاولى في بلد الاندلس ، نشط خلال عصر الخلافة الاندلسية وعصر الطوائف ، وقد استمر هذا التأثير خلال عهد المرابطين وان كان قد اتخذ صورة اضعف من ذي قبل ، بين المغرب والاندلس من جهة ونصارى الاسبان من جهة اخرى .

فمنذ ان انضم المغرب تحت لواء الاسلام انقطعت كل صلة بينه وبين الامم المسيحية التي تقلص نفوذها آنذاك من الشمال الافريقي والاندلس عقب الانتصارات الاسلامية المتتابعة . وكان قيام دولة المرابطين بالمغرب وما صحبها من استنجاد ملوك الطوائف بامراء المرابطين عاملا من العوامل التي ساعدت على فتح الباب من جديد لهذا الاتصال بين المغاربة والمسيحيين في مختلف الميادين ، واتخذ هذا الاتصال صورا واشكالا تغيرت بتغير الظروف وتعاقب

٥١ــ ابن تومرت ، اعز ما يطلب ، ص٢٦٣ .
٥٢ــ راجع ، المقري ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٠٨ .
٥٣ــ الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٣٠٢ .
٥٤ــ راجع : الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص٤٤ .

الدول ، وترك هذا الاتصال اثـره على حياة المغرب الاجتماعية ، بصـورة خاصة[٥٥] .

ان العلاقات المختلفة بين ملوك المغرب وبين هؤلاء المسيحيين كانت تتسم بروح من التسامح شاملة ، من ابرزها ان الملوك كانوا يتخذون زوجاتهم مـن رقيـق الاسبان حتى اصبح لهن فيها بعد نفوذ في اختيار اولياء العهد .

فقد كانت ام علي بن يوسف ام ولد رومية اسمها قمر ، وكذلك ام تاشفين ابن علي[٥٦] ، ومن جهة اخرى كان الاسرى المسيحيون بالمغرب ، وفي البلاد الاسلامية قاطبة ، يتمتعون بحرية في الدين وتسامح في المعاملة ، ومساواة في الحقوق لمن اعتنق الاسلام منهم ، في الوقت الذي كان الاسرى المسلمون بالبلاد المسيحية يعانون صنوف العنت والاضطهاد .

وكان المرابطون اول من فكر في استخدام الاسبان الوافدين عليهم مـن الاندلس او الواقعين في اسرهم بعد انتصاراتهـم المتواليـة ، فكانـوا يستخدمونهم في الجيش ، حتى يستفيدوا مـن خبرتهم العسكرية في مقاتلة فرنج الاندلس[٥٧] .

وقد بدأت صلة الروم والصقالية بالمغرب الاقصى كجماعة في اوائل عهد المرابطين ، حيث عمد يوسف بن تاشفين الى شراء جماعة منهم بلغت (٢٥٠) فارسا ليكونوا حرسا خاصا له[٥٨] ، ثم ازدادت اعدادهم بعد ذلك نتيجة

٥٥ـ الصديق بن العربي ، « طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب » مجلة تطوان العدد الاول ١٩٥٦ ، ص١٥٣ .

٥٦ـ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص١٠٦ ، ص٢٩١ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ج٢ ، ص٧٨ ـ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٨ ، ص١٤٧ ـ مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانية ، ص٣٣٧ .

٥٧ـ الجيلاني ، تاريخ الجزائر ، ج١ ، ص٤٠٧ ـ

٥٨ـ ابن الخطيب ، الحلل الموشيه ، ص١٢ .

المعارك ، ولما تولى علي بن يوسف الامر توسع في استخدام الروم مما دفع ابن عذاري الى القول : بان علي بن يوسف هو أول من استعملهم[٥٩] ، فعمل المرابطون على استحداث كتائب مسيحية عسكرية في المغرب واعطوا قيادتها الى قواد اسبان اسروا خلال معارك الجهاد ، ومن اشهرهم فارس اسباني من قطلونية اسره قائد الاسطول المرابطي (علي بن ميمون) واتى به الى مراكش حيث دخل في خدمة المرابطين فجعلوه (قائد الروم) أي قائد الفرقة الاسبانية من جيشهم هذه الفرقة التي تتكون من المرتزقة الاسبان[٦٠] . وقد اخلص الربرتير للمرابطين وقربه علي بن يوسف ، واعلى مكانه ، واستمر في خدمتهم حتى قتل في معركة دارت بين المرابطين والموحدين ، هذا وكان استخدام مرتزقة الاسبان في جيوش المسلمين في المغرب امرا شائعا ، لم تشذ عنه دولة في دولهم[٦١] .

وقد اشارت بعض البحوث الحديثة الى ان من اسباب ثورة اهل الاندلس على المرابطين هو استخدام المرابطين لنفر من الاسبان في جيوشهم ، مثل الربرتير ، فقد كان ذلك محركا لجماعة (المريدين) الى القيام على المرابطين ودافعا لهم الى دعوة الاندلسيين الى الثورة عليهم ، ولكن من خلال مراجعة تراجم اولئك الثائرين لانجد فيها مايدل على ان وجود الربرتير وغير من جند الاسبان في جيوش المرابطين كان سببا في ثورتهم ، او أنه كان على الاقل من اسباب هذه الفتنة[٦٢] . ولم يصبح استخدام الاسبان قاصراً على الحراسة والعمل في الجيش ، وانما تعدى ذلك الى الوظائف المدنية ، فقد استخدمهم علي بن يوسف في جباية الاموال[٦٣] .

٥٩- البيان المغرب ، ج٤ ، ص١٠٢ - ١٠٣ .
٦٠- مؤنس « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين » ، ص١٠٢ - عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٢٣٢ .
٦١- البيذق ، اخبار المهدي ، ص٨٧ - عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٢٣٢ .
٦٢- مؤنس « نصوص سياسية » ص١٠١ - ١٠٢ .
٦٣- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص٢٩٦ .

وكان من اثر هذا الاتصال بين المغاربة والفرنجة ان كثرت اسواق الرقيق في أهم المدن ، وانتشر التسرى بالجواري الصقليات ، وامتلأت قصور الامراء وكبار الموظفين بالنساء اللاتي اعتنق الاسلام بعضهن وكان لهن مقام مرموق عند بعض الامراء . ومن دلائل روح التسامح السائدة في ذلك العصر بين هذه الطوائف المسيحية وبين مختلف السكان ان هذه الجماعات المسيحية كان لها امينها وقسيسيها ، وكان تباشر شعائرها الدينية في كنائسها الخاصة[٦٤] ، وممارسة عاداتها وتقاليد الاجتماعية ، وقد اثار هذه الظواهر محمد بن تومرت الذي هاجم من خلاله عهد المرابطين[٦٥] .

كما بينا اعلاه ان المعاهدين عاشوا في أمان وسلام في بلاد الاندلس في مختلف العصور ، وبخاصة في عهد المرابطين ، ماعدا ما وقع على بعضهم خلال حكم المرابطين ، واتهامهم بالتعاون مع ملوك الاسبان ، فأفتى الفقهاء بتغريبهم الى عدوة المغرب ، فسكنوا اهم المدن ، ونالوا عطف وحماية ورعاية اولى الامر المرابطين ، علما بأن هذا التغريب لم يشمل جميع المعاهدين آنذاك[٦٦] ، ثم انهم نالوا نفس الرعاية من امراء المرابطين وولاتهم في بلد الاندلس ، ولكن نرى من خلال بداية حركة الاسترداد في الاندلس والى عصر المرابطين ، موضوع البحث ، ان الاسبان الذين كانوا يصيرون الى أرض المسلمين كانوا يعتبرون اهل ذمة او معاهدين لهم حقوق وعليهم واجبات مقررة في الشريعة ، فاذا استعربوا لسانا واسلوب حياة ، واندمجوا في حياة الاندلس الاسلامي سموا بالمستعربين[٦٧] ، اما المسلمون الذين كانوا يدخلون تحت سلطان ملك مسيحي ، فقد اطلقت عليهم عدة تسميات منها (الماورى Mauri) او (ساراسينو Sarraceno) وبخاصة في نواحي

٦٤- الصديق بن العربي ، « طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب » ص١٥٥ .
٦٥- الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من عبر ، ج٤ ، ص٥٩ .
٦٦- ميرنده « علي بن يوسف واعماله في الاندلس » ، ص١٧٥ .
٦٧- لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص٢٧ .

النافار وارغونة) أو (المدجنـــون)[٦٨] ، وهو الغالب ، وهو مشتق من دجن اي أقام خاضعا[٦٩] وقد ترجم هذا اللفظ الى معاهد ، مما يدل على أن اولئك المسلمين الذين دجنوا كانوا يعتبرون معاهدين ، وذهب البعض الى القول أن هذا اللفظ لابد أن يكون قد استعمل اولا في ارغونة، فهو على هذا الاساس من استعمالات يمنية الثغر الاعلى ، ثم شاع استعماله بعد ذلك ، واصبح يطلق على عامة المسلمين الذين يبقون في بلادهم بعد استيلاء الاسبان عليها[٧٠] .

ان حالة المدجنين لم يكن سيئا في اول الامر ، بل لم تسؤ حالهم بعد سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس في عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م . ويبدو انه كان هناك اتجاه الى اقرارهم على عقيدتهم دون التعرض لهم فيها . وقد سمى الفونسو السادس نفسه بالامبراطور ذي الملتين[٧١] ، وهذا فيما يبدو هو الذي طمأن بقية المسلمين على مصير اخوانهم ، فلم ينزعجـوا ولم يتحـرك فقهـاء الاندلس لدراسة الموضوع . غير ان هذا الوضع تغير بعد موقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٧م وماتلاهـا مـن صـراع مريـر علـى مصـير الاندلس ، وهو صراع اعتمدت فيه الاندلس الاسلامي على عـون اهـل المغـرب ، وصـراع استنجد فيه ملوك اسبانيا باخوانهـم ملوك فرنسـة والبابويـة ، وتدخل رجال الدين ما بين قساوسة ورهبان اسبان ورهبان اوربيين ومندوبين بابويين ، وهؤلاء جميعا حولوا الصراع الى حرب صليبية ، بدأت بالمجازر والمذابح ، ثم تحولت الى حرب افناء ، او في الاقل تنصير المدن الاندلسية

٦٨ـ الونشريشي اسنى ، المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصـارى ولم يهاجر وما يترب عليه من العقوبات والزواجر ، ص١٣٩ ـ ١٤٠ .

٦٩ـ لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص١٦٥ ـ راجع ، رينو ، غزوات العرب ، ص٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

٧٠ـ الونشريشي ، اسنى المتاجر ، ص١٤١ .

٧١ـ ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٨٩ ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام، جـ٢ ، ص٢٣٠ .

التي وقعت تحت سيطرتهم • وفي غمار كل هذا فقد المدجنون حقوقهم وضماناتهم ، فتعرضوا لشتى اصناف الاذى ، وتنصر منهم مجبرا من تنصر ، وهاجر من هاجر ، وقتل من قتل ، وقد ازداد هذا الامر سوءاً في عهد المرابطين وسيطرتهم على الاندلس ، حيث دخل هذا العهد في صراع مرير وقد استرجع الاسبان في هذا العهد اهم القواعد والمدن الاندلسية ، وبقي الامر كذلك في عصور تالية والى سقوط غرناطة نهائيا[٧٢] •

اثر هؤلاء المدجنون على الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية للمجتمع الاسباني ، فقد ضرب هؤلاء بسهم وافر في اوجه الحياة المختلفة من تجارة وزراعة وصناعة ، وكان ما اتسموا به من صبر مثل لاعجاب الاسبان، كما كانت اخلاقهم الاسلامية التي احتفظوا بها فترة قد حفظتهم من الانحلال الذي امتاز به المجتمع الاسباني انذاك من ناحية ، واثرت في هذا المجتمع من ناحية اخرى • ومن مظاهر تأثيرهم في المجتمع ان نبلاء قشتالة واعيانها كانوا يتزينون بأزيائهم ويمارسون رياضتهم كالمبارزة بالسيف واللعب بالعصى ، ويتخذون ألوان الطعام والشراب الشائعة عندهم[٧٣] •

وكما يحدث عادة ، كان اول الناس منهم هجرة الاغنياء والاعيان والرؤساء ورجال الدين ، مخلفين وراءهم الضعاف من الزراع والعمال واهل المدن ، وقد اصبحت هذه الجماعات المختلفة ، على مرور الزمن ، من غير قيادة ، ولا مدافع عنها ، فتعرضت للانحلال والانقراض بتوالى الاجيال ، وانقطاع الصلة بمواطن العروبة والاسلام ، فاخذوا يفقدون الكثير من اخلاقهم وتقاليدهم ولغتهم ، ومع ذلك فقد ظلت بقايا قليلة منهم ، رغم الارهاب محتفظة بدينها ولغتها حتى اواخر القرن السادس عشر الميلادي[٧٤] •

٧٢ـ الونشريشى ، اسنى المتاجر ، ص١٤٢ ـ راجع رينو ، غزوات العرب ، ص٢٢٢ •

٧٣ـ لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٧٠ ـ ١٧١ •

٧٤ـ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص٥٠٧ وما بعدها •

وقد رافق قيام دولة المرابطين في المغرب والاندلس التشدد في محاربة الكثير من المظاهر الاجتماعية المتفرقة التي ورثت من العصور السابقة ، وذلك تطبيقا لمبادىء الدين الذي تمسك المرابطون به وبخاصة في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي ، فعمت بذلك حركة دينية صارمة اقتضتها طبيعة الصراع بين المسلمين والاسبان في الاندلس والتي توجت بحروب الجهاد المقدسة ، وقد شعر ملوك الاسبان بضعف حالهم من ناحية وانتشار التحلل الخلقي والاجتماعي في بلادهم من ناحية اخرى[٧٥] . واذا كان مجتمع الاندلس في عصر الطوائف قد شهد نماذج لحياة مترفة وماجنة[٧٦] ، فانه لم يصل الى ما وصل اليه مجتمع الشمال الاسباني من الخلاعة والمجون . ونكتفي بالخبر الذي أورده ابن الصيرفي الغرناطي ، (ت : ٥٥٦هـ / ١١٦١م) والذي يذكر ان الفونسو السادس زنى باخته (اراكة) ، ثم أخذ يسعى لطلب المغفرة بتردده على الكنائس ، وهذا ما يفسر ميل (اراكة) المفرط لاخيها الفونسو ، حيث اوصلته الى عرش قشتالة[٧٧] .

نتيجة كل هذا ، قام الملوك في الشمال الاسباني ورجال دينهم ، باحياء شعائر الدين والتمسك بها ، وكذلك الاعتماد على جماعة الفرسان الدينية لاجل حماية مبادىء الدين والحفاظ على البلاد التي أخذوها من المسلمين ، كما سنوا قوانين اجتماعية لاجل نشر العدل والمساواة بين الرعية، ولاجل محاربة ومكافحة بعض الامراض الاجتماعية التي استشرت في مجتمعاتهم كمعاقبة السارق والقاتل والمرأة الزانية وغير ذلك[٧٨] .

وقد انتقل الكثير من الازياء والملابس الى مجتمع الاسبان في عهد الطوائف وعهد المرابطين ، وبخاصة استعمال الملابس الحريرية المطرزة

٧٥ــ راجع ، الطاهر مكي ، دراسات عن ابي حزم ، ص١٩٢ ــ ١٩٤ .
٧٦ــ خلاف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قرطبة ، ص٣٤١ ــ ٣٤٢ .
٧٧ــ مونس ، السيد القبيطور ، ص٤٧ .
٧٨ــ راجع ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٥٢٧

والقلانس من قبل ابناء النبلاء والملوك في هذا المجتمع[٧٩] . وقد قلد بعض ملوك الاسبان في هذه الفترة الطريقة الاسلامية في ارتداء الملابس والفرش المستعملة في اماكن الجلوس[٨٠] . ورافق ذلك الاهتمام بطيبات الطعام والتفنن في استعماله في المجتمع الاسباني ، وهذا امر اقتبس من مسلمي الاندلس في عصر الطوائف والمرابطين ، خاصة وان مجتمع المرابطين بعد عهد يوسف بن تاشفين ظهرت فيه نماذج مترفة في هذا المجال . فقد اخذوا يعتمدون على النساء السودانيات في اعداد الطعام الجيد الذيذ[٨١] كما ألفت بعض الكتب التي تناولت اصناف الطعام وطريقة اعدادها مثل كتاب (الطبيخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين ـ لمؤلف مجهول) . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يعود الى عصر الموحدين ، لكن هذا لايمنع ـ نظرا للفارق الزمني القليل بين العهدين ـ ان الكثير من هذه الاطعمة كانت معروفة في المجتمع المغربي والاندلس منذ عصر الطوائف وربما من العصور التي سبقته . ولا يفوتنا في هذا المجال ان نذكر ان هذا الكتاب اشار الى بعض عادات الاكل وطريقة اعداده وبين انها من فعال الروم والبربر ، وبخاصة استعمال الفلفل المسحوق على الطعام[٨٢] .

ويذكر البعض ان الاندلسيين تركوا اكثر من كتاب في الطبخ ، وتتحدث هذه الكتب عن مطابخ ثلاثة : اندلسي ومسيحي ويهودي ، واشارت الى طرق اعداده ، واكدت على نوع من الطعام يدعى (المجبنات) الذي احتل من الشعر الاندلسي مكانا وقد عرف هذا النوع في المجتمع الاسباني باسم (Al mojabanas)[٨٣] .

٧٩ـ الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص٤٤ .
٨٠ـ بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ص٨٦ .
٨١ـ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص٢١٦ .
٨٢ـ كتاب الطبيخ ، ص٨١ .
٨٣ـ الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، ص٤٣ .

٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية :

على اثر انفصال المعز بن باديس نهائيا عن الدولة الفاطمية في عـــام ٤٤٣هـ/١٠٥١م ، حرضت الدولة الفاطمية قبائل بني هلال ودفعتها الى مهاجمة تونس ، فدمرت القيروان بعد معركة (حيدران) بين قابس وصفاقس[٨٤] ، وذلك في عام ٤٤٤هـ[٨٥] ، واصبحت اثرا بعد حين[٨٦] . وقد وجدت هــذه القبائل الطريق مفتوحا الى جزائر بني حماد ، فعاثوا فسادا هناك وبخاصة بعد انتصارهم على جيوش الناصر بن علناس في عام ٤٥٧هـ[٨٧] . ونظرا لان الجزائر لم تكن المقصودة بهذه الحملة فان ضرر الزحف الهلالي على الجزائر كان أقل من ضرره على تونس . كما استطاع الحماديون ترويض القبائل لدرجة استغلالهم في حربهم مع بني زيرى .

وعندما قامت دولة المرابطين وبرزت اطماعها نحو الجزائر الحمادية ، استخدم الحماديون القبائل العربية ضدهم[٨٨] . هذا وقــد عبرت بعض هذه القبائل العربية ، وبخاصة عرب معقل الى اراضى المغرب الأقصـــى وسكنـــوا هنـــاك[٨٩] ، ومارســوا حرفــة الرعي التي نشأوا عليهــا والتي تتفق مع طبيعتهم البدوية[٩٠] ونتج عن اختلاطهم بسكان البلاد ان تعرب قسم من سكان البلاد نتيجة الزواج وصلات القرابة التي نمت على مــر

٨٤ـ احمد بن ابى الضياف ، اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ، جـ١ ، ص١٣٩ .

٨٥ـ الوزير السراج ، الحلل السندسية ، جـ١ ، ق٤ ، ص٩٤٤ .

٨٦ـ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص٢٢٩ .

٨٧ـ الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام ، جـ٢ ، ص١٥٢ .

٨٨ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ . ـ حســن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٤٢٥ .

٨٩ـ عبدالعزيز عبدالله ، وحدة المغرب العربي ، ص٥٩ .

٩٠ـ الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، جـ٢ ، ص١٢٣ .

الايام[٩١] • وقد ساعد على هذا الاختلاط والامتزاج ذلك التشابه بين حياة العرب الهلالية وبعض قبائل البربر وبخاصة التي تمتهن الرعي منها ، بالاضافة الى اتفاقهم في الصفات الخلقية كالشجاعة وعزة النفس واباء الضيم • وحفظ العهد وحسن الجوار[٩٢] • كما تعلم الكثير عن سكان المنطقة اللغة العربية على ايدي هذه القبائل ، واقتبسوا منها بعض العادات الاجتماعية مثل رقصة الزقارة وشاع استعمال الطبول الكبيرة التي اتو بها[٩٣] •

هذا وقد سبق ان ذكرنا ان المرأة كانت تتمتع بمكانة عاليــة في ظل دولة المرابطين وانها شاركت في الحياة العامة وبخاصــة منــذ عهد يوسف بــن تاشفين[٩٤] •

كما كان للمرأة المكانة نفسها في دولة بني زيرى، وبخاصة ال حماد ،وربما يرجع ذلك الى ان بني زيري والمرابطين يجمع بينهم انتماء قبلي واحد ، هــو الانتماء الى قبيلة صنهاجة • هذا ومن المحتمل ان يكون للمرابطين ، بصورة خاصة ، تأثير كبير في نشر بعض العادات التي ظهرت في مجتمــع آل حماد ، فيحدثنا بروفنسال عن مدينة بجاية في العصر الحمادي كان يسودها قدر من الحرية في العادات[٩٥] ، وانه عندما دخل ابن تومرت بجاية في عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠م وجد بهـا الصبيـان في زي النســاء محلـين بطواقـي الخـز والضفائر ، كما رأى اختلاط الرجال بالنساء ، ورأى الصبيان المتزينين

٩١ـ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٣٠٧ •

٩٢ـ الميلي ، المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٢٥ •

٩٣ـ عبدالعزيز بن عبدالله ، مظاهر الحضارة المغربية ، جـ١ ، ص٦٥ ـ سالم ، المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص٦٧٣ ـ احمد بن عامر ، تونس عبر التاريخ ، ص١٦٧ •

٩٤ـ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص٤١٥ •

٩٥ـ الاسلام في المغرب والاندلس ، ص٢٧٠ •

المتكحلين[٩٦] . وتدل هذه الحالة على نوع من الحرية الاجتماعية التي كان يتمتع بها المجتمع الحمادي ، وتدل كذلك على نوع من الحرية التي كانت تتمتع بها المرأة ، فقد كانت تختلط بالرجال ، وتسفر عن وجهها ، بل أن بعض الرجال كانوا يتشبهون بها . وقد اشرنا الى بعض هذه المظاهر عند الكلام عن مجتمع المرابطين .

لقد عرف عن امراء المرابطين ، وبخاصة يوسف بن تاشفين بعدهم عن مظاهر الترف والحياة الناعمة ، فقد كان طعام يوسف خبز الشعير ولحم الابل ولبانها[٩٧] ولو انه أتهم من قبل الطرطوشي بالانغماس في ملذات الحياة[٩٨] ، وذلك يعود الى زهده وطبيعة تربيته الصحراوية . ولكن المرابطين بعد عصره ، ونتيجة لاختلاطهم باهل الاندلس وغيرهم انغمسوا في ملذات الحياة ، واكلوا من طيبات الاطعمة التي اشتهرت بها منطقة المغرب الاقصى . ففي كتاب (الطبيخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين) ذكر لاكثر من (٥٠٠) لون من ألوان الطعام ، مع الاختلاف في طريقة صنع كل صنف ، كما أن بعضها يعطينا صورة لمدى الثراء والرفاهية التي كان يعيش فيها المجتمع آنذاك .

ففي هذا الكتاب اطعمة منسوبة في طريقة صنعها الى بعض البلدان الاسلامية ، فمنها أطعمة مصرية كالفروج المصري[٩٩] . ومنها ما ينسب الى الدولة العباسية ، كالدجاجة العباسية ، والبرمكية ، والبورانية (منسوبة الى

٩٦ـ البيذق : اخبار المهدي ، ص٥٢ ـ الخطيب العمري ، الدر المكنون في ماثر الماضية من القرون (مخ) ، ورقة ١٩٩ .

٩٧ـ ابن ابي دينار : المؤنس ، ص١٠٤ .

٩٨ـ عصمت هانم عبداللطيف ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا، ص٢٣٧ ومابعدها .

٩٩ـ مؤلف مجهول ، كتاب الطبيخ ، ص٢٥ ، ص٤١ ، ص٧٢ .

بوران بنت الحسن بن سهل الفارسي)[١٠٠] ، ومنها ما ينسب الى اهل افريقية ومنها القرصة التونسية والعسل المستخدم في الولائم[١٠١] .

ونظرا للعلاقات الاقتصادية بين دولة المرابطين والدول الاسلامية فقد سكن الكثير من المشارقة في امهات المدن المغربية ، وبخاصة في مدينة سجلماسة واغمات ، وقد نقلوا معهم طرز البناء المشرقي الى ابنية هذه المدن[١٠٢] ، كما نقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وبخاصة بعد ان تزاوجوا مع سكان المنطقــة .

ومن الجماعات التي استقرت في المجتمع المرابطى ، جماعة الغز[١٠٣] ، الذين استعان بهم المرابطون في الجيش[١٠٤] .

١٠٠ــ ايضا ، ص٤٥ ، ص٤٨ ، ص١٦٤ .

١٠١ــ أيضا ، ص٢٠٦ ، ص٢١٥ .

١٠٢ــ ابن حوقل ، صورة ارض ، ص٦٥ .

١٠٣ــ الغز ، هم جنس من الترك بلادهم من اقصى المشرق على تخوم الصين .

١٠٤ــ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٤٠ ــ حركات المغرب عبر التاريـخ ، ص٢٢٣ ــ Medieval Musttim

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين :

ازدهرت الصناعة في بلاد المغرب في ظل المرابطين بعد أن اصبحت الاندلس ولاية تابعة لها ، وذلك لان ولاة الامر المرابطين استفادوا من خبرات اهل الاندلس في الصناعة[١] وقد زودتنا الروايات بمعلومات وافية عن اهـم الصناعات في بلاد المغرب في زمن المرابطين ، فمدينة تلمسان اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية وكذلك مدينة السوس ومدينة مراكش[٢] . كما اشتهرت مدينة سبتة وطنجة بصناعة السفن[٣] ، وذلك لتوفر الغابات حول مراكش وفي جبل درن[٤] . كما كانت صناعة السلاح مشهورة في جميع المدن المغربية لظروف الحرب[٥] .

---

١ ـ الجزنائي ، زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، ص٣٢ ـ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص٢٧ .

٢ ـ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٢ ـ ابن سعيد المغربي ، بسط الارض ، ص٥٩ .

٣ ـ الناصري السلاوي ، الاستقصا ، جـ٢ ، ص١٤٣ .

٤ ـ مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار ، ص٢١١ .

٥ ـ عبدالعواد ، الحياة الادارية ... ، ص٣٠٠ .

كما كانت دولة المرابطين غنية بمحاصيلها الزراعية ، وقد رافق ذلك تقدم في استخدام وسائل علمية لسقي البساتين والمزروعات[٦] . فقد اشتهرت مدينة مكناسة بالزيتون وسميت مكناسة الزيتون ،[٧] واشتهرت طنجة والسوس بالحنطة والشعير[٨] ، وكان القطن يزرع في المناطق المنخفضة من اراضي المغرب[٩] ومن المغرب انتقل الى الاندلس[١٠] . وفي المصادر معلومات وافية عن اهم المحاصيل الزراعية والفواكه ، ومناطق الرعي والحيوانات الاليفة[١١] ، وبخاصة الخيول والابل التي استعملت في الحروب[١٢] ، وحيوان اللمط ، الذي تصنع مع جلده الدرق اللمطية المستعملة في الحرب[١٣] .

ونظرا لكثرة المحاصيل الزراعية وانواع الصناعات ، فضلا عن توفر الامن والاستقرار فقد نشطت حركة التجار[١٤] ، ورخصت الاسعار[١٥] ، فعم الرخاء . ولاننسى ان وجود حكومة مركزية قوية ساهرة على حماية الطرق وتوفير كل ماتحتاجه القوافل قد جعل المغرب الاقصى ممرا آمنا للقوافل القادمة من السودان والمتجهة الى الاندلس واوربه[١٦] . كما أن الاسطول المرابطي لعب دوره في تأمين الموانيء المغربية وحماية طرق التجارة البحرية في

---

٦ ــ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٧ ــ ٦٨ .

٧ ــ ابن غازي ، الروض الهتون ، ص٢ .

٨ ــ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص٢٠١ .

٩ــ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٧٥ .

١٠ــ عثمان الكعاك ، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، ص٧٤ .

١١ــ راجع مثلا : مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص١٨١ ، ص١٨٧ ، ص١٨٩ ــ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص١٦٧ ــ ١٦٨ ــ البكري ، المغرب في ذكرى بلاد افريقية والمغرب ، ص١٤٨ .

١٢ــ البيذق : اخبار المهدي ، ص١٢٩ .

١٣ــ البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٧١ .

١٤ــ Scott, history of Morrish Empire, 2, p.239.

١٥ــ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٩٤ .

١٦ــ حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى ، ص٧٥ .

البحر المتوسط . وقد لعبت الموانىء البحرية دورها التجاري في ظل حماية هذا الاسطول ، واهمها على البحر المتوسط ميناء سبته ، الذي كان يشبه ميناء الاسكندرية في كثرة الحط والاقلاع[١٧] ، وكذلك ميناء طنجة[١٨] ، وميناء سلا الذي كان يستقبل السفن الاندلسية بصورة خاصة[١٩] .

فزيادة على استعانة ولاة الامر من المرابطين بصناع ومهرة الاندلس ، كانت السفن تسير في قوافل منتظمة تحمل البضائع المختلفة بين المغرب والاندلس[٢٠] ، وكان المغرب يمد الاندلس بالغلات وانواع الطعام المختلفة في العصور السابقة لعهد المرابطين[٢١] ، وقد استمر هذا الامر عندما اصبحت الاندلس ولاية مرابطية . ومن ناحية اخرى . فان الاندلس كان يصدر الى المغرب كثيرا من البضائع ومنها الفواكه ، وكذلك القطن الجيد المزروع بارض اشبيلية[٢٢] . وكان معدن الزئبق أيضا مما يصدره الاندلس الى المغرب[٢٣] . اما الحصى الملون فان الامراء والرؤساء بمراكش كانوا يستوردونه من المرية ليزينوا به بعض أدوات الطعام[٢٤] ، وقد وصف الادريسي مدينة المرية في عهد المرابطين بازدهار الصناعات الحريرية والمنسوجات الاخرى[٢٥] . وكانت الاندلس كذلك تصدر الادوات الخشبية الى المغرب[٢٦] ، وكذلك المنسوجات التي اشتهرت بها مدينة بلنسية[٢٧] .

١٧ـ ابن سعيد المغربي ، بسط الارض ، ص٧٣ .
١٨ـ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٣٥٧ .
١٩ـ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٧٣ .
٢٠ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٦ ، ص١١٨ .
٢١ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٨٢ .
٢٢ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص٢١ .
٢٣ـ المراكشي ، المعجب ، ص٣٦٣ .
٢٤ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ٤ ، ص٢٠٦ .
٢٥ـ وصف المغرب والاندلس ، ص١٩٧ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، جـ١ ، ص١١٨ ـ مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٤١٩ .
٢٦ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص١٦٥ .
٢٧ـ المقري ، نفح الطيب ، جـ٤ ، ص٢٠٧ .

٢ ـ بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية :

تميز عهد المرابطين سواء في المغرب الاقصى او في بلاد الاندلس برخاء اقتصادي في ميداني الزراعة والصناعة ، اضافة الى انهم كانوا يسيطرون على سجلماسة وهي نهاية طريق مهم للقوافل التي تتاجر بذهب بلاد السنغال . وقد استمر فيضان الذهب عبر هذا الطريق ، بعد ان انقطع وروده عن طريق المسالك الصحراوية الغربية . وظل دينار المرابطين الذهبي[٢٨] ، الذي يزن أربع جرامات ونصف[٢٩] ، مستخدما لعدة قرون كأهم عملة ذهبية في الغرب[٣٠] .

وفي الراجح ان هذه المرحلة بالذات ، وعلى الاخص بعد عام ٤٧٩هـ ١٠٨٦م شاهدت ازدياد التجارة بين ممتلكات المرابطين وبين سائر بلاد اوربة اللاتينية في الغرب وان العملة التي سكت وقتذاك في قطلونية ومنبلييه ـ وهي العملة المعروفة باسم (الدينار المنقوش) ـ ، لتدل على قيام تجارة نشيطة بين تلك الجهات وبين مسلمي الاندلس وشمالي افريقية .

وقد استحوذ تجار ايطالية على قدر كبير من تلك التجارة خلال القرن الثاني عشر الميلادي[٣١] . ويبدو ان العملة المرابطية قد اكتسبت قيمة مرتفعة نظرا لرواج التجارة بين المغرب وبعض دول البحر المتوسط ، كما انها صارت عملة متداولة في بلدان البحر المتوسط حتى وصلت الى القسطنطينية[٣٢] .

٢٨ـ عن شكل العملة المرابطية ، راجع ، ابن المؤقت ، السعادة الابدية ، جـ٢ ، ص٩٠ .

٢٩ـ حركات المغرب عبر التاريخ ، ص٢٠٣ ـ عبد العزيز بنعبدالله ، مظاهر الحياة المغربية ، جـ١ ، ص٧٥ .

٣٠ـ ارشيبالد ، لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص٣٨٧ .

٣١ـ ارشيبالد ، لويس ، المرجع نفسه ، ص٣٨٧ .

٣٢ـ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص٢٣١ ـ
Nevill Barbour, Morocco, p.59.

ولكن بسبب قيام الحروب الجهادية بين دولة المرابطين والممالك الاسبانية فاننا لم نر بينهما ذلك النشاط التجاري الذي رأينا بعض مظاهره بين المغرب ودول البحر المتوسط . ولكن هذا الامر لم يمنع ولاة الامر من المرابطين في استخدام الفرنج والروم في وظيفة جباية الاموال[٣٣] ، وذلك لما ابتوه من دقة في جمعها[٣٤] . وعندما اضطربت احوال الدولة المرابطية ، على اثر قيام حركة المهدي الموحدي ، اشتد نفوذ الاسبان في الجيش وفي شؤون الجبايات ، فاساءوا معاملة المسلمين ، واشتطوا في تحصيل المغارم والفروض، فعمت الفوضى شؤون الدولة المالية[٣٥] .

واما المدجنون الذين بقوا في المجتمع الاسباني فقد اثروا على الحياة الاقتصادية ، حيث اشتهر مدجنو أقليش ووادي الحجارة وطلبيرة بصناعة النسيج والادوات الفخارية ، كما برعوا في شؤون التجارة . ومما يدل على ذلك انتشار العملات العربية في أسواق المدن والقرى الاسبانية يتبادلها القوم بينهم ، كما ظلت اسماء بعضها ثابتة في اللغة الاسبانية لتكون شاهدا حيا على مدى انتشارها وبقائها ، وكذلك الحال في ضروب البيع والشراء[٣٦] .

ونظرا لضراوة معارك الجهاد التي خاضتها دولة المرابطين ضد الممالك في الشمال الاسباني فقد كثرت غنائم المرابطين من سلاح وحيوانات واموال وأسرى ، وأدى ذلك الى نشاط تجارة هذه المواد في اسواق المغرب والاندلس ، ولاسيما تجارة الرقيق بالذات[٣٧] .

٣٣- ابن الاثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص٢٩٦ - النويري ، نهاية الادب ، جـ٢٢ ، مج ٢ ، ص٨٥ .

٣٤- عبدالعواد ، الحياة الادارية .... ، ص٢١٠ .

٣٥- عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص٤٢١ .

٣٦- لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص١٦٩ ، ص١٧١ .

٣٧- راجع ، الصديق بن العربي ، طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب ، ص١٥٥ .

٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية :

ان الدمار الذي اصاب افريقية على يد عرب بني هلال ، كانت له اثاره التجارية السيئة على افريقية[٣٨] وبالذات على مصر ، فقد انخفض سعر الدينار الذهبي الفاطمي . ويحتمل ان يكون مرجع ذلك الى قلة الذهب الوارد لمصر من شمالي افريقية بسبب الانقسام والنزاع الذي حصل بين الفاطميين وبين آل زيري ، أو بسبب حركات العرب الهلالية وقطعهم طرق القوافل الذاهبة جنوبا الى السودان[٣٩] . وقد نتج عن ذلك انحراف القوافل التجارية عن المرور في الطرق المعتادة نحو السودان الى طريق المغرب الاقصى الذي أصبح الطريق المأمون في نقل المتاجر من السودان الى البحر المتوسط ومنه الى الشرق وبالعكس[٤٠] .

وقد نتج عن ازدهار حركة التجارة في عهد المرابطين كثرة الاسواق وانتشارها في المدن المغربية ، وكانت هذه الاسواق تغطي بالثياب ويابس العيدان ، مع وجود أسواق مخصصة لكل حرفة[٤١] ؛ وهو النظام الذي عرفته اسواق المدن الاسلامية الاخرى كالقاهرة وبغداد والموصل وتونس والجزائر[٤٢] .

وارتبطت دولة المرابطين بمراكز التجارة الخارجية بعدة طرق برية ، كما نشط الطريق البحري ايضا ، وكان اهم هذه الطرق البرية ، الطريق الذي يربط منطقة المغرب الاقصى بمنطقة السنغال والنيجر ، حيث يمر بمدن المغرب الاقصى الجنوبية كسجلماسة ودرعة متجها الى اودغشت ، ثم منحنى النيجر ،

٣٨ـ الميلي ، تاريخ الجزائر ، جـ٢ ، ص١٢٣ .

٣٩ـ ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ، ص٣٨٥ ، ص٣٨٧ .

٤٠ـ راجع ، حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى ، ص٧٥ .

٤١ـ راجع ، ابن القطان : نظم الجمان ، ص٢٤٦ .

٤٢ـ راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، جـ١ ـ ص٢٩٥ .

وحتى المناطق الممتدة للغرب[٤٣] . وهناك طريقان يربطان المغرب الاقصى بالشرق : الاول يسير بحذاء الساحل حتى يصل الى مصر ، وهو اكثر أمناً وراحة للقوافل[٤٤] ، والثاني يتجه من أودغشت وغانة وسجلماسة ، ومنها تسير القوافل في الصحراء حتى الواحات الداخلة في مصر[٤٥] . وقد اتجهت القوافل الى هذا الطريق واصبح هو الطريق الرئيسي بين المغرب الاقصى والشرق بعد ان أصاب الطرق الاخرى العواصف الرملية وكثرة الفتن وهجمات اللصوص، وقد مرت به قوافل تجارة البصرة والكوفة وبغداد بعد أن أصبحت مدينة سجلماسة مركزا لتجمع تجار المشرق في القرن الرابع الهجري وما بعده[٤٦] .

وفي الطريق الاول كانت تفد قوافل التجارة البرية أو قوافل الحجاج ، كما أن سفن المغاربة كانت تفد الى مصر تحمل الحجاج تارة ، وتبتاع غلات بلاد العرب والحبشة والهند تارة اخرى[٤٧] .

وامتد النشاط التجاري لدولة المرابطين تجاه المشرق اذ استقبلت الموانى المغربية السفن القادمة من افريقية ومصر وبلاد الشام محملة بالبضائع حيث قام التجار المغاربة بشراء ماتحتاجه الاسواق المحلية ، وتصدير منتجات البلاد . وقد اشار ابن سعيد المغربي الى التجار الاغنياء بمدينة سبتة وشرائهم للسفن الكبيرة بما فيها من بضائع هندية وغيرها في صفقة واحدة[٤٨] .

٤٣ــ محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون تاريخهم السياسي ، ص٢٠ .

٤٤ــ راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، جـ١ ، ص٢٩٥ .

٤٥ــ آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جـ٢ ، ص٤١٣ ، وعن الطرق التجارية البرية والبحرية ، راجع ، عبدالله : احوال المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية ، ص١٨٨ ، الخارطة المقابلة .

٤٦ــ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٦٥ .

٤٧ــ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، جـ٤ ، ص٤٠٩ .

٤٨ــ بسط الارض ، ص٧٣ .

ومن ناحية اخرى كانت السفن المغربية تقوم بشحن المحاصيل والمنتجات التي تحتاجها بلدان المشرق ، حيث كانت السفن تخرج بالحنطة مـن ميناء (ماسة) قاصدة ميناء الابلة ومنها الصين[٤٩] • وقد شجع عملية التبادل التجاري بين مصر والمغرب ، ان مصر كانت تقع في طريق قوافل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج في كل عام ، والتي كانت في كثير من الاحيان تضم بعض انواع المتاجر التي تحتاجها المدن المشرقية[٥٠] • وقد اشار ابن القاضي الى احدى هذه القوافل والتي خرجت من وادي سبو ومتجهة الـى المشرق قبل عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م[٥١] •

كما أن المدن المغربية وبخاصة مايقع منها في جنوبى البلاد كسجلماسة[٥٢] واغمات كانت مراكز تجارية لتجار المشرق ، حيث قصدها التجار من الكوفة وبغداد والبصرة واقاموا بها ، وذلك للاشراف على قوافلهم المتجهة الى غانة وبلاد السودان لتحمل الذهب وغيره من منتجات الجنوب وتعود متجهة الى المشرق[٥٣] • كما ان وفرة المحاصيل والمنتجات بالمغرب الاقصى أسهم في تشجيع عملية تصدير هذه المنتجات الى افريقية وغيرها من البلدان جهة الشرق، فقد كانت مصر تستورد من المغرب الحرير وزيت الزيتون والمرجان الذي يكثر صيده بسواحل سبتة وطنجة ، وكذلك البلور والحديد ، وكانت المغرب تستورد بعض منتجات المشرق وفي مقدمتها العطر الهندي[٥٤] •

٤٩ـ ابن رسته ، الاعلاق النفسية ، ص٣٦٠ •

٥٠ـ روجيه لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ص٥٠ •

٥١ـ جذوة الاقتباس ، ص٣٥١ ـ ٣٥٢ •

٥٢ـ صارت سجلماسة في القرن الخامس الهجري مدينـة ذات مبـان رفيعـة اهلة بالسكان من مختلف طوائف البربر والعرب والسـودان ، كمـا كانت اسواقها عامرة ومزدحمة بالناس ، راجع ، البكري : المغرب ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ابن الخطيب : معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ، ص١١٤ •

٥٣ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٦٥ •

٥٤ـ عبدالعواد ، الحياة الادارية ...... ، ص٣٢٦ •

ونتيجة لهذا التعامل التجاري صار للتجار المصريين أصدقاء من التجار المغاربة ، وقامت بينهم علائق المودة والمراسلات . ومن ذلك ان احد تجار الاسكندرية كتب رسالة الى صديقه التاجر بالقاهرة يخبره فيها ان صديقه التاجر بمدينة فاس قد ارسل اليه قضيبا من الذهب بهدف بيعه وشراء حرير أندلسي لحسابه[٥٥] .

وعلى الرغم من الموقف العدائي الذي اتخذته مملكة بني حماد ، وخاصة امارة آل حماد، من الدولة الفاطمية في مصر، لكن العلاقات التجارية بقيت قائمة بين الدولتين ، فنقرأ عن مركب فاطمي رحل عن الاسكندرية ببضائع عظيمة وهدية الى صاحب بجاية (امارة أل حماد) في عام ٥٣٢هـ[٥٦] .

كما تذكر بعض الروايات ان امارة أل حماد الجزائرية قد نشطت في ميدان التجارة الخارجية ، فقد كان أهل بجاية يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق ، وبهذه المدينة كانت تباع البضائع بالاموال الكبيرة[٥٧] .

كما أن تشابه المعايير في الكيل أو الوزن او في النقود في كل بلدان المغرب العربي ، قد جعلها منطقة متشابهة الى حد كبير من الناحية الاقتصادية[٥٨] .

٥٥ـ S.D.Goiten, Studies in Islamic history, p.298.

٥٦ـ ابن القطان : نظم الجمان ، جـ٦ ، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

٥٧ـ الادريسي ، صفة المغرب والاندلس ، ص٩٠ .

٥٨ـ محمد عويس ، دولة بني حماد ، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

الفصـــل الرابع

المؤثــرات الحضارية في فن العمارة الاسلامية

١ ـ بين المغرب والاندلس زمن المرابطين :

شهدت منطقة المغرب الاقصى في ظل دولة المرابطين حركة واسعة في ميدان البناء والتعمير ، ويأتي في مقدمتها بناء المدن والمنشآت العسكرية من حصون وقلاع ، بجانب المنشآت العامة كالمساجد والمدارس والمستشفيــات والحمامات والفنادق والقناطر . ويعود ازدهار هذه الحركة الى اهتمام ولاة الامر من المرابطين بحركة البناء والتعمير ، ويعود أيضا الى طبيعة الاستقرار السياسي الذي شهدته المنطقة ، وما صحبه من ازدهار اقتصادي في ظل هذه الدولة[1] .

فنراهم فيمجال بناء المدن قد اشتهروا في بناء مدينة مراكش التي اتخذها المرابطون عاصمة لهم[2] ، ومدينة تلمسان (تاقورت) التي اتخذوها مقرا للادارة

---

١ ـ المراكشي ، عباس بن ابراهيم ، الاعلام بمن حـل مراكش واغمـات مـن الاعلام ، جـ١ ، ص٦٨ ـ

Scott, history of Moorish Emire, 2.p.195.

٢ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص١٨٤ ـ محمود مصطفى : اعجام الأعلان ، ص٢٠٠ .

العسكرية للمنطقة[3] ، ومدينة القصر التي كانت خاصة بالامير المرابطي وأولاد عمه[4] ، ومدينة تاودا التي اتخذوها قاعدة لمراقبة قبائل غمارة[5] . وكذلك شهدت الدولة حملة واسعة في بناء المساجد مثل المسجد الكبير الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش[6] ، ووسعه ابنه علي وعمل له المئذنة[7] ، وجامع سبتة الذي بني عام ٤٩١هـ / ١٠٩٧م من قبل يوسف بن تاشفين[8] ، اضافة الى مساجد فاس والتوسيعات التي حصلت في جامع القرويين في عهد علي بن يوسف ، [9] والتي كلفت مبالغ طائلة [10] كما شهدت الدولة حركة واسعة في بناء المنشآت العامة مثل الحصون والقلاع العسكرية مثل حصن (جبل درن) [11] ، وحصن (امرجوا) الذي يشرف على وادي ورغة ، [12] وحصن (تينمل)[13] كما نرى بناء المدارس مثل مدرسة الصابرين في عهد يوسف بن تاشفين . [14] كما شهدت المنطقة بناء الحمامات بكثرة ، [15]

---

٣ — عبدالعزيز بنعبدالله : تاريخ المغرب ، جـ١ ، ص١٠٤ —
Murphy, the history of the Mahometan Empire in Spian, p.125.

٤ — الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص ٧٧ — ٧٨ .

٥ — مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص١٩٠ .

٦ — الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٨ — مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٣٥٢ .

٧ — ابن المؤقت : السعادة الادبية ، جـ١ ، ص١٤ .

٨ — ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص٥٨ .

٩ — ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص٤١ — ٤٢ — التازي : احد عشر قرنا في جامعة القرويين ، ص٨ .

١٠— الجزناني : زهرة الاس ، ص٤٢ .

١١— ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٢٢٣ — ٢٢٤ .

١٢— مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص١٩ .

١٣— الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٤ ، ص٦٠ .

١٤— محمد عبدالرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص٤٣ .

١٥— البكري ، المغرب ، ص١١٥ .

وكذلك بناء الفنادق ، وبخاصة في مدينة فاس[16] ، وبناء القناطر واهمها قنطرة (تانسيفت) التي بناها علي بن يوسف [17] ، وبناء القصور امثال قصر الحجر في مراكش الذي بناء علي بن يوسف ايضا [18] .

ونلاحظ من كل هذا ان حركة البناء والتعمير هذه تحتاج الى عاملين :

١ ـ وفرة العرفاء (البنائين والمعماريين) وعمالهم .

٢ ـ وفرة الاموال للصرف على عملية البناء .

فأما العامل الاول فقد وفره امراء المرابطين من بلاد الاندلس لاشتهار عرفائها بصنعة البناء [19] ، نتيجة لما شهدته عصور الاندلس الاسلامية من ازدهار في فن العمارة ، ولاسيما عصر الطوائف الذي شهد أجمل القصور وأبهى أنواع الزخارف وأجود مبتكرات هندسة البناء [20] . فقد أحضر الامير يوسف بن تاشفين المهندسين وعمال البناء من الاندلس ليستعين بهم في حركة البناء التي قام بها ، وبصورة خاصة في مدينة فاس [21] ، التي امتلأت بكثير من المنشآت العامة[22] . كما استعان علي بن يوسف ببنائين من الاندلس ومن المغرب في بناء قنطرة تانسيفت التي بلغ طولها أربعمائة متر وبنيت

---

١٦ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٤٤ ـ السلاوي الناصري ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص٢٩ .

١٧ ـ المراكشي ، المعجب ، ص٣٦٤ ـ حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص٢٤٤

١٨ ـ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص٢٠٩ ـ عبدالعزيز بنعبدالله : تاريخ المغرب ، جـ١ ، ص١١١ .

١٩ ـ محمد الشابي ، اضواء على الاثار الاسلامية ، ص٢٠ .

٢٠ ـ احمد فكري : الاثار الاسلامية في الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، (العدد الثامن : ١٩٧٨) ، ص٢٩٠ ـ مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٢٦٢ وبعدها .

٢١ ـ حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص٢٤٠ ـ مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٣٣٧ .

٢٢ ـ الجزنائي ، زهرة الاس ، ص٣٣ .

بالاجر والجير[٢٣] ، الا انها تهدمت بعد أعوام بتأثير السيول[٢٤] .

اما العامل الثاني فقد وفره الانتعاش الاقتصادي لهذه الدولة ، وقد أشارت بعض الروايات الى كثرة الاموال التي خلفها يوسف بن تاشفين في بيت المال عند وفاته . [٢٥] فقد كلفت الزيادة في المسجد الكبير بمراكش وبناء مئذنته على عهد علي بن يوسف سبعين ألف دينار ، [٢٦] كما كلف منبر جامع القرويين ثلاثة الاف دينار وثلثمائة دينار وسبعة أعشار دينار فضة ، وذلك في عام ٥٣٨هـ /١١٤٣م ، [٢٧] وكلف سور مراكش اكثر من ستين ألف دينار [٢٨] .

ونظرا للمسؤولية الكبيرة التي حملها المرابطون في شمالي افريقية والاندلس ، وبخاصة مجاهدة الاسبان ، فقد استعانت الدولة بالشعب من اجل توفير الاموال اللازمة لمعونة الجيش وبناء اسوار جديدة او ترميم القديم منها [٢٩] .

وبذلك حمل بناؤو الاندلس خبرتهم في فن العمارة الى المغرب ، وامتزجت المؤثرات الاندلسية والمغربية ، والتي انصهرت مع مؤثرات المشرق فكان ذلك الانتاج المميز الذي شهدته دولة المرابطين في هذا المضمار .

٢٣ـ المراكشي : المعجب ، ص٣٦٤ .
٢٤ـ الادريسي ، وصف المغرب والاندلس ، ص٦٩ .
٢٥ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص٣٤٢ ـ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٣٧ .
٢٦ـ ابن المؤقت : السعادة الادبية ، جـ١ ، ص١٤ ـ عبدالعواد ، الحياة الادارية ، ص٤٥٠ .
٢٧ـ الجزنائي ، زهرة الاس ، ص٤٢ .
٢٨ـ محمد الشطيبي ، كتاب الجمان ، ورقة ، ٢١٠ .
٢٩ـ راجع ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص١٠٩ ، ص٢٢٦ ـ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ص١١٤ ـ ١١٥ وتسمى هذه الضريبة في الاندلس (التعتيب) .

وكان طراز الفن المغربي الذي حمله المرابطون ومن بعدهم الموحدون الى الاندلس قد ظهر واضحا في اشكال الاعمدة واستدارة عقود الصحن استدارة تامة ، وكذلك في قلة الزخارف في الاجزاء العليا من البناء . اضافة الى ان المرابطين استعملوا مظلات خشبية (شماسات)[٣٠] في واجهات الأبنية ، وقد انتقلت هذه الشماسات الى فن العمارة في اسبانيا كلها ، ولازالت باقيه الى اليوم وتعرف باسم Ajimeces [٣١] .

وترجع اطلال قلعة (منتقوط) التي تشرف على بساتين مرسية ، والتي تسمى اليوم بالقصيرة Elcastillijo الى عهد المرابطين ، وذلك في ضوء مقارنة طراز بنائها بطراز بناء المسجد الجامع في تلمسان [٣٢] .

ثم جاء التأثير الاندلسي على فن العمارة المغربية في عهد المرابطين في شواهد كثيرة ، مثل التاج المنقول الى جامع الكتبية في مراكش وهو ينافس اروع التيجان في سرقسطة ، ومنبر المسجد الجامع بالجزائر الذي امر بعمله يوسف بن تاشفين عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، وبه حشوات من الخشب تظهر فيها موضوعات هندسية بسيطة مع ايثار التوريقات[٣٣] الشبيهة في قصبة مالقة وقصر الجعفرية . وبالاضافة الى التأثيرات الاندلسية في مقصورة محراب جمع تلمسان الذي تم بناؤه في عهد الامير علي ابن يوسف[٣٤] ، واعمال النجارة

٣٠ـ الشماسة ، اي النافذة ، وكلمة الشماسة مشتقة عن كلمة الشمس ، وكانت هذه الشماسات تزيد من ضيق الشوارع الصغيرة وتعمل على اظلامها ، ومن هذه الشماسات تستطيع النساء من خلالها مشاهدة من بالخارج دون ان يراهن أحد . راجع : عبدالله عبدالمنعم الشامي ، « جغرافية المدن عند العرب » مجلة عالم الفكر ، مج ٩ ، العدد الاول ،

٣١ـ مؤنس ، تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، ص٢١٧ ـ ٢١٨ ، ص٢٤١ .

٣٢ـ مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٣٣٣ .

٣٣ـ التوريقات ، زخرفة نباتية متداخلة ، مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا، ص٤٩٠ .

٣٤ـ مورينو : المرجع نفسه ، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، ص٣٤٢ .

الرائعة في منبر جامع الكتيبة في مراكش الذي صنع في قرطبة[٣٥] • كل هذه التأثيرات وغيرها هي نتيجة استعانة امراء المرابطين بعمال من الاندلس وضعوا بصماتهم الفنية على أهم المنجزات العمرانية في هذا العصر •

ولاينكر أن اهم المباني المرابطية في الاندلس ، هي القلاع والحصون ، أو ترميم وتجديد الاسوار القديمة ، وذلك بسبب ظروف الحرب مع الاسبان[٣٦] ، وكذلك بناء المساجد الكثيرة ، بسبب العامل الديني •

٣ ـ بين دولة المرابطين والدول الاسلامية :

لما انفرط عقد الخلافة الاموية في الاندلس في مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر الميلادي) تفرق أمر المسلمين في امارات الطوائف ، وكثر اختلاط المسلمين بالاسبان وتداخل بعضهم في بعض ، فاستعمل المسلمون طراز الفن الروماني في منشآتهم الى جانب الطراز المستعربي[٣٧] ، وامتزج هذان الطرازان امتزاجا كاملا ، وظهرت اثاره بوضوح في القصور التي انشأها ملوك الطوائف[٣٨] •

ومما يلاحظ خلال العهد المرابطي في الاندلس ضراوة الحرب بين المرابطين وبين ممالك اسبانيا • وقد افلحت هذه الممالك في احتلال الكثير من القواعد الاسلامية في الاندلس ، واستغلت خبرات أهلها من مسلمين واسبان ، وبخاصة البنائين الذين استخدموا في بناء المرافق الدينية والمدنية ، فوضعوا لمساتهم الاسلامية من زخرفة وانظمة وأروقة وعقود على هذه المباني التي طرزت ببعض المعالم العربية[٣٩] • ووجد العرفاء (البناؤون والمعماريون)

---

٣٥ ـ مورينو : المرجع نفسه ، ص٣٥٠ •

٣٦ ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص٧٣ ـ ٧٤ •

٣٧ ـ نسبة الى المستعربين وهم الاسبان الذين عاشوا في ظل الاسلام بالاندلس ، راجع : لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص٢٧ وبعدها .

٣٨ ـ حسين مؤنس ، تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، ص٢١٦ •

٣٩ ـ راجع ، لطفي عبدالبديع ، الاسلام في اسبانية ، ص١٦٦ ـ ١٦٧ •

الاندلسيون أنفسهم في محيط لـه اساليبه الخاصـة في البنـاء والتعمـير والزخرفة ، فأخذوا من هذه الاساليب ما يتفق وما لديهم من تقاليد الفن والعمارة ، فمزجوا تلك العناصر بعضها ببعض واخرجوا منها طرازا جديدا استمر قرونا طويلة في اسبانية ويعرف بالطراز المدجنى (نسبة الى المدجنين) وهو خليط من عناصر مستعربة وورومانية وقوطية واندلسية مغربية . ونظرا لكثرة العناصر التي تكون منها الطراز الجديد فقد انفسح المجال امام أصحابه للابتكار والابداع ، وغلب على ماعداه من الطرز في اسبانية كلها ، فنراه في كنائس جليقية واشتريس ، كما نراه في مدن شرقى الاندلس وغربه[٤٠] .

وقد شاع استعمال الشماسات في فن العمارة الاندلسية ، وذلك بتأثير المرابطين والموحدين ، وامتزج هذا الفن بالتيارات الاخرى الاتية من الشمال مما وراء جبال البرتات ، فنتج عن ذلك الطراز الاندلسي المغربي الفريد[٤١] .

وقد اقتبس مهندسو البناء في اسبانية وفرنسـة ، في فترة العصـور الوسطى بضعة اشكال من الفن الاندلسي ، وادخلوا عليه بعض التحويرات ، وبخاصة طريقة تزيين اعمدة الكنائس واقواسها وقببها المضلعة . وينطبق هذا الامر على فن البناء المدني حيث دلت عليه بعض الاثار ذات النفع العـام كالجسور والاقنية المائية المعلقة التي ترجع الى هذه الفترة[٤٢] .

٣ ـ دولة المرابطين والدول الاسلامية :

امتازت مباني المرابطين بالفخامة والقوة والاتساع مع الاقلال مـن الزخرفة ، وهذا يناسب المبدأ الديني الذي نشأوا عليه مع ميلهم الى البساطة . وقـد حظيت المساجد باهتمامهم ، حيث حرص امراء المرابطين على بنائها في انحاء البلاد ، نشر للدعوة الاصلاحية التي نادوا بها ، فقد أمر يوسف بن

٤٠ــ مؤنس ، تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، ص٢٣٣ .

٤١ــ مؤنس ، المرجع نفسه ، ص٢١٨ .

٤٢ــ بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ص٨٩ ــ ٩٠ .

تاشفين سكان كل شارع في مدينة فاس ببناء مسجد وذلك عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م[٤٣] ، ثم ازداد الاهتمام ببناء المساجد طيلة العهد المرابطي ، كما ذكرنا ذلك أعلاه .

وقد تميزت هذه المساجد : بانها فسيحة مكشوفة تحيط بها أروقة ذات عقود مستديرة بسيطة الاتساع ، كل رواق منها بلاطة واحدة تقوم على دعامات ضخمة قصيرة الجذوع والقواعد وخالية من التيجان ، وتمتاز ايضا بصحون فسيحة تقوم على عمد من نفس الطراز السابق ، ومآذنها منفصلة عنها تقوم الى جانبها أشبه ما تكون بالمنائر العالية [٤٤] .

ومع عدم ميل المرابطين الى الزخرفة ، الا انهم أباحوا ذلك في بعض مساجدهم ، وذلك ماحدث في جامع القرويين بفاس اثناء توسعه عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م حيث زين محرابه وقبته بانواع مختلفة من الزخرفة والنقش[٤٥] . وقد وجدت هذه الظاهرة في سامراء وامتد تأثيرها الى محراب الجامع الكبير بالقيروان ، ثم انتقلت الى قلعة بني حماد بالجزائر ، ومنها دخلت بلاد المغرب الاقصى[٤٦] ، وظهرت بصورة خاصة في عصر الموحدين[٤٧] . وقد اشارت بعض انواع الزجاج والوانه الذي ركب في الشماسات ، كما أشارت أيضا الى النحاس الاصفر البديع الصنع الذي غطى به أبواب الجامع (جامع القرويين)[٤٨] .

٤٣ــ ابن ابى زرع : روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٤٤ ــ السلاوي الناصري ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص٢٩ .
٤٤ــ مؤنس ، تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، ص٢١٦ ــ ٢٧١ ــ راجع ، مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٣٣٨ .
٤٥ــ ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص٤٢ .
٤٦ــ أحمد قاسم الجمعة : اهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الاسلامي ، مجلة آداب الرافدين ، كلية اداب جامعة الموصل ــ العدد التاسع (ايلول : ١٩٧٨) ، ص٢٢٤ .
٤٧ــ نادر العطار ، العمارة الاندلسية في عصر الموحدين ، مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ ، مج ١١ ــ ١٢ ، ص٦٧ ــ ٦٨ .
٤٨ــ الجزنائي ، زهرة الاس ، ص٥٨ .

وكما ذكرنا ، أن المدن المغربية في ظل دولة المرابطين شهدت توسعا في بناء القصور والمنازل ، وقد كان هناك تأثير شرقي في القرن الرابع الهجري على أبنية مدينة سجلماسة التي شبهت منازلها بمنازل الكوفة بالعراق ، وهذا يرجع الى وجود كثير من التجار الوافدين من الكوفة وغيرها من مدن المشرق ، واقامتهم في سجلماسة للاشراف على تجارتهم مع غانة وغيرها(٤٩) ، فمن هنا نقلوا نظامهم في البناء ، ولعل مثل هذا الامر استمر خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، لاستمرار العلاقات التجارية بين منطقة المغرب الاقصى وبلاد المشرق .

كما تميزت الاسوار التي بناها المرابطون حول مدنهم بانها كثيرة الزوايا الداخلية والخارجية ، حيث يتخذ السور شكلا متعرجا مما يساعد المدافعين على الفتك باعدائهم ، ومن هذه الاسوار ، السور الذي بناه علي بن يوسف حول مراكش(٥٠) ، من اجل صد خطر الموحدين الذين اشتد خطرهم على دولة المرابطين(٥١) . وقد انفق على بنائه أكثر من ستين الف دينار(٥٢) . ولعل نظام عمارة سور بغداد نراه واضحا في عمارة سور مراكش هذا ، لان مداخل مدينة بغداد كانت مزورة أو منحنية على شكل دهاليز او منعطفات ملتوية لاغراض دفاعية(٥٣) .

وقد أزال يوسف بن تاشفين السور الفاصل بين عدوة الاندلسيين والقرويين في مدينة فاس وجعلها مدينة واحدة ، ثم بني علي بن يوسف سور

٤٩ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٩٠ .
٥٠ـ محمد الشطيبي المغربي ، كتاب الجمان ، ورقة ٢١٠ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧٠ .
٥١ـ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، جـ٢ ، ص٤٠ .
٥٢ـ محمد الشطيبي ، كتاب الجمان ، ورقة ٢١٠ ـ ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٠٧ ـ ابن الخطيب : الحلل الموشية ، ص٧١ .
٥٣ـ العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص٥٥ ـ ٥٦ .

القوراجة[٥٤] بين بابين من أبواب المدينة[٥٥] .

ولما كانت مصر تعد من اهم حلقات الربط الحضاري بين مشرق العالم الأسلامي ومغربه بحكم موقعها الجغرافي ، لذا سنذكر بعض عناصرهـــا المعمارية وظواهرها الفنية ذات العلاقة بالتأثيرات الوافدة من المشرق الاسلامي الى اقطار المغرب العربي وبالعكس .

لاينكر ان مثل هذا الدور قامت به مصر قبل الفترة (القرن الخامس الهجري) موضوع البحث ، هناك عدة بحوث تشير الى ذلك ، سواء كانت عناصر معمارية[٥٦] ، أم ظواهر فنية[٥٧] ، ولكن هذا الامر لايعني ان فن العمارة المصرية وبخاصة الفاطمية ، لم يكن له تأثير على أقطار المغرب العربي في القرن الخامس الهجري ، وليس أدل على ذلك ، من ان العقود المفصصة التي تعتمد فصوصها على التدوير والانكسار التي ظهرت في مصر منذ العهد الفاطمى كما في منارة مسجد الحاكم (٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ / ٩٩٠ ـ ١٠١٢م) امتدت الى اقطار المغرب العربي مثلما وجد في قلعة بني حماد بالجزائر في القرن الخامس الهجري ، ومن المرجح ان تصميم هذه العقود انتقل من مصر الى العراق كما في محراب عمارة الاربعين في تكريت (نهاية القرن الخامس الهجري) ، وأما العقود الصماء التي تتخلل المشكاوات في محراب عمارة الاربعين في تكريت ، فهي من الابتكارات الاسلامية في المغرب العربي ، حيث ظهرت لاول مرة في

٥٤ـ القوراجة : عبارة عن ركن في الجدار يبرز عن الحصن لحماية منطقة في حالة حصار ويوجد فيها بئر يستمد ماءه من واد مجاور لاغاثة الذين يهددهم التطويق : ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة .. ص٣٩٢ (ح) .

٥٥ـ الجيلاني : عبدالسلام الفرابلي ، رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس ، مخ ، ورقة ٥٥ .

٥٦ـ راجع ، فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، مج١ ، ص٤٢١ ـ حسن عبدالوهاب : الاثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، ص٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ احمد فكري ، مسجد القيروان ، ص١٢٩ .

٥٧ـ جورج مارسيه ، الفن الاسلامي ، ص٦٧ .

المسجد الجامع بقرطبة عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، وعلى واجهة مسجد تطيلة عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ، وانتشر استعمالها في مآذن المغرب والاندلس ، ثم تأثرت بها اقطار المشرق العربي ومنها العراق[٥٨] .

كما أن ظاهرة المداخل البارزة عن مستوى الجدران المثبتة فيها ، وظاهرة المحاريب المجوفة ذات الصدور والمساقط المضلعة ، التي ظهرت في العراق منذ عهد مبكر ، وجدت أمثلتها في بعض عمائر المغرب العربي وبخاصة في مسجد تينملل المغربي ، والذي اشتهر بصورة خاصة في عهد الموحدين[٥٩] .

اما خط الثلث الذي ظهرت بوادره في العراق على يد ابن البواب (توفى عام ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) وامتد تأثيره الى اقطار المغرب ، واجمل نماذجه المنفذة على مهاد زخرفى قد وجدت في الجامع الكبير بمدينة تلمسان بالجزائر عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م[٦٠] .

أما المقرنصات التي ابتكرت في عهد المرابطين ، وتسمى (استلاكتيتاس Estala ctitas)[٦١] فهي تكوين هندسي على أحجام ، قامت على جوانب عقود مختلفة الخطوط شديدة التعقيد ، وقد ملئت فراغاتها باعضاء منشورية الشكل مقعرة من الاسفل ويتراكب بعضها فوق بعض بطريقة منتظمة تتجلى فيها البراعة ، وكانوا يطلقون عليها اسم (التلاعب بالمقرنصات) ، وقد وجدت نماذج لها في جامع تلمسان ، ويرجع تاريخها الى عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م ،

٥٨ــ الجمعة ، اهم التأثيرات المعمارية والفنية . . . ، ص٢٠٧ .

٥٩ــ صبح أعشى ، نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب ، ص١٨ . ومن الملاحظ ان محراب مسجد تينملل الذي يحف بهبابان صغيران ، قد تأثر بتكوينات معمارية عراقية يعتمد فيها المحراب على تجويف وسطى تحيطه طاقتان . راجع ، أعشى ، نماذج من الفن المعماري الموحدي ، ص٩ ــ الجمعه ، أهم التأثيرات المعمارية ص١٩٨ ــ ١٩٩ .

٦٠ــ الجمعه ، اهم التأثيرات المعمارية ، ص٢٢٤ .

٦١ــ لاحظ نموذجاً لها : مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، شكل رقم ٣٤٢ ، ص٣٤٢ . والمقرنصات : هي الزخرفة التي تشبه عش النحل ، ص٤٨٩ .

وفي مصلى الجنائز المتصل بجامع القرويين بفاس الذي شيده الامير علي ، وهذه المقرنصات مصنوعة من الجص أو الخشب[٦٢] .

ولعل هذه النماذج تأثرت بنماذج أولية وردت من المشرق الاسلامي ، حيث وجدت في فارس وبخاصة في مدينة اصفهان مؤرخة بين عامي ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م و ٤٨٧ هـ / ١٠٨٩ م ، وتتجلى ايضا في العراق وبخاصة في القباب الرائعة التي تسمى بـ(المقرنصات)، كما استخدمت هذه المقرنصات في سورية ومصر حيث وجدت على بعض الاضرحة بحدود عام ٤٨٣ / ١٠٨٥م وعام ٤١٥ هـ / ١١٢٠ م[٦٣] .

٦٢ــ مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص٣٤٧ .

٦٣ــ مورينو ، نفس المرجع ، ص٣٤٧ .

الخاتمـة

وعلى اية حال ، فقد اختلفت الاراء والروايات التاريخية القديمـة منها والحديثة حول طبيعة الدولة المرابطية ، واساليبها في الحكم • وقد اشتدت بعض هذه الروايات في الحكم عليها ، ووصفتها بأقسـى أنـواع النعـوت والصفات ، كما امتدحها البعض الاخر •

وقد كانت روايات البيذق والمراكشي صاحب المعجب ومؤرخي الدولة الموحدية في طليعة الروايات التاريخية الاسلامية التي وصفت الدولة المرابطيـة ورجالها بأقسى أنواع الوصف ، وسار في ركابها روايات حديثة ومعاصرة •

وقد جاء في طليعتها كتابات رينهارت دوزى حول هذه الدولة حيث وصف جنود هذه الدولة بخشونة الطباع وبالجبن ازاء الاعداء، وصور امراء المرابطين بالضعف وتحكم النساء والجوارى فيهم ، وتباكى على الحياة العلمية التي خبا نورها في ظل هذه الدولة[١] •

وقد صورت بعض البحوث الحديثة ، وهي ذات مستوى علمي[٢] جيد ، مدى تطلع المرابطين الى خيرات الاندلس ، وجعلت للعامل الاقتصادي دورا كبيرا في تسيير كثير من احداث المرابطين في الاندلس ، مع العلم ان مثل هذه البحوث اعتمد على مصادر تاريخية متعصبة للموحدين ، اعداء المرابطين ، امثال كتاب المعجب للمراكشي •

---

١ ــ راجع ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٤٢١ ــ ٤٢٣ •

ولعل تكوين هذه الصورة القاتمة عن المرابطين ، وبخاصة فترة حكمهم في الاندلس ، تعود الى جملة أمور ظهرت من سير الاحداث ، ويأتي في طليعتها ، تلك الحملة العنيفة التي شنها المهدي بن تومرت ضد المرابطين ، والتي استمرت في حياته وبعد عصره، حتى انها صورت المرابطين بالكفر والالحاد . وهذا الأمر نتيجة طبيعية لصاحب كل دعوة حيث يسعى الى الطعن في اعدائه ، واستغلال مواقف معينة ، يثير بها سخط العامة على السلطة الحاكمة التي يريد اسقاطها .

والامر الاخر يعود الى مطاردة كتب الفلسفة وبعض كتب الدين ، والتي بدأت في عصر امير المرابطين علي بن يوسف ، وقد كان لهذه الحملة أثر كبير في اذكاء عاطفة السخط ضد المرابطين وبخاصة في الاندلس . ومن الملاحظ ان المطاردة لكتب الفلسفة من قبل سلطات الاندلس بدأت منذ عصور مبكره سابقة لعصر الطوائف ، وأما الحملة التي شنت ضد كتب الامام الغزالي فقد كانت نتيجة وقوع امراء المرابطين تحت سيطرة الفقهاء ، والعلماء ، مع العلم ان بعض فقهاء الاندلس خاصة عارضوا هذه الحملة .

والامر الثالث لهذه الصورة يعود الى اقتران الفتح المرابطي لبعض ممالك الطوائف في الاندلس بالعنف والقسوة ، من تغريب بعض ملوك الطوائف ، الى قتل البعض الاخر[١] . ولعل هذا الامر هو نتيجة الخطر الذي هدد كيان الاسلام في الاندلس بعد معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ ، حيث أصبح يوسف بن تاشفين امام اختيار صعب ، اما ان يترك الاندلس تعج بالفوضى والخلافات ، أو أن تكون طعمة سائغة للفونسو السادس زعيم ملوك الاسبان آنذاك واما أن يعزل ملوك الطوائف ويجعل الاندلس ولاية مرابطية . فكان الاختيار الاخير بعد الحصول على استفتاء من فقهاء الاندلس والمغرب والمشرق الاسلامي .

وبعد كل هذا ، فقد كان للمرابطين دور مشرف من اجل الحفاظ على كيان الاسلام ودولته في بلاد الاندلس ، وكان لهم نفس الدور في رد أطماع ممالك

---

٢ ــ راجع، خلاف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قرطبة في القرن الخامس الهجري ، ص : ٧٩ ــ ٨٠ (رسالة دكتوراه) .

الشمـال الاسبانـي التـي كانت تهدف الى ابتـلاع الحواضـر الاندلسية الواحدة بعد الاخرى • وبخاصة بعد نجاح الفونسو السادس ــ كبير ملوك الاسبان ــ من استيلاء على مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ •

أرسلت دولة المرابطين خيرة جنودها وقادتها الى الاندلس لرد كيد الممالك الاسبانية ، ودخلت هذه الدولة مع الاسبان في حرب ضروس فقدت بسببها اكثر قوادها وجنودها مما أضعف هذا الامر كيان الدولة مبكرا • ولم تتردد هذه الدولة من ارسال النجدات تلو النجدات الى بلد الاندلس لحماية لحواضر الاندلسية من أن تقع فريسة سهلة بيد الاسبان ، وقد أفلحت في هذه المهمة • ولو أنها فشلت في انقاذ بعض هذه الحواضر ، فان هذا الامر لا يعود الى جبن القوات المرابطية ، وانما يعود الى ظروف الخطط العسكرية الانية ، التي ربما يؤدي الى هزيمة منكرة للقوات المرابطية اذا دخلت مثل هذه الحرب •

هناك اراء وروايات كثيرة عن هذه الدولة ، ولا نريد أن نطيل الكلام هنا عن هذه الاراء ، ولكن يمكن القول : علينا ان ننصف هذه الدولة التي كان لها شرف الجهاد سواء في المغرب الاقصى أم الاندلس ، وكان لها الدور الكبير في اعادة الوحدة للعالم الاسلامي سياسيا ومذهبيا ، وان لا ننساق امام الروايات المعادية لهذه الدولة القديمة منها أو الحديثة ، مع تجاوز الكثير من الهنات التي وقعت في عصر هذه الدولة ، وهذا أمر طبيعي حسب مجريات التاريخ ، وان لا ننظر الى هذه الدولة بما يجب ان تكون ، من مثالية في الحكم وسلوك الامراء وظواهر المجتمع ، في قرن اختلفت فيه الاهواء والملل والنعرات السياسية والفكرية •

ولعل سعي هذه الدولة في ايجاد حكومة ومجتمع تظللهما راية الاسلام ، مع سعيها الى بعث حركة الجهاد في الاندلس ، واطالة عمر الدولة الاسلامية فيه ، ما يكفي ان نتجاوز عن الكثير من الاخطاء التي وقع فيها المرابطون ، والتي استغلت في تشويه صورة دولتهم •

---

٣ ــ راجع ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص٤٢٦ ــ ٤٢٧ •

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات :

ـ **ابن بسام** ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتيرني ، ت : ٥٤٢ هـ

١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، جـ٢ ، مخ ، المتحف العراقي تحت رقم (١٥٨٧) ، جـ٣ ، مخ نسخة مصورة خاصة ، المكتبة المركزية جامعة الموصل . حققه مؤخراً الدكتور احسان عباس .

ـ ابن حيان : ابو مروان حيان بن خلف (ت : ٤٦٩ هـ)

٢ ـ المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، جـ٥ ، مخ ، المكتبة الملكية بالرباط رقم (٨٧) .

ـ **ابن حمدون** ، محمد بن الحسن (ت : ٥٦٢ هـ) .

٣ ـ التذكرة الحمودنية ، جـ١٢ ، مخ ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، رقم (١٢٨٢) ، مصورة .

ـ **ابن شاكر** ، محمد بن شاكر الكتيبي ، (ت : ٧٦٤ هـ)

٤ ـ عيون التوايخ ، مخ ، جـ١٣ ، (رقم ٩٤٩) تاريخ ، دار الكتب

ـ **ابن فضل الله العمري** ، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت : ٧٤٨ هـ)

٥ ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار ، جـ١١ ، ق ١ ، مخ ، رقم (٥٥٩ ـ معارف عامة) ، دار الكتب المصرية .

ـ **اكنسوس** ، ابو عبدالله محمد (ت : ١٢٩٤هـ)

٦ ـ الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا سيدي على السجلماسي ، ميكروفيلم ، (رقم ١٥٨٣) ، دار الكتب المصرية .

ـ **الجيلاني** ، عبدالسلام الغرابلي .

٧ ـ رسالة في ذكر من اسس مدينة فاس ، مخ ، رقم (٩٧٣٢ح) ، دار الكتب المصرية .

ـ **الخطيب العمري** ، ياسين بن خير الله (ت . د : ١٨١٧) .
٨ ــ الدار المكنون في مآثر الماضية من القرون ، مخ مصورة عن نسخة بمكتبة المتحف البريطاني ، (٨٤٠ ورقة) ، مكتبة الكويت الوطنية .

ـ **الذهبي** ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨ هـ) .
٩ ــ تاريخ الاسلام ، جـ٢٤ ، مخ مصور رقم (٤٢ ــ تاريخ) دار الكتب المصرية .

١٠ــ سير اعلام النبلاء ، جـ١١ ، مخ ، مج ١ــ٢ ، رقم (١٢١٩٥ ح) دار الكتب المصرية .

ـ **الشطيبي ، محمد المغربي**
١١ــ كتاب الجمان في اخبار الزمان ، مخ رقم (١٤١٦ ــ تاريخ) ، دار الكتب المصرية .

ـ **العيني** ، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد (ت : ٨٥٥ هـ)
١٢ــ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، جـ٢٠ ، ق ٣ ، مخ (رقم ــ ١٥٨٤) دار الكتب المصرية .

ـ **مؤلف مجهول**
١٣ــ جغرافية الاندلس وتاريخه ، مخ ـ الخزانة العامة بالرباط رقم (٨٥) نسخة مصورة خاصة بالدكتور عبدالرحمن الحجى .

ـ **النويري** ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت : ٧٣٣ هـ)
١٤ــ نهاية الارب في فنون الادب ، جـ٢٩ ، مـخ، دار الكتب المصرية ، معارف عامة (رقم : ٢٥٧٠) .

ب ــ المصادر :

١ ــ القرآن الكريم .

ـ **ابن الابار** ، ابوعبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨ هـ) .
٢ ــ أعتاب الكتاب ، تح : صالح الاشقر ، (دمشق : ١٩٦١) .

٣ ــ التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ ، جـ٢ ، ن وتصحيح عزت العطار الحسيني ، (القاهرة : ١٩٥٥) ، وطبعة اخرى ن الفريد بـل وابن أبـي شنب ، (الجزائر : ١٩١٩) .

٤ ــ الحلة السيراء ، تح : الدكتور حسين مؤنس ، جزءان ، (القاهرة : ١٩٦٣) .

٥ ــ المعجم في اصحاب القاضي الامام ابى على الصبدفي ، (القاهرة : ١٩٦٧) .

ــ **ابن ابى أصيبعة** ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ، (ت ٦٧٧ هـ)
٦ ــ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تح : نزار رضا ، (بيروت : ١٩٦٥)

ــ **ابن ابى دينار** ، ابو عبدالله الشيخ محمد بن ابى القاسم الرعينى
٧ــ المؤسس في اخبار افريقية وتونس ، (تونس : ١٢٨٦ هـ)

ــ **ابن ابى زرع** ، ابو الحسن على بن محمد (كان حيا قبل ٧٢٦ هـ)
٨ ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدية فاس، (أو بسالة : ١٨٤٣) .

ــ ابن ابى الضياف ، أبو العباس احمد بن الحاج (ت ١٢٩١ هـ)
٩ ــ اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الزمان ، جـ١ (تونس : ١٩٦٣) .

ــ **ابن الاثير** ، عزالدين ابو الحسن علي بن محمد الجرزي ، (ت ٦٣٠ هـ)
١٠ــ الكامل في التاريخ ، (١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) .

ــ **أبو الفدا** ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ)
١١ــ تقويم البلدان ، (باريس : ١٨٤٠)

ــ **الادريسي** ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت : ٥٦٠ هـ)
١٢ــ صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (في نزهة المشتاق في اختراق الافاق) ن : دوزى ودى خريه ، (امستردام : ١٩٦٩) . وطبعة اخرى (لندن : ١٨٦٦) .

ــ **الاصفهاني** : عمادالدين محمد بن محمد بن حامد (ت : ٥٩٧هـ)
١٣ــ تواريخ آل سلجوق ، (مصر : ١٣١٨ هـ)

ــ **ابن بسام** ،
١٤ــ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة .
ق٤ ، مج١ (القاهرة : ١٩٤٥) وطبعة اخرى (القاهرة : ١٩٣٩)
ق ٤ ، مج ٢
ق ٢ ، مج ١ ــ تح : لطفي عبدالبديع (القاهرة : ١٩٧٥)

ــ ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبدالملك الانصاري (ت : ٥٧٨ هـ)
١٥ــ كتاب الصلة ، ق١ ، ق٢ ، (القاهرة : ١٩٦٦)

ـ **ابن تغرى بردى** ، جمال الدين يوسف الاتابيكي (ت : ٨٧٤هـ)

١٦ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، (القاهرة : ١٩٣٥) وطبعة اخرى (القاهرة : ١٩٦٣) .

ـ **ابن تومرت** ، المهدي محمد بن عبدالله ، (ت : ٥٢٤ هـ)

١٧ـ اعز ما يطلب ، (الجزائر : ١٩٠٣) .

ـ **ابن الجوزي** ، عبدالرحمن بن علي

١٨ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جـ١٠ ، (طبعة الهند : ١٩٥١)

ـ **ابن حزم** ، ابو محمد علي بن احمد (ت : ٤٥٦ هـ)

١٩ـ جمهرة انساب العرب ، تح : عبدالسلام هارون ، (القاهرة : ١٩٦٢)

٢٠ـ الملل والنحل ، جـ٤ .

ـ **ابن حمديس** ، عبدالجبار بن ابى بكر الصقلي

٢١ـ الديوان ـ تح : احسان عباس ، (بيروت : ١٩٦٠) وطبعة اخرى (روما : ١٨٩٧ م) .

ـ **ابن حوقل** ، ابو القاسم النصيبي ، (ت ٣٦٧ هـ)

٢٢ـ صورة الارض (المسالك والممالك) ، (بيروت : لا . ت) وطبعة اخرى (ليدن : ١٩٣٨) .

ـ **ابن حيان** ، ابو مروان حيان بن خلف ، (ت : ٤٦٩ هـ)

٢٣ـ المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، جـ٢ ، تح : الدكتور محمود علي مكي ، (بيروت : ١٩٧٣) ، وجزء مختص بخمس سنوات من حكم الخليفة المستنصر ، تح : عبد الرحمن الحجي ، (بيروت : ١٩٦٥) .

ـ **ابن خاقان** : ابو نصر الفتح بن محمد (ت : ٥٢٩ هـ او ٥٣٥ هـ)

٢٤ـ قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، نص : محمد العناني ، (المكتبة العتيقة : ١٩٦٨) ، وطبعة اخرى ، (المطبعة الخديوية : ١٢٨٣ هـ)

ـ **ابن الخطيب** ، لسان الدين ابوعبدالله محمد التلمساني (ت : ٧٧٦ هـ)

٢٥ـ الاحاطة في اخبار غرناطة ، تح : محمد عبدالله عنان ، جـ١ ، جـ٢ ، (القاهرة : ١٩٥٥) ، وطبعة اخرى ، (القاهرة : ١٣١٩ هـ) .

٢٦ـ اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تح : ليفي بروفنسال ، (بيروت : ١٩٥٦) .

٢٧ـ تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، (الدار البيضاء : ١٩٦٤) .

٢٨ـ معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ـ الرسالة الثالثة من مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس ، (الاسكندرية : ١٩٥٨) ، تح : العبادي .

٢٩ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تح : احمد مختار العبادي ، (القاهرة : لا . تا) .

ـ **ابن خفاجة الاندلسي** ، ابى اسحاق ابراهيم (ت ٥٣٣ هـ) .

٣٠ـ ديوان ابن خفاجة ، تح : مصطفى غازي ، (الاسكندرية : ١٩٦٠)

ـ **ابن خلدون** ، عبدالرحمن بن محمد ، (ت : ٨٠٨ هـ)

٣١ـ مقدمة ابن خلدون (بيروت ، مطبعة الكشاف)

٣٢ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٤ ، جـ٦ ، (بيروت : ١٩٥٨) وطبعة اخرى .

ـ **ابن خلكان :** شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)

٣٣ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تح : محي الدين عبدالحميد ، (مكتبة النهضة : ١٩٤٥) ، وطبعة اخرى (بيروت : ١٩٦٨)

ـ **ابن خير** ، ابو بكر محمد بن عمر بن خليفة الاموي الاشبيلي

٣٤ـ فهرسة ماوراه عن شيوخه ، تح : كوديرا ، (سرقسطة : ١٨٩٣ م)

ـ **ابن دحية** ، ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي (ت : ٦٣٣ هـ)

٣٥ـ المطرب من اشعار اهل المغرب ، تح : ابراهيم الابياري وآخرون ، (القاهرة : ١٩٥٤) .

ـ **ابن رسته** ، ابو علي احمد بن عمر (ت . د : ٢٩٠ هـ)

٣٦ـ الاعلاق النفيسة ، (ليدن : ١٩٨١م)

ـ **ابن الزبير** ، ابو جعفر احمد (ت : ٧٠٨ هـ)

٣٧ـ كتاب صلة الصلة ، تص : بروفنسال : (الرباط : ١٩٣٧)

ـ **ابن زيدان** ، عبدالرحمن ،

٣٨ـ اتحاف اعلام الناس بجمال واخبار حاضرة مكناس ، جـ١ ، (الرباط : ١٩٢٩) .

ـ **ابن سعيد الاندلس** واسرته ،

٣٩ـ المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، جـ٢ ، تح : شوقي ضيف ، (القاهرة : ١٩٥٥) وطبعة اخرى (القاهرة : ١٩٦٤) .

ـ **ابن سعيد** ، علي بن موسى ، (ت ٦٨٥ هـ)
٤٠ـ بسط الارض في الطول والعرض ، تح : خوان قرنيط خينيس ، (تطوان : ١٩٥٨) .
٤١ـ رايات المبرزين وغايات المميزين ، تح : النعمان عبدالمتعال ، (القاهرة : ١٩٧٣) ، وطبعة اخرى ـ تح : غرسيه غومس (مدريد : ١٩٤٢) .
ـ **ابو شامة** ، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل (ت : ٦٦٥ هـ)
٤٢ـ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جـ١ ، (القاهرة : ١٢٨٧ هـ) وطبعة اخرى (القاهرة : ١٩٦٢) .
ـ **ابن صاحب الصلاة** ، عبدالملك (ت نهاية القرن السادس الهجري .
٤٣ـ تاريخ المن بالامامة ، تح : عبدالهادي التازي ، (بيروت : ١٩٦٤)
ـ **ابن عبدالبر** ، النمري القرطبي ، (ت ٥٦٣ هـ)
٤٤ـ القصد والامم في التعريف بأصول انساب العرب والعجم ، (القاهرة : ١٣٥٠ هـ) .
ـ **ابن عبدالحق** ، صفي الدين ، (ت: ٧٣٩ هـ)
٤٥ـ مراصد الاطلاع ، جـ٣ ، تح : جينبول ، (ليدن : لا . تا) .
ـ **ابن عبدون** ،
٤٦ـ في القضاء والحسبة ، « ضمن مجموعة ثلاث رسائل اندلسية في الحسبة » تح : بروفنسال ، (القاهرة / : ١٩٥٥) .
ـ **ابن عذاري** المراكشي ، ابو العباس احمد بن محمد (ت. د : ٧١٢هـ)
٤٧ـ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، جـ٢ ، تح : كولان وبرفنسال ، (ابريل : ١٩٥١) .
جـ٣ ـ تح : بروفنسال (بيروت : لا . تا)
جـ٤ ـ تح : احسان عباس . (بيروت ١٩٦٧)
ـ **ابن غازي** ، ابو عبدالله محمد بن احمد بن محمد العثماني (ت٩١٩هـ)
٤٨ـ الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون (طبع حجر مغربي)
ـ **ابن غالب** ، محمد بن ايوب (من اهل القرن السادس الهجري)
٤٩ـ فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، ن : لطفي عبدالبديع ، (القاهرة : ١٩٥٦) .
ـ **ابن فرحون** ،برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد (ت : ٧٩٩هـ)
٥٠ـ الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب (طبع مصر : ١٣٥١هـ)

ـ **ابن القاضي** ، احمد بن محمد بن محمد (١٠٢٥هـ)

٥١ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من اعلام مدينة فاس ، (فاس : ١٣٠٩هـ) طبع حجر مغربي .

ـ **ابن القطان** ، ابو الحسن علي بن محمد الكتامي القاسي (ت : ٦٢٨هـ)

٥٢ـ نظم الجمان في اخبار الزمان، جـ٦ ـ تح : محمود مكي (تطوان : ١٩٦٥) .

ـ **ابن قنفذ القسنطيني** ، ابو العباس احمد بن حسن بن علي (ت٨٠٩هـ)

٥٣ـ كتاب الوفيات ـ تح : عادل نويهض، (بيروت : ١٩٧١) .

ـ **ابن القوطية القرطبي** ، ابو بكر محمد بن عمر (ت : ٣٦٧هـ)

٥٤ـ تاريخ افتتاح الاندلس ـ تح : عبدالله انيس الطباع ، (بيروت : ١٩٥٨) .

ـ **ابن كثير** ، عماد الدين ابي الفدا اسماعيل ، (ت : ٧٧٤هـ)

٥٥ـ البداية والنهاية في التاريخ ، جـ١٢ ، (القاهرة ـ مطبعة السعادة)

ـ **ابن الكردبوس** ، ابو مروان عبدالملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري) .

٥٦ـ الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الاندلس) ، تح : احمد مختار العبادي، (مدريد : ١٩٧١) .

ـ **ابن لطف الله الحسيني** : أبي الطيب صديق بن حسن بن علي (ت : ١٣٠٧هـ)

٥٧ـ التاج المكلل من جواهر مآثر الطرز الاخر والاول ، نص وتعليق عبدالحكيم شرف الدين (المطبعة الهندية العربية : ١٩٦٣) .

ـ **ابن مريم** ، ابو عبدالله محمد بن محمد بن احمد .

٥٨ـ البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة محمد بن أبي شنب، (الجزائر : ١٩٠٨م) .

ـ **ابن المؤقت المراكشي** ، محمد بن محمد بن عبدالله

٥٩ـ السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، (مراكش : ١٣٣٥هـ) .

ـ **البابانى ، اسماعيل باشا** بن محمد أمين البغدادي (ت : ١٣٣٩)

٦٠ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، جـ٢، (طهرن : ١٣٨٧هـ) .

ـ **البكري** ، ابو عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ) .

٦١ـ جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تح : الدكتور عبدالرحمن الحجى ، (بيروت : ١٩٦٨) .

٦٢ـ المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، تح : دي سلان (باريس : ١٩١١) .

ـ **البغدادي** ، ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد

٦٣ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم (مصر : ١٩١٠) .

ـ **البيذق** ، ابو بكر الصنهاجي (القرن السادس الهجري)

٦٤ـ كتاب اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، طبعة ليفي بروفنسال ، (باريس : ١٩٢٨) .

ـ **التادلي** ، ابو يعقوب يوسف بن يحيى (ت : ٦٢٨هـ)

٦٥ـ التشوف الى رجال التصوف ، ن : أدولف فور (الرباط : ١٩٥٨)

ـ **التجيبي** ، محمد بن احمد (من رجال القرن الخامس الهجري)

٦٦ـ ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح : ليفي بروفنسال، (القاهرة : ١٩٥٥) .

ـ **التيجاني** ، ابو محمد عبدالله بن محمد بن احمد (ت : اوائل القرن الثامن الهجري)

٦٧ـ رحلة التيجاني ، (تونس : ١٩٥٨)

ـ **الجزنائي** ابو الحسن علي

٦٨ـ زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، طبع باعتناء الفريد بيل ، (الجزائر : ١٩٢٢) .

ـ **حاجي خليفة** ، مصطفى بن عبدالله (ت : ١٠٨١ هـ)

٦٩ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، جـ١، (طهران : ١٣٨٧هـ)

ـ **الحموي** ، ياقوت الرومي (ت : ٦٢٦هـ)

٧٠ـ معجم الادباء ، جـ١٨، جـ١٩ (طبع المأمون : ١٩٣٦ والعام التالي) .

٧١ـ معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان ، (بيروت : ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) ، وطبعة اخرى .

ـ **الحميدي** ، محمد بن ابي نصر ، (ت : ٤٨٨هـ)

٧٢ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، (القاهرة : ١٩٦٦)

ـ **الحميري** ، عبدالمنعم السبتي ، (ت : حوالي ٧١٠هـ)

٧٣ـ صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من الروض المعطار في خبر الاقطار ، ن : ليفي بروفنسال ، (القاهرة : ١٩٣٧) .

ـ **الذهبي** : شمس‌الدين محمد بن احمد (ت : ٧٤٨هـ)

٧٤ـ تذكرة الحفاظ ، جـ٣، (حيدر اباد : ١٣٣٤هـ)

٧٥ـ العبر في خبر من غبر ، جـ٣، تح : فؤاد سيـد ، (الكويت : ١٩٦١) ، جـ٤، تح : صلاح‌الدين المنجد ، (الكويت : ١٩٦٣) .

ـ **الزركشي** ، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللؤلؤي

٧٦ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، (تونس : ١٢٨٩هـ)

ـ **الزهـــري** ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر ، (ت.د : ٥٤٥هـ)

٧٧ـ كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية، مج ٢١، (دمشق : ١٩٦٨) .

ـ **الســـلاوي** ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري

٧٨ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، جـ٢ ، تح : ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، (الدار البيضاء : ١٩٥٤) .

الســـراج ، الوزير الســـراج

٧٩ـ الحلل السندسية في ذكر الاخبار التونسية ، جـ١، ق٤، طبعة تونس .

ـ **السيوطي**، جلال الدين عبدالرحمن ، (ت : ٩١١هـ)

٨٠ـ تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، تح : محي‌الدين عبدالحميد ، (القاهرة : ١٩٦٤) .

٨١ـ نزهة الجلساء في اشعار النساء ، تح : صلاح‌الدين المنجد ، (بيروت : ١٩٥٨) .

ـ **الطرطوشي** ، ابو بكر محمد بن الوليد (ت : ٥٢٠هـ)

٨٢ـ سراج الملك ، (القاهرة : ١٢٨٩هـ) طبعة بولاق .

ـ **الصفاقسي** ، محمود بن سعيد مقديش

٨٣ـ نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار ، جـ١، (تونس : ١٣٢١هـ)

ـ **الضبـــي** ، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت : ٥٩٩هـ)

٨٤ـ بغية الملتمس في تاريخ اهل الاندلس ، (مجريط : ١٨٨٤م) وطبعة اخرى، (القاهرة : ١٩٦٧) .

ـ **الامـير عبدالله بن بلقين** ، (آخر ملوك بني زيري بغرناطة)

٨٥ـ مذكرات الامير عبدالله المسمى كتاب التبيان ، تح : ليفي بروفنسال ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

- **العـذري** ، ابو العباس احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي (ت : ٤٧٨هـ)
٨٦- نصوص عن الاندلس (قطعة من : توضيح الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) ، تح : عبدالعزيز الاهواني (مدريد : ١٩٦٥) .

- **العماد الاصفهاني :**
٨٧- خريدة القصر وجريدة العصر ، جـ٢، ق٤ ، تح : عمر الدسوقي وعلي عبدالعظيم ، (القاهرة : ١٩٦٩) .

- عياض ، عياض بن موسى بن عياض القاضي (ت : ٥٤٤هـ)
٨٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، جـ٣، جـ٤ تح : احمد بكير محمود (بيروت : ١٩٦٥) .

- **الغزالـي** ، ابو حامد محمد بن محمد (ت : ٥٠٥هـ)
٨٩- احياء علوم الدين ، (القاهرة : ١٩٣٩) اربعة اجزاء .

- **القزوينـي** ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ)
٩٠- اثار البلاد واخبار العباد ، (بيروت : ١٩٦٠)

- **القفطـي** ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف
٩١- اخبار العلماء بأخبار الحكماء (مصر : ١٣٢٦هـ)

القلقشندي : احمد بن عبدالله (ت : ٨٢١هـ)
٩٢- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، جـ٥، (القاهرة : ١٩٦٣)
٩٣- نهاية الارب في معرفة انساب العرب - تح : ابراهيم الابياري (الشركة العربية للطباعة والنشر : ١٩٥٩) .

الكازورنـي ، علي بن محمد (ت : ٦٩٧هـ)
٩٤- مختصر التاريخ ، تح : مصطفى جواد ، (بغداد : ١٩٧٠)

- **المراكشي** ، محمد بن محمد بن عبدالملك (ت : ٧٠٣هـ)
٩٥- الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ، جـ١ (فاس : ١٩٣٦)
٩٦- الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، جـ٢ ، ق٥ ، جـ٤، جـ٦ تح : احسان عباس (بيروت : ١٩٧٣)

- **المراكشي** ، محي الدين عبدالواحد بن علي (ت : ٦٤هـ)
٩٧- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ومحمد العزبي ، (القاهرة : ١٩٦٣) .

ـ **المقدسـي** ، شمس الدين ابو عبدالله المعروف بالبشاري (ت : ٣٨٠هـ)
٩٨ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن : ١٩٠٦) .

ـ **المقـري** ، شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمـد التلمسـاني (ت : ١٠٤١هـ)

٩٩ـ ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، تح : مصطفى السقا وآخـرون، جـ١، جـ٢، (القاهرة : ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠) .

١٠٠ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب ، تح : احسان عباس ، ٨ أجزاء (بـيروت : ١٩٦٨) .

ـ **المقـريزي**، تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر (ت : ٨٤٥هـ)

١٠١ـ اتعاض الحنفا بأخبار الائمة الخلفا (القاهرة : ١٩٤٨)

١٠٢ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، جـ١ (القاهرة : ١٢٧٠هـ) .

ـ **مؤلف مجهـول :**

١٠٣ـ اخبار مجموعة فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم (مجريط : ١٨٦٧م) .

ـ **مؤلف مجهـول** : (كاتب مراكش من كتاب القرن السادس الهجري)

١٠٤ـ كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، ن : سعد زغلول ، (الاسكندرية : ١٩٥٨) .

ـ **مؤلف مجهول :**

١٠٥ـ مفاخر البربر ، تح : ليفي بروفنسال (الرباط : ١٩٣٤) .

ـ **مؤلف مجهـول :**

١٠٦ـ نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى ، ن : ليفي بروفنسـال، (باريس : ١٩٢٣) .

ـ **النباهـي**، ابو الحسن عبدالله بن الحسن (ت : ٧١٣هـ)

١٠٧ـ تاريخ قضاة الاندلس المسمى بالمرقبـة العليا فيمن يستحق القضـاء والفتيا . (بيروت : لا.تا)

ـ **النويري** ، شهاب الدين احمد عبدالوهاب (ت : ٧٣٣هـ)

١٠٨ـ نهـاية الارب في فنون الأدب ، جـ٢٢، (غرناطـة : ١٩١٧) ، خـاص بالاندلس .

ج ـ المراجع العربية :

أدهم ، علي (أدهم)

١ ــ المعتمد بن عباد (بيروت : لا.تا) .

أرسلان ، شكيب (ارسلان)

٢ ــ الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، جـ١، جـ٢ . (القاهرة : ١٩٣٦) .

أرنولد ، توماس (ارنولد)

٣ ــ تراث الاسلام ، جـ٢، تح : جرجيس عبدالله ، (الموصل : ١٩٥٤) .

ابو زهرة ، محمد (ابو زهرة)

٤ ــ ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقه ، (مطبعة احمد علي مخيمر : ١٩٥٤) ، الطبعة الثانية .

أشباخ ، يوسف (اشباخ)

٥ ــ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، تر : محمد عبدالله عنان، (القاهرة : ١٩٤٠) ، جـ١، (القاهرة : ١٩٥٨) .

اعشى ، صبح (أعش)

٦ ــ نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب ، (المغرب : ١٩٧٧) .

أماري ميخائيل

٧ ــ المكتبة الصقلية ، (ليبسك : ١٨٥٧م) .

أمين ، احمد (امين)

٨ ــ ضحى الاسلام ، جـ٣، مكتبة النهضة .

٩ ــ ظهور الاسلام ، جـ٣، (لجنة التأليف والترجمة : ١٩٥٩) .

بالنثيا ، انخل جنثالث (بالنثيا)

١٠ ــ تاريخ الفكر الاندلسي ، تر : حسين مؤنس ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

بامات ، حيدر (بامات)

١١ ــ مجالي الاسلام ، تر : عادل زعيتر ، (القاهرة ١٩٥٦) .

البتنوني ، محمد لبيب (البتنوني)

١٢ ــ رحلة الاندلس ، (القاهرة : لا.تا) .

بدر ، احمد (بدر)

١٣ ــ دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، عصر الخلافة ، (دمشق : ١٩٧٣) .

البــراوي ، راشـد (البراوي)
١٤ـ حالة مصر الاقتصـادية في عهد الفاطميـين ، جـ١، (القاهـرة : ١٩٤٨)
بروفنسال ، ليفي (بروفنسال)
١٥ـ الاسلام في المغرب والاندلس ، تر : عبدالعزيز سالم ومحمد صلاحالدين حلمى ، (مصر : ١٩٥٦) .
١٦ـ حضارة العرب في الاندلس ، تر : ذوقان قرقـوط ، (بـيروت : لا.تا)
بروكلمان ، كارل (بروكلمان)
١٧ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ، تر : نبيه احمد فارس واخرون (بيروت : ١٩٦٥) .
بـن عامـر ، أحمد (بن عامـر)
١٨ـ تونس عبر التاريخ ، (تونس : ١٩٦٠)
بن تاويت ، محمد (بن تاويت) ومحمد الصادق عفيفي
١٩ـ الادب المغربي ، (بيروت : ١٩٦٩)
بنعبدالله ، عبدالعزيز (بنعبدالله)
٢٠ـ تاريخ المغرب ، جـ١، طبعة الدار البيضاء .
٢١ـ مظاهر الحضارة المغربيـة ،جـ١، (الدار البيضـاء : ١٩٥٧) ، جـ٢ ، (الدار البيضاء : ١٩٥٨) .
٢٢ـ الطب والاطباء بالمغرب ، (الرباط : ١٩٦٠) .
بـول ، ستانلي لين (بول)
٢٣ـ تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، جـ١، تر : أحمد السعيد سليمان ، (القاهرة : ١٩٧٢) .
٢٤ـ قصة العرب في اسبانية ، تر : علي الجارم (القاهرة : ١٩٤٧) .
التـازي ، عبدالهادي (التازي)
٢٥ـ احد عشر قرنا في جامعة القرويين ، (المغرب : ١٩٦٠) ، وطبعة اخرى، (القاهرة : ١٩٧٥) .
تشركوا ، كليلينا نسارنللي (تشركوا)
٢٦ـ مجاهد بن عبدالله العامري قائد الاسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري ، (القاهرة : ١٩٦١) .
التواتـي ، عبدالكريم (التواتي)
٢٧ـ مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، (الدار البيضاء : ١٩٦٧)

جمـال الديـن ، محسن (جمال الدين)
٢٨ـ وصف الاندلس في معجم البلدان ، ق١، (بغداد : ١٩٦٤) .

الجمـل ، احمد محمود (الجمل)
٢٩ـ امير المسلمين يوسف بن تاشفين (القاهرة : ١٩٧٧) .

الجيلالـي ، عبدالرحمن (الجيلالـي)
٣٠ـ تاريخ الجزائر العام ، جـ١، (بيروت : ١٩٦٥) .

حاطـوم ، نورالدين (حاطوم)
٣١ـ تاريخ العصر الوسيط في أوربا ، جـ١، (بيروت : ١٩٦٧)

حـتى ، فليب (حتى)وآخرون .
٣٢ـ تاريخ العرب مطول ، جـ٢، (دار الكشاف : ١٩٦٥) .

الحجـي ، عبدالرحمن (الحجي)
٣٣ـ التاريخ الاندلسي ، (دمشق : ١٩٧٦)

حركـات ، ابراهيم (حركات)
٣٤ـ المغرب عبر التاريخ ، (الدار البيضاء : ١٩٦٥)

حسن ، حسن ابراهيم (حسن)
٣٥ـ انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الافريقية وغربها ، (القاهرة : ١٩٥٧) .
٣٦ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة : ١٩٤٨).

حسين ، احمد الياس (حسين)
٣٧ـ الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالة ماجستير جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ .

حمـودة ، علي محمد (حمودة)
٣٨ـ تاريخ الاندلس السياسي والاجتماعي ، (القاهرة : ١٩٥٧)

خالـص ، صلاح (خالص)
٣٩ـ اشبيلية في القرن الخامس للهجرة ، (بيروت : ١٩٦٥)

خفاجـة ، محمد بن المنعم (خفاجـة)
٤٠ـ قصة الادب في الاندلس ، جزءان ، (بيروت : ١٩٦٢)

خــلاف ، محمد عبدالوهاب (خلاف)
٤١- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في قرطبة في القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة : ١٩٧٦ .
٤٢- دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٣ ، جـ٤، جـ١٢ .

الدهـــان ، سامي (الدهان)
٤٣- الامير شكيب ارسلان حياته وأثاره ، (القاهرة : ١٩٦٠)

دوزي ، رينهارت (دوزي)
٤٤- ملوك الطوائف ، تر : كامل كيلاني ، (القاهرة : ١٩٣٣) .

ديورانـت ، وليم جيمس (ديورانت)
٤٥- قصة الحضارة - مج٤، جـ٣، تر : محمد بدران ، (القاهرة : لا.تا) .

الراشـــد ، الدكتور عبدالجليل عبدالرضا (الراشد)
٤٦- علاقات دول الطوائف في الاندلس بالمرابطين ، رسالة دكتوراه .

رينـــو ، جوزيف (رينو)
٤٧- تاريخ غزوات العرب في فرنسة وسويسرة وايطالية وجزائر البحر المتوسط ، تر : شكيب ارسلان ، (بيروت : ١٩٦٦) .

زامبـــاور ،
٤٨- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، تر : زكي محمد حسن ، حسن احمد محمود ، (القاهرة : ١٩٥١) .

الزركلـــي ،
٤٩- الاعلام ، جـ٥ (طبعة مصر : ١٩٢٧) وطبعة اخرى ١٩٥٥ .

زيـــدان ، جرجي (زيدان)
٥٠- تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ٣، جـ٥ ، راجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

ســـالم ، الدكتور السيد عبدالعزيز (سالم)
٥١- تاريخ البحرية الاسلاميــة في المغــرب والاندلس ، (بـيروت : ١٩٦٩) بالاشتراك مع الدكتور احمد مختار العبادي .
٥٢- تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، (بيروت : ١٩٦٢) .
٥٣- قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ١، جـ٢ ، (بـيروت : ١٩٧١ - ١٩٧٢) .
٥٤- المغرب الكبير ، العصـر الاســلامي ، جـ٢ (الاسكنـدرية : ١٩٦٦) .

السامرائي ، خليل ابراهيم (السامرائي)
٥٥ـ الثغر الاعلى الاندلس ٩٥ ـ ٣١٦هـ (بغداد : ١٩٧٦)

سرور ، الدكتور محمد جمال الدين (سرور)
٥٦ـ الدولة الفاطمية في مصر ، (القاهرة : ١٩٧٤) .
٥٧ـ سياسة الفاطميين الخارجية ، (القاهرة : ١٩٧٦)

السعيد ، الدكتور محمد مجيد (السعيد)
٥٨ـ الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ .

الشابي ، محمد (الشابي)
٥٩ـ أضواء على الاثار الاسلامية ، (تونس : ١٩٦٦)

شافعي ، فريد (شافعي)
٦٠ـ العمارة العربية في مصر الاسلامية مج١ ، (القاهرة : ١٩٧٠)

الشعراوي ، احمد ابراهيم (الشعراوي)
٦١ـ الامويون امراء الاندلس الاول (القاهرة ١٩٦٩) .

شعيرة ، محمد عبدالهادي (شعيرة)
٦٢ـ المرابطون تاريخهم السياسي ، (القاهرة : ١٩٦٩)

شلبي ، احمد (شلبي)
٦٣ـ موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج٤ ، (القاهرة : ١٩٧٥) وطبعة اخرى .

شبلي ، سعد اسماعيل (شبلي)
٦٤ـ البيئة الاندلسية واثرها في الشعر ، عصر ملوك الطوائف ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .
٦٥ـ دراسات ادبية في الشعر الاندلسي ، (القاهرة : ١٩٧٣) .

طرخان ، ابراهيم علي (طرخان)
٦٦ـ المسلمون في اوربا في العصور الوسطى (القاهرة :١٩٦٦)

ضيف ، أحمد (ضيف)
٦٧ـ بلاغة العرب في الاندلس ، (القاهرة : ١٩٢٤) .

عاشور ، سعيد عبدالفتاح (عاشور)
٦٨ـ اوربا العصور الوسطى ، ج١ ، (القاهرة : ١٩٦٤) .
٦٩ـ الحركة الصليبية ، ج١ (القاهرة : ١٩٦٣)

عــــلام ، عبدالله (علام)
٧٠ــ الدعوة الموحدية بالمغرب ، (طبعة أولى : ١٩٦٤) .
٧١ــ الدولة الموحدية في عهد عبدالمؤمن بن علي ، (دار المعارف : ١٩٦٨)

العبـــادي ، أحمد مختار (العبادي)
٧٢ــ في التاريخ العباسي والفاطمي ، (بيروت : ١٩٧١)
٧٣ــ في تاريخ المغرب والاندلس ، (الاسكندرية ، لا.تا)

عبـــاس ، احسان (عباس)
٧٤ــ تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر الطوائف والمرابطين، (دار الثقافة : ١٩٦٢)

عبدالبديـــع ، لطفي (عبدالبديع)
٧٥ــ الاسلام في اسبانية ، (القاهرة : ١٩٦٩)

عبدالحليم ، رجب محمد (عبدالحليم)
٧٦ــ دولة بني حمود في مالقة بالاندلس ، ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

عبدالعـــواد ، حسن علي حسن (عبدالعواد)
٧٧ــ الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاقصى خلال القرنين الخامس والسادس في الهجرة، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة، ١٩٧٣ .
٧٨ــ دولة الادارسة بالمغرب ــ رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة ١٩٦٧ .

عبداللطيف ، عصمت هانم (عبداللطيف)
٧٩ــ دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا مع نشر وتحقيق رحلة ابي بكر المعافري ٤٣٠ ــ ٥١٥هـ، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

عبداللـــه ، عفيفي محمود ابراهيم (عبدالله)
٨٠ــ احوال المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ .

عبدالمجيـــد ، عبدالعزيز (عبدالمجيد)
٨١ــ ابن الابار حياته وكتبه ، مانشستر : ١٩٥١) .

عبدالوهاب ، حسن (عبدالوهاب)
٨٢ــ الاثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، (القاهرة : ١٩٦٥) .

عبدالوهاب ، حسن حسني (عبدالوهاب)
٨٣ـ ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية ، جـ١ (تونس : ١٩٦٤)
٨٤ـ ورقات عن الحضارة العربية في تونس ، (تونس : ١٩٦٥)
العدوى ، ابراهيم احمد (العدوى)
٨٥ـ المجتمع المغربي مقوماته الاسلامية والعربية ، (القاهرة : ١٩٧٠)
عزام ، عبدالوهاب (عزام)
٨٦ـ المعتمد بن عبدالملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ ، (دار المعارف : ١٩٥٩) .
علي ، سيد أمير (علي)
٨٧ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، تر : رياض رأفت ، (القاهرة : ١٩٣٨) .
عنان ، محمد عبدالله (عنان)
٨٨ـ تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، (القاهرة : ١٩٤٧)
٨٩ـ دول الطوائف ، (القاهرة : ١٩٦٩)
٩٠ـ دولة الاسلام في الاندلس ، جـ١ (القاهرة : ١٩٦٠) وطبعة اخرى (القاهرة : ١٩٦٩) .
٩١ـ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، ق١ (القاهرة : ١٩٦٤)
٩٢ـ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، (القاهرة : ١٩٥٢)
٩٣ـ نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، (القاهرة : ١٩٦٦) .
عويس ، عبدالحليم عبدالفتاح محمد (عويس)
٩٥ـ دولة بني حماد في الجزائر ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة : ١٩٧٣ .
العيادي ، محسن حامد (العيادي)
٩٦ـ ابن سعيد الاندلسي ، حياته وتراثه الفكري والادبي ، (القاهرة : ١٩٧٢)
غنيمة ، محمد عبدالرحيم (غنيمة)
٩٧ـ تاريخ الجامعات الاسلامية ، (تطوان : ١٩٥٣) .
فكري ، احمد (فكري)
٩٨ـ مسجد القيروان ، (القاهرة : ١٩٣٦)
الكتاني ، محمد المنتصر (الكتاني)
٩٩ـ الغزالي والمغرب ، (مهرجان دمشق : ١٩٦١)

كراتشكوفسكي ، اغناطيوس

١٠٠ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ق١ ، تر : صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة : ١٩٦٣) .

الكعاك ، عثمان (الكعاك)

١٠١ـ الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، (لجنة البيان : ١٩٦٥)

١٠٢ـ محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب ، (معهد الدراسات العربية : ١٩٥٨) .

١٠٣ـ موجز التاريخ العام للجزائر ، (تونس : ١٩٢٥) .

كنون ، عبدالله (كنون)

١٠٤ـ امراؤنا الشعراء ، طبعة تطوان

١٠٥ـ النبوغ المغربي في الادب العربي ، ثلاثة اجزاء ، (بيروت : ١٩٧٥)

كيلاني ، كامل (كيلاني)

١٠٦ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ، (القاهرة : ١٩٢٤) .

لانجر ، وليام (لانجر)

١٠٧ـ موسوعة تاريخ العالم ، جـ٢ ، تر : محمد مصطفى زيادة (القاهرة : ١٩٥٩)

لوتورنو ، روجيه (لوتورنو)

١٠٨ـ فاس في عصر بني مرين ، تر : نقولا زيادة ، (بيروت : ١٩٦٧)

لودر ، دروثي (لودر)

١٠٩ـ اسبانيا شعبها وأرضها ، تر : طارق فودة (القاهرة : ١٩٦٥)

لويس ، ارشيبالد (لويس)

١١٠ـ القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، تر : احمد محمد عيسى ، (القاهرة : ١٩٦٠) .

مارسية ، جورج (مارسية)

١١١ـ الفن الاسلامي ، تر : عفيف بهنسي ، (دمشق : ١٩٦٨)

متز ، آدم (متز)

١١٢ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جـ٢ ، تر : ابو ريدة (الطبعة الثالثة : ١٩٧٥) .

محمود ، حسن احمد (محمود)

١١٣ـ قيام دولة المرابطين ، (القاهرة : ١٩٧٥) .

المرابط ، جواد (المرابط)
١١٤ـ عبر وعبرات من دمشق الى الاندلس (بيروت : ١٩٦٥) .

المراكشــي ، محمد عثمان
١١٥ـ الجامعة اليوسفية ، (الرباط : ١٩٣٧)

مصطفى ، محمود (مصطفى)
١١٦ـ اعجام الاعلام ، (القاهرة : ١٩٣٥)

مقامي ، نبيلة ابراهيم (مقامي)
١١٧ـ فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشــر والثالث عشر، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

مكي ، الطاهر أحمد (مكي)
١١٨ـ دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، (القاهرة : ١٩٧٧)

مورينــو ، مانويل جوميث (مورينو)
١١٩ـ الفن الاسلامي في اسبانيا ، تر : لطفي عبدالبديع ومحمود عبدالعزيز سالم ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة : لا.تا)

مؤنــس ، حسين (مؤنــس)
١٢٠ـ تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، القاهرة : ١٩٥١)
١٢١ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس (مدريد : ١٩٧٦)
١٢٢ـ غارات النورمانديين على الاندلس ، (القاهرة : ١٩٤٩)
١٢٣ـ فجر الاندلس ، (القاهرة : ١٩٤٩)

الميلـي ، مبارك الهلالي (الميلي)
١٢٤ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، جـ٢ ، (الجزائر : ١٩٦٣) ، وطبعة اخرى (المطبعة الجزائرية : ١٣٥٠هـ) .

هارون ، عبدالسلام (هارون)
١٢٥ـ نوادر المخطوطات ، جـ٣ .

الهاشمـي ، احمد (الهاشمي)
١٢٦ـ جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب ، جـ٢ ، (القاهرة : ١٩٦٧)

ولد دادة ، محمد (ولد دادة)
١٢٧ـ مفهوم الملك في المغرب ، دار الكتاب اللبناني والمصري ، (الطبعة الاولى : ١٩٧٧) .

اليوســف ، عبدالقادر (اليوسف)
١٢٨ـ العصور الوسطى الاوربيــة (بيروت : ١٩٦٧) .

د ـ الدوريات :

ابن حزم ،

١ ـ « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، تح : شوقي ضيف ، مج١٣ ، جـ٢ ، (القاهرة : ١٩٥١) .

ابن العربي ، الصديق (ابن العربي)

٢ ـ « طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب » ، مجلة تطوان ، العدد الاول ، ١٩٥٦ » .

بنعبدالله ، عبدالعزيز (بنعبدالله)

٣ ـ « وحدة المغرب العربي » ، مجلة انطوان ، العدد الاول ، ١٩٥٦ .

الجمعة ، احمد قاسم (الجمعة)

٤ ـ « اهم التاثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الاسلامي » ، مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد التاسع (أيلول ١٩٧٨) .

الجندي ، انور (الجندي)

٥ ـ « ندوة المنار » مجلة العربي ، العدد ١٨٧ (الكويت : ١٩٧٤) .

السامرائي ، خليل ابراهيم (السامرائي)

٦ ـ « الجزائر الشرقية ـ البليار ـ ايام الطوائف » مجلة التربية والعلم ، العدد الثاني ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩ .

٧ ـ « الدعوة الى توحيد الاندلس في ايام الطوائف » مجلة زانكو ـ الانسانيات ، جامعة السليمانية ، نيسان ١٩٧٧ .

الشامي ، عبدالعال عبدالمنعم (الشامي)

٨ ـ « جغرافية المدن عند العرب » مجلة عالم الفكر ، مج٩ ، العدد الاول ، نيسان ـ مايس ـ حزيران ، ١٩٧٨ ، الكويت .

الطيبي ، امين توفيق (الطيبي)

٩ ـ « واقعة الزلاقة المجيدة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م مقدمتها ونتائجها » مجلة كلية التربية ، جامعة الفاتح ، العدد السادس ، (ليبيا : ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧) .

العبادي ، احمد مختار (العبادي)

١٠ ـ « سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس » صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج٥ ، العدد ١ ـ ٢ ، (مدريد : ١٩٥٧) .

١١ــ « صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والاندلس » مجلة البينة ، ج٩، (الرباط : ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣) .

١٢ــ « مقامة العيد لابي محمد بن عبدالله الازدي (ت٧٥٠هـ) صور من الحياة الشعبية في غرناطة » صحيفة المعهد المصري ، مج٢، العدد ١ ــ ٢ (مدريد : ١٩٥٤) .

العطار ، نادر (العطار)

١٣ــ « العمارة الاندلسية في عصر الموحدين » مجلة الحوليات السورية ، مج١١ ــ ١٢ (١٩٦١ ــ ١٩٦٢) .

علي ، جواد (علي)

١٤ــ « موارد تاريخ الطبري » مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١، أيلول ، ١٩٥٠ .

عمارة ، محمد (عمارة)

١٥ــ « بالفروسية كسر العرب شوكة الصليبيين » مجلة العربي ، العدد ٢١٧ (الكويت : ١٩٧٦) .

الفاسي ، محمد (الفاس)

١٦ــ « المؤرخان ابن أبي زرع وابن عبدالحليم ، تحقيق عن مؤلف كتاب « القرطاس » مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠ .

فراج ، عبدالستار أحمد (فراج)

١٧ــ « معجم البلدان لياقوت الحموي » مجلة العربي ، العدد : ١٤١ ، (الكويت : ١٩٧٠) .

فكري ، أحمد (فكري)

١٨ــ «الاثار الاسلامية في الاندلس »، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن، ١٩٧٨، تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب .

كنون ، عبدالله (كنون)

١٩ــ « مدخل الى تاريخ المغرب » مجلة تطوان ، ١٩٥٥ .

محمود ، حسن احمد (محمود)

٢٠ــ « دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقية » المجلة التاريخية المصرية، مج١٤ ، ١٩٦٨ .

٢١ــ « محنة الشيعة بافريقية في القرن الخامس الهجري » مجلة كلية الاداب، مج١٢ ، ج٢ ، ١٩٥٠ .

مكي ، محمود علي (مكي)

٢٢ـ « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج٧ ـ ٨ (مدريد : ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) .

المنوفي ، محمد (المنوفي)

٢٣ـ « العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين » مجلة تطوان ، ١٩٥٠ .

مؤلف مجهول

٢٤ـ « كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين » ن : ميرندة صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج٩ ـ ١٠، (مدريد : ١٩٦١ ـ ١٩٦٢) .

مؤنس ، حسين (مؤنس)

٢٥ـ « بلاي وميلاد اشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا » مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، مج١١، ج١ (القاهرة : ١٩٤٩) .

٢٦ـ « الثغر الاعلى الاندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ » مجلة كلية الاداب ، مج١١، ج٢ (القاهرة : ١٩٤٩) .

٢٧ـ « سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الاندلس » معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ١٩٥٤ .

٢٨ـ « السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين » المجلة التاريخية المصرية ، مج٣، مايو ١٩٥٠ .

٢٩ـ « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين » مجلة المعهد المصري ، مج١ ، العدد ٣ (مدريد : ١٩٥٥) .

ميرندة ، أمبروزيو أويش (ميرندة)

٣٠ـ « علي بن يوسف واعماله في الاندلس » مجلة تطوان ، العدد الثالث والرابع (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) .

٣١ـ « وقعة اقليش ومصرع الامير ضون شانجة » مجلة تطوان ، العدد الثاني، ١٩٥٧ .

الونشريشي ، احمد بن يحيى بن محمد التلمساني

٣٢ـ « اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر » تح : حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج٥ ، العدد : ١ ـ ٢ ، ١٩٧٥م .

هـ) المراجع الاجنبيـــة :

— *Bury. J.B.,*

1) Cambridge medieval history, vol, 4-5, (Cambridge: 1967).

— *Chap man,*

2) Ahistory of Spain, (New York : 1958).

— *James, Cavanah Murphy,*

3) The history of the Mahometan Empire in Spain, (London : 1816).

— *J.P. Hokins,*

4) Medieval Muslim covernment in Barbary until the six century of the Hyra, (London : 1958).

— *Livermore, Harold,*

5) Ahistory of Spain, (London : 1960)

— *Mahmud Brelvi,*

6) Islam in Africa, (Lahor : 1964).

— *Murphy.*

8) Morocco (London : 1965).

— *ORford University,*

9) The legacy of Islam (1931).

— *Pidal, R.M.,*

10) The cid and his Spain, translated by : Harold sunderland, first edition (London : 1934).

— *Scott,*

11) History of Moorish Empire, Vol., 2, (London : 1904).

— *S.D. Goiten,*

12) Studies in Islamic history and institutions, (Leiden : 1904).

— *Stanly Lanepool and Arthur Gilman,*

13) The Moors in Spain, (London : 1920).

— *Thomas, W. Arnold,*

14) The Caliphate, (England : 1942).

الفهرســـت



علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية - د. خليل ابراهيم السامرائي

١٩٨٥

السعر : (١ر٥٠٠) دينار وخمسمائة فلس

دار الحرية للطباعة ـ بغداد   توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

تصميم الغلاف : نهلة محمد عبدالوهاب